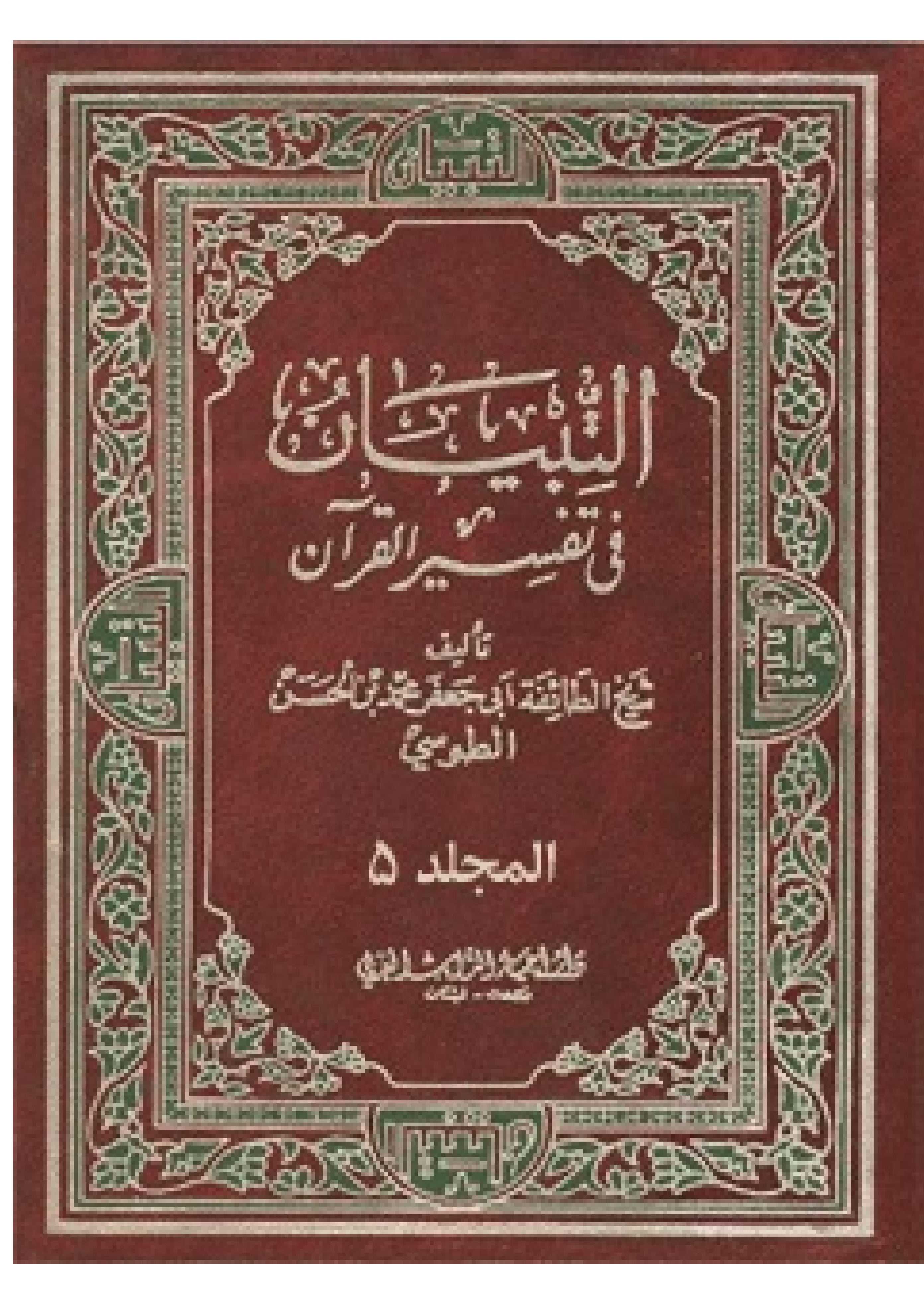

التبيان
في تفسير القرآن
تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي
المجلد ٥


بسم الله الرحمن الرحیم

التبيان فی تفسير القرآن

کاتب:

محمدبن حسن طوسی

نشرت فی الطباعة:

موسسه النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

التبیان فی تفسیر القرآن المجلد ۵

اشارة

شماره بازیابی : ۵-۷-۱۴۶-۱

سرشناسه : طوسی محمد بن حسن ۳۸۵-۴۶۰ق

عنوان و نام پدیدآور : التبیان فی تفسیر القرآن[نسخه خطی]/محمد بن الحسن الطوسی

وضعیت استنساخ :، صفر ۵۹۵ق.

آغاز ، انجام ، انجامه :آغاز:بسمله. الحمدلله الواحد ...سوره و الصافات. مکیه فی قول قتاده و مجاهد و ... لیس فیها ناسخ و لا منسوخ...

انجام:... و لو کان مامورا ...دون التلاوه لما وجب ان یاتی بلفظه قل فی هذه المواضع کلها . تم الکتاب و الحمدلله رب العالمین.

انجامه:فرغ الحسین بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن یحیی بن الوکیل المعروف بابن الطو...من کتابه هذا الجزء الخامس لنفسه ...عشر صفر من سنه خمس و تسعین و خمس مایه و صلی الله علی سیدنا محمد النبی و اهل بیته الطاهرین و سلم تسلیما کثیرا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابی یزید و ان محمد و علی سعید.

مشخصات ظاهری :گ ۴۰۰ - ۷۳۱ ، ۲۷ سطری

یادداشت مشخصات ظاهری : نوع و درجه خط:نسخ

نوع کاغذ:نخودی رنگ، آهار مهره

تزئینات متن: بعضی عناوین و علائم: قرمز

خصوصیات نسخه موجود : امتیاز:ابتدای کتابت این نسخه ربیع الاخر ۵۹۴ ق. و خاتمه ی کتابت صفر ۵۹۵ق. است.

حواشی اوراق:اندکی تصحیح با نشان" صح "دارد.

یادداشت های مربوط به نسخه :یادداشت هایی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنین تذکری مبنی بر این که مذهب نویسنده معتزلی است ": فافهم ان هذا الکتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجیهه لمذهبه "در برگ ۴۰۰ دارد.

معرفی نسخه: اولین تفسیر مفصل شیعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت ، اعراب ، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات دینی، وجوه ادبی و نقل روایات از ائمه طاهرین و بقیه مفسران شیعه و سنی بحث می کند ، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهمیت قرآن و رد تحریف و تفسیر به رای ، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن . این نسخه جلد ۵ تفسیر از سوره صافات تا آخر قرآن است. این نسخه در لوح فشرده ای به شماره ۱۴۶، از نسخه های اهدایی" دایرهٔ المعارف بزرگ اسلامی "است که از" کتابخانه های یمن "تهیه شده است.

یاداشت تملک و سجع مهر : شکل و سجع مهر:مهر بیضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ۴۰۴ دارد. مهر بیضی دیگری با سجع " جمال الدین الحسینی "(؟)در برگ ۴۰۰ دارد.

توضیحات نسخه : نسخه بررسی شده .اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شیرازه، مرمت صحافی، لکه، رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ۱-۳۲۸ دارد.

یادداشت کلی : زبان: عربی

المجلد الخامس

[تتمة سورة الاعراف ..... ص : ۴

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم الحمد للّه الذى وفقنا لطاعته و العمل على فهم كتابه و أحكامه. و إنى اشكره استتماماً لنعمته و رضاء بتدبيره و اعترافاً بربوبيته و اعتقاداً بحكمته. و صلى اللّه على محمّد رسوله الأمين و على آله الميامين الذين اذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

و بعد فانى اقدم لاخوانى المؤمنين العاملين بأحكام القرآن هذا المجلد الخامس من تفسير التبيان. و قد لاقيت من العناء فى إخراجه الشيء الكثير.

و لما نفد هذا الجزء و رأينا الطلب باقياً توكلنا على اللّه و واعدناه طبعة ثانية منقحة و اللّه الملهم للصواب.

أحمد حبيب قصير التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۵

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۸] .... ص : ۵

قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِی لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ يُحيِي وَ يُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِی يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِماتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱۵۸)

أمر اللّه تعالى نبيه صلى اللّهُ عليه و آله ان يخاطب الخلق، و يقول لهم إنى رسول اللّه أرسلنى إليكم يعنى الى الناس أجمع «الَّذِی لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى أرسلنى إليكم الذى له التصرف فى السماوات و الأرض من غير دافع، و لا منازع «لا إله» اى لا معبود «إِلَّا هُوَ يُحيِي وَ يُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ» أمر من النبى صلى اللّهُ عليه و آله للخلق بأن يصدقوا بتوحيد اللّه و يقروا بنبوة النبى «الْأُمِّيِّ الَّذِی يُؤْمِنُ» يعنى يصدق باللّه و كلماته، و أمرهم بأن يتبعوه و يرجعوا الى طاعته لكى يهتدوا الى الثواب و الجنة.

و «جميعاً» نصب على الحال من ضمير المخاطب الذى عمل حرف الاضافة فيه و العامل فى الحال معنى الفعل فى «رسوله» الا أنه لا يتقدم على جرف الاضافة، لأنه قد صار بمنزلة العامل.

و إنما وصفه بأنه يحيى و يميت لأنه لا يقدر على الأحياء إلا اللّه، و لا على الاماتة أيضاً سواه لأنه لو قدر أحد على الاماتة لقدر على الأحياء، لأن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على ضده، و انما استعمل بمعنى لتهتدوا على الرجاء و الطمع فى الفوز به من العذاب.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۹] ..... ص : ۵

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (۱۵۹)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۶

أخبر اللّه تعالى أن من قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون.

قال ابن عباس و السدى: قوم وراء الصين.

و قال ابو جعفر عليه السلام: هم قوم خلف الرمل لم يغيروا و لم يبدلوا.

و أنكر الجبائى قول ابن عباس، و قال شرع موسى عليه السلام، منسوخ بشرع عيسى عليه السلام و شرع محمّد صَلى اللّه عليه و آله فلو

كانوا باقين لكفروا بنبوة محمّد.

و هذا ليس بشيء، لأنه لا يمتنع ان يكون قوم لم تبلغهم الدعوة من النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فلا نحكم بكفرهم.

و قال الجبائى يحتمل ذلك وجهين:

أحدهما- انهم كانوا قوماً متمسكين بالحق فى وقت ضلالتهم «۱» بقتل أنبيائهم.

و الاخر- انهم الذين آمنوا بالنبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم مثل ابن سلام و ابن صوريا و غيرهما.

و تقدير الكلام فى معنى الآية إذاً: كان من قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون، قد مدحوا بذلك و عظموا، فعلى كل أمة أن يكونوا كهذه الأمة الكريمة فى هذا المعنى. و الامة الجماعة التى تؤم أمراً بأن تقصده و تطلبه. و أمة محمّد صلى اللَّه عليه و آله تؤم شريعته و أمة موسى و عيسى مثل ذلك.

و ليس فى الآية ما يدل على ان فى كل عصر أمة هادية من قوم موسى لأن بعد نبوة نبينا صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يبق احد يجب اتباعه فى شرع موسى عليه السلام و كذلك قوله تعالى «وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ» «۲» و لا دلالة فى ذلك على ان تلك الأمة موجودة فى كل عصر، بل لو لم توجد هذه الأمة الا فى وقت واحد هادية بالحق عادلة به لصح معنى الآية على ان عندنا فى كل عصر لا يخلون من قوم بهذا الوصف و هم حجج اللَّه على خلقه، المعصومين الذين لا يجوز عليهم الخطأ و الزلل، فقد قلنا بموجب الآية.

---

(۱) أى وقت ضلالة قومهم

(۲) سورة ۷ الأعراف آية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۷

و صريح الآية يدل على بطلان قول من قال لا يهدى الى الحق الا اللَّه تعالى، لأن اللَّه تعالى بين ان فيمن خلقه أمة يهدون بالحق و به يعدلون، و ظاهر ذلك الحقيقة و صريح الآية بخلاف ما يقوله المخالف، و لا ينافى ذلك قوله تعالى «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي» «۱» لأنه يصح اجتماعه مع ذلك، و المعنى من يهده اللَّه الى الجنة فهو المهتدى اليها على ان قوله تعالى «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى» لا يمنع من ان يهديه ايضاً غير اللَّه و يهتدى، لان المتعلق بذلك تعلق بدليل الخطاب. و هو ليس بصحيح عند اكثر العلماء، على ان من هدى غيره الى الحق فإنما يهديه بأن ينبهه على الحجج التى نصبها اللَّه على الحق فجاز ان يضاف ذلك الى انه بهداية اللَّه. و من حمل قوله تعالى «يهدون» على ان المعنى يهتدون فقد غلط، لان ذلك لا يعرف فى اللغة.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۰] .... ص : ۷

وَ قَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً أُمَماً وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۱۶۰)

قد مضى تأويل معنى اكثر هذه الآية فى سورة البقرة «۲» فلا معنى للتطويل بذكر ما مضى و انما نذكر ما لم يذكر هناك: انما أنث قوله اثنتى عشرة اسباطاً لان النية التقديم و التأخير و التقدير و قطعناهم امماً اثنتى عشرة اسباطاً و لم

---

(۱) سورة ۷ الأعراف آية ۱۷۷

(۲) آية ۶۰ من سورة البقرة المجلد ۱/ ۲۶۹

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۸

يقل سبطاً لاحد ثلاثة أشياء:

أحدها- انه بدل ليس بتمييز و المعنى قطعناهم اسباطاً ذكر ذلك الزجاج.

الثاني- على ان كل قسم أسباط لان الواحد يقال له سبط، فيجوز على هذا عندى عشرون دراهم على ان كل قسم منها دراهم قال كثير:

على و الثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط ايمان و بر و سبط غيبته كربلا «۱»

الثالث- ان يكون اقام الصفة مقام الموصوف. و تقديره اثنتى عشرة فرقة اسباطاً.

و السبط: الجماعة التى تجرى فى الامر بسهولة لاتفاقهم فى الكلمة على انه مأخوذ من السبوط. و قيل انه مأخوذ من السبط ضرب من الشجر، فجعل الأب الذى يجمعهم كالشجرة التى تتفرع عنها الأغصان الكثيرة. و قال ابو على لأنهم كانوا بنى اثنى عشر رجلا من ولد يعقوب و قيل انما فرقوا اسباطاً لاختلاف رتبتهم.

و الانبجاس: خروج الماء الجارى بقلة، و الانفجار خروجه بكثرة، فكان يبتدئ بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة، فلذلك ذكره هاهنا بالانبجاس و فى البقرة بالانفجار.

و الظلة السترة التى تقى من الشمس، و الأغلب عليها العلو.

فجعل اللَّه عز و جل لهم من الغمام ظلة تكنهم لما احتاجوا الى ذلك فى التيه كما أعطاهم المن و السلوى. و المن ضرب من الحلاوة يسقط على الشجر. و السلوى طائر كالسمانى. و انما أنث «اثنتا عشرة اسباطاً» مع ان السبط ذكر، لأحد ثلاثة أشياء:

أحدها- اثنتى عشرة فرقة ثم حذف.

الثاني- و قطعناهم قطعاً اثنتى عشرة، فحذف على هذا التقدير.

الثالث- أن السبط لما وقع على الامة أنث. كما قال الشاعر:

---

(۱) الاغانى ۹/ ۱۴

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۹

و ان كلاباً هذه عشر أبطن و انت برىء من قبائلها العشر

و قوله تعالى «وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» معناه: ما أنقصونا شيئاً و لكن انقصوا أنفسهم تقول العرب: ظلمت سقاك إذا سقيته قبل ان يخرج زبده، و يقال: ظلم الوادى إذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن ناله فيما مضى، قال الفراء و انشدنى بعضهم:

يكاد يطلع ظلماً ثم يمنعه عن الشواهق فالوادى به شرق

و يقال هو أظلم من حية. لأنها تأتى جحراً لم تحفره فتسكنه و يقال ما ظلمك ان تفعل كذا أى ما منعك. و الأرض المظلومة التى لم ينلها المطر.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۱] ..... ص : ۹

وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (۱۶۱)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل المدينة و ابن عامر و يعقوب (يغفر) بالياء و ضمها، و فتح الفاء الباقون بالنون و كسر الفاء، و قرأ اهل المدينة و يعقوب (خطيئاتكم) على جمع السلامة و رفع التاء، و قرأ ابن عامر على التوحيد و رفع التاء، و قرأ ابو عمرو (خطاياكم) بغير همز على جمع التكسير، الباقون و هم ابن كثير و اهل الكوفة (خطيآتكم) على جمع السلامة و كسر التاء.

من قرأ «يغفر» حمله على قوله تعالى «وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ» ادخلوا ... يغفر، و التى فى البقرة (نغفر) بالنون، فالنون هناك احسن لقوله «و إذ قلنا» و جاز هاهنا بالنون كأنه قيل لهم ادخلوا ... نغفر. أى إن دخلتم غفرنا.

و من قرأ تغفر بالتاء المضمومة فلانه أسند اليها خطيئاتكم و هو مؤنث فأنث التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۰

و بنى الفعل للمفعول أشبه بما قبله، لان قبله و إذ قيل.

و من قرأ بالنون فلقوله «سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» و خطايا جمع خطيئة جمع تكسير (و خطاياتكم) مسكناً لأنه يكثر فيه السكون و سميت القرية قرية لان الماء يقرى اليها يقال قريت الماء فى الحوض أقريه قرياً إذا جمعته. و يجوز ان يكون مشتقاً من اجتماع الناس اليها.

و قد مضى تفسير مثل هذه الآية فى سورة البقرة «۱» فلا معنى لإعادته.

و إنما نذكر جمل ذلك فنقول:

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه محمّد صلى الله عليه و آله و سلم يقول اذكر يا محمّد إذ قيل لبنى إسرائيل اسكنوا هذه القرية و هى بيت المقدس على قول الجبائى و غيره من المفسرين و قال الحسين هى ارض الشام. و قال قوم غير ذلك. و قد ذكرنا اختلافهم فى سورة البقرة «۲» لأنه كان أمرهم بدخولها و إخراج من فيها من الكفار و غيرهم و وعدهم ان يوسع عليهم فيها الرزق و يبيحهم ذلك ليأكلوا من حيث شاءوا ما يريدون من انواع الاغذية و الرزق. و قال لهم: «كلوا من حيث شئتم» على كثرة الرزق و الغذاء فى هذه القرية و فى كل ناحية منها.

و قوله تعالى: «وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً» يعنى متواضعين و كانوا أمروا بأن يدخلوا باباً منه معيناً فى هذا الموضع كانوا فيه- فى قول الجبائى- و قال ذلك قبل دخولهم الى بيت المقدس، قال و لم يرد ان يدخلوا الباب سجداً منحنين.

قال ابن عباس كان هناك باب ضيق أمروا بان يدخلوه ركعاً فدخلوه على أستاههم. و قيل لهم «قُولُوا حِطَّةٌ» أى مغفرة، فقالوا حنطة. و ذكرنا اختلاف الناس فى ذلك.

و قوله «وَ قُولُوا حِطَّةٌ» معناه قولوا حط عنا ذنوبنا و هو بمنزلة الاستغفار و التوبة.

و قوله «نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ» جواب الأمر و فيه معنى الجزاء. و التقدير انكم

(۱، ۲) آية ۵۸ المجلد ۱/ ۲۶۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۱

ان فعلتم ذلك غفرنا لكم خطاياكم. و قوله (سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) معناه سنزيد المحسنين منكم نعماً و فضلا فى الدنيا و الاخرة، و لا نقتصر لهم على نعم هذه القرية.

و رفع حطة على تقدير مسألتنا حطة و مطلوبنا حطة. و ان نصب جاز بمعنى حط عنا حطة. و قوله سجداً نصب على الحال من دخول الباب. و قال ابو على ليس بحال لدخول الباب، لأنهم بدلوا فى حياة موسى.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۲] ..... ص : ۱۱

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظْلِمُونَ (۱۶۲)

اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الذين أمرهم بدخول القرية متواضعين، و ان يقولوا حطة لذنوبنا، انهم بدلوا قولا غير الذى قيل لهم.

و التبديل تغيير الشيء برفعه الى بدل، فقال الحسن قالوا حنطة بدل حطة.

و قال قوم: قالوا قولا ينافي الاستغفار و يخالف التوبة. و قالوا ما يدل على الإصرار.

و اخبر تعالى انه أرسل عليهم عند ذلك رجزاً و هو العذاب و العقوبة جزاء بما كانوا يفعلونه من معاصى اللّه تعالى و يظلمون بها أنفسهم.

و اصل الرجز الميل عن الحق فمنه الرجازة و ما يعدل به الحمل إذا مال عن خفة و الرجز عبادة الوثن و الناقة الرجزاء التى تميل فى احد شقيها لداء يعرض لها فى عجزها.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۳] ..... ص : ۱۱

وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ يَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذلِكَ نَبْلُوهُمْ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۱۶۳)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۲

القراء كلهم على فتح الياء فى قوله تعالى (لا يسبتون) و روى عن الحسن ضمها.

من قال أسبتوا أراد دخلوا فى السبت و من فتح الياء أراد يفعلون السبت اى يقومون بأمره كما يفعل المسلمون يوم الجمعة، و مثله أجمعنا اى مرت بنا جمعة، و جمعنا شهدنا الجمعة. قال الفراء: قال لى بعض العرب: أ ترانا اشهرنا منذ لم نلتق يريد مرّ بنا شهراً.

امر اللّه نبيه صلى اللّه عليه و آله و سلم أن يسأل بنى إسرائيل الذين كانوا فى وقته عن القرية التى كانت حاضرة البحر، و عن سبب هلاكها، سؤال تقرير و توبيخ لا سؤال استفهام، كما يقول الرجل لغيره أنا فعلت كذا؟ و انت تعلم أنك لم تفعل، و انما تسأله لتقريره و توبيخه، فوجه امر النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم ان يسأل اهل الكتاب عن اهل هذه القرية مع ما أخبره اللّه تعالى بقصتها لتقريرهم تقديم كفرهم و تعلمهم ما لا يعلم الا بكتاب او وحى، و هو صلى اللّه عليه و آله و سلم لم يكن ممن قرأ الكتب، فعلموا بذلك ان ذلك وحى انزل عليه.

و قوله تعالى (إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ) معناه إذ يظلمون فى السبت، يقال عدا فلان يعدو عدواناً، و عدا عدواً إذا ظلم.

و قوله تعالى (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ) فى موضع نصب بيعدون.

و المعنى سلهم إذ عدوا فى وقت إتيان الحيتان «شرعاً» اى ظاهرة و الحيتان جمع حوت و اكثر ما يسمى العرب السمك بالحيتان و النينان، و كانت الحيتان تأتى ظاهرة فكانوا يحتالون بحبسها يوم السبت ثم يأخذونها فى يوم الأحد. و قال قوم: جاهروا بأخذها يوم السبت.

و قوله تعالى (كَذلِكَ نَبْلُوهُمْ) اى مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم.

و موضع الكاف نصب بقوله: (نَبْلُوهُمْ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ) اى شددت عليهم المحنة بفسقهم. قال الزجاج و يحتمل ان يكون «و يوم يسبتون لا تأتيهم كذلك» اى لا تأتيهم شرعاً و يكون «نبلوهم» مستأنفاً. و الأول قول اكثر المفسرين.

و الوجه فى تشديد المحنة التى هى التكليف أن اللّه تعالى أمر بنى إسرائيل التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۳

بإمساك السبت و التفرغ فيه للعبادة و أن لا يتشاغلوا بشيء من أمر الدنيا فيه فتهاون قوم ممن كان يسكن هذه القرية و هى (ايلة) فى قول قوم من المفسرين. و قال قوم هى مدين، و رويا جميعاً عن ابن عباس. و لم يقوموا بما وجب عليهم فشدد اللّه على من أخذوه. قال الحسن: كانت تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض فيعدون فيأخذونها و تبعد عنهم فى باقى الأيام و أمرهم ان لا يصطادوا يوم السبت فكان ذلك تشديداً للتكليف و تغليظاً للمحنة و البلوى، و كان ذلك عقوبة على تهاونهم بما أوجب اللّه عليهم فخالفوا فأرسلوا الشباك يوم السبت و أخرجوها يوم الأحد.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۴] ..... ص : ۱۳

وَ إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (۱۶۴)

آية بلا خلاف.

قرأ حفص وحده عن عاصم «معذرة» بالنصب. الباقون بالرفع.

من رفع فعلى تقدير موعظتنا معذرة الى ربكم. و من نصب فعلى المصدر، كما يقول القائل لغيره: معذرة الى اللَّه و اليك من كذا على النصب.

و المعنى قالوا نعتذر معذرة و اعذاراً.

قال ابو زيد عذرته اعذره عذراً و معذرة و عذرى. و التقدير و اذكر إذ قالت أمة منهم لطائفة منهم لم تعظون قوماً علمتم انهم هالكون فى الدنيا و يعذبهم اللَّه عذاباً شديداً فى الآخرة، فقالوا فى جوابهم وعظناهم إعذاراً الى اللَّه اى نعظهم اعتذاراً الى ربكم لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم و لعلهم ايضاً بالوعظ يتقون و يرجعون.

و فى ذلك دليل على انه يجب النهى عن القبيح و إن علم الناهى ان المنهى لا ـ ينزجر و لا يقبل، و ان ذلك هو الحكمة و الصواب الذى لا يجوز غيره. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۴

و اختلفوا فى هذه الفرقة التى قالت: لم تعظون قوماً اللَّه مهلكهم؟ هل كانت من الناجية او من الهالكة عن الاعتداء فى السبت. ذهب اليه ابن عباس و قال نجت الطائفتان من الهلاـك الناهية و التى قالت لها لم تعظون، و به قال السدى و قال قوم الفرقة التى قالت لم تعظون قوماً اللَّه مهلكهم كانت من الفرقة الهالكة ذهب اليه ابن عباس فى رواية اخرى عنه.

و قال قتادة عن ابن عباس هم ثلاث فرق التى وعظت و الموعظة، فنجت الاولى و هلكت الثانية، و اللَّه اعلم ما فعلت الفرقة الثالثة، و هم الذين قالوا لم تعظون و اختاره الجبائى.

و قال الكلبى: هما فرقتان الواعظة و الموعظة.

و قال الجبائى لم يريدوا بذلك الا نهيهم إياهم عن ذلك القبيح. و انما قالوا ذلك على سبيل الإياس من قبولهم منهم.

و قوله «لم» أصله (لما) الا انه حذف الألف مع حرف الجر نحو «عَمَّ يَتَساءَلُونَ» و لم يقولوا (عن ما).

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۵] ..... ص : ۱۴

فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۱۶۵)

قرأ أبو بكر إلا العليمى «بيئس» بفتح الباء و بعدها ياء ساكنة و بعدها همزة مفتوحة على وزن (فيعل) و روى عنه بكسر الهمزة. و قرأ اهل المدينة و الداحونى عن هشام بكسر الهاء و بعدها ياء ساكنة من غير همز. و قرأ مثل ذلك ابن عامر الا الدارحونى عن هشام إلا أنه همز. الباقون بفتح الباء و بعدها همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن (فعيل). و روى خارجة عن نافع بفتح الباء بعدها التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۵

ياء بلا همز على وزن (فعل).

قال ابو زيد: قد بؤس الرجل يبؤس بأساً إذا كان شديد البأس، و فى البؤس بئس و بيس يبأس بؤساً و بيئساً و باساً و البأساء الاسم.

قال أبو على: من قرأ على وزن (فعيل) يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون فعيلا من بؤس يبؤس إذا كان شديد البأس مثل «من عذاب شديد» «۱» قال ابو محمّد الفقعسى:

أشعث غير حسن اللبوس باق على عيش له بئيس

أى شديد.

و الثانى- أن يكون من عذاب ذى بئيس. فوصفه بالمصدر، و المصدر قد يجىء على (فعيل) مثل نكير و نذير و شحيح و عذير الحى، و التقدير من عذاب ذى بئيس أى عذاب ذى بؤس.

و من قرأ بكسر الباء من غير همز فانه جعلها اسماً، فوصفه به مثل

قوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم (إن اللَّه نهى عن قيل و قال)

و مثله: منذ شب الى رب. و نظيره من الصفة نقض و بصق.

و من فتح الباء من غير همز فهو أيضاً (فعل) فى الأصل وصف به و أبدلت الهمزة ياء و حكى سيبويه أنه سمع بعض العرب يقول: بيس فلا يحقق الهمزة و يدع الحرف على الأصل الذى هو (فعل) كأنه يسكن العين كما يسكن من (علم) و يقلب الهمزة ياء الا أنه لما أسكنها لم يجز أن يجعلها بين بين فأخلصها ياء.

و قراءة ابن عامر مثل قراءة نافع إلا أن ابن عامر حقق الهمزة.

و قراءة أبى بكر على وزن «فيعل»، فانه جعله وصفاً كضيغم و حيدر، و هذا البناء كثير فى الصفة و لا يجوز كسر العين من بيئس لان «فيعل» بناء اختص به ما كان عينه ياء أو واواً مثل سيد و طيب، و لم يجئ مثل ضيغم و جاء فى المعتل حكى سيبويه عيّن و انشد لرؤبة.

---

(۱) سورة ۱۴ ابراهيم آية ۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶

ما بال عينى كالشعيب العين «۱»

فينبغى ان يحمل بيئس على الوهم عمن رواه عن عاصم و الأعمش بالكسر و قد أنشد بعضهم:

كلاهما كان رئيساً بيئسا يضرب فى يوم الهياج القونسا «۲»

أعلى كل شى قونسه بكسر العين. فمن كسر العين حمله على هذه اللغة.

أخبر اللَّه تعالى أنه لما ترك أهل هذه القرية الرجوع عن ارتكاب المعصية بصيد السمك يوم السبت بعد أن ذكرهم الواعظون ذلك و لم ينتهوا عن ذلك أنه أنجى الناهين عن ذلك و أخذ الذين ظلموا أنفسهم بعذاب شديد جزاء بما كانوا يفسقون و يخرجون عن طاعة اللَّه الى معصيته.

و روى عن عطا أن رجلا دخل على ابن عباس و بين يديه المصحف و هو يبكى و قد أتى على هذه الاية الى آخرها، فقال ابن عباس قد علمت ان اللَّه أهلك الذين أخذوا الحيتان و أنجى الذين نهوهم، و لا ادرى ما صنع بالذين لم ينهوهم و لم يواقعوا المعصية و هى حالنا.

و «نسوا» فى الاية معناه تركوا و يحتمل ان يكون تركهم القبول فى منزلة من نسى، و لا يجوز أن يكون المراد النسيان الذى هو السهو، لأنه ليس من فعلهم فلا يذمون عليه.

و قال الجبائى العذاب الشديد لحقهم قبل ان يمسخوا قردة خاسئين.

قوله تعالى :[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۶] ..... ص : ۱۶

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ (۱۶۶)

---

(۱) و قيل قائله الطرماح. اللسان (عين)

(۲) قائله امرئ القيس بن عابس الكندى. تفسير ابن حيان ۴/ ۱۴۳ و تفسير الطبرى ۱۳/ ۲۰۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۷

اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء العصاة الذين عصوا بصيد السمك فى السبت، و نهوا فلم ينتهوا و وعظوا فلم يتعظوا، و أنه أنزل عليهم العذاب الشديد، فلما عتوا عما نهى اللَّه و تمردوا فى معصيته مسخهم اللَّه قردة خاسئين.

و العاتى الشديد الدخول فى الفساد المتمرد الذى لا يقبل موعظة. و العتو الخروج الى الجرأة على أفحش الذنوب و قوله «خاسئين» معناه مبعدين من قولهم خسأت الكلب إذا أقصيته فخسأ أى بعد. و قال الحسن معناه صاغرين، و قال: إن أهل المسخ يتناسلون. و قال ابن عباس: لا يتناسلون. و أجاز الزجاج كلا الامرين.

و سئل ابو مالك: أ كانت القردة و الخنازير قبل ان يمسخوا؟ قال: نعم و كانوا فيما خلق اللَّه من الأمم. و قول ابن عباس أصح، لأن المعلوم أن القردة ليست من ولد آدم كما أن الكلاب ليست من ولد آدم. قال قتادة: صاروا قردة لها أذناب تعاوى بعد ما كانوا نساء و رجالا.

و قوله تعالى: «كُونُوا قِرَدَةً» صيغته صيغة الامر و المراد به الاخبار: من أنه جعلهم قردة على وجه يسهل عليه و لم يتعب به و لم ينصب كما قال تعالى: «إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون» «۱». و قال «ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ» «۲» و لم يكن هناك أمر لأنه تعالى لا يأمر المعدوم، و إنما هو إخبار عن تسهيل الفعل، و أجاز الزجاج أن يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك أبلغ فى الآية النازلة بهم لما يدل على وقوع الأول الذى تبعه الثانى. و ليس كذلك إذا قلت: لما جاء المطر خرج النبات، و قوله تعالى «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا» فلا يقع الرد أصلا.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۷] ..... ص : ۱۷

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّکَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّکَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۶۷)

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آية ۴۰

(۲) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آية ۱۱ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۸

آية بلا خلاف.

التقدير اذكر يا محمّد «إذ تأذن ربك» و معنى تأذن: أعلم، و العرب تقول تعلم ان هذا كذا بمعنى اعلم، قال زهير:

تعلم أن شرّ الناس حى ينادى فى شعارهم يسار «۱»

و يسار اسم عبد. و قال زهير ايضاً:

فقلت تعلم ان للصيد غرة و الا تضيعه فإنك قاتله «۲»

و قال الزجاج معنى (تأذن) تألى ربك ليبعثن. و قال قوم: معناه امر من اذن يأذن. و قوله: «لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ» قسم من اللَّه تعالى انه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب اى من يوليهم سوء العذاب.

قال ابو جعفر عليه السلام و ابن عباس و قتادة و سعيد بن جبير و الحسن: أراد به أمة محمّد صلى اللَّه عليه و آله و سلم يأخذون منهم الجزية.

فان قيل فقد جعلوا قردة كيف يبقون الى يوم القيامة؟

قلنا: إن الذكر لليهود فمنهم من مسخ فجعل منهم القردة و الخنازير و من بقى قمع بذل من اللَّه، فهم أذلاء بالقتل او أذلاء بإعطاء

الجزية، فهم فى كل مكان أذل اهله لقوله تعالى «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ» «۳» اى إلا ان يعطوا الذمة و العهد.

و فى الآية دليل على ان اليهود لا يكون لهم دولة الى يوم القيامة و لا عزلهم ايضاً و قيل فى معنى البعث هاهنا قولان: أحدهما- الأمر و الإطلاق. و الآخر-

---

(۱) الاغانى- دار الثقافة بيروت- ۱۰: ۳۱۷ الشعار علامة ينصبونها فى سفرهم

(۲) تفسير القرطى ۷: ۳۰۹. و روايته (تضيعها) بدل (تضيعه).

(۳) سورة ۳ آل عمران آية ۱۱۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۹

التخلية، و إن وقع على وجه المعصية، كما قال تعالى: «أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» «۱».

و قوله تعالى:«إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ» معناه إن ربك يا محمّد لسريع العقاب لمن يستوجبه على كفره و معصيته «وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» اى صفوح عن ذنوب من تاب إليه من معاصيه و رجع الى طاعته يستر عليهم بعفوه و بفضله رحمة بهم فلا ينبغى لأحد ان يصرّ و يأمن عقابه بل ينبغى ان يجوز سرعة عقابه فيبادر إلى التوبة و الاستغفار.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۸] ..... ص : ۱۹

وَ قَطَّعْناهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذلِكَ وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۱۶۸)

اخبر اللَّه تعالى انه قطع بنى إسرائيل يعنى فرقهم فرقاً فى الأرض «امماً» يعنى جماعات شتى متفرقين فى البلاد، و هو قول ابن عباس و مجاهد، و على اى وجه فرقهم؟ قيل فيه قولان:

أحدهما- فرقهم حتى تشتت أمرهم و ذهب عزهم عقوبة لهم.

الثانى- فرقهم على ما علم انه أصلح لهم فى دينهم.

ثم اخبر عنهم فقال: من هؤلاء الصالحون يعنى من بنى إسرائيل الصالحون، و هم الذين يؤمنون باللَّه و رسله، و منهم دون ذلك يعنى دون الصالح، و إنما وصفهم بذلك لما كانوا عليه قبل ارتدادهم عن دينهم، و قبل كفرهم بربهم، و ذلك قبل ان يبعث فيهم عيسى عليه السلام.

و قوله: «وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ» معناه اختبرناهم بالرخاء فى العيش

---

(۱) سورة ۱۹ مريم آية ۸۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۰

و الخفض فى الدنيا و الدعة و السعة فى الرزق، و هى الحسنات، و يعنى بالسيئات الشدائد فى الحبس و المصائب فى الأنفس و الأموال «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» اى لكى يرجعوا الى طاعته و ينيبوا الى امتثال أمره.

فان قيل كيف قال: لكى يرجعوا الى الحق، و هم لم يكونوا عليه قط؟! قلنا عنه جوابان:

أحدهما- انهم مارون على وجوههم الى جهة الباطل فدعوا الى الرجوع الى جهة الحق لأن الانصراف عن الباطل رجوع الى الحق.

الثانى- انهم ولدوا على الفطرة و هى دين الحق الذى يلزمهم الرجوع اليه

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۹] ..... ص : ۲۰

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۱۶۹)

آية بلا خلاف.

معنى الآية ان اللَّه اخبر انه خلف- بعد القوم الذين كانوا فرقهم فى الأرض- خلف، و هم قوم نشؤوا بعدهم من أولادهم و نسلهم، يقال للقرن الذى يجىء فى اثر قرن خلف، و الخلف ما اخلف عليك بدلا مما أخذ منك. و يقال فى هذا خلف ايضاً. فأما ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك، فهو- بفتح اللام- افصح. قال الفراء: يقال: أعطاك اللَّه خلفاً مما ذهب لك، فأنت خلف صدق و خلف سوء، قال اللَّه تعالى «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ» «۱» و اكثر ما يجىء فى المدح

---

(۱) سورة ۱۹ مريم آية ۵۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۱

- بفتح اللام- و فى الذم بتسكينها- و قد تحرك فى الذم و تسكن فى المدح، فمن ذلك فى تسكين اللام فى المدح قول حسان بن ثابت:

لنا القدم الاولى اليك و خلفنا لأولنا فى طاعة اللَّه تابع«

و يقال: خلف اللبن إذا حمض من طول تركه فى السقاء حتى يفسد، فالرجل الفاسق مشبه به، و منه خلوف فم الصائم و هو تغيره. و أما بتسكين اللام فى الذم فقول لبيد:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجرب «۲»

و قيل ان الخلف الذين ذكرهم اللَّه فى هذه الآية أنهم خلفوا من قبلهم هم النصارى- ذهب اليه مجاهد- و هذا الذى قاله جائز، و جائز أيضاً أن يكون المراد به قوم خلفوهم من اليهود.

و قوله تعالى «وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى قال قوم. كانوا يرتشون على الأحكام، و يحكمون بجور. و قال آخرون: كانوا يرتشون و يحكون بحق، و كل ذلك عرض خسيس، و معنى «هذَا الْأَدْنى هذا العاجل، و «يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا» معناه إذا فعلوا ذلك يقولون اللَّه يغفر لنا ذلك تمنياً منهم للأباطيل كما قال تعالى «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» «۳».

و قوله تعالى «وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ» دليل على إصرارهم و أنهم تمنوا أن يغفر لهم مع الإصرار، لان المعنى و ان جاءهم حرام من الرشوة بعد ذلك أخذوه و استحلوه، و لم يرتدعوا عنه- و هو قول سعيد بن جبير و قتادة و السدى و ابن عباس و قال الحسن: معناه لا يشبعهم شى‌ء.

---

(۱) ديوانه: ۸۴. و اللسان (خلف) و تفسير القرطبى ۷/ ۳۱۰

(۲) ديوانه القصيدة: ۸. و اللسان (خلف) و تفسير القرطبى ۷/ ۳۱۰

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۷۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۲

و قوله «أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ» معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى الأحكام القائلين سيغفر لنا هذا إذا عوتبوا على ذلك و «مِيثاقُ الْكِتابِ» هو ما أخذ اللَّه على بنى إسرائيل من العهود باقامة التوراة و

العمل بما فيها، فقال تعالى لهؤلاء الذين قصهم توبيخاً لهم على خلافهم أمره و نقضهم عهده و ميثاقه: أ لم يأخذ اللَّه عليهم الميثاق فى كتابه ان لا- يقولوا على اللَّه الا- الحق، و لا يضيفوا اليه الا ما أنزله على رسوله موسى فى التوراة و لا يكذبوا عليه و انما احتج عليهم بميثاق الكتاب، و لم يحتج عليهم بالعقل، ليعلمنا ما لا نعلمه مما هو فى كتبهم من ادلة تؤكد ما فى العقل.

و قوله تعالى: «وَ دَرَسُوا ما فِيهِ» المعنى قرؤوا ما فيه و درسوه فضيعوه، و تركوا العمل به. و الدرس تكرر الشيء يقال درس الكتاب إذا كرر قراءته، و درس المنزل: إذا تكرر عليه مرور الأمطار و الرياح حتى يمحى اثره.

و قوله تعالى «وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» أى ما أعده اللَّه تعالى لأوليائه فى دار الآخرة من النعيم و الثواب و ذخره للعاملين بطاعته الحافظين لحدوده «خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» يعنى يجتنبون معاصى اللَّه و يحذرون عقابه.

و قوله: «أَ فَلا- تَعْقِلُونَ» فمن قرأ بالياء معناه أفلا- تعقل هذه الطائفة التى تقدم ذكرها و هم الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على أحكامهم و يقولون سيغفر لنا. و من قرأ بالتاء قال: معناه قل لهم: أ فلا تعقلون ان الامر على ما اخبر اللَّه به و حكى ان طياً تقول فى جمع ميثاق: مياثيق، و فى جمع ميزان: ميازين، و حكى عن غيرهم من اهل الحجاز أيضاً ذلك و انشد بعض الطائيين:

حمى لا يحل الدهر الا باذننا و لا نسل الأقوام عقد المياثيق «۱»

---

(۱) قائله عياض بن درة الطائى. اللسان (وثق)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۳

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۰] ..... ص : ۲۳

وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (۱۷۰)

قرأ أبو بكر «يمسكون» بتسكين الميم، الباقون بفتحها و تشديد السين. من خفف السين فلقوله تعالى «فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ» «۱» و قوله «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» «۲» و قوله «فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ» «۳». و من شدد أراد التكثير، و هو اولى لقوله تعالى «وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ» «۴» اى لا- تؤمنون ببعضه و تكفرون ببعضه بل تؤمنون بجميعه. و يقوى التشديد ما روى عن أبى أنه قرأ (مسّكوا بالكتاب) و معنى «يمسكون» اى يأخذون بما فيه من حلاله و حرامه.

أخبر اللَّه تعالى ان الذين يعملون بما فى الكتاب و يقيمون الصلاة مع دخولها فى التمسك بالكتاب لجلالة موقعها و شدة تأكدها أنه لا- يضيع جزاء عملهم، و يثيبهم بما يستحقونه، لأنى لا- أضيع لاحد- أصلح عمله فعمل بطاعتى- أجر عمله، و هو قول ابن زيد و مجاهد، و جميع المفسرين. و التقدير إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم لان من كان غير مؤمن و أصلح فأجره ساقط، لأنه يوقعه على خلاف الوجه الذى يستحق به الثواب. و يمسكون بالكتاب و يمسكون و يتمسكون و يستمسكون بمعنى واحد أى يعتصمون به و يعملون بما فيه. و خبر (الذين) قوله «إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ» فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول.

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۲۹

(۲) سورة ۳۳ الأحزاب آية ۳۷.

(۳) سورة ۵ المائدة آية ۵

(۴) سورة ۳ آل عمران آية ۱۱۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۴

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۱] ..... ص : ۲۴

وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۱۷۱)

هذا خطاب لنبينا محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم يقول اللّه له: اذكر يا محمّد الوقت الذى نتقا فيه الجبل اى رفعناه فوقهم حتى صار كأنه ظلة. و قيل: إنه رفع الجبل على عسكرهم فرسخاً فى فرسخ.

و امرأة منتاق و ناتق كثيرة الولد. و قال ابن الاعرابى الناتق الرافع، و الناتق الفاتق، و الناتق الباسط، و قال العجاج:

ينتق انتقاق الشليل نتقا «۱»

يعنى يرفعه عن ظهره. و قال الآخر:

و نتقوا أحلامنا الاثاقلا «۲»

و قال النابغة:

لم يحرموا حسن الغذاء و أمهم دحقت عليك بناتق مذكار «۳»

و يروى طفحت عليك بناتق. و يقال: نتق السير إذا حركه، و يقال: ما ينتق برجله و لا يركض، و النتق نتق الدابـة صاحبها حين تعدو به و تتبعه حتى تربو فذلك النتق. و قال بعضهم: معنى «نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ» فرفعناه بنتقه نتقاً. قال ابو عبيدة: سمعت من يقول: أخذ الجراب فنتق ما فيه إذا نثر ما فيه و الأصل نتقت كل شيء و قوله عز و جل «كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ» يعنى به غماماً من الظلال و قوله «وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ» قال الحسن معناه علموا. و قال الجبائى و الرمانى: هو الظن بعينه، لأنه قوى فى

---

(۱) ديوانه ۴۰ و تفسير الطبرى الطبعة الثانية ۹/ ۱۰۹ [.....]

(۲، ۳) اللسان (نتق). و تفسير الطبرى الطبعة الثانية ۹/ ۱۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۵

نفوسهم ذلك.

و قوله «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ» أى قلنا لهم: خـذوا ما آتيناكم بجـد يعنى ما ألزمناكم من احكام كتابنا و فرائضه فاقبلوه باجتهاد منكم فى أوانه من غير تقصير و لا- توان. و قال الجبائى: معناه خـذوه بالقـدرة التى آتاكم اللّه و أقـدركم بها لأنهم لو لم يكونوا قادرين لما كلفهم اللّه ذلك، و ذلك يفسد مذهب من قال القدرة مع الفعل.

و قوله «وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ» معنـاه مـا فى كتـابه من العهود و المواثيق التى أخـذناها عليكم، بالعمل بما فيه لكى تتقوا ربكم فتخافوا عقابه بترككم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من مواثيق.

و كان سبب رفع الجبل عليهم ان موسى عليه السلام لما أتاهم بالتوراة و وقفوا على ما فيها من الأحكام و الحدود و التشديد فى العبادة أبوا أن يقبلوا ذلك و ان يتمسكوا به و ان يعملوا بما فيه. و قالوا: إن ذلك يغلظ علينا، فرفع اللّه الجبل كالظلة عليهم، و عرفهم موسى انهم إن لم يقبلوا التوراة و لم يعملوا بمـا فيها وقع عليهم فأخـذوا بالتوراة و قبلوا ما فيها و صـرف اللّه نزول الجبل عليهم. قال ابن عباس فلـذلك صارت اليهود تسجد على قرنها الأيسـر، لأنهم سـجدوا كذلك ينظرون الى الجبل و كأنها سـجدة نصـبها اللّه. و إنما اتخذت النصارى المشـرق قبلة، لأن مريم عليها السـلام اتخذت مكاناً شرقياً حين حملت بعيسى. و قال مجاهد: معناه إن أخذتموه بجد و حسن نية و إلا القى الجبل عليكم. و قال ابو مسـلم إن رفع الجبل كان ليظلهم من الغمام، و ذلك خلاف اقوال المفسـرين و ما يقتضـيه سياق الكلام.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۷۲ الى ۱۷۳] ..... ص : ۲۵

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هذا غافِلِینَ (۱۷۲) أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَکَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ کُنَّا ذُرِّیَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِکُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (۱۷۳)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۶

قرأ ابن کثیر و أهل الکوفة «ذریتهم» علی التوحید. الباقون ذریاتهم علی الجمع. و قرأ ابو عمرو «و ان یقولوا، او یقولوا» بالیاء فیهما. الباقون بالتاء.

و (الذریة) قد یکون جمعاً نحو قوله تعالی «وَ کُنَّا ذُرِّیَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ» و قوله تعالی «ذُرِّیَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» «۱» و قد یکون واحداً کقوله: «هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّةً طَیِّبَةً ... فَنادَتْهُ الْمَلائِکَةُ ... أَنَّ اللَّهَ یُبَشِّرُکَ بِیَحْیی «۲» فهو مثل قوله:

«فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا یَرِثُنِی» «۳» فقال اللَّه: «یا زَکَرِیَّا إِنَّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ اسْمُهُ یَحْیی «۴».

فمن أفرد جعله اسماً و استغنی عن جمعه بوقوعه علی الجمع.

و من جمع قال: لأنه إن کان واقعاً علی الواحد فلا شک فی جواز جمعه و إن کان جمعاً فجمعه أیضاً حسن، لأنه قد وردت الجموع المکسرة و قد جمعت نحو الطرقات و صواحبات یوسف.

و حجة من أفرد قال: لا یقع علی الواحد و الجمیع. فأما وزن (ذریة) فانه یجوز أن تکون (فعلولة) من الذر، فأبدلت من الراء التی هی لام الفعل الأخیرة یاء کما أبدلت من دهریة، یدلک علی البدل فیه قولهم: دهرورة، و یحتمل ان تکون فعلیة منه فأبدلت من الراء الیاء، کما تبدل من هذه الحروف فی التضعیف و إن وقع فیها الفصل. و یحتمل أن تکون (فعلیه) نسبة الی الذر و أبدلت الفتحة منها ضمة کما أبدلوا فی الاضافة الی الدهر دهری و الی سهل سهلی. و یجوز أن تکون (فعلیة) من ذرأ اللَّه الخلق، أجمعوا علی تخفیفها کما أجمعوا علی تخفیف البرّیة. و یجوز ان

---

(۱) سورة ۱۷ الاسراء آیة ۳

(۲) سورة ۳ آل عمران آیة ۳۸- ۳۹

(۳) سورة ۱۹ مریم آیة ۴

(۴) سورة ۱۹ مریم آیة ۶.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۷

تکون من قوله «تَذْرُوهُ الرِّیاحُ» «۱» أبدلت من الواو الیاء لوقوع یاء قبلها.

و حجة أبی عمرو فی قراءته بالیاء ان ما تقدم ذکره من الغیبة و هو قوله عز و جل «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ» کراهیة ان یقولوا أو لئلا یقول، و یؤکد ذلک ما جاء بعد من الاخبار عن الغیبة و هو قوله:

«قالُوا بَلی .

و حجة من قرأ بالتاء انه قد جری فی الکلام خطاب و هو قوله «أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی شَهِدْنا» و کلا الوجهین حسن لأن الغیب هم المخاطبون فی المعنی.

و هذا خطاب للنبی صلی اللَّه علیه و آله و سلم قال اللَّه تعالی له: و اذکر أیضاً الوقت الذی أخذ اللَّه فیه من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم و اشهدهم علی أنفسهم ا لست بربکم؟.

و اختلفوا فی معنی هذا الأخذ فیه و هذا الاشهاد:

فقال البلخی و الرمانی أراد بذلک البالغین من بنی آدم و إخراجه إیاهم ذریة قرناً بعد قرن و عصراً بعد عصر و اشهاده إیاهم علی أنفسهم تبلیغه إیاهم و إکماله عقولهم، و ما نصب فیها من الأدلة الدالة بأنهم مصنوعون و ان المصنوع لا بد له من صانع، و بما

اشـهدهم مما يحـدث فيهم من الزيادة و النقصان و الآلام و الأمراض الـدال بجميع ذلك على ان لهم خالقاً رازقاً تجب معرفته و القيام بشـكره، و مـا اخطر بقلـوبهم من تأكيـد ذلـك و الحث على الفكر فيه، ثم إرسـاله الرسـل و إنزاله الكتب، لئلاـ يقولـوا إذا صـاروا الى العـذاب: إنـا كنـا عن هـذا غـافلين، لم ينبه علينـا و لم تقم لنا حجـة عليه و لم تكمل عقولنا فنفكر فيه، او يقول قوم منهم: إنما أشـرك آباؤنا حين بلغوا و عقلوا فأما نحن فكنا أطفالا لا نعقل و لا نصلح للفكر و النظر و التدبير.

و قـال الجبـائى: أخـذه ذريـاتهم من ظهورهم انه خلقهم نطفـاً من ظهور الآبـاء، ثم خلقهم فى أرحام الأمهات، ثم نقلهم من خلقـة الى خلقة، و صورة الى صورة، ثم صاروا حيواناً بأن أحياهم اللّه فى الأرحام، و أتم خلقهم، ثم أخرجهم من الأرحام بالولادة

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۴۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۸

و قوله تعالى: «وَ أَشْـهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ» يعنى عند البلوغ و كمال العقل و عند ما عرفوا ربهم فقال لهم على لسان بعض أنبيائه «أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ»؟ فقالوا: بلى شهدنا بذلك و أقررنا به لأنهم كانوا باللّه عارفين انه ربهم.

و قوله تعـالى «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هـذا غـافِلِينَ» معنـاه لئلا تقولوا يوم القيامـة إنا كنا عن هـذا غافلين فأراد بـذلك انى انا قررتكم بهذا لتواظبوا على طاعتى و تشكروا نعمتى و لا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين.

و قوله تعالى «أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْـرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ» فنشأنا على شركهم فتحتجوا يوم القيامة بذلك، فبين انى قد قطعت بذلك حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتى و أشهدتكم على أنفسكم باقراركم و بمعرفتكم إياى.

و قوله «أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» من آبائنا. و هذا يدل على انها مخصوصة فى قوم من بنى آدم و انها ليست فى جميعهم، لأن جميع بنى آدم لم يؤخذوا من ظهور بنى آدم لان ولد آدم لصـلبه لا يجوز ان يقال: إنهم أخذوا من ظهور بنى آدم فقد خرج ولد آدم لصلبه من ذلك و خرج ايضاً أولاد المؤمنين من ولـد آدم الـذين لم يكن آباؤهم مشـركين، لأنه بين ان هؤلاء الذين أقروا بمعرفة اللّه و أخذ ميثاقهم بذلك كان قد سلف لهم فى الشرك آباء. فصح بذلك انهم قوم مخصوصون من أولاد آدم.

فأما ما

روى ان اللّه تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره و اشهدهم على أنفسهم و هم كالذر

، فان ذلك غير جائز لأن الأطفال فضـلا عمن هو كالذر لا حجة عليهم، و لا يحسن خطابهم بما يتعلق بالتكليف، ثم ان الآية تدل على خلاف ما قالوه.

لأن اللّه تعالى قال «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ» و قال «مِنْ ظُهُورِهِمْ» و لم يقل من ظهره. و قال «ذريتهم» و لم يقل ذريته، ثم قال «أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْـرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» فأخبر ان هذه الذرية قد كان قبلهم آباء مبطلون و كانوا هم بعدهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۹

على ان راوى هـذا الخبر سـليمان بن بشـار الجهنى، و قيـل مسـلم بن بشـار عن عمر بن الخطاب و قال يحيى بن معين: سـليمان هـذا لا يـدرى اين هو. و ايضاً فتعليل الآيـة يفسـد ما قالوه. لأنه قال: فعلت هذا لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين و العقلاء اليوم فى دار الدنيا عن ذلك غافلون.

فـان قيل نسوا ذلك لطول العهـد او لأن الزمان كان قصـيراً كما يعلم الواحـد منا أشـياء كثيرة ضـرورة ثم ينساها كما ينسـى ما فعله فى امسه و ما مضى من عمره.

قلنا: إنما يجوز ان ينسـى ما لا يتكرر العلم به و لا يشـتد الاهتمام به، فأما الأمور العظيمـة الخارقـة للعادة، فلا يجوز ان ينساها العاقل. الا ترى ان الواحـد منا لو دخل بلاد الزنج و رأى الأفيلة و لو يوماً واحداً من الدهر لا يجوز ان ينسـى ذلك حتى لا يذكره أصـلا مع شدة

اجتهاده و استذكاره؟! و لو جاز ان ينساه واحد لما حاز ان ينساه الخلق بأجمعهم. و لو جوزنا ذلك للزمنا مذهب التناسخ و ان اللّه كان قد كلف الخلق فيما مضى و أعادهم، إما لينعمهم أو ليعاقبهم. و نسوا ذلك، و ذلك يؤدى الى التجاهل.

على ان أهل الآخرة يـذكرون ما كان منهم من احوال الـدنيا و لم يجب ان ينسوا ذلك لطول العهـد، و لا المدة التى مرت عليهم و هم أموات و كـذلك اصـحاب الكهف لم ينسوا ما كانوا فيه قبل نومهم لما انتبهوا مع طول المـدة فى حال نومهم، فعلمنا ان هؤلاء العقلاء لما كانوا شاهدوا ذلك و حضروه و هم عقلاء لما جاز ان يذهب عنهم معرفة ذلك لطول العهد، و لوجب أن يكونوا كذلك عارفين.

و قال قوم و هو المروى فى أخبارنا إنه لا يمنع ان يكون ذلك مختصاً بقوم خلقهم اللّه و أشـهدهم على أنفسهم بعد ان أكمل عقولهم و أجـابوه ب (بلى)، و هم اليوم يـذكرونه و لاـ يغفلون عنه، و لاـ يكون ذلـك عاماً فى جميع العقلاـء و هـذا وجه ايضـاً قريب يحتمله الكلام.

و حكى أبوا الهذيل فى كتابه الحجة: أن الحسن البصرى و أصحابه كانوا التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۰

يذهبون الى ان نعيم الأطفال فى الجنة ثواب عن إيمانهم فى الذر.

و حكى الرمانى عن كعب الأحبار: انه كان يخبر خبر الـذر غير انه يقول ليس تأويل الآيـة على ذلك. و إنما فعل ليجروا على الاعراف الكريمة فى شكر النعمة و الإقرار للّه بالوحدانية، كما

روى انهم ولدوا على الفطرة.

و يـدل على فسـاد قولهم قوله تعالى «وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» «۱» فهم لو كـانوا أخرجوا من ظهر آدم على صورة الذر كانوا ابعد من ان يعلموا او يعقلوا و متى قالوا أكمل اللّه عقولهم فقد مضى الكلام عليهم.

و ذكر الأزهرى و روى ذلك عن بعض من تقدم ان قوله: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْـهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى تمام الكلام. و قوله «شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ» حكاية عن قول الملائكة انهم يقولون شهدنا لئلا تقولوا.

و هذا خلاف الظاهر و خلاف ما عليه جميع المفسـرين لأن الكل قالوا (شـهدنا) من قول من قال (بلى) و ان اختلفوا فى كيفية الشـهادة على ان الملائكة لم يجر لها ذكر، فكيف يكون ذلك إخباراً عنهم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۴] ..... ص : ۳۰

وَ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۱۷۴)

إنا كما بينا لكم هـذه الآيات كـذلك نفصـلها للعباد و نبينها لهم. و تفصـيله الآيات هو تمييز بعضـها من بعض ليتمكنوا من الاسـتدلال بكل واحدة منها على جهتها و بين أنه فعل ذلك بهم ليتوبوا و ليرجعوا عن معاصيه الى طاعته و عن الكفر الى الايمان به.

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آية ۷۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۱

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۵] ..... ص : ۳۱

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِی آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ (۱۷۵)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله و سلم يأمره بأن يقرأ على بنى إسرائيل و غيرهم من أمته خبر الذى أتاه اللّه حججه و بيناته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان و كان من جملة الغاوين الخائبين الخاسرين. و قيل معناه الضالين الهالكين.

و اختلفوا فى المعنى بقوله «آتَيْناهُ آياتِنا»: فقال ابن عباس و مجاهد:

هو بلعام بن باعورا من بنى إسرائيل. و قال: معنى «فَانْسَلَخَ مِنْها» ما نزع منه من العلم. و روى عن عبد اللَّه بن عمر انها نزلت فى أمية بن أبى الصلت. و قال مسروق و عبد اللَّه: هى فى رجل من بنى إسرائيل يقال له بلعم بن باعورا. و قال قوم: هو رجل من الكنعانيين. و قال الحسن: هذا مثل ضربه اللَّه للكافر آتاه اللَّه آيات دينه «فَانْسَلَخَ مِنْها» يقول اعرض عنها و تركها «فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ» خذ له اللَّه و خلى عنه و عن الشيطان، و هو مثل قوله تعالى «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ» «۱» اى كتب على الشيطان انه من تولى الشيطان فان الشيطان يضله. و قال الجبائى أراد به المرتد الذى كان اللَّه آتاه العلم به و بآياته فكفر به و بآياته و بدينه من بعد ان كان به عارفاً فانسلخ من العلم بذلك و من الايمان.

و قوله «فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ» معناه ان الشيطان اتبعه كفار الانس و غواتهم حتى اتبعوه على ما صار اليه من الكفر باللَّه و بآياته. و قيل اتبعه الشيطان بالتزيين و الإغواء حتى تمسك بحبله و كان من الغاوين الخائبين من رحمة اللَّه، قال و هو رجل من المتقدمين يقال له: بلعام بن باعورا.

---

(۱) سورة ۲۲ الحج آية ۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۲

اتبعه الشيطان، و اتبعه لغتان و بالتخفيف معناه قفاه، و بالتشديد حذا حذوه و إذا أردت اقتدا به فبالتشديد لا غير. فأما ما روى أن الآية كانت النبوة فانه باطل، فان اللَّه تعالى لا يؤتى نبوته من يجوز عليه مثل ذلك، و قد دل دليل العقل و السمع على ذلك قال اللَّه تعالى «وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ» «۱» و قال «الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ» «۲» فكيف يختار من ينسلخ عن النبوة.

و قيل: إن الآية كانت الاسم الأعظم و هذا ايضاً نظير الاول لا يجوز ان يكون مراداً، و القول هو ما تقدم من اكثر المفسرين: ان المعنى به بلعم بن باعورا و من قال امية بن أبى الصلت قال كان اوتى علم الكتاب فلم يعمل به. و الوجه الذى قاله الحسن يليق بمذهبنا دون الذى قاله الجبائى، لان عندنا لا يجوز ان يرتد المؤمن الذى عرف اللَّه على وجه يستحق به الثواب.

و النبأ الخبر عن الامر العظيم و منه اشتقاق النبوة: نبأه اللَّه جعله نبياً و إنما آتاه اللَّه الآيات باللطف حتى تعلمها و فهم معانيها و قال ابو مسلم: الاية فى كل كافر بين اللَّه له الحق فلم يتمسك به.

و قال ابو جعفر عليه السلام فى الأصل بلعم ثم ضرب مثلا لكل مؤثر هواه على هدى اللَّه تعالى من اهل القبلة.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۶] ..... ص : ۳۲

وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (۱۷۶)

---

(۱) سورة ۴۴ الدخان آية ۳۲

(۲) سورة ۳۸ ص آية ۴۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۳

الهاء فى (لرفعناه) كناية عن الذى تقدم ذكره، و هو الذى آتاه اللَّه آياته فانسلخ منها، فأخبره اللَّه تعالى انه لو شاء لرفعه بتلك الآيات.

و اختلفوا فى معنى هذه المشيئة فقال الجبائى: المعنى لو شئنا لرفعناه بإيمانه و معرفته قبل ان يكفر لكن ابقيناه ليزداد الايمان، فكفر. و قال البلخى هذا اخبار عن قدرته انه لو شاء لحال بينه و بين الكفر و الارتداد، و هو الذى نختاره لأنا قد بينا ان المؤمن لا يجوز ان

يرتد. و قال الزجاج: معناه لو شئنا ان نحول بينه و بين المعصية لفعلنا.

و قوله «وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ» معناه سكن الى الدنيا و ركن اليها و لم يسم الى الغرض الأعلى. يقال أخلد فلان الى كذا و كذا و خلد، و بالألف اكثر فى كلام العرب، و المعنى إنه سكن الى لذات الدنيا و اتبع هواه أى لم نرفعه بالآيات لاتباع هواه. و قيل معنى أخلد قعد و يقال: فلا مخلد إذا أبطأ عنه الشيب و مخلد إذا لم تسقط أسنانه- هكذا ذكره الفراء- و من الدواب الذى تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه. و أخلد بالمكان إذا اقام به، قال زهير:

لمن الديار غشيتها بالفدفد كالوحى فى حجر المسيل المخلد «۱»

و قال مالك بن نويرة:

بأبناء حى من قبائل مالك و عمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا «۲»

و قال ابو عبيدة هو اللزوم للشيء و التقاعس فيه و قال سعيد بن جبير معناه ركن الى الأرض، و قال مجاهد: معناه سكن اليها.

---

(۱) ديوانه ۲۶۸، و اللسان (خلد). و (الفدفد) الفلاة التى لا شيء بها.

و قيل: هى الأرض الغليظة ذات الحصى، و قيل غير ذلك و (الوحى) الكتابة و (حجر المسيل) هو حجر صلب يكتبون فيه.

(۲) الاصمعيات: ۳۲۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۴

و قوله: «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ» ضرب اللَّه مثل التارك لآياته و العادل عنها بأخس مثل فى أخس أحواله، فشبهه بالكلب، لأن كل شيء يلهث فإنما يلهث فى حال الاعياء و الكلال إلا الكلب فانه يلهث فى حال الراحة و التعب، و حال الصحة و حال المرض. و حال الرى و حال العطش، و جميع الأحوال، فقال تعالى إن وعظته فهو ضال و ان لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته و زجرته فانه يلهث، و إن تركته يلهث، و هو مثل قوله «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ» «۱».

و قوله تعالى «ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» يعنى هذا المثل الذى ضربه بالكلب هو مثل الذين كذبوا بآيات اللَّه. و قال الجبائى إنما شبهه بالكلب لأنه لما كفر بعد إيمانه صار يعادى المؤمنين و يؤذيهم، كما ان الكلب يؤذى الناس طردته أو لم تطرده فانه لا يسلم من اداه.

و قوله تعالى «فَاقْصُصِ الْقَصَصَ» معناه فاقصص على الناس ما نبينه لك لكى يتذكروا و يتفكروا فيرجعوا الى طاعة اللَّه و ينزجروا عن معاصيه. و قال ابن جريج مثله بالكلب، لان الكلب لا فؤاد له فيقطعه الفؤاد حملت عليه او تركته، شبه من ترك الآيات كأنه لا فؤاد له.

و اللهث التنفس الشديد من شدة الاعياء، و فى الكلب طباع يقال: لهث يلهث لهثاً فهو لاهث و لهثان.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۷] ..... ص : ۳۴

ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ أَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ (۱۷۷)

آية بلا خلاف.

التقدير ساء مثلا مثل القوم، و حذف لدلالة الكلام عليه و «أنفسهم» نصب

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۹۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۵

ب (يظلمون) وصف اللَّه تعالى هذا المثل الذى ضربه و ذكره بأنه ساء مثلا اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات اللَّه، و انهم

بذلك لا يظلمون إلا أنفسهم دون غيرهم، لأن عقاب ما يفعلونه من المعاصى يحل بهم فان اللَّه تعالى لا يضره كفرهم و لا معصيتهم كما لا ينفعه طاعتهم و إيمانهم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۸] ..... ص : ۳۵

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (۱۷۸)

«فَهُوَ الْمُهْتَدِي» كتب- هاهنا- بالياء ليس فى القرآن غيره بالياء، و اثبت الياء فى اللفظ هاهنا جميع القراء. و قال الجبائى: معنى الآية من يهديه اللَّه الى نيل الثواب. كما يهدى المؤمن إلى ذلك و الى دخول الجنة فهو المهتدى للايمان و الخير، لأن المهتدى هو المؤمن فقد صار مهتدياً الى الايمان و الى نيل الثواب.

و من يضله اللَّه عن الجنة و عن نيل ثوابها عقوبة على كفره او فسقه، «فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» لأنهم خسروا الجنة و نعيمها و خسروا أنفسهم و الانتفاع بها. و قال البلخى المهتدى هو الذى هداه اللَّه فقبل الهداية و أجاب اليها، و الذى أضله اللَّه هو الضال الذى اختار الضلالة فأضله اللَّه بمعنى خلى بينه و بين ما اختاره و ترك منعه بالخير على انه إذا ضل عن امر اللَّه عند امتحانه و تكليفه جاز أن يقال: ان اللَّه أضله. و قيل: معنى «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ» من يحكم اللَّه بهدايته «فَهُوَ الْمُهْتَدِي» و من حكم بضلالته فهو الخائب الخاسر.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۹] ..... ص : ۳۵

وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ (۱۷۹)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۶

آية بلا خلاف.

معنى «ذَرَأْنا» خلقنا يقال: ذرأهم يذرأهم و اللام فى (لجهنم) لام العاقبة.

و المعنى انه لما كانوا يصيرون اليها بسوء اختيارهم و قبح أعمالهم جاز أن يقال: إنه ذرأهم لها و الذى يدل على ان ذلك جزاء على أعمالهم قوله «لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها» و أخبر عن ضلالهم الذى يصيرون به الى النار، و هو مثل قوله تعالى «إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً» «۱» و مثل قوله «رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ» «۲» و مثل قوله عز و جل «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۳» و إنما التقطوه ليكون قرة عين كما قالت امرأة فرعون عند التقاطه «قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً» «۴» و مثله قول القائل: أعددت هذه الخشبة ليميل الحائط فأسنده بها و هو لا يريد ميل الحائط. و مثله قول الشاعر:

و للموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن «۵»

و قال الآخر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها و دورنا لخراب الدهر نبنيها «۶»

و قال الآخر:

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۷۸ [.....]

(۲) سورة ۱۰ يونس آية ۸۸

(۳) سورة ۲۸ القصص آية ۸

(۴) سورهٔ ۲۸ القصص آیهٔ ۹

(۵) قائله سابق البربری او (البریدی) العقد الفرید ۱/ ۲۶۹

(۶) انظر ۳/ ۶۰ من هذا الکتاب.

وام سماك فلا تجزعی فللموت ما تلد الوالدهٔ «۱»

و قال آخر:

لدوا للموت و ابنوا للخراب فکلکم یصیر الی ذهاب «۲»

و قوله «لَهُمْ قُلُوبٌ لا یَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْیُنٌ لا یُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا یَسْمَعُونَ بِها» معناه انهم لما لم یفقهوا بقلوبهم و لم یسمعوا بآذانهم و لم یبصروا بعیونهم ما کانوا یؤمرون به و یدعون الیه سموا بکما عمیاً صماً. و لما لم ینتفعوا بجوارحهم اشبهوا العمی البکم الصم، لان هؤلاء لا ینتفعون بجوارحهم فأشبهوهم فی زوال الانتفاع بالجوارح و سموا بأسمائهم، و مثله قول مسکین الدارمی:

أعمی إذا ما جارتی خرجت حتی یواری جارتی الخدر

و یصم عما کان بینهما سمعی و ما بی غیره و قر «۳»

فجعل نفسه أصم و أعمی لما لم ینظر و لم یسمع و قال آخر:

و کلام سیء قد و قرت أذنی عنه و ما بی من صمم

و قال آخر:

صم إذا سمعوا خیراً ذکرت به و إن ذکرت بسوء عندهم أذنوا «۴»

و هذا کثیر. و یجوز أن یکون قوله تعالی «ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ» معناه میزنا.

و یقال: ذرأت الطعام و الشعیر أی میزت ذلک من التبن و المدر، فلما کان اللَّه

(۱، ۲) انظر ۳/ ۶۰ من هذا الکتاب.

(۳) تفسیر الطبری الطبعهٔ الثانیهٔ ۹/ ۱۳۲. و روایته «الستر» بدل «الخدر» «و ما بالسمع من وقر» بدل «و ما بی غیره وقر» و قد مر البیتان فی ۱/ ۹۰ و فی ۲/ ۱۱۳ من هذا الکتاب.

(۴) قائله قعنب بن أم صاحب اللسان و التاج (أذن) و فی مجاز القرآن ۱/ ۱۷۷ هکذا:

إن یسمعوا ریبهٔ طاروا بها فرحا و إن ذکرت بسوء عندهم أذنوا

تعالی قد میز اهل النار من اهل الجنهٔ فی الدنیا بالتسمیهٔ و الحکم و الشهادهٔ جاز ان یقول ذرأناهم ای میزناهم. ثم وصفهم بصفهٔ تخالف أوصاف اهل الجنهٔ یعرفون بها فقال «لَهُمْ قُلُوبٌ لا یَفْقَهُونَ بِها» إلی آخرها.

و یجوز ان یکون قوله «ذرأنا» بمعنی سنذرأ کما قال: «وَ نادی أَصْحابُ الْجَنَّهِٔ أَصْحابَ النَّارِ» «۱» بمعنی سینادون، فکأنه قال سیخلقهم خلقاً ثانیاً للنار بأعمالهم التی تقدمت منهم فی الدنیا إذ کانوا استحقوا النار بتلک الاعمال. و لا یجوز أن یکون معنی الایهٔ إن اللَّه خلقهم لجهنم و أراد منهم ان یفعلوا المعاصی، فیدخلوا بها النار، لأن اللَّه تعالی لا یرید القبیح، لأن إرادهٔ القبیح قبیحهٔ، و لان مرید القبیح منقوص عند العقلاء تعالی اللَّه عن صفهٔ النقص، و لأنه قال «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ» «۲» فبین انه خلق الخلق للعبادهٔ و الطاعهٔ و قال «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِیُطاعَ» «۳» و قال «وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَیْنَهُمْ لِیَذَّکَّرُوا» «۴» و قال «لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَیِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْکِتابَ وَ الْمِیزانَ لِیَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» «۵» و قال «إِنَّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «۶» و نظائر

ذلك اكثر من ان تحصى، فكيف يقول بعد ذلك «وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ» و هل هذا إلا تناقض تنزه كلام اللَّه عنه.

و قوله «أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ» يعنى هؤلاء الذين لا يتدبرون بآيات اللَّه و لا يستدلون بها على وحدانيته و صدق رسله أشباه الانعام و البهائم التى لا تفقه و لا تعلم ثم قال «بَلْ هُمْ أَضَلُّ» يعنى من البهائم، لأن فى البهائم ما إذا زجرتها انزجرت و إذا أرشدتها الى طريق اهتدت. و هؤلاء لعتوهم و كفرهم لا يهتدون الى شىء من الخيرات مع ما ركب اللَّه فيهم من العقول التى تدلهم على الرشاد و تصرفهم عن الضلال

---

(۱) سورة ۷ الأعراف آية ۴۳

(۲) سورة ۵۱ الذاريات آية ۵۶

(۳) سورة ۴ النساء آية ۶۳

(۴) سورة ۲۵ الفرقان آية ۵۰

(۵) سورة ۵۷ الحديد آية ۲۵

(۶) سورة ۶۳ المؤمنون آية ۴۵ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۹

و ليس ذلك فى البهائم، و مع ذلك تهتدى الى منافعها و تتحرز عن مضارها، و الكافر لا يفعل ذلك. ثم قال «أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ» يعنى هؤلاء هم الغافلون عن آياتى و حججى و الاستدلال بها و الاعتبار بتدبرها على ما تدل عليه من توحيده، لان البهائم التى هى مسخرة مصروفة لا اختيار لها

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۸۰] ..... ص : ۳۹

وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۸۰)

آية اجماعاً.

قرأ حمزة «يلحدون» بفتح الحاء و الياء- هاهنا- و فى النحل و حم السجدة وافقه الكسائى و خلف فى النحل، و الباقون بضم الياء من قرأ بكسر الحاء، فلقوله «وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ» «۱» و ألحد أكثر فى الكلام قال الشاعر:

ليس الامام بالشحيح الملحد و لا يكاد يسمع لأحد «۲»

و الإلحاد العدول عن الاستقامة و الانحراف عنها و منه اللحد الذى يحفر فى جانب القبر خلاف الضريح الذى يحفر فى وسطه فمعنى «يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا» يجورون عن الحق فيها. و روى ابو عبيدة عن الأحمر: لحدت جرت و ملت و ألحدت ما ريت و جادلت قال: و قال ابو عبيدة لحدت له و ألحدت للميت بمعنى واحد.

و قال أبن جريج اشتقوا العزى من العزيز و اللات من اللَّه. و كان ذلك إلحاداً.

و قال ابن عباس: الحادهم تكذيبهم. و قال قتادة: هو شركهم. و قال قوم: هو تسميتهم الأصنام بآنها آلهة.

أخبر اللَّه تعالى ان له الأسماء الحسنى نحو قوله تعالى «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»

---

(۱) سورة ۲۲ الحج آية ۲۵

(۲) قائله حميد بن ثور. اللسان «لحد»

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۰

و غير ذلك من الأسماء التى تليق به، و هى الأسماء الراجعة إلى ذاته او فعله نحو العالم العادل، و السميع البصير المحسن المجمل، و كل اسم للَّه فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز عليه. و امر تعالى ان يدعوه خلقه بها و ان يتركوا اسماء اهل الجاهلية و تسميتهم أصنامهم آلهة و لاتاً و غير ذلك. و قال الجبائى: يحتمل أن يكون أراد تسميتهم المسيح بأنه ابن اللَّه و عزيراً بأنه ابن اللَّه تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً.

و قال قوم: هذا يدل على أنه لا يجوز أن يسمى اللَّه إلا بما سمى به نفسه.

و قوله «وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ» فيه تهديد للكفار و أن اللَّه تعالى سيعاقبهم على عدولهم عن الحق فى تغيير أسمائه.

و قوله تعالى «سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» معناه سيجزون جزاء ما كانوا يعملون من المعاصى بأنواع العذاب. قال الرمانى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة، و الفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة. و الصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الأصول لتجرى عليه تابعة له.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۸۱] ..... ص : ۴۰

وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (۱۸۱)

أخبر اللَّه تعالى أن من جملة من خلقه جماعة يهدون بالحق، و هداهم بالحق هو دعاؤهم الناس الى توحيد اللَّه و الى دينه و تنبيههم إياهم على ذلك. و قال قوم معنى (يهدون) يهتدون «وَ بِهِ يَعْدِلُونَ» معناه إنهم يعملون بالعدل و الانصاف فيما بينهم و بين الناس.

و هذا إخبار ان فيما خلق قوماً هذه صفتهم و لا يدل ذلك على ان فى كل عصر يوجد قوم هذه صفتهم و لو لم يوجدوا إلا فى وقت واحد كانت الفائدة حاصلة بالاية، فلا يمكن الاستدلال بها على ان اجماع اهل الاعصار حجة. على ان عندنا انه لا يخلوا وقت من الأوقات ممن يجب اتباعه و تثبت عصمته و يكون حجة اللَّه على التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۱

خلقه فيمكن أن يكون المراد بالآية من ذكرناه.

و قال ابو جعفر عليه السلام و قتادة و ابن جريج: الآية فى أمة محمّد صلّى الله عليه و آله و سلم و هو مثل قوله تعالى «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا» «۱» فكما أنه لا يدل على وجود أئمة فى كل وقت فكذلك ما قالوه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۸۲ الى ۱۸۳] ..... ص : ۴۱

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (۱۸۲) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (۱۸۳)

آيتان المعنى إن الذين كذبوا بآيات اللَّه التى تضمنها القرآن و المعجزات الدالة على صدق النبى صلى الله عليه و آله و سلم و كفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون استدراجاً لهم الى الهلكة حتى يقعوا فيها بغتة من حيث لا يعلمون، كما قال تعالى «بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها» «۲» و قال: «فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» «۳» فيقولوا هل نحن منظرون؟ و يجوز ان يكون من عذاب الآخرة.

فأما من قال من المجبرة: إن معنى الآية أن اللَّه يستدرجهم الى الكفر و الضلال فباطل، لأن اللَّه تعالى لا يفعل ذلك لأنه قبيح ينافى الحكمة، ثم إن الآية بخلاف ذلك لأنه بين أن هؤلاء الذين يستدرجهم كفار باللَّه و برسوله و بآياته، و انه سيستدرجهم فى المستقبل لأن السين لا تدخل إلا على المستقبل فلا معنى لقوله «إن الذين كفروا سنستدرجهم» الى الكفر، لأنهم كفار قبل ذلك، و لا يجب فى الكافر أن يبقى حتى يواقع كفراً آخر، لأنه يجوز أن يميته اللَّه تعالى، فبان بذلك أن المراد أنه سيستدرجهم الى العذاب و العقوبات من حيث لا يعلمون فى مستقبل أمرهم بقوا أو لم يبقوا.

على ان الاستدراج عقوبة من اللَّه و اللَّه لا يعاقب أحداً على فعل نفسه كما لا يعاقبهم

(۱) سورة ۲۱ الأنبیاء آیة ۷۳

(۲) سورة ۲۱ الأنبیاء آیة ۴۰

(۳) سورة ۲۶ الشعراء آیة ۲۰۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۲

علی طولهم او قصرهم.

و یحتمل ان یکون معنی الآیة إنا نعاقبهم علی استدراجهم للناس و إغوائهم إیاهم و نعاقبهم علی کیدهم، فجعل العقوبة علی الاستدراج استدراجاً، و العقوبة علی الکید کیداً، کما قال «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» «۱» و قال «اللَّهُ یَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» «۲» و قال «یُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ»

«۳» و قال «وَ اللَّهُ خَیْرُ الْماکِرِینَ» «۴» و ما أشبه ذلک.

و یحتمل ان یکون المراد: إنی سأفعل بهم ما یدرجون فی الفسوق و الضلال عنده و یکون ذلک إخبار عن بقائهم علی الکفر عند إملائه لهم، فسمی ذلک استدراجاً لأنهم عند البقاء کفروا و ازدادوا کفراً و معصیة. و ان کان اللَّه لم یرد منهم ذلک و لا بعثهم علیه، کما قال «أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْکُمْ ما یَتَذَکَّرُ فِیهِ مَنْ تَذَکَّرَ» «۵» کما یقول القائل: أبطر فلان فلاناً بانعامه علیه. و لقد أبطرته النعمة و اکفرته السلامة، و إن کان المنعم لا یرید ذلک بل أراد ان یشکره علیها.

و معنی قوله «وَ أُمْلِی لَهُمْ» أؤخر هؤلاء الکفار فی الدنیا و ابقیهم مع إصرارهم علی الکفر و لا أعاجلهم بالعقوبة علی کفرهم، لأنهم لا یفوتونی و لا یعجزونی، و لا یجدون مهرباً و لا ملجأ.

و قوله تعالی «إِنَّ کَیْدِی مَتِینٌ» معناه إن عذابی و سماه کیداً لنزوله بهم من حیث لا یشعرون. و قیل: إنه أراد أن جزاء کیدهم و سماه کیداً للازدواج علی ما بینا نظائره. و معنی «متین» شدید قوی قال الشاعر:

عدلن عدول الیأس و الشیخ یبتلی أفانین من الهوب شد مما تنی «۶»

(۱) سورة ۹ التوبة آیة ۸۰

(۲) سورة ۲ البقرة آیة ۱۵

(۳) سورة ۴ النساء آیة ۱۴۱

(۴) سورة ۳ آل عمران آیة ۵۴

(۵) سورة ۳۵ فاطر آیة ۴۷

(۶) تفسیر الطبری ۱۳/ ۲۸۸ و الطبعة الثانیة ۹/ ۱۳۶ و فیه اختلاف

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۳

یعنی شد او شدیداً باقیاً لا ینقطع. و المتن أصله اللحم الغلیظ الذی عن جانب الصلب و هما متنان. و الکید و المکر واحد، و هو المیل الی الشرّ فی خفی، کاد یکید کیداً و مکیدة، و فلان یکید بنفسه.

و أصل الاستدراج اغترار المستدرج من حیث یری أن المستدرج محسن الیه حتی یورطه مکروهاً. و الاستدراج أن یأتیه من مأمنه من حیث لا یعلم.

و (أملی) بمعنی أؤخر من الملی- ثقیلة الیاء- یقال مضی علیه ملی من الدهر و ملاؤ من الدهر- بفتح المیم و ضمها و کسرها- أی قطعة منه. و وجه الحکمة فی أخذهم من حیث لا یعلمون أنه لو أعلمهم وقت ما یأخذهم و عرفهم ذلک لأمنوه قبل ذلک و کانوا

مغریین بالقبیح قبله تعویلا علی التوبة فیما بعد و ذلک لا یجوز علیه تعالی.

و الاستدراج علی ضربین:

أحدهما- ان یکون الرجل یعادی غیره فیطلب له المکایدة و الختل من وجه یغتره به و یخدعه و یدس الیه من یوقعه فی ورطة حتی یشفی صدره و لا یبالی کیف کان ذلک، فهذا سفیه غیر حکیم.

و الآخر- أن یحلم فیه و یتأنی و یترک العجلة فی عقوبته التی یستحقها علی معاصیه کیداً و مکراً و استدراجاً. ألا تری لو ان إنساناً عادی غیره فجعل یشتمه و یعیبه و ذاک یعرض عنه و لا یکافیه مع قدرته علی مکافاته جاز أن یسمی کیداً و استدراجاً و مکراً و حیلة، و لجاز ان یقال: فلان متین الکید شدید الاستدراج، بعید الغور محکم التدبیر.

و قیل فی معنی «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ» سنأخذهم قلیلا قلیلا و لا نباغتهم، یقال:

امتنع فلان علی فلان و اتی علیه حتی استدرجه ای خدعه حتی حمله علی ان درج الیه درجاناً أی أخذ فی الحرکة نحوه کما یدرج الصبی أول ما یمشی، و یقال:

صبی دارج: و یقال: درجوا قرناً بعد قرن ای فنوا قلیلا قلیلا.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۴

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱۸۴ الی ۱۸۵] ..... ص : ۴۴

أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (۱۸۴) أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (۱۸۵)

آیتان هذا خطاب من اللَّه تعالی للکفار الذین کانوا ینسبون النبی صلی الله علیه و آله و سلم الی الجنون علی وجه التوبیخ لهم و التقریع «أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ» ای و لیس بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم جنة و هی الجنون، فانه لا یأتی بمثل ما یأتی به المجنون، و هم یرون الأصحاء منقطعین دونه و یرون صحة تدبیره و استقامة أعماله و ذلک ینافی أعمال المجانین.

و بین انه لیس به صلی الله علیه و آله و سلم إلا الخوف للعباد من عقاب اللَّه، لأن الانذار هو الاعلام عن المخاوف، فبین لهم ما علیهم من ألیم العذاب بمخالفته ثم قال «أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا» و معناه یفکروا «فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و عجیب صنعهما فینظروا فیهما نظر مستدل معتبر، فیعرفون بما یرون من اقامة السماوات و الأرض مع عظم أجسامهما و ثقلهما علی غیر عمد و تسکینها من غیر آلة فیستدلوا بذلک علی انه خالقها و مالکها و أنه لا یشبهها و لا تشبهه.

و قوله «وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» یعنی و ینظروا فیما خلق اللَّه تعالی من اصناف خلقه فیستدلوا بذلک علی انه تعالی خالق جمیع الأجسام و أنه أولی بالالهیة من الأجسام المحدثة.

و قوله تعالی «وَ أَنْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ» معناه أ و لم یتفکروا التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۵

فی ان عسی ان یکون قد اقترب أجلهم، و هو اجل موتهم فیدعوهم ذلک إلی ان یحتاطوا لدینهم و لا نفسهم فیما یصیرون الیه بعد الموت من امور الآخرة و یزهدهم فی الدنیا و فیما یطلبونه من فخرها و عزها و شرفها فیدعوهم ذلک الی النظر فی الأمور التی أمرهم بالنظر فیها.

و قوله تعالی «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» معناه بأی حدیث بعد القرآن یؤمنون مع وضوح دلالته علی أنه کلام اللَّه إذ کان معجزاً لا یقدر أحد من البشر ان یأتی بمثله، و سماه حدیثاً لأنه محدث غیر قدیم. لأن إثباته حدیثاً ینافی کونه قدیماً.

و فی الآیة دلالة علی وجوب النظر و فساد التقلید، لان النظر المراد به الفکر دون نظر العین، لان البهائم ایضاً تنظر بالعین، و کذلک الأطفال و المجانین، و الفکر موقوف علی العقلاء.

و قال الحسن و قتادة سبب نزول الآية ان النبی صلی الله علیه و آله و سلم وقف علی الصفا یدعوا قریشاً فخذاً فخذاً، فیقول: یا بنی فلان یا بنی فلان یحذرهم بأس اللَّه و عقابه، فقال قائلهم: إن صاحبکم لمجنون بأن یصوت علی الصباح: فأنزل اللَّه الآية.

و الملکوت هو الملک الأعظم للمالک الذی لیس بمملک.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ١٨٦] ..... ص : ۴۵

مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)

قرأ أهل العراق «و یذرهم» بالیاء، و اسکن الراء منه حمزة و الکسائی و خلف الباقون بالنون و ضم الراء من قرأ بالنون قال لأن الشرط من اللَّه، فکأنه قال «من یضلل اللَّه ... فنذرهم». و من قرأ بالیاء رده الی اسم اللَّه تعالی و تقدیره اللَّه یذرهم. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۶

و من ضم الراء قطعه عن الأول و لم یجعله جواباً. و یجوز ان یکون أضمر المبتدأ و کان تقدیره و نحن نذرهم، فیکون فی موضع الجزم. و یجوز أن یکون استأنف الفعل فیرفعه و من جزمه فانه عطفه علی موضع الفاء و ما بعدها من قوله «فَلا هادِيَ لَهُ» لان موضعه جزم، فحمل «و نذرهم» علی الموضع، و مثله فی الحمل علی الموضع قوله تعالی «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ» «١» لأنه لو لم یلحق الفاء لقلت لو لا أخرتنی أصدق، لان معنی «لَوْ لا أَخَّرْتَنِي» «٢» أخرنی أصدق. فحمل قوله تعالی «و أکن» علی الموضع.

و معنی قوله «مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ» ای یمتحنه اللَّه فیضل عند امتحانه و أمره إیاه بالطاعة و الخیر و الرشاد «فَلا هادِيَ لَهُ» أی لا یقدر أحد أن یأتیه بالهدی و البرهان بمثل الذی آتاه اللَّه تعالی، و لا بما یقارنه أو یزید علیه «وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ» بمعنی یخلی بینهم و بین ذلک، و ترک إخراجه بالقسر و الجبر، و منعه إیاه لطفه الذی یؤتیه من آمن و اهتدی و قبل الوعظ.

و الطغیان الغلو فی الکفر، و العمه: التحیر و التردد فی الکفر. و یحتمل ان یکون المراد من یضلل اللَّه عن الجنة عقوبة علی کفره فلا هادی له الیها و إن اللَّه لا یحول بین الکافر بل یترکه مع اختیاره لأن ما فعله من الزجر و الوعید کاف فی ازاحة علة المکلف. و قیل معناه من حکم اللَّه تعالی بضلاله و سماه ضالا بما فعله من الکفر و الضلال فلا احد یقدر علی إزالة هذا الاسم عنه و لا یوصف بالهدایة، و کل ذلک واضح بحمد اللَّه تعالی

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ١٨٧] ..... ص : ۴۶

يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١٨٧)

(١، ٢) سورة ۶۳ المنافقین أیة ١٠

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۷

آیة بلا خلاف.

«أیان» معناه متی، و هی سؤال عن الزمان علی وجه الظرف.

أخبر اللَّه تعالی ان الکفار یسألون النبی صلی الله علیه و آله و سلم عن الساعة، و هی القیامة «أَيَّانَ مُرْساها» أی وقت قیامها و ثباتها. و معنی «أیان» متی قال الراجز:

أیان تقضی حاجتی إیانا أما تری لنجحها إبانا «١»

و «مرساها» فی موضع رفع بالابتداء، یقال: رسی یرسوا إذا ثبت فهو راس و جبال راسیات ثابتات، و أرساها اللَّه ای ثبتها. و قیل معنی

«مرساها» الوقت الذى يموت فيه جميع الخلق، و معنى سؤالهم عنها اى متى وقوعها و كونها. فأمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم ان يجيبهم و يقول لهم «عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» لم يطلع عليها احداً كما قال «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» «۲» و قوله تعالى «لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ» اى لا يظهرها فى وقتها إلا اللَّه.

و قوله تعالى «ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ثقل علمها على السماوات و الأرض ذهب اليه السدى و غيره.

الثانى- ثقل وقوعها على اهل السماوات و الأرض- ذكره ابن جريج و غيره-.

ثم اخبر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم بكيفية وقوعها فقال «لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً» يعنى فجأة.

و قوله «يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- ان معناه و تقديره حفى عنها يسألونك عن الساعة و وقتها كأنك عالم بها

---

(۱) تفسير القرطبى ۷/ ۳۳۵ و مجاز القرآن ۱/ ۲۳۴ و اللسان (ابن)

(۲) سورة ۳۱ لقمان آية ۳۴. [.....]

و قيل: معناه كأنك فرح بسؤالهم عنها. و قيل: معناه كأنك أكثرت السؤال عنها ذكره مجاهد. يقال حفيف بفلان فى المسألة إذا سألته سؤالا أظهرت فيه المحبة و البر، قال الشاعر:

سؤال حفى عن أخيه كأنه بذكرته و سنان او متواسن «۱»

و يقال: احفى فلان بفلان فى المسألة إذا اكثر عليه، و يقال: حفيت الدابة تحفى حفاً مقصوراً إذا كثر عليها الم المشى، و الحفاء- ممدوداً- المشى بغير نعل.

ثم امر اللَّه نبيه ان يقول «إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» اى لا يعلمها إلا اللَّه.

و قوله تعالى «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» معناه اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك لا يعلمه إلا اللَّه، و يظنون انه قد يعلمه الأنبياء و غيرهم من خلقه. و قال الجبائى معناه «لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» لم أخفى اللَّه تعالى علم ذلك على التعيين على الخلق. و الوجه فيه انه ازجر لهم عن معاصيه لأنهم إذا جوزوا فى كل وقت قيام الساعة و زوال التكليف كان ذلك صارفاً لهم عن فعل القبيح خوفاً من فوات وقت التوبة. و قوله فى أول الآية «قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي» يعنى علم وقت قيامها. و قوله فى آخرها «قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» معناه علم كيفيتها و شرح هيئتها و تفصيل ما فيها لا يعلمه إلا اللَّه، فلا تكون تكراراً لغير فائدة.

و قال قتادة الذين سألوا عن ذلك قريش. و قال ابن عباس: هم قوم من اليهود و قال الفراء: فى الآية تقديم و تأخير و تقديرها يسألونك عنها كأنك حفى بهم.

قال الجبائى و فى الاية دليل على بطلان قول الرافضة من أن الأئمة معصومون منصوص عليهم واحداً بعد الآخر الى يوم القيامة، لأن على هذا لا بد أن يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده و يزول التكليف عن الخلق، و ذلك خلاف قوله «قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ».

---

(۱) قائله المعطل الهذلى. ديوانه ۳/ ۴۵ و تفسير الطبرى ۱۳/ ۳۰۱ (طبعة دار المعارف) و ۹/ ۱۴۲ الطبعة الثانية.

و هذا الذى ذكره باطل لأنه لا يمتنع أن يكون آخر الائمة يعلم أنه لا إمام بعده و إن لم يعلم متى تقوم الساعة، لأنه لا يعلم متى يموت، فهو يجوّز أن يكون موته عند قيام الساعة إذا أردنا بذلك انه وقت فناء الخلق. و إن قلنا إن الساعة عبارة عن وقت قيام الناس

فى الحشر فقد زالت الشبهة، لأنه إذا علم أنه يفنى الخلق بعده لا يعلم متى يحشر الخلق. على انه قد روى أن بعد موت آخر الأئمة يزول التكليف لظهور أشراط الساعة و تواتر إماراتها نحو طلوع الشمس من مغربها و خروج الدابة و غير ذلك، و مع ذلك فلا يعلم وقت قيام الساعة، و لهذا قال الحسن و جماعة من المفسرين: بادروا بالتوبة قبل ظهور الست: طلوع الشمس من مغربها، و الدجال، و الدابة، و غير ذلك مما قدمناه فعلى هذا سقط السؤال.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۸۸] ..... ص : ۴۹

قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۱۸۸)

آية بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم أن يقول للمكلفين إنى «لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» ان يملكنى إياه فمشيئته تعالى فى الآية واقعة على تمليك النفع و الضر لا على النفع و الضر، لأنه لو كانت المشيئة إنما وقعت على النفع و الضر كان الإنسان يملك ما شاء اللَّه من النفع، و كان يملك الأمراض و الاسقام و سائر ما يفعله اللَّه فيه مما لا يجد له عن نفسه دفعاً. و معنى الاية إنى املك ما يملكنى اللَّه من الأموال و ما أشبهها مما يملكهم و يمكنهم من التصرف فيها على ما شاءوا، و كيف شاءوا.

و الضر الذى ملكهم اللَّه إياه هو ما مكنهم منه من الإضرار بأنفسهم و غيرهم، و من لم يملكه اللَّه شيئاً منه لم يملكه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۵۰

و ذلك يفسد تأويل المجبرة الذين قالوا: معنى الاية إن اللَّه يريد جميع ما ينال الناس من النفع و الضرر و إن كان ظلماً و جوراً من أفعال عباده.

و قوله عز و جل «وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ» معناه إنى لو كنت أعلم الغيب لعلمت ما يربح من التجارات فى المستقبل و ما يخسر من ذلك فكنت اشترى ما اربح و أتجنب ما أخسر فيه، فتكثر بذلك الأموال و الخيرات عندى، و كنت أعده فى زمان الخصب لزمان الجدب «وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ» يعنى الفقر إذا فعلت ذلك. و قيل: و ما مسنى تعذيب. و قيل: و ما مسنى جنون جواباً لهم حين نسبوه الى الجنون. و قال ابن جريج «لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ» من العمل الصالح قبل حضور الأجل، و هو قول مجاهد و ابن زيد. و قال البلخى:

لو كنت اعلم الغيب لكنت قديماً، و القديم لا يمسه السوء لان احداً لا يعلم الغيب الا اللَّه.

و فى الآية دلالة على ان القدرة قبل الفعل، لأن قوله «لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» يفيد أنه كان قادراً لأنه لو لم تكن القدرة إلا مع الفعل لو علم الغيب لما امكنه الاستكثار من الخير و ذلك خلاف الآية.

و قوله تعالى «إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» معناه لست الا مخوفاً من العقاب محذراً من المعاصى و مبشراً بالجنة حاثاً عليها غير عالم بالغيب «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فيصدقون بما أقول، و خصهم بذلك لأنهم الذين ينتفعون بانذاره و بشارته دون من لا يصدق به كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ».

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۸۹ الى ۱۹۰] ..... ص : ۵۰

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۱۸۹) فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (۱۹۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۵۱

آيتان.

قرأ اهل المدينة و ابو بكر و عكرمة و الأعرج «شركاً» بكسر الشين منوناً الباقون بضم الشين على الجمع. و قرا ابن يعمر «فمرت» بتخفيف الراء و هو شاذ.

قال ابو على الفارسى: من قرا «شركاً» بكسر الشين منوناً- حذف المضاف كأنه أراد جعلا له ذا شرك اى ذا نصيب او ذوى شرك، و يكون كقول من جمع فالقراءتان يؤلان الى معنى واحد. و الضمير فى قوله «له» يعود الى اسم اللَّه كأنه قال جعلا للَّه شركاء.

و قال ابو الحسن: كان ينبغى لمن قرأ- بكسر الشين- أن يقول جعلا لغيره شركا. و قول من قرا «جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ» يجوز ان يريد جعلا لغيره فيه شركاء، فحذف المضاف، فالضمير على هذا ايضاً فى «له» راجع الى اللَّه تعالى. و قال ابو على يجوز ان يكون الكلام على ظاهره، و لا يقدر حذف المضاف فى قوله تعالى «جعلا له» و انت تريد لغيره و لكن يقدر حذف المضاف الى شرك فيكون المعنى جعلا له ذوى شرك، و إذا جعلا له ذوى شرك كان فى المعنى مثل لغيره شركاً، فلا يحتاج الى تقدير جعلا لغيره شركاً.

قال ابو على: و يجوزان يكون قوله تعالى «جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ» جعل أحدهما له شركاء او ذوى شرك فحذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه كما حذف من قوله تعالى «لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» و المعنى على رجل واحد من احد رجلى القريتين. و حكى الازهرى ان الشرك و الشريك واحد و يكون بمعنى النصيب. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۵۲

قوله «هو الذى» كناية عن اللَّه تعالى و إخبار عن الذى خلق البشر من نفس واحدة و هى آدم و خلق منها زوجها يعنى حواء.

و قيل: انه خلقها من ضلع من أضلاعه و بين انه إنما خلقها ليسكن اليها آدم و يأنس بها.

و قوله «فَلَمَّا تَغَشَّاها» معناه لما وطأها و جامعها. و قيل: تغشاها بدنوه بها لقضاء حاجة، فقضى حاجته منها «حملت» ففى الكلام حذف «حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً» لأن الحمل أول ما يكون خفيفاً، لأنه الماء الذى يحصل فى رحمها. و الحمل- بفتح الحاء ما كان فى الجوف و كذلك ما كان على نخلة او شجرة فهو مفتوح.

- و بكسر الحاء- ما كان من الثقل على الظهر.

و قوله تعالى «فمرت به» معناه استمرت به و قامت و قعدت و قيل: شكت له و آلمها ثقلها. و من خفف الراء أراد شكت و مارت فلم تدر هى حامل ام لا. و قال الحسن أ غلاماً ام جارية.

و قوله تعالى «فَلَمَّا أَثْقَلَتْ» اى صارت ذات ثقل كما يقال اثمر اى صار ذا ثمر، و ذلك قرب ولادتها. «دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما» يعنى آدم و حواء دعوا اللَّه اى سألاه «لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً» اى لو أعطيتنا ولداً صالحاً. قال الجبائى: صالحاً يعنى سليماً من الآفات صحيح الحواس و الآلات. و قال غيره: معنى صالحاً مطيعاً فاعلا للخير «لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» اى نكونن معترفين بنعمك علينا نعمة بعد نعمة تسديها إلينا.

و قوله عز و جل «فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً» يعنى فلما آتى اللَّه آدم و حواء ولداً صالحاً جعلا له شركاء، و اختلفوا فى الكناية الى من ترجع فى قوله «جعلا»:

فقال قوم هى راجعة الى الذكور و الإناث من أولادهما او الى جنسى من أشرك من نسلهما، و إن كانت الادلة تتعلق بهما. و يكون تقدير الكلام فلما آتى اللَّه آدم و حواء الولد الصالح الذى تمنياه و طلباه جعل كفار أولادهما ذلك مضافاً الى غير التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۵۳

اللَّه. و يقوى ذلك قوله تعالى «فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» فلو كانت الكناية عن آدم و حواء لقال عما يشركان. و إنما أراد تعالى اللَّه عما يشرك هذان النوعان او الجنسان و جمعه على المعنى. و قد ينتقل الفصيح من خطاب الى خطاب غيره. و من كناية الى غيرها. قال اللَّه تعالى «إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «۱» فانصرف من مخاطبة الرسول الى المرسل اليهم ثم قال «وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ» «۲» يعنى الرسول ثم قال «و تسبحوه» يعنى اللَّه تعالى، قال الهذلى:

يا لهف نفسى كان جده خالد و بياض وجهك للتراب الأعفر «۳»

و لم يقل و بياض وجهه. و قال كثير:

اسىء بنا او احسنى لا ملومة لدنيا و لا مقلية إن تقلت «۴»

فخاطبها ثم ترك الخطاب. و قال الاخر:

فدى لك ناقتى و جميع اهلى و مالى إنه منه آتانى

و لم يقل منك اتانى. و ليس لاحد ان يقول كيف يكنى عمن لم يجر له ذكر، و ذلك ان لنا عنه جوابين:

أحدهما- انه يجوز ذلك إذا دل الدليل عليه، كما قال «حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ» «۵» و لم يتقدم للشمس ذكر. و قال الشاعر:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً و ضاق بها الصدر «۶»

و لم يتقدم للنفس ذكر.

و الجواب الثانى- انه تقدم ذكر ولد آدم فى قوله «هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» و أراد بذلك جميع ولد آدم، و تقدم ايضاً فى قوله «فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً»

(۱، ۲) سورة ۴۸ الفتح آية ۸- ۹

(۳) مر هذا البيت فى ۱: ۳۵ من هذا الكتاب.

(۴) اللسان (سوأ)

(۵) سورة ۳۸ ص آية ۳۲

(۶) اللسان (حشرج)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۵۴

لان معناه ولداً صالحاً، و يريد بذلك الجنس. و إن كان لفظه واحداً، و إذا تقدم مذكوران و عقبا بأمر لا يليق بأحدهما وجب ان يضاف الى الاخر، و الشرك لا يليق بآدم، لأنه نبى نزهه اللَّه عن ذلك، و عن جميع القبائح، و يلق بكفار ولده و نسله فوجب ان نرده اليهم.

و قال الزجاج و ابن الأخشاد: جعل من كل نفس زوجها كأنه قال: و جعل من النفس زوجها على طريق الجنس و أضمر لتقدم الذكر.

و قال ابو مسلم محمّد بن بحر الاصفهانى: الكناية فى جميع ذلك غير متعلقة بآدم و حواء و جعل الهاء فى «تغشاها» و الكناية فى «دعوا اللَّه ربهما، و آتاهما صالحاً» راجعين الى من أشرك و لم يتعلق بآدم و حواء إلا قوله: «خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» و الاشارة بذلك الى جميع الخلق. و كذلك قوله «وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها» ثم خص بها بعضهم، كما قال «هُوَ الَّذِی یُسَیِّرُکُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ» «۱» فخاطب الجماعة ثم خص راكب البحر، فكذلك اخبر اللَّه تعالى عن جملة امر البشر بأنهم مخلوقون من نفس واحدة و زوجها و هما آدم و حواء ثم عاد الذكر الى الذى سأل اللَّه تعالى ما سأل فلما أعطاه إياه ادعى له الشركاء فى عطيته.

و قال قوم: يجوز ان يكون عنى بقوله «هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» المشركين خصوصاً، إذ كان كل بنى آدم مخلوقون من نفس واحدة كأنه قال:

خلق كل احد من نفس واحدة و خلق من النفس الواحدة زوجها، و مثله كثير نحو قوله عز و جل «فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِینَ جَلْدَةً» «۲» و المعنى فاجلدوا كل واحد منهم.

و قال قوم: ان الهاء فى قوله: «جَعَلا لَهُ شُرَکاءَ» راجعة إلى الولد لا إلى اللَّه و يكون المعنى انهما طلبا من اللَّه تعالى أمثالا للولد الصالح

فاشركا بين الطلبتين، كما يقول القائل:

طلبت منى درهما فلما أعطيتكه شركته بآخر أى طلبت آخر مضافاً اليه، فعلى هذا

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۲۲

(۲) سورة ۲۴ النور آية ۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۵۵

يجوز أن تكون الكناية من أول الكلام إلى آخره راجعة إلى آدم و حواء.

فان قيل: فعلى هذا فأى تعلق لقوله «فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» بذلك.

و كيف ينزه نفسه عن ان يطلب منه ولد آخر؟! قلنا: لم ينزه نفسه عن ذلك و إنما نزهها عن الاشراك به، و ليس يمتنع ان يقطع هذا الكلام عن حكم الاول، لأنه قال بعد ذلك «أ يُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ» فنزه نفسه عن هذا الشرك دون ما تقدم.

فأما الخبر المدعى فى هذا الباب، فلا يلتفت اليه، لأن الاخبار تبنى على ادلة العقول، فإذا علمنا بدليل العقل ان الأنبياء لا يجوز عليهم المعاصى تأولنا كل خبر يتضمن خلافه او أبطلناه، كما نفعل ذلك بأخبار الجبر و التشبيه. على ان هذا الخبر مطعون فى سنده، لأنه يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة، و هو مرسل، لأن الحسن لم يسمع من سمرة شيئاً- فى قول البغداديين- و لان الحسن قال بخلاف ذلك فيما روى عنه عروة- فى قوله عز و جل «فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما» قال هم المشركون. و يعارض ذلك ما روى عن سعيد بن جبير و عكرمة و الحسن و غيرهم: من ان الشرك غير منسوب الى آدم و زوجته، و أن المراد به غيرهما على ان فى الخبر اشركا إبليس اللعين فيما ولد لهما بأن سمياه عبد الحرث، و الاية تقضى انهم أشركوا الأصنام التى لا تخلق و هى تخلق، و التى لا تستطيع ضرّاً و لا نفعاً و ليس لإبليس فى الآية ذكر، و لو كان له ذكر لقال أ تشركون من. و قال فى آخر القصة «أ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها ...» و كذا، و لا يليق ذلك بإبليس. و يقوى ان الاية مصروفة عن آدم الى ولده انه قال «فَلَمَّا تَغَشَّاها» و لو كان منسوقاً على النفس الواحدة لقال فلما تغشتها، لان ذلك هو الأجود و الأفصح و إن جاز خلافه.

و حكى البلخى عن قوم انهم قالوا: لو صح الخبر لم يكن فى ذلك الا إشراكاً فى التسمية، و ليس ذلك بكفر و لا معصية كبيرة، و ذهب اليه كثير من المفسرين و اختاره الطبرى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۵۶

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۹۱ الى ۱۹۳] ..... ص : ۵۶

أ يُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (۱۹۱) وَ لا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَ لا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (۱۹۲) وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ (۱۹۳)

ثلاث آيات قرأ نافع «لا يتبعوكم» و فى الشعراء «يتبعهم» بالتخفيف. الباقون بالتشديد و هما لغتان، و بالتشديد اكثر. قال ابو زيد تقول: رأيت القوم فأتبعتهم اتباعاً إذا سبقوك فأسرعت نحوهم و مروا على فاتبعتهم اتباعاً إذا ذهبت معهم و لم يسبقوك، قال: و تبعتهم اتبعهم تبعاً مثل ذلك.

و فى الآية توبيخ من اللَّه و تعنيف للمشركين، و إن خرج مخرج الاستفهام، بأنهم يعبدون مع اللَّه جماداً لا يخلق شيئاً من الأجسام و لا ما يستحق به العبادة، و هم مع ذلك مخلوقون محدثون و لهم خالق خلقهم. و نبههم بذلك على انه لا ينبغى أن يعبد إلا من يقدر على إنشاء الأجسام و اختراعها و خلق اصول النعم التى يستحق بها العبادة، و ان ذلك لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى الذى ليس بجسم، و القادر لنفسه، ثم بيّن أن هذه الأشياء التى يعبدونها و يتخذونها آلهة و أشركوا بها مع اللَّه تعالى لا تقدر لمن عبدها و اتخذها إلهاً على

نفع و لا على ضرّ و لا أن ينصروهم، و لا ان ينصروا أنفسهم إن أراد بهم غيرهم سوءاً، و من هذه صورته فهو على غاية العجز، و لا يجوز أن يكون إلهاً. و إنما يجب ان يكون كذلك من يقدر على الضرّ و النفع و نصرة أوليائه.

و قوله تعالى «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ» معناه إن الأصنام و الأوثان التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۵۷ التي كانوا يعبدونها و يتخذونها آلهة إن دعوها إلى الهدى و الرشد لم يستمعوا ذلك، و لا تمكنوا من اتباعهم، لأنها جمادات لا تفقه و لا تعقل- فى قول أبي و غيره- و قال الحسن: إن ذلك راجع الى قوم من المشركين قد عموا بالكفر فهم لا يعلمون.

ثم قال «سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ» يعني سواء عندها دعاؤها و السكوت عنها لكونها جماداً لا تعقل و إنما قال «أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ» و لم يقل أم صمتم ليكون فى مقابلة «أَ دَعَوْتُمُوهُمْ» فيفيد الماضي و الحال لأن المقابلة دلت على معنى الماضي، و اللفظ يدل على معنى الحال، و عليه أكثر الكلام يقولون: سواء عليَّ أقمت ام قعدت، و لا يقولون أقمت أم انت قاعد، قال الشاعر:

سواء إذا ما أصلح اللَّه أمرهم علينا ادثر ما لهم ام اصارم «۱»

و انشد الكسائى:

سواء عليك النفر ام بت ليلة بأهل القبا من نمير بن عامر «۲»

و انشد بعضهم:(ام انت بائت)

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۹۴] ..... ص : ۵۷

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۹۴)

إنما قال «إن الذين» و هو يريد الأصنام، لأنها لما كانت عندهم معبودة تنفع و تضرّ، جاز أن يكنى عنها بما يكنى عن الحيّ، كما قال فى موضع آخر

---

(۱) معانى القرآن ۱/ ۴۰۱ «الدثر» المال الكثير. و «اصارم» جمع اصرام و هو الفريق القليل العدد و يقصد- هنا- الفريق من الإبل. و أصله اصاريم، و حذف الياء لضرورة الشعر.

(۲) معانى القرآن ۱/ ۴۰۱. يريد النفر من منى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۵۸

«بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ» «۱» و لم يقل فعله كبيرها فاسألوها، و قال «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ» «۲» لما أضاف السجود إليها جمعها بالواو و النون التى تختص بالعقلاء و معنى «مِنْ دُونِ اللَّهِ» غير اللَّه، كأنه قال كل مدعو إلهاً غير اللَّه «عِبادٌ أَمْثالُكُمْ» و «من» لابتداء الغاية فى أن الدعاء دون دعاء اللَّه إلى حيث انتهى إنما هو لعباد اللَّه.

ثم قال «عِبادٌ أَمْثالُكُمْ» فإنما سماها كذلك لأن التعبد التذلل، فلما كانت الأصنام تنصرف على مشيئة اللَّه، و هى غير ممتنعة عما يريد اللَّه تعالى بها كانت بذلك فى معنى العباد. و يقال عبدت الطرق إذا وطئته حتى تقرر و سهل سلوكه. و منه قوله تعالى «وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ» «۳» اى ذللتهم و استخدمتهم ضروباً من الخدم. و قال الجبائى و غيره: معنى «عباد» أى أملاك لربهم كما أنتم عبيد له، فان كنتم صادقين فى ادعائكم انها آلهة فادعوهم فليستجيبوا لدعائكم، و هذه لام الأمر على معنى التهجين كما قال «هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» «۴» فإذا لم يستجيبوا لكم، لأنها لا تسمع دعاءكم فاعلموا انها لا تنفع و لا تضرّ و لا تستحق العبادة.

فأما من قال الأصنام تعبد اللَّه على الحقيقة كما يعبد العقلاء، و ان كنا لا نفقه ذلك فقد تجاهل، لأن العبادة ضرب من الشكر، و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. و العبادة و ان كانت شكراً فانه يقارنها خضوع و تذلل. و كل ذلك يستحيل من

الجماد.

و یحتمل من حیث انهم توهموا انها تضر و تنفع فقیل لهم لیس یخرج هؤلاء بذلک عن حکم اللَّه تعالی. و قال الحسن: معناه إنها مخلوقهٔ أمثالکم. و العبد المملوک من جنس ما یعقل، لأن الثوب مملوک، و لا یسمی عبداً.

و قیل الدعاء الأول فی الآیهٔ تسمیتهم الأصنام آلههٔ کأنه قال «إِنَّ الَّذِینَ تَدْعُونَ»

---

(۱) سورهٔ ۲۱ الأنبیاء آیهٔ ۶۳

(۲) سورهٔ ۱۲ یوسف آیهٔ ۴

(۳) سورهٔ ۲۶ الشعراء آیهٔ ۲۲

(۴) سورهٔ ۲۷ النمل آیهٔ ۶۴ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۵۹

آلههٔ من دون اللَّه فاطلبوا منهم المنافع و کشف المضار، فإذا کان ذلک میئوساً منها، فعبادتها جهل و سخف. و قوله «إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ» قال الحسن: معناه فی أنهم آلههٔ.

قوله تعالی :[سورهٔ الأعراف (۷): آیهٔ ۱۹۵] ..... ص : ۵۹

أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ یَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَیْدٍ یَبْطِشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَعْیُنٌ یُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذانٌ یَسْمَعُونَ بِها قُلِ ادْعُوا شُرَکاءَکُمْ ثُمَّ کِیدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ (۱۹۵)

قرأ ابو جعفر «یبطشون» و یبطش- بظم الطاء- حیث وقع. الباقون بکسرها. و هما لغتان، و الکسر افصح و اکثر. و قرأ «کیدونی» بیاء فی الحالین الوقف و الوصل الحلوانی عن هشام و یعقوب وافقهما فی الوصل أبو عمرو و ابو جعفر و إسماعیل و الدحوانی عن هشام. الباقون بغیر یاء فی الحالین. و «تنظرونی» بیاء فی الحالین عن یعقوب.

قال ابو علی الفارسی: الفواصل و ما أشبهها من الکلام التام تجری مجری القوافی لاجتماعهما فی أن الفاصلهٔ آخر الآیهٔ، کما ان القافیهٔ آخر البیت و قد الزموا الحذف فی هذا الباب فی القوافی کقوله:

فهل یمنعن ارتیادی البلاد من قدر الموت أن یأتین

و الیاء التی هی لام الکلمهٔ کذلک نحو قوله:

یلمس الأحلاس فی منزله بیدیه کالیهودی المصلّ «۱»

أکد اللَّه تعالی فی هذه الآیهٔ الحجهٔ علی المشرکین فی انه لا ینبغی لهم أن یعبدوا هذه الأصنام و لا یتخذونها آلههٔ، فقال «أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ یَمْشُونَ بِها». لأن لفظه و إن

---

(۱) قائله لبید. اللسان «لمس» و الأحلاس ملازمهٔ المنزل و عدم التدخل بشئون الدولهٔ. و «المصل» بمعنی الخاسر الذی لیس له شیء فی الامر.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۶۰

کان لفظ الاستفهام، فالمراد به الإنکار، ای لیس لهم ارجل یمشون بها و لا لهم أید یبطشون بها و لا أعین یبصرون بها و لا آذان یسمعون بها، فعرفهم بذلک انهم دون منزلتهم و أن الکفار مفضلون علیهم بما أنعم اللَّه علیهم من هذه الحواس التی لم تؤت الأصنام. و إذا کنتم مفضلین علیها و کنتم أقدر علی الأشیاء و أعلم، فکیف یجوز لکم ان تتخذوها مع ذلک آلههٔ لأنفسکم.

و قوله تعالی «قُلِ ادْعُوا شُرَکاءَکُمْ ثُمَّ کِیدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ» معناه ادعوا هذه الأوثان و الأصنام التی تزعمون أنها آلهة و تشرکونها فی أموالکم فتجعلون لها خطاً من الأموال و المواشی و توجهون عبادتکم الیها اشرکا باللَّه لها و اسألوهم ان یضرونی و ان یکیدونی معکم، و لا تؤخروا ذلک إن قدروا علیه، و متی لم یتمکنوا من ذلک فتبینوا انها لا تستحق العبادة، لأنها فی غایة الضعف و العجز.

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۹۶] ..... ص : ۶۰

إِنَّ وَلِیِّیَ اللَّهُ الَّذِی نَزَّلَ الْکِتابَ وَ هُوَ یَتَوَلَّی الصَّالِحِینَ (۱۹۶)

روی ابن خنیس عن السوسی «ان ولی الله» بیاء مشددة مفتوحة. الباقون بثلاث یاءات الأولی ساکنة و الثانیة مکسورة و الثالثة مفتوحة- علی الاضافة- و من قرأ مشدداً حذف الوسطی و ادغم الاولی فی الثالثة. و لا یجوز إدغام الثانیة فی الثالثة، لأنها متحرکة و قبلها ساکن لا یمکن الأدغام.

امر اللَّه تعالی نبیه صلی الله علیه و آله و سلم ان یقول للمشرکین «إِنَّ وَلِیِّیَ اللَّهُ الَّذِی» یحفظنی و ینصرنی و یحوطنی و یدفع شرککم عنی هو اللَّه الذی خلقنی و إیاکم جمیعاً و یملکنی و یملککم الذی نزل القرآن، و هو ینصر الصالحین الذین یطیعونه و یجتنبون معاصیه تارة بالحجة و اخری بالدفع عنهم.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۶۱

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۹۷] ..... ص : ۶۱

وَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا یَسْتَطِیعُونَ نَصْرَکُمْ وَ لا أَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُونَ (۱۹۷)

هذا عطف علی الایة الاولی، فکأنه قال قل ولیی اللَّه القادر علی نصرتی علیکم و علی من أراد بی ضرّاً. و الذین تتخذونهم أنتم آلهة لا یقدرون علی ان ینصروکم و لا أن یدفعوا عنکم ضررّاً. و لا یقدرون ان ینصروا أنفسهم ایضاً لو ان إنساناً أراد بهم سوءاً من کسر او غیره.

و إنما کرر هذا المعنی لأنه ذکره فی الایة التی قبلها علی وجه التقریع، و ذکره هاهنا علی وجه الفرق بین صفة من تجوز له العبادة ممن لا تجوز، کأنه قال: إن ناصری اللَّه و لا ناصر لکم ممن تعبدون.

و انما قال تدعون من دونه و هم یدعونهم معه، لأن معنی من دونه من غیره و مع ذلک فانه بمنزلة من أفرد غیره بالعبادة فی عظم الکفر و الشرک.

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۹۸] ..... ص : ۶۱

وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَی الْهُدی لا یَسْمَعُوا وَ تَراهُمْ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ وَ هُمْ لا یُبْصِرُونَ (۱۹۸)

قال الفراء و الزجاج: المعنی إن دعوتم هؤلاء الذین تعبدونهم من الأصنام الی صلاح و منافع لا یسمعوا دعاءکم، و تراهم فاتحة أعینهم نحوکم علی ما صورتموهم علیه من الصور، و هم مع ذلک لا یبصرونکم.

قال الجبائی: جعل اللَّه انفتاح عیونهم فی مقابلتهم نظراً منهم الیهم مجازاً، لان النظر حقیقة تقلب الحدقة الصحیحة نحو المرئی طلباً لرؤیته و ذلک لا یتأتی فی الجماد. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۶۲

و یقال فی اللغة: تناظر الحائطان إذا تقابلا و کل شیء قابل غیره یقال: نظر الیه.

و قال الحسن: المعنی و إن تدع یا محمّد المشرکین، فلم یجعل الکنایة عن الأوثان و قال الرمانی: الکنایة عن الأوثان لأنهم جعلوها تضر و تنفع، کما یکون ذلک فیما یعقل.

و فى الآیـة دلالـة على ان النظر غير الرؤيـة، لأنه تعالى أثبت النظر و نفى الرؤيـة و قوله «وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ» وجه الخطاب الى النبى صلى الله علیه و آله و لو كان أمره بخطاب المشركين بمعنى قل لهم لقال و ترونهم. و قال السدى و مجاهد: أراد به المشـركين، فعلى هذا يكون قوله «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ» خطاباً للنبى صـلى الله علیه و آله انه ان دعا المشـركين الى الهدى لا يسـمعوا بمعنى لا يقبلوا و هم يرونه و لا ينتفعون برؤيته.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۹۹] ..... ص : ۶۲

خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (۱۹۹)

امر اللَّه تعالى نبيه أن يأخذ مع الناس بالعفو، و هو التساهل فيما بينه و بينهم و قبول اليسير منهم الذى سهله عليهم و يسر فعله لهم، و ان يترك الاستقصاء عليهم فى ذلك، و هذا يكون فى مطالبة الحقوق الواجبة للَّه تعالى و للناس و غيرها. و هو فى معنى الخبر عن النبى صلى الله علیه و آله «رحم اللَّه سهل القضاء سهل الاقتضاء».

و لاـ ينـافى ذلـك ان لصـاحب الحق و الـديون و غيرها استيفاء الحق و ملازمـة صاحبه حتى يسـتوفيه، لأن ذلك منـدوب إليه دون ان يكون واجباً. و قد يكون العفو فى قبول العذر من المعتذر و ترك المؤاخذة بالاساءة.

و قوله «وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ» يعنى بالمعروف، و هو كل ما حسن فى العقل فعله او فى الشرع، و لم يكن منكراً و لا قبيحاً عند العقلاء.

و قوله عز و جـل «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجـاهِلِينَ» امر بالاعراض عن الجاهل: السـفيه الـذى إن كلمه سـفه عليه و آذاه بكلامه. و أمره إذا أقام عليهم الحجة و بين بطلان التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۶۳

ما هم عليه من الكفر و المعاصـى أن يعرض عنهم و لا يجاوبهم فى مكروه يسـمعه، صيانة لنفسه عنهم. و قال عطا العفو: الفضل. و قال مجاهـد: العفو من اخلاـق النـاس، و عفو أموالهم من غير تجسـس عليهم. و قـال: ما عفا لك من أموالهم، و ذلك قبل فرض الزكاة. و قال السدى: نسخ ذلك بآية الزكاة. و قال ابن زيد: أمره بالاعراض عنهم ثم نسخ بقوله «وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» «۱».

و روى عن النبى صـلى الله علیه و آله فى قوله: «وَ أْمُرْ بِـالْعُرْفِ» أن جبرائيـل قال له معناه تصل من قطعك و تعطى من حرمك و تعفو عمن ظلمك.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۰۰] ..... ص : ۶۳

وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۰۰)

النزغ ادنى حركة تقول: نزغته إذا حركته. و المعنى ان نالك يا محمّد من الشيطان ادنى حركة من معاندة و سوء عشرة «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» اى سل اللَّه ان يعيـذك، و يحفظك منه فانه سـميع للمسـموعات و عالم بالخفيات يسمع دعاء من يـدعوه و يعلم دعاءه و ما يسـتحقه بذلك من اللَّه.

و النزغ الفساد ايضـاً يقـال: نزغ فلان بيننا اى أفسـد، و منه قوله تعالى: «نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي» «۲» و نزع ينزع و نغز ينغز إذا أفسـد. و موضع ينزغنك جزم ب (إن) التى للجزاء الا انه لا يبين فيه الاعراب، لأنه مبنى مع نون التأكيد على الفتح و إذا كانت مشددة لا بد من تحريك ما قبلها فى الجزم لالتقاء الساكنين و النزغ الإزعاج بالإغواء و اكثر ما يكون ذلك عند الغضب و اصل النزغ الإزعاج بالحركة نزغته انزغه نزغاً.

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۷۴ و سورة ۶۶ التحريم آية ۹

(۲) سورة ۱۲ يوسف آية ۱۰۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۶۴

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ٢٠١] ..... ص : ۶۴

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و اهل البصرة و الكسائى «طيف» بغير الف و بغير همز. الباقون بألف بعدها همزة. قال الحسن: الطيف فى كلام العرب اكثر من طائف. و قال ابو زيد:: طاف الرجل يطوف طوفاً إذا اقبل و أدبر و أطاف يطوف طوفاً إذا جعل يستدبر القوم و يأتيهم من نواحيهم. و طاف الخيال طيفاً إذا ألم فى المنام. و قال ابو عبيدة: طيف من الشيطان بأن يلم به، لما يقال منه: طفت اطيف طيفاً. و قال قوم: الطائف ما أطاف بك من وسوسة الباطل. و الطيف اللمم و المس. و قال ابو عمرو ابن العلا: الطيف الوسوسة. و حكى الرمانى: ان الطيف أصله طوف من الواو مثل سيد و ميت، فخفف، و انشد ابو عبيدة للأعشى فى الإلمام.

و نصبح عن غب السرى و كأنما أ لم بها من طائف الجن اولق «۱»

و كأن معنى الآية إذا مسهم من ينظر لهم نظرة من الشيطان. و يكون طائف مثل العاقبة و العافية، مما جاء المصدر منه على فاعل و فاعلة، فالطيف اكثر لان المصدر على هذا الوزن اكثر منه على وزن فاعل، و الطائف كالخاطر. و قال الحسن معناه يطوف عليهم الشيطان بوساوسه، فيقبل بعض و حبه من يعصى اللّه. و قوله «تذكروا» أى تذكروا ما عندهم من المخرج و التوبة «فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» قد تابوا. و قال مجاهد: هم المؤمنون إذا مسهم طيف أى غضب تذكروا. و قال سعيد ابن جبير: هو الرجل يغضب الغضب فيذكر فيكظم غيظه. و قال مجاهد: هو الرجل يهم بالذنب فيذكر اللّه تعالى فيتركه.

---

(۱) ديوانه ۱۴۷ و مجاز القرآن ۱/ ۲۳۶ و اللسان «طيف»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۶۵

اخبر اللّه تعالى بأن الذين يتقون اللّه باجتناب معاصيه إذا وسوس اليهم الشيطان و أغراهم بمعاصيه تذكروا، فعرفوا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه و يتركونه.

و قال مجاهد و سعيد بن جبير: الطيف الغضب. و قال ابن عباس و السدى: هى الزلة التى إذا ارتكبها تاب منها. و «إذا» الأولى بمنزلة الجزاء و لها جواب، و الثانية بمعنى المفاجأة كقولك خرجت، فإذا زيد. و قال ابن عباس الطيف النزغ. و قال أبو عمرو بن العلا: الوسوسة. و قال غيره هو اللمم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ٢٠٢] ..... ص : ۶۵

وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)

قرئ «يمدونهم» بضم الياء و كسر الميم عن نافع. الباقون بفتح الياء و ضم الميم و معنى الآية أن إخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين فى الغى، و معناه يزيدونهم فى الغواية، و الإضلال، و يزينون لهم ما هم فيه.

ثم اخبر ان هؤلاء مع ذلك «لا يقصرون» كما يقصر الذين اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان. و هو قول ابن عباس و السدى و ابن جريج و أبى على، و أكثر المفسرين. و قال مجاهد: هم إخوان المشركين من الشياطين. و قال قتادة قوله «ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ» يعنى الشياطين «لا يُقْصِرُونَ» عن استغوائهم و لا يرحمونهم.

و قصرت و أقصرت لغتان، و القراءة على لغة أقصرت، و من ضم الياء من «يمدونهم» فلقوله تعالى «أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ» «۱»

و قوله عز و جل «وَ أَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ» «۲» و قوله «أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ» «۳» و من فتح الياء فلقوله تعالى «وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» «۴». و أمددت فيما يستحب، و مددت فيما يكره. قال ابو زيد: أمددت القائد بالجند و أمددت الدواة و أمددت القوم بالمال و الرجال.

و قال ابو عبيدة

---

(۱) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۵۵

(۲) سورة ۵۲ الطور آية ۲۲

(۳) سورة ۲۷ النمل آية ۳۶

(۴) سورة ۲ البقرة آية ۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۶۶

«يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ» اى يزينون لهم يقال: مد له فى غيه. هكذا يتكلمون به و وجه قراءة نافع قوله تعالى «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ».

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۰۳] ..... ص : ۶۶

وَ إِذا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قالُوا لَوْ لا اجْتَبَيْتَها قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ ما يُوحى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۲۰۳)

معنى الآية انك يا محمّد إذا لم تأتهم بآية يقترحونها، قالوا: لم لا تطلبها من اللَّه فيأتينا بها. و قوله «لو لا» معناه هلا «اجتبيتها» معناه هلا «اجتبيتها» معناه اختلقتها و اقتلعتها من قبل نفسك فى قول الزجاج، و الفراء، و الحسن، و الضحاك، و قتادة، و ابن جريج، و ابن زيد، و ابن عباس.

و فى رواية أخرى عن ابن عباس و قتادة: معناه هلا- أخذتها من ربك و تقبلتها منه. و يكون الاجتباء بمعنى الاختيار. و قال الفراء: اجتبيت الكلام و اختلقته و ارتجلته إذا اقتعلته من قبل نفسك. و قال ابو عبيدة: اخترعته مثل ذلك. و قال ابو زيد: هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتدؤه الرجل لم يكن أعده قبل ذلك فى نفسه.

فأمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول لهم إنى لست آتى بالآيات من عندى و إنما يفعلها اللَّه و يظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة فى ذلك لا بحسب اقتراح الخلق، و إنما اتبع ما يوحى إليّ.

و قوله «هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ» يعنى هذا القرآن حجج و براهين و أدلة من ربكم. و البصائر جمع بصيرة، و هى البراهين الواضحة و الحجج النيرة. و تكون البصائر جمع بصيرة. و هى طريق الدم. و البصيرة الرأس ايضاً. و جمعها بصائر، و معناه ظهور التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۶۷

الشيء و بيانه. و إنما قال «هذا بَصائِرُ» لأن المراد به القرآن، و قوله تعالى «و هدى» يعنى بيان و حجة و رحمة لقوم يؤمنون، فأضافه اليهم لأنهم هم المنتفعون بها، دون غيرهم من الكفار، و ان كان بياناً للكل. و قال الجبائى قوله «هذا بَصائِرُ» إشارة إلى الادلة الدالة على توحيده و صفاته و عدله و حكمته و صحة نبوة النبى و صحة ما أتى به النبى صلى الله عليه و آله.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۰۴] ..... ص : ۶۷

وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۲۰۴)

آية بلا خلاف.

امر اللَّه تعالى المكلفين بأنه إذا قرئ القرآن ان يسمعوا له و يصغوا إليه ليفهموا معانيه و يعتبروا بمواعظه و ان ينصتوا لتلاوته و يتدبروه و لا يلغوا فيه ليرحمهم بذلك ربهم، و باعتبارهم به و اتعاضهم بمواعظه.

و اختلفوا في الوقت الذي أمروا بالإنصات و الاستماع:

فقال قوم: أمروا حال كون المصلي في الصلاة خلف الامام الذي يأتم به و هو يسمع قراءة الامام، فعليه أن ينصت و لا يقرأ و يتسمع لقراءته.

و منهم من قال: لأنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم و يسلم بعضهم على بعض، و إذا دخل داخل و هم في الصلاة قال لهم كم صليتم فيخبرونه و كان مباحاً فنسخ ذلك، ذهب اليه عبد اللَّه بن مسعود، و أبو هريرة و الزهري و عطا و عبيد اللَّه بن أبي عمير و مجاهد و قتادة و سعيد بن المسيب و سعيد بن جبير و الضحاك و ابراهيم و عامر الشعبي و ابن عباس و ابن زيد، و اختاره الجبائي.

و قال قوم: هو امر بالإنصات للإمام إذا قرأ القرآن في خطبته. روى ذلك عن مجاهد. و قال قوم: هو امر بذلك في الصلاة و الخطبة. و روى ذلك عن مجاهد التبيان في تفسير القرآن، ج۵، ص: ۶۸

ايضاً، و الحسن. و أقوى الأقوال الاول. لأنه لا حال يجب فيها الإنصات لقراءة القرآن إلا حال قراءة الامام في الصلاة، فان على المأموم الإنصات لذلك و الاستماع له. فأما خارج الصلاة فلا خلاف أنه لا يجب الإنصات و الاستماع.

و عن أبي عبد اللَّه عليه السلام انه في حال الصلاة و غيرها.

و ذلك على وجه الاستحباب.

و قال الجبائي: يحتمل ان يكون أراد الاستماع إذا قرأ النبي صلى الله عليه و آله عليهم ذلك، فانه كان فيهم من المنافقين من لا يستمع. و الاول اكثر فائدة و أعم. و قال الزجاج: يجوز أن يكون الأمر بالاستماع للقرآن للعمل بما فيه و ان لا يتجاوزه كما تقول سمع اللَّه لمن حمده بمعنى أجاب اللَّه دعاه، لأن اللَّه سميع عليم.

و الإنصات السكوت مع الاستماع، قال الطرماح يصف وحشاً، و حذرها الصيادين:

يخافتن بعض المضغ من خشية الردى و ينصتن للسمع إنصات القناقن «۱»

و القناقن عراف الماء.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۰۵] ..... ص : ۶۸

وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ (۲۰۵)

امر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يذكره على حال التضرع و المراد به الأمة.

و نصب «تضرعاً» على الحال، و على وجه الخوف من عذابه، و الخفيفة هو الخوف و يكون دعاؤه خالصاً للَّه و يفعل هذا الدعاء «بالغدو»، و هو أول النهار، «وَ الْآصالِ» و هو جمع اصل. و الأصل جمع الأصيل، فالآصال جمع الجمع و تصغيره أصيلال على بدل النون. و قال قوم: هو جمع اصل، و الأصل يقع على الواحد و الجمع و معناه

---

(۱) اللسان (نصت)

التبيان في تفسير القرآن، ج۵، ص: ۶۹

العشيات، و هو ما بين العصر إلى غروب الشمس.

و قال ابن زيد: الخطاب متوجه الى المستمع للقرآن إذا تلي ثم أكد توصيته له في الدعاء بقوله «وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ» و المعنى لا تكن من الغافلين عما أمرتك به من الدعاء له و الذكر للَّه. و قال الجبائي: في الآية دليل على ان الذين يرفعون أصواتهم بالدعاء و يجهرون بها مخطؤن على خلاف الصواب.

و من قرأ «خفية» أراد أخف الدعاء و اترك الإجهار، و هو تأكيد لم امر به من الدعاء إخفاء.

و قوله «وَ دُونَ الْجَهْرِ» يعنى دعاء باللسان فى خفاء الإجهار.

و قال قوم: الآية متوجهة الى من أمر بالاستماع للقرآن و الإنصات له الذين كانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار- ذهب اليه ابن زيد و مجاهد و ابن جريج، و اختاره الطبرى- و الاولى ان يكون ذلك متوجهاً الى النبى، و المراد به جميع الامة، فانه اكثر فائدة.

و إنما أمره بالذكر فى النفس و إن كان لا يقدر عليه العبد لامرين:

أحدهما- ان المراد به التعرض للذكر من جهة الفكر، و هذا فى الذكر المضاد للسهو الثانى- انه امر بالذكر الذى هو القول فيما يخفى كحديث النفس.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۰۶] ..... ص : ۶۹

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّکَ لا يَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ (۲۰۶)

بين اللَّه تعالى ان الذين عنده، و هم الملائكة، و معناه انهم عنده بالمنزلة الجليلة لا بقرب المسافة، لأنه تعالى ليس فى مكان و لا جهة فيقرب غيره منه، لأن ذلك من صفات الأجسام، و هذا حث منه على الطاعة و الاستكانة و الخضوع له، لأن الملائكة مع فضلها و ارتفاع منزلتها إذا كانت لا تستكبر عن عبادته بل تسبحه دائماً و تسجد التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۷۰

مثل ذلك فبنوا آدم بذلك اولى و أحق و لهم أوجب و الزم.

قال الجبائى معنى «عند ربك» إنهم فى المكان الذى لا يملك فيه الحكم بين الخلق سواه لأنه ملك عباده الحكم فى الأرض على وجه حسن. قال: و يجوز ان يكون المراد بذلك أنهم رسله الذين يبعثهم فى أمور الانس، و إذا كانوا رسله جاز أن ينسبهم الى نفسه فيقول: إنهم عنده، كما يقال: عند الخليفة جيش كثير، و لا يراد به فى مكانه، و لا بالقرب منه، و إنما يراد انهم أصحابه و إن كانوا متفرقين فى البلاد. و قال الزجاج: من قرب من رحمة اللَّه و فضله فهو عند اللَّه اى قريب من تفضله و إحسانه.

و هذه أول سجدات القرآن، و هى- عندنا- مستحبة غير واجبة و فى ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

و سبب نزول الآية ان قريشاً لما قالت: و ما الرحمن؟ أ نسجد لما تأمرنا؟! نزلت هذه الآية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۷۱

۸-سورة الانفال ..... ص : ۷۱

اشارة

هذه السورة مدنية فى قول قتادة و ابن عباس و مجاهد و عثمان، و قال: هى أول ما نزل على النبى صلى الله عليه و آله بالمدينة، و حكى عن ابن عباس: انها مدنية إلا سبع آيات:

أولها «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» إلى آخر سبع آيات بعدها. و هى خمس و سبعون آية فى الكوفى، و سبع و سبعون آية فى الشامى، و ست و سبعون فى المدنيين و البصرى.

[سورة الأنفال (۸): آية ۱] ..... ص : ۷۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِکُمْ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱)

اختلف المفسرون فى معنى الأنفال- هاهنا- فقال بعضهم: هى الغنائم التى غنمها النبى صلى الله عليه و آله يوم بدر، فسألوه لمن هى؟ فأمر اللَّه تعالى نبيه أن يقول لهم:

هى للَّه و لرسوله- ذهب اليه عكرمة و مجاهد و الضحاك و ابن عباس و قتادة و ابن زيد- و قال قوم: هى أنفال السرايا- ذهب اليه على بن صالح بن يحيى- و قال قوم:

و هو ما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما أشبه ذلك- عن عطا- و قال: هو للنبى صلى الله عليه و آله خاصة يعمل به ما يشاء.

و روى عن ابن عباس- فى رواية اخرى- انه ما سقط من المتاع بعد قسمة التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۷۲

الغنائم من الفرس و الدرع و الرمح. و فى رواية اخرى- أنه سلب الرجل و فرسه ينفل النبى صلى الله عليه و آله من شاء.

و قال قوم: هو الخمس، روى ذلک مجاهد، قال: قال المهاجرون: لِم يرفع منا هذا الخمس و يخرج منا؟ فقال اللَّه: هو للَّه و الرسول. و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام (أن الانفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال إذا انجلى عنها أهلها).

و يسميه الفقهاء فيئاً، و ميراث من لا- وارث له، و قطائع الملوک إذا كانت فى أيديهم من غير غصب، و الآجام و بطون الأودية و الموات و غير ذلک مما ذكرناه فى كتب الفقه. و قالا: هو للَّه و للرسول و بعده للقائم مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه و من يلزمه مؤنته ليس لاحد فيه شيء.

و قالا: إن غنائم بدر كانت للنبى صلى الله عليه و آله خاصة، فسألوه أن يعطيهم.

و فى قراءة اهل البيت: «يسألونک الأنفال» فأنزل اللَّه تعالى قوله «قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ» و لذلک قال «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ» و لو سألوه عن موضع الاستحقاق لم يقل لهم: اتقوا اللَّه.

و الانفال جمع نفل و النفل هو الزيادة على الشيء، يقال: نفلتک كذا إذا زدته قال لبيد بن ربيعة:

إن تقوى ربنا خير نفل و بإذن اللَّه ريثى و العجل «۱»

و النفل هو ما أعطيته المرء على البلاء، و الفناء على الجيش على غير قسمة.

و كل شيء كان زيادة على الأصل فهو نفل و نافلة، و منه قيل لولد الولد: نافلة، و لما زاد على فرائض الصلاة نافلة.

و اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال قوم: نزلت فى غنائم بدر، لأن النبى صلى الله عليه و آله كان نفل أقواماً على بلاء، فأبلى أقوام و تخلف آخرون مع النبى صلى الله عليه و آله فلما انقضى الحرب اختلفوا، فقال قوم: نحن أخذنا، لأنا قتلنا. و قال آخرون:

---

(۱) تفسير القرطبى ۸/ ۳۶۱ و اللسان (نفل) و مجاز القرآن ۱/ ۲۴۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۷۳

نحن أحطنا بالنبى صلى الله عليه و آله و لو أردنا لأخذنا و قال آخرون: نحن كنا وراءكم نحفظكم فأنزل اللَّه هذه الآية يعلمهم أن ما فعل فيها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ماض جائز- ذهب اليه ابن عباس و عكرمة و عبادة بن الصامت-.

و قال قوم: نزلت فى بعض اصحاب النبى صلى الله عليه و آله سأل من المغنم شيئاً قبل قسمتها فلم يعطه إياها إذ كان شركاً بين الجيش، فجعل اللَّه جميع ذلک للنبى صلى الله عليه و آله روى ذلک عن سعد بن مالک، و هو ابن أبى وقاص. قال: و كان سيف سعد بن العاص لما قتله اخوته، و كان يسمى ذا الكثيفة،

قال سعد أتيت النبى صلى الله عليه و آله فسألته سيفاً فقال:

ليس هذا لى و لا لک فوليت عنه. قال: فإذا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خلفى فقال: إن السيف قد صار لى فأعطانيه، و نزلت الآية.

و روی عن أبی أسید مالک بن ربیعهٔ قال: أصبت سیف ابن عابد، و کان یسمی المرزبان فألقیته فی النفل، فقام الأرقم بن أبی الأرقم المخزومی، فسأل رسول اللَّه فأعطاه إیاه.

و قال آخرون: إن أصحاب النبی صلی الله علیه و آله سألوه أن یقسم غنیمهٔ بدر علیهم یوم بدر، و أعلمهم اللَّه أن ذلک للَّه و لرسوله دونهم لیس لهم فیه شیء.

و قالوا معنی «عن» هاهنا معنی «من» و کان ابن مسعود یقرأه «یسألونک الانفال» علی هذا التأویل. و هذا مثل ما رویناه عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه علیهما السلام و روی ذلک عن الأعمش، و الضحاک عن ابن مسعود، و روی ذلک عن ابن عباس و ابن جریح و عمرو ابن شعیب عن أبیه عن جده و عن الضحاک، و عکرمهٔ، و اختاره الطبری و هو قول الحسن. و

قال الحسن: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: أیما سریهٔ خرجت بغیر إذن إمامها فما أصابت من شیء، فهو غلول.

و قال الزجاج: کانت الغنائم قبل النبی صلی الله علیه و آله حراماً، فسألوا النبی عن ذلک، فنزلت الآیهٔ

، و هذا بعید.

و اختلفوا هل هی منسوخهٔ أم لا؟

فقال قوم: هی منسوخهٔ بقوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ ...» الایهٔ و روی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۷۴

ذلک عن مجاهد و عکرمهٔ و السدی و عامر الشعبی و اختاره الجبائی.

و قال آخرون: لیست منسوخهٔ، ذهب الیه ابن زید و اختاره الطبری، و هو الصحیح، لأن النسخ محتاج إلی دلیل، و لا تنافی بین هذه الآیهٔ و بین آیهٔ الخمس، فیقال انها نسختها.

و اختلفوا هل لأحد بعد النبی صلی الله علیه و آله ان ینفل احداً- ذکرناه فی الخلاف- فقال سعید بن المسیب لا نفل بعد رسول اللَّه. و به قال عمرو بن شعیب عن أبیه عن جده. و عندنا و عند جماعهٔ من الفقهاء و اختاره الطبری: أن للأئمهٔ أن یتأسوا بالنبی صلی الله علیه و آله فی ذلک.

و قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَیْنِکُمْ» امر من اللَّه للمکلفین أن یتقوا معاصیه و یفعلوا طاعاته و ان یصلحوا ذات بینهم.

و اختلفوا فی معناه، فقال قوم: هو ان النبی صلی الله علیه و آله کان ینفل الرجل من المؤمنین سلب الرجل من الکفار إذا قتله، فلما نزلت الایهٔ أمرهم أن یرد بعضهم علی بعض، ذهب الیه قتادهٔ و ابن جریج.

و قال قوم: هذا نهی من اللَّه للقوم عن الاختلاف فیما اختلفوا فیه من أمر الغنیمهٔ یوم بدر، ذهب الیه مجاهد و ابن عباس و سفیان و السدی.

و اختلفوا لم قال «ذاتَ بَیْنِکُمْ» فأنث، و البین مذکر؟ فقال قوم: أراد «ذات بینکم» للحال التی للبین، کما یقولون ذات العشاء یریدون الساعهٔ التی فیها العشاء، و لم یصفوا مذکراً لمؤنث و لا مؤنثاً لمذکر. قال الزجاج: أراد الحال التی یصلح بها أمر المسلمین. و قال الأخفش: جعله «ذات» لأن بعض الأشیاء یوضع علیه اسم المؤنث و بعضه یذکر مثل الدار و الحائط أنث الدار و ذکر الحائط.

و قوله «وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ» امر من اللَّه للخلق ان یطیعوه و لا- یعصوه، و یطیعوا رسوله فیما یأمرهم به إن کانوا مصدقین لرسوله فیما یأتیهم به من قبل اللَّه، لأنهم متی لم یطیعوه و لم یقبلوا منه لم یکونوا مؤمنین. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۷۵

و

روی: ان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قسم غنائم بدر بینهم عن تواء، یعنی سواء، و لم یخمس و إنما خمس بعد ذلک.

و قال الزجاج: «ذات بینکم» معناه حقیقهٔ وصلکم، و البین الوصل، لقوله تعالی «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَیْنَکُمْ» ای وصلکم.

قوله تعالی:[سورهٔ الأنفال (۸): الآیات ۲ الی ۴] ..... ص : ۷۵

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۲) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۳) أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۴)

ثلاث آيات بلا خلاف.

استدل- من قال: إن الايمان يزيد و ينقص و ان أفعال الجوارح قد تكون إيماناً- بهذه الآيات، فقالوا: نفى اللَّه ان يكون المؤمن إلا من إذا ذكر اللَّه و جل قلبه و إذا تليت عليه آياته أى قرئت زادتهم الاية إيماناً، بمعنى أنهم يزدادون عند تلاوتها ايماناً، و انهم على اللَّه يتوكلون فى جميع أمورهم «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» بمعنى يأتون بها على ما بينها النبى صلى الله عليه و آله و ينفقون مما رزقهم اللَّه فى أبواب البر.

و إخراج الواجبات من الزكاة و غيرها. ثم وصفهم بأن هؤلاء الذين وصفهم بهذه الأوصاف هم المؤمنون حقاً، يعنى الذين أخلصوا الايمان، لا كمن كان له اسمه على الظاهر، و إن لهم الدرجات عند اللَّه و هى المنازل التى يتفاضل بها بعضهم على بعض و إن لهم المغفرة و الرزق الكريم فدل على أن من ليس كذلك ليس له ذلك.

و من خالف فى ذلك قال: هذه أوصاف أفاضل المؤمنين، و خيارهم، و ليس التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۷۶

يمتنع أن يتفاضل المؤمنون فى الطاعات و ان لم يتفاضلوا فى الايمان، يبين ذلك انه قال فى أول الاية «إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» و وجل القلب ليس بواجب بلا خلاف، و انما ذلك من المندوبات. و قوله «وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» لأنه إذا صدق بآية آية انها من عند اللَّه، فلا شك ان معارفه تزداد و إن لم يزد بفعل الجوارح.

و قوله «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» يدخل فى ذلك الفرائض و النوافل، و لا شك أن الإخلال بالنوافل لا يخرج من الايمان و لا ينقص منه عند الأكثر. و الإنفاق أيضاً قد يكون بالواجب و النفل. و الإخلال بما ليس بواجب منه لا يخرج من الايمان بلا خلاف. و قوله «أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا» يبين ذلك انه أشار به: الى خيارهم و أفاضلهم، لأن هذه اوصافهم فمن اين ان غيرهم و إن كان دونهم فى المنزلة لا يكون مؤمناً؟! و قال ابن عباس: أراد ان المنافق لا يدخل قلبه شيء من ذلك عند ذكر اللَّه.

و أن هذه الأوصاف منتفية عنه.

و الوجل و الخوف و الفزع واحد، يقال وجل فلان يوجل و جلا، و يقال يأجل و ييجل و أفصحها يوجل. قال اللَّه تعالى «لا تَوْجَلْ» أى لا تخف و قال الشاعر:

لعمرك ما ادرى و إنى لأوجل على أينا تعدو المنية أول «۱»

و إنما وصفهم بالوجل- هاهنا- و باطمئنان القلوب فى قوله: «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» «۲» لأن الوجل يكون بالخوف من عقابه و بارتكاب معاصيه.

و الاطمئنان بذكر اللَّه معناه: بنعمه و عدله، و وصفهم بالوجل يكون فى دار الدنيا، و أما فى الآخرة فانه «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» «۳»

---

(۱) قطر الندى ۲۳ الشاهد ۶ باب المعرب و المبنى.

(۲) سورة ۱۳ الرعد آية ۳۰

(۳) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۱۰۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۷۷

و قال الربيع: معنى زادتهم إيماناً زادتهم حسنة، و الدرجات عند اللَّه، قال قوم: معناه أعمال رفيعة و فضائل استحقوها فى أيام حياتهم- ذهب اليه مجاهد- و قال غيره: معناه لهم مراتب رفيعة. و الرزق الكريم، قال قتادة: هو الجنة. و قال غيره: هو ما أعد اللَّه لهم و وعدهم

به فی الجنة من انواع النعیم و المغفرة یعنی لذنوبهم و معاصیهم سترها اللَّه علیهم.

و قوله «حقاً» منصوب بمعنی دلت علیه الجملة، و هی قوله «أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ» و المعنی أحق ذلک حقاً. و التوکل هو الثقة باللَّه فی کل امر یحتاج الیه تقول وکلت الأمر الی فلان، إذا جعلت الیه القیام به، و منه الوکیل القائم بالأمر لغیره. و الکریم القادر علی النعم من غیر مانع، و لم یزل اللَّه کریماً بهذا المعنی.

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): الآیات ۵ الی ۶] ..... ص : ۷۶

کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنَ الْمُؤْمِنِینَ لَکارِهُونَ (۵) یُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَیَّنَ کَأَنَّما یُساقُونَ إِلَی الْمَوْتِ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ (۶)

من مد الف (کما) فلأن المد یقع فی حروف اللین، و هی الالف و الواو و الیاء، فإذا کان الحرف منها قبل همزة، و کانت الواو و الیاء ساکنتین و الالف لا تکون الا ساکنة مدوا الالف کألف هذه الکلمة، و کقوله «مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ» «۱» بمد الف السماء و الف ماء، و الیاء نحو قوله «وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی «۲» بمد الیاء من الهوی، و الواو نحو قوله «قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا» «۳» بمد الواو.

---

(۱) سورة ۲ البقرة آیة ۱۶۴ [.....]

(۲) سورة ۵۳ النجم آیة ۳- ۴

(۳) سورة ۲۱ الأنبیاء آیة ۶۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۷۸

و اختلفوا فی الکاف من قوله «کما» إشارة الی ما ذا؟ فقال الزجاج و غیره:

قوله «کما أخرجک» معطوف علی قوله «قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ» و المعنی فی ذلک أن رسول اللَّه لما جعل النفل لمن جعله له و سلمه المؤمنون لذلک علی کراهیة بعضهم له کراهیة طباع، فقال «الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ» فامض لذلک، و إن کرهه قوم کما مضیت «کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ» و هم کارهون أیضاً لأنهم کانوا کرهوا خروجه الکراهیة التی ذکرناها، و لیس علی المؤمنین فی هذه الکراهیة حرج، إذا سلموا الأمر للَّه و رسوله و عملوا بما فیه طاعاتهما. و قال غیره: ذلک معطوف علی قوله «یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَنْفالِ» کأنه قال: یسألونک الأنفال کما جادلوک عند ما أخرجک ربک من بیتک، فذلک قوله «یُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَیَّنَ». و قال قوم: یجوز أن یکون الکاف عطفاً علی قوله «أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ... کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ». و قال بعضهم «کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ ...

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَیْنِکُمْ». و قال مجاهد «کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ ... یُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَیَّنَ» یعنی یجادلونک فی القتال بعد ما أمرت به. و قال الفراء: قوله «کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ» جواب قوله «وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنَ الْمُؤْمِنِینَ لَکارِهُونَ» فقال: فامض لأمرک فی الغنائم علی ما شئت «کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ» مجاز الیمین کأنه، قال و الذی أخرجک ربک، فتکون «ما» فی موضع الذی کقوله «وَ ما خَلَقَ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی «۱» و تقدیره و الذی خلق الذکر، و قال ابو عبیدة معمر بن المبنی: «ما» فی قوله «کَما أَخْرَجَکَ» کما فی قوله «وَ ما بَناها» «۲» ای و بنائها. و قال عکرمة: المعنی «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَیْنِکُمْ» فان ذلک خیر لکم «کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ» و کان خیر لکم.

و قال بعضهم: الکاف بمعنی (علی) کأنه قال: امض علی الذی أخرجک

---

(۱) سورة ۹۲ الليل آية ۳

(۲) سورة ۹۱ الشمس آية ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۷۹

من بيتك. و الحق الـذى جادلوا فيه هو القتال فى قول مجاهـد. و «بيتك» يراد به المدينـة، أخرجه اللَّه الى بـدر- فى قول ابن جريج، و ابن أبى نجيـح و اكثر المفسـرين- و وجه كراهيـة القتـال- مـا ذكره ابن عبـاس- من ان أبـا سـفيان لمـا اقبـل بعير قريش من الشام فيها أموالهم، ندب النبى صـلى الله عليه و آله المسـلمين الى الخروج اليها، قال لعل اللَّه أن ينفلكموها، فانتدب اليهم، فخف بعضهم، و ثقل بعضـهم، و لم يظنوا أن رسول اللَّه ملقى كيـداً و لا حزناً، و هو قول السدى و المفسـرين. و اختلفوا فى المؤمنين الذين كرهوا القتال، و جادلوا النبى صـلى الله عليه و آله. فقال قوم: أراد به أهل الايمان يوم بـدر- ذكر ذلك عن ابن عباس، و ابن إسـحاق- و قال قوم: عنى المشـركين- ذهب اليه ابن زيد- و قال: هؤلاء المشـركون جادلوه فى الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعوهم الى الإسلام، و هم ينظرون، قال و تكون هـذه صـفة مبتدأة لأهل الكفر. و قول ابن عباس هو الظاهر، و عليه اكثر المفسـرين، و هو ان هذا صـفة للمؤمنين لكن كرهوا ذلك كراهيـة الطبع، لكونهم غير مستعدين للقتال، و لقلتهم و كثرة المشـركين، و يقوى ذلك قوله بعـد هـذه الآيـة «وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ» فبين بذلك انهم كانوا يودون العير دون الحرب.

و قوله «بَعْدَ ما تَبَيَّنَ» انك يا محمّد لا تصنع إلا ما أمرك اللَّه به. و قال ابن عباس معناه يجادلونك فى القتال بعد ما أمرت به. و الجدل شدة الفتل و منه قولهم: جدلت الزمام إذا شددت فتله، و الأجدل الصقر لشدته.

و قوله «كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ» معناه كأن هؤلاء الـذين يجادلونك فى لقاء العـدو فى كراهتهم للقتال إذا دعوا اليه و صعوبته عليه بمنزلة من يساق الى الموت، و هم يرونه أو يتوقعونه.

و السوق الحث على السير عجلـة. و الإخراج فى الايـة معناه الـدعاء الى الخروج الـذى يقع به، تقول: أخرجه فخرج اى دعاه فخرج، و مثله أضربت زيداً عمراً، التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۸۰

فضربه و سمى البيت بيتاً لأنه جاء مهيئاً للبيتوتة فيه. و قوله «من بيتك» قال الحسن و ابن أبى برة و ابن جريج معناه من المدينة.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): الآيات ۷ الى ۸] ..... ص : ۸۰

وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ (۷) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (۸)

آيتان تقدير الاية و اذكر يا محمّد إذ يعدكم اللَّه إحدى الطائفتين إما العير و إما قريشاً.

قال الحسن كان المسـلمون يريـدون العير، و رسول اللَّه يريـد ذات الشوكة لما وعده اللَّه. و قوله «إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ» يعنى عير قريش او قريشاً، و كان اللَّه وعد نبيه حصول إحداهما.

و قـوله «إِحْـدَى الطَّائِفَـتَيْنِ» فى موضـع نصب ب «يَعِـدُكُمُ اللَّهُ» و قـوله «إنهـا لكم» نصب بـدل من قوله «إِحْـدَى الطَّائِفَتَيْنِ» و مثله «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» «۱» فإنهـا فى موضع نصب بـدلا من (الساعـة). و مثله: «وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ» «۲» قال الزجاج: تقديره لو لا أن تطؤهم.

و قوله «وَ تَوَدُّونَ» معناه و تحبون «أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ» يعنى القتال. و انما قال «ذاتِ الشَّوْكَةِ» فأنث لأنه عنى الطائفة، و الشوكة الجد، يقال: ما أشد شوكة بنى فلان، و فلان شاك فى السلاح و شائك و شاك- بتشديد الكاف- من الشكة.

---

(۱) سورة ۴۳ الزخرف آية ۶۶

(۲) سورة ۴۸ الفتح آية ۲۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۸۱

و مثله شاك فى قول الشاعر:

فيوهمونى اننى هو ذاكم شاك سلاحى فى الحوادث معلم

و قال الضحاك، وغيره: كرهوا القتال و أعجبهم أن يأخذوا العير.

و قوله «وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ» معناه إن اللَّه يريد أن يظهر محمّداً صلى الله عليه و آله و من معه على الحق «وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ» اى يبطل ما جاء به المشركون.

و قيل: هذه الآية نزلت قبل قوله «كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ» و هى فى القراءة بعدها- ذكره البلخى و الحسن- و فى الاية دلالة على ان اللَّه لا يريد الباطل و لا يريد إبطال الحق بخلاف ما يقول المجبرة من ان كل ما فى الأرض من باطل و سفه و فسق فان اللَّه يريده لأن ذلك خلاف الاية.

و قوله «وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ» معناه يريد اللَّه ان يجتث الجاحدين من أصلهم و الدابر المأخر، و قطعه الإتيان على جميعهم- و هو قول ابن زيد و غيره- و قال قوم: الحق فى هذا الموضع القرآن. و الباطل إبليس. و قيل الحق الإسلام، و الباطل الشرك.

و قال ابن عباس: كان عدة اهل بدر مع النبى صلى الله عليه و آله ثلاثمائة و ثلاث عشر رجلا و

روى ان النبى صلى الله عليه و آله لما بلغه خروج قريش لحماية العير شاور أصحابه، فقال قوم:

خرجنا غير مستعدين للقتال. و قال المقداد: امض لما أمرك اللَّه به، فو اللَّه لو خضت بنا الجمر لتبعناك، فجزاه خيراً. و أعاد الاستشارة، فقال سعد بن معاذ (رحمه اللَّه) يا رسول اللَّه لعلك تريدنا؟ قال: نعم، فقال سعد: إنا آمنا بك و صدقناك، و شهدنا أن ما جئت به حق و أعطيناك على ذلك عهودنا و مواثيقنا على السمع و الطاعة، فامض يا رسول اللَّه لما أردت، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لنخوضنه معك، فسرّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بقول سعد و نشطه ذلك. ثم قال سيروا على بركة اللَّه و ابشروا فان اللَّه وعدنى إحدى الطائفتين، و اللَّه لكأنى الآن انظر الى مصارع القوم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۸۲

و (الحق) وقوع الشىء فى موضعه الذى هو له فإذا اعتقد شىء بضرورة او حجة فهو حق، لأنه وقع موقعه الذى هو له، و عكسه الباطل.

و روى ان احداً لم يشاهد الملائكة يوم بدر إلا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. و معنى قوله «لِيُحِقَّ الْحَقَّ» ليظهر تحقيق الحق للمخلوقين، و يبطل الباطل، لا أنهما لم يكونا كذلك عنده.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۹] ..... ص : ۸۲

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (۹)

آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة و يعقوب «مردفين» بفتح الدال. الباقون بكسرها. قال ابو على: من قرأ بكسر الدال احتمل شيئين:

أحدهما- ان يكونوا مردفين مثلهم. كما تقول: أردفت زيداً دابتى فيكون المفعول الثانى محذوفاً فى الاية و ذلك كثير.

الثانى- ان يكون معنى «مردفين» جاءوا بعدهم. قال ابو الحسن: تقول العرب بنو فلان يردفوننا أى هم يجيئون بعدنا. و هو قول أبى عبيدة. و ردفنى و أردفنى واحد. قال الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا «۱»

و قال قوم: ردفه صار له ردفاً و اردفه جعله له ردفاً. و يكون أردفت الثريا الجوزاء. و معنى البيت ان الجوزاء إذا طلعت فى شدة الحر

لم يبق حينئذ احد من

(۱) قائله خزيمـة بن مالك و هو من قـدماء شـعراء الجاهلية الاغانى ۱۳/ ۷۵ طبعـة دار الثقافة. و معجم ما اسـتعجم ۱۹، و سمط اللآلى ۱۰۰ و اللسان (قرظ)، (ردف).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۸۳

البوادى فى مناجعهم، لأن مياه الغدران يبست فتفرق الحلل بعد اجتماعها فتفترق ظنونه فى امر فاطمة انها اى ماء تأخذ لتعلق قلبه بها، و هى فاطمة بنت حل بن عدى.

و قول أبى عبيـدة: ردفنى و أردفنى واحد أقوى لقوله «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ» اى جاء من بعد استغاثتكم ربكم ف «مردفين» على هذه صفة للالف الذين هم الملائكة.

و من قرأ بفتح الدال فمعناه اردفوا الناس أى انزلوا بعدهم، فيجوز على هذا أن يكون حالا من الضـمير المنصوب فى «ممدكم» مردفين بـألف من الملائكـة، و العامل فى (إذ) يحتمل شـيئين: أحـدهما- و يبطل الباطل (إذا) و الثانى- بتقـدير اذكروا (إذ) فعلى الوجه الأول يكون متصلا بما قبله و على الثانى يكون مستأنفاً.

و الاسـتغاثة طلب المعونـة و هـو سـد الخلـة فى وقت شـدة الحاجـة. و قيـل: فى معنى «تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ» تسـتجيرون به من عـدوكم و الاستجابة موافقة المسألة بالعطية، و أصله طلب الموافقة بالارادة و ليس فى الاجابة معنى الطلب من هذه الجهة.

و قيل فى معنى «مردفين» ثلاثة أقوال:

قال ابن عباس: مع كل ملك ردفاً له، و قال الجبائى: هم ألفان لأن مع كل واحد ردفاً له.

و الثانى- قال السدى و قتادة: إن معناه متتابعين.

و الثالث- قال مجاهـد ممـدين بالارداف و أمـداد المسـلمين بهم. و يقال هذه دابة لا ترادف، و لا يقال تردف، و يقال: أردفت الرجل إذا جئت بعـده. و كان يجوز أن يقرأ بتشديـد الـدال و فتح الراء و ضـمها- لأن الأصل مرتدفين، و قرئ فى الشواذ- بضـمها- فمن فتح الراء نقل فتحة التاء اليها، و من كسرها فلاجتماع الساكنين و من ضمها فللاتباع.

أخبر اللَّه تعالى عن حال اهل بـدر انهم لقلـة عـددهم اسـتغاثوا باللّه و التجأوا اليه فأمـدهم اللَّه بألف من الملائكة مردفين، رحمة لهم و رأفة بهم، و هو قول ابن عباس، التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۸۴

و قال:

الداعى كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و هو قول أبى جعفر عليه السلام

و السدى و أبى صالح و هو المروى عن عمر بن الخطاب. و قيل: إنهم قتلوا يومئذ سبعين و أسروا سبعين. و قال الحسن: جميع ما أمدوا به من الملائكـة خمسـة آلاـف: مـا ذكر هنـا، و ما ذكر فى آل عمران. و قال غيره: جميعهم ثمانيـة آلاف. و قال الحسن: اردف بهؤلاء الألف الثلاثة آلاف الذين ذكرهم فى آل عمران. ثم أردفهم بألف آخر فصاروا خمسة آلاف.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۱۰] ..... ص : ۸۴

وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۱۰)

الهاء فى قوله «جَعَلَهُ اللَّهُ» يحتمل أن تكون عائدة الى الامداد، لأنه معتمد الكلام. و قال الفراء: هى راجعة الى الارداف.

و يحتمل أن تكون عائـدة على الخبر بالمـدد، لان تقديم ذلك اليهم بشارة فى الحقيقة اخبر اللَّه تعالى أنه لم يجعل هذا الذى أخبر به من إمداد الملائكة إلا بشرى.

و إنما جعله بأن اراده به فقلبه الى هذا المعنى. و قيل: جعله بشرى بأن امر الملائكة أن تبشر به، و الجعل على ضروب: أولها- أن يكون بمعنى القلب، كقولك: جعلت الطين خزفاً. و بمعنى الحكم كقولك: جعله الحاكم فاسقاً. و بمعنى الظن كقولك جعلته كريماً بحسن ظنى به. و بمعنى الأمر كقولك جعله اللَّه مسلماً بمعنى أمره بالإسلام.

و قوله «وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ» فالاطمئنان الثقة ببلوغ المحبوب، و هو خلاف الانزعاج. و الطمأنينة: السكون و الدعة.

و قوله «وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» معناه لا يكون النصر و قهر الاعداء من الكفار إلا بفضل من عند اللَّه و نصر من جهته. و ليس ذلك بشدتكم و قوة بأسكم التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۸۵

و إنما أضافه الى اللَّه، لئلا يظن أنه من قبل الملائكة من غير أمره.

فأما الغلبة بكثرة العدد، فقد يتفق للكافر و المبطل، فعلى هذا المؤمن و ان قتل، فهو منصور غير مخذول، و الكافر و إن غلب و قتل فهو مخذول.

و هل قاتلت الملائكة يوم بدر قيل فيه قولان:

قال ابو على الجبائى: ما قاتلت، و إنما أراد اللَّه بالامداد البشارة بالنصر و اطمئنان القلب ليزول عنهم الخوف الذى كان بهم، قال لأن ملكاً واحداً يقدر ان يدمر على جميع المشركين كما أهلك جبرائيل قريات لوط.

و روى عن ابن مسعود: أنها قاتلت. و قيل: سأل ابو جهل من اين كان يأتينا الضرب و لا نرى الشخص، قالوا له: من قبل الملائكة، فقال هم غلبونا لا أنتم.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» يعنى قادر لا يغالب «حكيم» فى أفعاله ليثقوا بوعده.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۱۱] ..... ص : ۸۵

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ (۱۱)

قرأ ابن كثير و ابو عمرو «يغشاكم» بفتح الياء و سكون الغين و بألف مخفف.

و قرأه اهل المدينة- بضم الياء و سكون الغين و كسر الشين مخفاً من غير الف الباقون بضم الياء و فتح الغين و تشديد الشين و كسرها من غير الف. و كلهم نصب النعاس إلا ابن كثير و ابو عمرو، فإنهما رفعاه.

و حجة من فتح الياء قوله «أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى» «۱». فكما أسند الفعل الى النعاس و الأمنة، كذلك هاهنا. و من قرأ بضم الياء و شدد الشين او خففها، فالمعنى واحد.

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۵۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۸۶

قال اللَّه تعالى «فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ» «۱» و قال «فَغَشَّاها ما غَشَّى» «۲» و قال «كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ» «۳» و حجتهما أنه أشبه بما بعده، لأنه قال «وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً» فكما أن (ينزل) مسند الى اسم اللَّه كذلك «يغشى».

و «الغشيان» لباس الشيء ما يتصل به، و منه غشي الرجل امرأته، فكأن النعاس قد لابسهم بمخالطته إياهم. و «النعاس» ابتداء حال النوم قبل الاستثقال فيه، و هو السنة، تقول: نعس ينعس نعاساً فهو ناعس. و حكى الفراء أنه سمع نعسان.

و «الأمنة» الدعة التى تنافى المخافة، تقول: أمن أمناً و أماناً و أمنة. و انتصب «أمنة» بأنه المفعول له، و العامل فيه «يغشى».

و قوله «وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى مطراً و غيثاً.

و قوله: «لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ» قال ابن عباس: معناه يذهب عنكم وسوسة الشيطان، بأنه غلبكم على الماء المشركون حتى تصلوا و أنتم مجنبين، لأن المسلمين باتوا ليلة بدر على غير ماء، فأصبحوا مجنبين، فوسوس اليهم الشيطان، فيقول: تزعمون أنكم على دين اللَّه و أنتم على غير الماء تصلون مجنبين، و عدوكم على الماء، فأرسل اللَّه عليهم السماء، فشربوا و اغتسلوا و أذهب به وسوسة الشيطان، و كانوا في رمل تغوص فيه الأقدام، فشدده المطر حتى تثبت عليه الرجال فهو قوله «وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ». و الهاء في «به» راجعة الى الماء. و قال ابن زيد:

يذهب بوسوسته أنه ليس لكم بهؤلاء طاقة. و قال الجبائي: لان الاحتلام بوسوسة الشيطان.

و قوله «وَ لِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ» معناه ليشد عليها بما يسكنها و قوله «وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و الضحاك و أكثر المفسرين: لتلبيده الرمل

---

(۱) سورة ۳۶ يس آية ۹

(۲) سورة ۵۳ النجم آية ۵۴

(۳) سورة ۱۰ يونس آية ۲۷

التبيان في تفسير القرآن، ج۵، ص: ۸۷

الذي لا يثبت عليه القدم.

و الثاني- الصبر الذي أفرغه عليهم عند ذلك حتى ثبتوا لعدوهم- في قول أبي عبيدة و الزجاج-. و «إذ» في موضع نصب على معنى و ما جعله اللَّه إلا بشرى في ذلك الوقت، و يجوز على تقدير اذكروا «إذ يغشاكم».

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۱۲] ..... ص : ۸۷

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ (۱۲)

معنى الآية اذكروا «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ» يعني بالمعونة و النصرة، كما يقال: فلان مع فلان بمعنى ان معونته معه. و ذكر الفراء قال:

كان الملك يأتي الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه و آله فيقول سمعت المشركين يقولون، و اللَّه لئن حملوا علينا لنكشفن، فيحدث المسلمون بعضهم بعضاً فيقوى أنفسهم بذلك و «الإيحاء» إلقاء المعنى إلى النفس من وجه يخفى، و قد يكون ذلك بنصب دليل يخفى إلا على من ألقى اليه من الملائكة.

و قوله «فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا» قيل في معناه قولان: أحدهما- احضروا معهم الحرب. و الثاني- قال الحسن: قاتلوا معهم يوم بدر. و قال قوم: معنى ذلك الاخبار بأنه لا بأس عليهم من عدوهم.

و قوله «سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» اخبار من اللَّه تعالى انه يلقي في قلوب الكفار الرعب، و هو الخوف. تقول: رعبته أرعبه رعباً و رعباناً، فانا راعب، و ذاك مرعوب. و «الرعب» انزعاج النفس بتوقع المكروه. و اصل الرعب التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعيباً: إذا قطعته مستطيلا. و الرعب يقطع حال التبيان في تفسير القرآن، ج۵، ص: ۸۸

السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه. و جارية رعبوبة إذا كانت شطنة مشبهة بقطعة من السنام. و رعب السيل فهو راعب: إذا امتلأ منه الوادي، لأنه انقطع اليه من كل جهة. و الرعيب من الرجال النصير. قال الراجز:

و لا أجيب الرعب ان دعيت «۱» و قوله «فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ» قيل في معناه ثلاثة أقوال.

أحدها- اضربوا الاعناق- ذهب اليه عطية- و قال غيره اضربوا على الاعناق.

و قال قوم اضربوا فوق جلدة الاعناق.

و قوله «وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ» قال ابن جريج و الضحاك و السدى:

أراد بنان الأطراف من اليدين و الرجلين و الواحد بنانة. و يقال: للإصبع بنانة.

و أصله اللزوم من قولهم: أبنت السحابة إبناناً إذا لزمت. و أبن بالمكان إذا لزمه فسمى البنان بناناً، لأنه يلزم به ما يقبض عليه، قال الشاعر:

ألا ليتنى قطعت منى بنانة و لاقيته فى البيت يقظان حاذرا «۲»

و قال الفراء: أعلمهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس و الأيدى و الأرجل.

و قال الزجاج: أباح اللَّه قتلهم بكل نوع يكون فى الحرب. و «إذ» فى موضع نصب على قوله «وَ لِيَرْبِطَ ... إِذْ يُوحِي» و يجوز على تقدير و اذكروا.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۱۳] ..... ص : ۸۸

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (۱۳)

أخبر اللَّه تعالى أنه فعل بهؤلاء الكفار، ما فعل و امر بقتلهم و ضرب أعناقهم

---

(۱) قائله رؤبة. اللسان (رعب) و يروى (إن رقبت)

(۲) قائله عباس بن مرداس اللسان و التاج (بنن) و مجاز القرآن ۱/ ۲۴۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۸۹

و قطع بنانهم جزاء بما شاقوا اللَّه و رسوله. قال الزجاج: معناه جانبوا اللَّه، اى صاروا فى جانب غير جانب المؤمنين، و مثله حاربوا اللَّه. و «الشقاق» أصله الانفصال من قولهم: انشق انشقاقاً، و شقه شقاً، و اشتق القوم إذا مر بينهم، و شاقه شقاقاً إذا صار فى شق عدوه عليه، و تشقق تشققاً، و شقق تشقيقاً، و منه اشتقاق الكلام لأنه انفصال الكلمة عما يحتمله الأصل. و معنىَاقُّوا اللَّهَ»

شاقوا اولياء اللَّه كما قال «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «۱». و قولهَ مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ»

يجوز فى العربية الاظهار و الإدغام، فاما أن يأتى على الأصل للحاجة إلى حركة الأول، و إما ان يحرك الثانى- لالتقاء الساكنين- بالكسر. و يجوز الفتح و الأول أجود مع الألف و اللام لتأكد سببه.

و قولهَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ»

شدة العقاب عظمه بجنس فوق جنس أدنى منه، لأن العظم على ضربين: أحدهما- بالتضاعف فى المرتبة الواحدة. و الثانى- بالترقى الى مرتبة بجنس يخالف الجنس الذى فى ادنى مرتبة.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۱۴] ..... ص : ۸۹

ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ (۱۴)

العامل فى «ذلكم» يحتمل احد وجهين: أحدهما- الابتداء على تقدير الأمر «ذلكم»، قال الزجاج: من قال: إنه يرفع «ذلكم» بما عاد عليه من الهاء او بالابتداء و جعل «فذوقوه» الخبر، فقد أخطأ، لأن ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ لا يجوز «زيد فمنطلق» و لا «زيد فاضربه» الا ان تضمر هذا كقول الشاعر:

و قائلهٔ خولان فانکح فتاتهم و أکرومهٔ الحیین خلو کما هیا «۲»

أی هذه خولان. الثانی- أن یکون نصباً بذوقوا، کما تقول: زیداً فاضربه.

---

(۱) سورهٔ ۳۳ الأحزاب آیهٔ ۵۷ [.....]

(۲) اللسان (خلا)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۹۰

و الکاف فی قوله «ذلکم» لا موضع له من الاعراف لأنه حرف خطاب، و لو کان اسماً لجاز أن یؤکد بالنفس و ذلک غیر جائز اجماعاً. و الاشارهٔ بذلک الی ما تقدم من انواع العقوبات، و انما ضم الی الکاف المیم، لأنه خطاب للمشرکین.

و قوله «فذوقوه» فالذوق طلب ادراک الطعم بتناول الیسیر بالفم کما ان الشم طلب ادراک الرائحهٔ بالأنف، و لیس بالإدراک، لأنه یقال ذقته فلم أجد له طعماً، و شممته فلم أجد له رائحهٔ، و انما قال «فذوقوه» و الذوق الیسیر من الطعام، لان المعنی کونوا للعذاب کالذائق للطعام، لأن معظمه بعده. و قیل: لان الذائق أشد احساساً بالطعم من المستمر علیه، فکأن حالهم ابداً حال الذائق فی شدهٔ إحساسه نعوذ باللَّه منه.

و قوله «و أن للکافرین» فموضع «أن» یحتمل النصب و الرفع، فالرفع بالعطف علی ذلکم کأنه قال «ذلکم، فذوقوه» و ذلکم «أَنَّ لِلْکافِرِینَ عَذابَ النَّارِ» مع ذا و النصب من وجهین: أحدهما- و بان للکافرین، و الآخر- و اعلموا ان للکافرین، کما أنشده الفراء:

تسمع للأحشاء منه لغطا و للیدین جسأهٔ و بددا «۱»

ای و تری للیدین و انما قدم الخبر فی قوله: «وَ أَنَّ لِلْکافِرِینَ» علی الاسم لدلالته علی الکفر الذی هو السبب للعذاب. و مرتبهٔ السبب قبل المسبب.

قوله تعالی:[سورهٔ الأنفال (۸): آیهٔ ۱۵] ..... ص : ۹۰

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ (۱۵)

---

(۱) معانی القرآن للفراء ۱/ ۴۰۵. (اللغط) الأصوات المبهمهٔ، و الجسأهٔ- بضم الجیم- الخشونهٔ و الصلابهٔ و الغلظ. و البدد تباعد ما بین الیدین.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۹۱

هذا خطاب للذین آمنوا من بین المکلفین ناداهم اللَّه لیقبلوا الی امر اللَّه بما یأمرهم به و انتهائهم عما ینهاهم عنه بالتأمل له و التدبر لموجبه لیعملوا به و یکونوا علی یقین منه. و قوله «إِذا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا» فالالتقاء الاجتماع علی وجه المقاربهٔ لأن الاجتماع قد یکون علی غیر وجه المقاربهٔ، فلا یکون لقاء کاجتماع الاعراض فی المحل الواحد. و «الَّذِینَ کَفَرُوا» هم الذین جحدوا نعم اللَّه او من کان بمنزلهٔ الجاحد.

فالمشرک کافر، لأنه فی حکم الجاحد لنعم اللَّه إذ عبد غیره.

و قوله «زحفاً» نصب علی المصدر، فالزحف هو الدنو قلیلا قلیلا و التزاحف التدانی، زحف یزحف زحفاً، و ازحفت القوم إذا دنوت لقتالهم و ثبت لهم، و المزحف من الشعر الذی قد تدانت حروفه علی ما أبطلت وزنه.

و قوله: «فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ» نهی لهم عن الفرار عن الفرار عند لقائهم الکفار و قتالهم إیاهم.

قوله تعالی:[سورهٔ الأنفال (۸): آیهٔ ۱۶] ..... ص : ۹۱

وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۱۶)

اخبر اللَّه تعالى ان «مَنْ يُوَلِّهِمْ» يعنى الكفار «يومئذ» يوم القتال «دبره فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ». و التولية جعل الشىء يلى غيره و هو متعد الى مفعولين. ولاه دبره إذا جعله يليه، و منه ولاه البلد من ولاية الامارة، و تولى هو إذا قبل الولاية و أولاه نعمة، لأنه جعلها تليه.

و قوله «يومئذ» يجوز اعرابه و بناؤه، فاعرابه لأنه متمكن أضيف على تقدير الاضافة الحقيقية، كقولك هذا يوم ذلك، و أما البناء فلانه أضيف الى مبنى اضافة غير حقيقية، فأشبه الأسماء المركبة. و قوله «إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ» فالتحرف الزوال التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۹۲

من جهة الاستواء الى جهة الحرف. تقول تحرف تحرفاً، و انحرف انحرافاً و حرفه تحريفاً و احترف احترافاً، لأنه يقصد جهة الحرف لطلب الرزق، مثل ابعد فى طلب الرزق، و المحارف المحدود من جهة الرزق الى جهة الحرف و منه حروف الهجاء لأنها أطراف الكلمة كحرف الجبل، و نحوه.

و قوله «أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ» فالتحيز طلب حيز يتمكن فيه، تحيز تحيزاً و انحاز انحيازاً و حازه يحوزه حوزاً، و الحيز المكان الذى فيه الجوهر. و الفئة القطعة من الناس، و هى جماعة منقطعة عن غيرها. و ذكر الفئة فى هذا الموضع حسن جداً، و هو من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعته.

و فى تناول الوعيد لكل فار من الزحف خلاف.

فقال الحسن و قتادة و الضحاك: انما كان ذلك يوم بدر خاصة.

و قال ابن عباس:

هو عام، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام.

ثم اخبر تعالى ان من ولى دبره على غير وجه التحرف للقتال، او التحيز الى الفئة انه باء بغضب من اللَّه. أى رجع بسخطه تعالى و استحقاق عقابه. و ان مستقره «جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» هى لمن صار اليها.

و قوله «مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ» نصب على الحال، و تقديره الا ان يتحرف لأن يقاتل، و كذلك «متحيزاً» نصب على الحال و تقريره حال تحيزه الى فئة، و يجوز النصب فيهما على الاستثناء، و تقديره الا- رجلا- متحيزاً او يكون متفرداً، فينحاز ليكون مع المقاتلة. و اصل متحيز متحيوز فأدغمت الياء فى الواو بعد قلبها ياء.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۱۷] ..... ص : ۹۲

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۱۷)

آية بلا خلاف. بيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۹۳

قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى و خلف «و لكن الله قتلهم ... و لكن الله رمى» بالتخفيف فيهما و رفع اسم اللَّه فيهما. الباقون بتشديد النون و نصب «اللَّه».

نفى اللَّه ان يكون المؤمنون قتلوا المشركين يوم بدر فقال «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ» و إنما نفى القتل عمن هو فعله على الحقيقة و نسبه الى نفسه و ليس بفعل له من حيث كانت أفعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل، و المؤدى اليه من إقداره إياهم و معونته لهم و تشجيع قلوبهم فيه، و إلقاء الرعب فى قلوب أعدائهم المشركين حتى خذلوا و قتلوا على شركهم عقاباً لهم. و قوله «وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى مثل الأول فى انه نفى الرمى عن النبى صلى الله عليه و آله و إن كان هو الرامى و أضافه الى نفسه من حيث كان بلطفه، و أقداره.

و هذه الرمية

ذكر جماعة من المفسرين، كابن عباس و غيره: أن النبى صلى الله عليه و آله أخذ كفاً من الحصباء فرماها فى وجوههم، و قال: شاهت الوجوه، فقسمها اللَّه تعالى على أبصارهم، و شغلهم بأنفسهم حتى غلبهم المسلمون، و قتلوهم كل مقتل.

و قال بعضهم: أراد بذلك رمى النبى صلى الله عليه و آله أبى امية بن الخلف الجمحى يوم احد فأصابه فقتله. و قال آخرون: أراد بذلك رمية سهمه يوم خيبر، فأصاب ابن أبى الحقيق فى فراشة رأسه، فقتله. و الأول أشهر الأقوال.

فأما تعلق من تعلق بذلك من الغلاة، بأن قال: لما قال «وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى - و كان النبى هو الرامى- دل ذلك على انه هو اللَّه تعالى، فهو جهل و قلة معرفة بوجوه الكلام لأنه لو كان على ما قالوه لكان الكلام متناقضاً، لأنه خطاب للنبى صلى الله عليه و آله بأنه لم يرم، فان كان هو اللَّه تعالى فالى من توجه الخطاب؟ و إن توجه اليه الخطاب دل على ان اللَّه غيره. و أيضاً فإذا كان هو اللَّه فقد نفى عنه الرمى فإذا أضافه بعد ذلك الى اللَّه كان متناقضاً على انه قد دلت الأدلة العقلية على ان اللَّه ليس بجسم، و لا حال فى جسم، فبطل قول من قال إن اللَّه كان حل فى محمّد صلى الله عليه و آله و ليس هذا موضع نقضه. و قد ذكرنا الكلام فى ذلك و استوفيناه فى الأصول.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۹۴

و أما من قال: إن الفعل واحد، و هو من اللَّه تعالى بالإيجاد، و من العبد بالاكتساب فباطل، لأنه خلاف المفهوم من الكلام، و لو كان كذلك لم يجز أن ينفى عنه إلا بتقييد كما لا ينفى عن اللَّه الا بتقييد.

و قوله «وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً» معناه لينعم عليهم نعمة حسنة.

و المعنى و لينصرهم اللَّه نصراً جميلا و يختبرهم بالتى هى احسن، و معنى يبليهم- هاهنا- يسدى اليهم. و قيل للنعمة بلاء و للمضرة أيضاً مثل ذلك، لأن أصله ما يظهر به الأمر من الشكر أو الصبر، و منه يبتلى بمعنى يختبر و يمتحن و سميت النعمة بذلك لإظهار الشكر، و الضر لإظهار الصبر الذى يجب به الأجر.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه انه يسمع دعاء من يدعوه و يعلم ما له فيه من المصلحة فيجيبه اليه.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۱۸] ..... ص : ۹۴

ذلِكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِينَ (۱۸)

قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم: «موهن» خفيفة منونة.

و قرا ابو عمرو و ابن كثير و نافع شديدة. و قرأ حفص عن عاصم خفيفة مضافة و خفض «كيد». و قرأ الباقون بنصب كيد.

تقول: و هن الشيء و أوهنته انا كما تقول: فرح و أفرحته، و خرج و أخرجته فمن قرأ «موهن» مخففاً فمن اوهن اى جعله واهناً، و من شدد فمن قولهم: و هنته كما تقول خرج و خرجته و عرف و عرفته. و منه قوله «فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ» «۱» و تقول: وهن يهن مثل ومق يمق و ولى يلى، و هو أيضاً ينقل بالهمزة و تثقيل العين ايضاً و الأمران جميعاً حسنان، و اختار الأخفش القراءة بالتخفيف. و الوهن الضعف و منه قولهم: توهن توهناً اى ضعف، و من قال قوله «ذلكم» فى موضع رفع قال

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۶۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۹۵

الزجاج: تقديره الامر «ذلِكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ» و الامر ان اللّه.

و قوله «ذلكم» اشارة الى قتل المشركين و رميهم حتى انهزموا و ابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم و إمكانهم من قتلهم و اسرهم فعلنا الذى فعلناه. و معنى «وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِينَ» يضعف مكرهم حتى يذلوا و يهلكوا. و فى فتح «أن» من الوجوه ما فى قوله

«ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ، وَ أَنَّ لِلْكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ»- و قد بيناه- و الكيد يقع بأشياء منها الاطلاع على عوراتهم، و منها إبطال حيلتهم، و منها إلقاء الرعب فى قلوبهم، و منها تفريق كلمتهم، و منها نقض ما أبرموا باختلاف عزومهم

قوله تعالى:[سورة الأنفال (٨): آية ١٩] ..... ص : ٩٥

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَ لَوْ كَثُرَتْ وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)

قرأ نافع و ابن عامر و حفص «و ان اللَّه» بفتح الالف. الباقون بالكسر، من فتح الهمزة فوجهه «وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَ لَوْ كَثُرَتْ» و لأن اللَّه مع المؤمنين اى لذلك لا تغنى عنكم فئتكم شيئاً، و من كسر قطعه عما قبله و استأنفه، و قوى ذلك لما روى ان فى قراءة ابن مسعود «و اللَّه مع المؤمنين». و الكسر اختيار الفراء، و من نصب فعلى ان موضعه نصب بحذف حرف الجر، و يجوز ان يكون عطفاً على قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ».

و الاستفتاح طلب النصرة التى بها يفتح بلاد العدو كأنه قال ان تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبى صلى الله عليه و آله. و قال الزجاج: يجوز ان يكون المراد استحكموا لأن الاستفتاح الاستقضاء. و يقال للقاضى: الفتاح، و المعنى فقد جاءكم الحكم من عند اللَّه، و هو قول الضحاك و عكرمة و مجاهد و الزهرى، و الأول قول التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۹۶

ابن عباس و غيره، و المعنيان متقاربان. و قيل فى معنى الاية قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد و الزهرى و الضحاك و السدى و الفراء: انه خطاب للمشركين لأنهم استنصروا بان قالوا: اللهم أقطعنا للرحم، و أظلمنا لصاحبه فانصرنا عليه روى ان أبا جهل قال ذلك.

الثانى- قال ابو على: هو خطاب للمؤمنين و المعنى و ان تعودوا الى مثل ما كان منكم يوم بدر فى الأشر و البطر بالنعمة بعد الإنكار عليكم. و قال الحسن و ان تعودوا لقتال محمّد صلى الله عليه و آله نعد عليكم بالقتل و الأسر يا معشر قريش و جماعة الكفار و ان تنتهوا عن الكفر باللَّه العظيم و رسوله و عن قتال نبيه فهو خير لكم و انفع لكم و اقرب الى مرضاة اللَّه.

و الانتهاء ترك الفعل لأجل النهى عنه، تقول نهيته عن كذا فانتهى، و أمرته فاتمر، على فعل المطاوع و قد يطاوع بأن يقال: كسرته فانكسر، و قد يكون الانتهاء بمعنى بلوغ الغاية.

و قوله تعالى «وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً» معناه انه لن يغنى عنكم جمعكم فى الدفاع عنكم و النصرة- و ان كانوا كثيرين- و إن اللَّه مع المؤمنين بالنصرة لهم و المعونة.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (٨): آية ٢٠] ..... ص : ٩٦

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين، و إنما خصهم بالخطاب، لان غيرهم بمنزلة من لا يعتد به فى العمل بما يجب عليه مع ما فى إفراده إياهم بالخطاب من إعظام لهم و إجلال و رفع من أقدارهم، و إن دخل فى معناه غيرهم.

و الايمان: هو التصديق بما أوجب اللَّه على المكلف او ندبه اليه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۹۷

و قال الرمانى: هو التصديق بما يؤمن من العقاب مع العمل به.

امر اللَّه تعالى المؤمنين أن يطيعوا اللَّه و رسوله، و الطاعة هى امتثال أمره و موافقة إرادته الجاذبة الى الفعل بطريق الرغبة او الرهبة، و الاجابة موافقة الارادة فيما يعمل من أجلها. و قوله «وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ» معناه و لا تعرضوا عن أمره و نهيه و أنتم تسمعون دعاءه لكم، فنهاهم عن التولى فى هذه الحال. و قال الحسن:

معناه و أنتم تسمعون الحجة.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۲۱] ..... ص : ۹۷

وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ (۲۱)

«وَ لا تَكُونُوا» فى موضع جزم و حذف النون دلالة على الجزم.

نهى اللَّه تعالى المؤمنين الذين خصهم بالذكر فى الآية الاولى عن ان يكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا يسمعون، و فى الكلام حذف المنهى عنه، لأنه قد دل عليه من غير جهة الذكر له، و فى ذلك غاية البلاغة، و التقدير و لا يكونوا فى قولهم المنكر هذا «كالذين» و التشبيه على ثلاثة أوجه: أعلى و أدنى و أوسط، فالأعلى هو الذى حذف معه أداة التشبيه، كقولهم للإنسان: هذا الأسد، و الأوسط تثبت معه مجردة كقوله «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ» «۱» و الأدنى تأتى معه مقيدة كقولهم الجسم كالعرض فى الحدوث.

و معنى قوله «قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ» معناه سمعنا سماع عالم قابل، و ليسوا كذلك، و هو من صفة المنافقين فى قول ابن إسحاق و أبى على. و قال الحسن: يعنى به أهل الكتاب. و قيل: هو من صفة المشركين، فجعلوا بمنزلة من لا يسمع فى أنهم لم ينتفعوا بالمسموع. و قال ابو على: هى نفى القبول من قولك

---

(۱) سورة ۲۴ النور آية ۳۹

سمع اللَّه لمن حمده. و قال الزجاج: يعنى الذين قالوا «لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا» فسماهم اللَّه لا يسمعون لأنهم استمعوا استماع عداوة و بغضاء فلم يتفهموا و لم يتفكروا فكانوا بمنزلة من لم يسمع. و قال ابن إسحاق: أراد به الذين يظهرون الايمان و يسرون النفاق.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۲۲] ..... ص : ۹۸

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (۲۲)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ» و الشر إظهار السوء الذى يبلغ من صاحبه و هو نقيض الخير. و قيل الشر الضر القبيح، و الخير النفع الحسن. و قيل الشر الضر الشديد. و الخير النفع الكثير، و اصل الشر الاظهار من قول الشاعر:

كما اشرّت بالأكف المصاحف «۱»

اى أظهرت، و شر الرجل يشر شرّاً و شررت الثوب إذا بسطته فى الشمس و شرر النار ما تطاير منه لظهوره بانتشاره و تفرقه، و منه الشر و هو ما يظهر من الضرر كشرر النار.

و الدواب جمع دابة و هى ما دب على وجه الأرض إلا انه تخصص فى العرف بالخيل دب يدب دبيباً.

فبين ان هؤلاء الكفار شر ما دب على الأرض من الحيوان. ثم شبههم بالصم

---

(۱) نسب الى كعب بن جعيل. و قيل هو لابن الحمام المرى. و قيل لابن جهمة الأسدى راجع: وقعة صفين: ۳۳۶، ۴۱۱، و اللسان «شرر» و روايته:

فما برحوا حتى رأى اللَّه صبرهم و حتى أشرت بالأكف المصاحف

و أشرت- بتشديد الراء المفتوحة، مبنى للمفعول- اى أظهرت بكثرة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۹۹

البكم الذين لا يعقلون من حيث لم ينتفعوا بما كانوا يسمعون من وعظ اللّه و لا يتكلمون بكلمة الحق، و الصمم آفة فى الاذن تمنع السمع، صم يصم صمماً و هو أصم. و صمم على الامر إذا حقق العزم عليه و تصام عن القول إذا تغافل عنه. و عود أصم خلاف المجوف و أصله المطابقة من غير خلل. و البكم الخرس: الذى يولد به صاحبه لأنه قد يكون لآفة عارضة، و قد يكون لآفة لازمة.

و

قال ابو جعفر عليه السلام نزلت الآية فى بنى عبد الدار لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير و حليف لهم يقال له سويبط.

و قيل: نزلت الآية فى النضر ابن الحارث بن كلدة من بنى عبد الدار بن قصى.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۲۳] ..... ص : ۹۹

وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (۲۳)

معنى الآية ان اللّه تعالى اخبر انه لو علم فيهم. يعنى هؤلاء الكافرين انهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه و آياته لأسمعهم إياها و لم يخلف عنهم شيئاً منها و إن كان قد أزاح علتهم فى التكليف بما نصب لهم من الأدلة الموصلة الى الحق، و لكنهم لا يصلحون بل يتولون و هم معرضون.

و قال ابن جريج و ابن زيد: لأسمعهم الحجج و المواعظ سماع تفهم.

و قال ابو على: لأسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا إحياءهم من قصى بن كلاب و غيره و قال الزجاج: لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه.

و الاعراض خلاف الإقبال و هو الانصراف بالوجه عن جهة الشيء و الإقبال الانصراف بالوجه الى جهته و الاستماع إيجاد السماع بإيجاده و التعريض له. فان اللّه تعالى يسمعهم بأن يوجد السماع لهم، و الإنسان يسمعهم بأن يعرضهم للسماع التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۰۰

الذى يوجد لهم، هذا على مذهب من قال: إن الإدراك معنى، و من قال: انه ليس بمعنى، فمعنى الاسماع هو ان يوجد من كلامه الدال على ما يجب أن يسمعوه لكونهم أحياء لا آفة بهم فى حواسهم.

و قال الزجاج المعنى «وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ» كلما يسألون عنه و لو أسمعهم كلما يخطر ببالهم لتولوا و هم معرضون. و قال الحسن: هو إخبار عن علمه كما قال «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «۱».

و فى الآية دلالة على بطلان قول من يقول: يجوز ان يكون فى مقدوره لطف لو فعله بالكافر لآمن

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۲۴] ..... ص : ۱۰۰

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۲۴)

امر اللّه تعالى المؤمنين ان يجيبوا اللّه و الرسول إذا دعاهم و ان يطلبوا موافقته و الاستجابة طلب موافقة الداعى فيما دعا اليه على القطع به. و قال ابو عبيدة و الزجاج:

معنى استجيبوا أجيبوا. و قال كعب بن سعد الغنوى:

وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب «۲»

اى لم يجبه. و الفرق بين الدعاء الى الفعل و بين الامر به أن الامر فيه ترغيب فى الفعل المأمور به، و يقتضى الرتبة، و هى ان يكون

متوجهاً الى من دونه، و ليس

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۲۸

(۲) مر هذا البيت فى ۱/ ۸۶ و ۲/ ۱۳۱ و ۳/ ۸۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۰۱

كذلك الدعاء لأنه يصح من دونك لك.

و قوله «إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- دعاكم الى احياء أمركم بجهاد عدوكم مع نصر اللَّه إياكم، و هو قول ابن إسحاق و الفراء و الجبائى. و قال البلخى: معناه لما يبقيكم و يصلحكم و يهديكم و يحيى أمركم.

الثانى- معناه لما يورثكم الحياة الدائمة فى نعيم الاخرة من اتباع الحق: القرآن الثالث- معناه لما يحييكم بالعلم الذى تهتدون به من اتباع الحق، و الاقتداء بما فيه.

و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- ان يفرق بين المرء و قلبه بالموت او الجنون و زوال العقل. فلا يمكنه استدراك ما فات. و المعنى بادروا بالتوبة من المعاصى قبل هذه الحال.

الثانى- ان معناه بادروا بالتوبة لأنه اقرب الى المرء من حبل الوريد لا يخفى عليه خافية من سره و علانيته و فى ذلك غاية التحذير.

و الثالث- تبديل قلبه من حال الى حال لأنه مقلب القلوب من حال الأمن الى حال الخوف و من حال الخوف الى حال الأمن على ما يشاء.

و

روى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام فى معنى قوله «يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ» قال لا- يستيقن القلب أن الحق باطل أبداً و لا- يستيقن أن الباطل حق ابداً.

فأما من قال من المجبرة: إن المراد إن اللَّه يحول بين المرء و الايمان بعد أمره إياه به فباطل، لأنه تعالى لا يجوز عليه أن يأمر أحداً بما يمنعه منه و يحول بينه و بينه، لان ذلك غاية السفه، تعالى اللّه عن ذلك. و ايضاً فلا احد من الامة يقول: إن الايمان مستحيل من الكافر، فإنهم و ان قالوا إنه لا- يقدر على الايمان يقولون يجوز منه الايمان و يتوقع منه ذلك، و من ارتكب ذلك فقد خرج من الإجماع. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۰۲

و يحتمل ان يكون المراد ان امر اللَّه بالموت يحول بين المرء و قلبه، كما قال «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ» «۱» أى أمر اللَّه.

و قال قوم: يجوز ان يكون معناه يحول بينه و بين قلبه بان يسلبه قلبه فيبقى حياً بلا قلب و هذا قريب من معنى زوال العقل، قالوا: يجوز أن يكون المراد: انه عالم بما ينظرون اليه، و ما يضمره العبد فى نفسه من معصيته فهو فى المعنى كأنه حائل بينه و بينه، لأن العبد لا يقدر على إضمار شيء فى قلبه إلا- و اللَّه عالم به، و هذا وجه حسن. و روى فى التفسير أن اللَّه يحول بين المؤمن و بين الكفر. و المعنى فى ذلك ان اللَّه يحول بينه و بين الكفر بالوعد و الوعيد، و الامر و النهى، و الترغيب فى الثواب و العقاب. فأما ما روى عن سعيد بن جبير و غيره من ان اللَّه يحول بين الكافر و الايمان فقد بينا ان ذلك لا يجوز على اللَّه. و العقل مانع منه. و لو صح ذلك لكان الوجه فيه ان اللَّه يحول بين الكافر و بين الايمان فى المستقبل بان يميته، لأنه لا يجب تبقيته حتى يؤمن، بل لو أبقاه لكان حسناً، و ان لم يبقه كان ايضاً حسناً. و قوله تعالى «وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» معناه انكم تحشرون يوم القيامه للجزاء على أعمالكم إن خيراً فخير، و إن شراً فشر، فلذلك يجب المبادرة بالطاعة و الاقلاع عن المعصية بالتوبة و ترك الإصرار على القبائح.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (٨): آية ٢۵] ..... ص : ١٠٢

وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (٢۵)

امر اللَّه تعالى المكلفين من خلقه أن يتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة.

و الفتنة البلية التي يظهر بها باطن امر الإنسان فيها. و الفتنة الهرج الذى يركب فيه

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢١٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ١٠٣

الناس بالظلم. قال ابن عباس امر اللَّه المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم اللَّه بالعذاب. و قال عبد اللَّه: هو من قوله تعالى «أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ»

«١» و قال الحسن: الفتنة البلية. و قال ابن زيد: هى الضلالة. و قال الجبائى:

هى العذاب. «لا تصيبن» فالاصابة الإيقاع بالشىء بحسب الارادة، و ضده الخطأ.

يقال: أصاب الغرض او أخطأه.

و قوله «لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» معناه انها تعم لان الهرج إذا وقع دخل ضرره على كل أحد. و يجوز أن يقال يخص الظالم، و لا يعتد بما وقع بغيره للعوض الذى يصل إليه. و يحتمل أن يكون أراد إن هذه العقوبة على فتنتكم لا تختص بالظالمين منكم بل كل ظالم منكم كان أو من غيركم فستصيبه عقوبة ظلمه و فسقه و فتنته و أراد بذلك تحذير الناس كلهم، و أنهم سواء فى المعصية، و ما توجبه من العقوبة ليكون الزجر عاماً.

و فى دخول النون الثقيلة فى «تصيبين» قولان:

أحدهما- قال الفراء: لأنه نهى بعد أمر و فيه معنى الجزاء، كقوله «يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ» «٢» و مثله لا ارينكم هاهنا.

و الثانى- أن يكون خرج مخرج جواب القسم.

و قال الزجاج: يحتمل ان يكون نهياً بعد أمر و تقديره اتقوا فتنة، ثم نهى، فقال «لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى لا يتعرض الذين ظلموا لما ينزل معه العذاب.

و مثله قال فى قوله «لا يحطمنكم» فيكون لفظ النهى لسليمان، و معناه النمل، كما يقول القائل لا أرينك هاهنا، فلفظ النهى لنفسك، و المراد لا تكون هاهنا، فانى أراك.

و «الخاصة» للشىء ما كان له دون غيره و نقيضة العامة.

---

(١) سورة ٨ الانفال آية ٢٨ و سورة ۶۴ التغابن آية ١۵

(٢) سورة ٢٧ النمل آية ١٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ١٠۴

و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ» معناه لمن لم يتق معاصيه و لم يتبع أوامره.

و قال الحسن و السدى و مجاهد و ابن عباس: نزلت هذه الآية فى أهل الجمل.

و قال قتادة قال الزبير: لقد نزلت و ما نرى ان أحداً منا يقع فيها ثم اختلفنا حتى أصابتنا خاصة. و روى ذلك عن الزبير من جهات.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۲۶] ..... ص : ۱۰۴

وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآواكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۲۶)

الذكر ضد السهو، و هو إحضار المعنى للنفس. و إنما أمروا بالتعرض له، لان إحضار المعنى بقلوبهم ليس من فعلهم.

و قوله «إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» فالقلة النقصان عن المقدار فى العدد و كان اصحاب النبى صلى الله عليه و آله قليلين فى الأصل فلطف اللَّه لهم حتى كثروا و عزوا، و قل أعداؤهم و ذلوا و كانوا مستضعفين، فقووا.

و الاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله. و الضعف خلاف القوة.

و الاستضعاف استجلاب ضعفه بتحقير حاله، فامتن اللَّه عليهم بذلك و بين انهم كانوا قليلين فكثرهم و كانوا مستضعفين، فقواهم بلطفه.

و قوله «تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ» فالتخطف الأخذ بسرعة انتزاع، تخطف تخطفاً و خطف خطفاً و اختطف اختطافاً، فبين انهم كانوا خائفين من ان ينال منهم العدو.

و قوله «فآواكم» اى جعل لكم مأوى حريزاً ترجعون إليه و تسكنون فيه التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۰۵

و قال السدى «آواكم» الى المدينة. و قوله، «وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ» يعنى بالأنصار فى قول السدى و قيل فى المعنى بقوله «الناس» قولان:

أحدهما- مشركوا قريش فى قول عكرمة و قتادة.

و قال وهب بن منبة يعنى فارس و الروم.

و قوله «وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ» أى أطعمكم غنيمتكم حلالا طيباً «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لكى تشكروه على هذه النعم المترادفة و الآلاء المتضاعفة.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۲۷] ..... ص : ۱۰۵

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۲۷)

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين ينهاهم ان يخونوا اللَّه و الرسول. و الخيانة منع الحق الذى قد ضمن التأدية فيه. و هى ضد الامانة. و أصل الخيانة ان تنقص من ائتمنك أمانته، قال زهير:

بارزة الفقارة لم تخنها قطاف فى الركاب و لا خلاء «۱»

أى لم تنقص من فراهتها. و المعنى لا تخونوا مال اللَّه الذى جعله لعباده فلا يخن بعضكم بعضاً فيما ائتمنه عليه فى قول ابن عباس. و قال الحسن، و السدى:

لا تخونوه كما صنع المنافقون. و قال الجبائى: نهاهم ان يخونوا الغنائم. و قال ابن زيد: الأمانة هاهنا الدين، نزلت فى بعض المنافقين. و الامانة مأخوذة من الأمن من منع الحق و هى حال يؤمن معها منع الحق الذى تجب فيه التأدية و قوله «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و أنتم تعلمون انها امانة من غير شبهة.

---

(۱) مقاييس اللغة ۱/ ۷۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۰۶

و الثاني- و أنتم تعلمون ما فى الخيانة من الذم و العقاب بخلاف الجهال بتلك المنزلة.

و قوله: «و تخونوا» موضعه الجزم بتقدير، و لا تخونوا فى قول ابن عباس و قال السدى: هو نصب على الظرف «۱» أى إنكم إذا ختنتم الرسول فقد ختنتم أماناتكم. قال الفراء، و مثله قول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأت مثله عار عليك إذا فعلت عظيم «۲»

و حكى الفراء فى بعض القراآت: «و لا تخونوا أمانتكم» و قال جابر بن عبد اللَّه: نزلت الاية فى بعض المنافقين حين انذر أبا سفيان بخروج النبى لأخذ العير. و قال الزهرى:

نزلت فى أبى لبابة فى قصة بنى قريظة و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (عليهما السلام).

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۲۸] ..... ص : ۱۰۶

وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۲۸)

أمر اللَّه تعالى المكلفين ان يعلموا و يتحققوا ان أموالهم و أولادهم فتنة. و إنما يمكنهم معرفة ذلك بالنظر و الفكر فى الأدلة المؤدية إليه، و هو ما يدعو إليه الهوى فى الأموال و الأولاد، و ما يصرف عنه فمن تفقد ذلك و تحرز منه نجاه من مضرته و المراد بالفتنة هاهنا المحنة التى يظهر بها ما فى النفس من اتباع الهوى او تجنبه فيخلص حاله للجزاء بالثواب او العقاب بحسب الاستحقاق.

---

(۱) المقصود من الظرف كونه بعد الواو التى بمعنى (مع)

(۲) قطر الندى ۷۷ الشاهد ۲۳ و قد مر فى أماكن كثيرة من هذا الكتاب

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۰۷

و الولد حيوان يتكون من حيوان بخلق اللَّه له، فعلى هذا لم يكن آدم ولداً و كان عيسى ولد مريم. و المال هو النصاب الذى تتعلق به الزكاة من ذهب او فضة او ابل او بقر او غنم عند بعض المفسرين. و أصله الكسر من العين و الورق.

و (العظيم) استحقاق الصفة بالغنى. فالكثير عظيم للاستغناء بهن القليل من جنسه، و القليل لا يستغنى [به عنه.

بين اللَّه تعالى ان الأموال و الأولاد فى هذه الدنيا محنة و بلاء و ان اللَّه تعالى عنده الثواب العظيم على الطاعات و ترك المعاصى.

و روى عن ابن مسود انه قال: ليس احد منكم إلا و هو مشتمل على فتنة لقوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ» فاسألوا اللَّه تعالى ان يعيذكم منها.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۲۹] ..... ص : ۱۰۷

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۲۹)

هذا خطاب للمؤمنين خاطبهم اللَّه بأنهم ان يتقوا معاصيه و يمتثلوا طاعاته و يتقوا عقابه باجتناب معاصيه يجعل لهم اجراً على ذلك «فرقاناً». و قيل فى معنى الفرقان اقوال:- أحدها- قال ابن زيد و ابن إسحاق يجعل هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق و الباطل.

و قال مجاهد: معناه يجعل لكم محرجاً فى الدنيا و الآخرة.

و قال السدى: معناه يجعل لكم نجاة. و قال الفراء: يجعل لكم فتحاً و نصراً التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۰۸

و عزاً كقوله: «يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» «۱» و قال الجبائى: يجعل لكم نصراً و عزاً و ثواباً لكم، و على أعدائكم خذلانا و ذلا و عقاباً كل ذلك يفرق بينكم و بينهم فى الدنيا و الآخرة.

و انما جاز الشرط فى اخبار اللَّه مع اقتضائه شك المخبر منا من حيث ان اللَّه تعالى يعامل عباده فى الجزاء معاملة الشاك للمظاهرة فى العدل و لذلك جازت صفة الابتلاء و الاختبار لما فى ذلك من البيان ان الجزاء على ما يظهر من الفعل دون ما فى المعلوم مما لم يقع

منه. ثم بين انه يضيف الى ذلك تكفير سيئاتهم و غفران ذنوبهم و سترها عليهم تفضلا منه تعالى.

و قوله «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الجبائى: معناه ان من ابتدأكم بالفضل العظيم لأنه كريم لنفسه لا يمنعكم ما استحققتموه بطاعاتكم له.

الثانى- انه الذى يملك الفضل العظيم فينبغى ان يطلب من جهته.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (٨): آية ٣٠] ..... ص : ١٠٨

وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (٣٠)

خاطب اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله فقال: و اذكر «إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» و المكر القتل الى جهة الشرّ فى خفى و أصله الالتفاف من قول ذى الرمة.

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح و تم الجسم و القصب «٢»

اى ملتفة. و المكر و الختل و الغدر نظائر. و الفرق بين المكر و الغدر ان الغدر نقض العهد الذى يلزم الوفاء به، و المكر قد يكون ابتداء من غير عقد.

---

(١) سورة ٨ الأنفال آية ۴١ [.....]

(٢) مقايس اللغة ۴/ ١٣٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ١٠٩

و وصف اللَّه تعالى بأنه ماكر يحتمل وجهين:

أحدهما- انه سمى الجزاء على المكر مكراً للازدواج، كقوله «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» «١» اى يجازيهم على الاستهزاء فيكون التقدير و اللَّه خير المجازين على المكر، ذكره الزجاج، و الثانى- ان يكون على غير تضمن الحيلة لكن على اصل اللغة. قال ابو على: و مكره بهم حق و صواب «و هو خير الماكرين» مكراً.

و قوله «ليثبتوك» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ليثبتوك فى الوثاق، فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة.

و الثانى- قال عطا و عبد اللَّه بن كثير، و السدى «ليثبتوك» فى حبس و قال ابو على الجبائى: معناه ليخرجوك، يقال: أثبته فى الحرب إذا جرحه جراحة ثقيلة.

و قوله «او يخرجوك» قال الفراء: او يخرجوك على بعير تطرد به حتى تهلك او يكفيكموه بعض العرب. و هو قول أبى البخترى و هشام.

و كان سبب ذلك أنهم تآمروا فى دار الندوة، فقال عمرو بن هشام: قيدوه تتربصون به ريب المنون. و قال البخترى: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه لكم. و قال أبو جهل: ما هذا برأى، و لكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربونه بأسيافهم ضربة رجل واحد، فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب إبليس هذا الرأى و خطأ الأولين و زيفهما، فأوحى اللَّه تعالى إلى نبيه صلى الله عليه و آله بذلك فأمره بالخروج، فخرج إلى الغار، فى قول ابن عباس، و مجاهد و قتادة، و هو قوله «وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ» و لا خلاف بين المفسرين أنه بات علىّ تلك الليلة، و هى الليلة التى أمر النبى صلى الله عليه و آله بالخروج على فراشه إلى أن أصبح، و كانوا يحرسونه إلى الصباح، و لما طلع الفجر ثاروا اليه

---

(۱) سورهٔ ۲ البقرهٔ آیهٔ ۱۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۱۰

فإذا علی، قالوا له أین صاحبک؟ قال: لا أدری، فترکوه و خرجوا فی أثره

قوله تعالى:[سورهٔ الأنفال (۸): آیهٔ ۳۱] ..... ص : ۱۱۰

وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ (۳۱)

اخبر اللَّه تعالی عن عناد هؤلاء الکفار و مباهتتهم للحق بأنهم بلغوا فی ذلک إلی رفع الحق بما لیس فیه شبهة، و هو أنه «إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا» یعنی القرآن قالوا «لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا» و قد أبان التحدی کذبهم فی ذلک و تخرصهم فیه بما ظهر من عجزهم عن سورة مثله، و انما قالوا «لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا» و لم یجز أن یقولوا لو نشاء لقلبنا الجماد حیواناً، لأنه یتموه هذا علی کثیر من الناس و لا یتموه ذلک، علی أن قوم فرعون ظنوا أن السحرة یمکنهم قلب الجماد حیواناً.

و قوله «قد سمعنا» معناه أدرکناه بآذاننا. و السماع إدراک الصوت بحاسة الأذن، و لو لم نذکر الصوت لانتقض بالحرارة و البرودة و الآلام و اللذة إذا أدرک بها، و لا یسمی سماعاً. و علی هذا إذا قیل: ما الرؤیة بالبصر؟ ینبغی أن یقال: هی ادراک المرئیات بها، لأنه قد یدرک الحرارة و البرودة بها. فإذا قلنا المرئیات لم ینتقض بذلک.

ثم أخبر اللَّه تعالی عن قولهم بأن قالوا لیس هذا الذی سمعناه «إِلَّا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ» و الأساطیر جمع واحده أسطورة فی قول الزجاج. و قال غیره: هو جمع أسطر، و اسطر جمع سطر، و زیدت الیاء للمد، کما قالوا دراهم، و أرادوا ما هذا إلا ما سطره من الأحادیث بکتبه سطراً بعد سطر.

قوله تعالى:[سورهٔ الأنفال (۸): آیهٔ ۳۲] ..... ص : ۱۱۰

وَ إِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ کانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ فَأَمْطِرْ عَلَیْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِیمٍ (۳۲)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۱۱

آیة بلا خلاف.

تقدیره و اذکر یا محمد إذ قال هؤلاء الکفار «إِنْ کانَ هذا» القرآن «هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ فَأَمْطِرْ عَلَیْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِیمٍ» شدید مؤلم.

قال سعید ابن جبیر، و مجاهد: کان الطالب لذلک النضر بن الحارث بن کلدة لأنه کان سمع سجع اهل الحیرة و کلام الرهبان، فقتله النبی صلی الله علیه و آله یوم بدر صبراً فقال: یا رسول اللَّه من للصبیة؟ قال النار.

و قیل عقبة بن أبی معیط، و المطعم بن عدی، قتل هؤلاء الثلاثة صبراً من جملة من أسر، و فی النضر نزل قوله «سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْکافِرینَ» «۱» یعنی ما سأله هاهنا. و هذا القول من قائله یجوز أن یکون عناداً، فان المعاند قد تحمله شدة عداوته للحق علی اظهار مثل هذا القول. لیوهم انه علی بصیرة فی أمره. و یجوز أن یکون ذلک لشبهة تمکنت فی نفوسهم.

و قال الجبائی: ذلک دلیل علی اعتقادهم خلاف الحق الذی اتی به النبی صلی الله علیه و آله و هو حجة اهل المعارف، لأنهم لو عرفوا بطلان ما هم علیه، لما قالوا مثل هذا القول.

فان قالوا کیف طلبوا بالحق من اللَّه العذاب و انما یطلب به الخیر و الثواب؟.

قلنا: لأنهم قالوا ذلک علی أنه لیس بحق من اللَّه عندهم. و إذا لم یکن حقاً من اللَّه لم یصبهم البلاء الذی طلبوه.

فان قیل لم قالوا «فَأَمْطِرْ عَلَیْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ» و الأمطار لا یکون إلا من السماء؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أن امطار الحجارة يمكن ان يكون من عل دون السماء.

و الثاني- ان يكون على جهة البيان ب (من).

---

(۱) سورة ۷۰ المعارج آية ۱- ۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۱۲

و الحجارة واحد الأحجار، و هو ما صلب من الأجسام، يقال استحجر الطين إذا صلب، فصار كالحجر. و اكثر ما يقال حجر للمدر، و مع ذلك فالياقوت حجر و لذلك يقال الياقوت أفضل الحجارة، و لا يقال الياقوت أفضل الزجاج، لأنه ليس من الزجاج و كل شيء من العذاب يقال أمطرت و من الرحمة يقال مطرت.

و قوله «هو» يجعل عماداً فى ظننت و أخواتها. و يسميه البصريون صلة زائدة و توكيداً كزيادة (ما) و لا يزاد إلا فى كل فعل لا يستغنى عن خبره، و فى لغة تميم يرفع ذلك كله، فيقولون «إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ» و كذلك قوله «وَ لكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ» «۱» و «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً» «۲» كل ذلك يرفعونه. و على الاول ينصب ما بعدها و مثله قوله «وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» إلى قوله «هُوَ الْحَقَّ» «۳».

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۳۳] ..... ص : ۱۱۲

وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (۳۳)

اخبر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله على وجه الامتنان عليه و اعلامه منزلته عنده انه لا يعذب احداً من هؤلاء الكفار بهذا العذاب الذى اقترحوه على وجه الفساد للحق «و انت» يا محمّد «فيهم» موجود.

و التعذيب تجديد الآلام حالا بعد حال، لأن أصله الاستمرار، فالعذب من استمرار الشيء لما فيه من الملاذ. و العذاب من استمراره لما فيه من الآلام و اللام فى قوله «لِيُعَذِّبَهُمْ» لام الجحد. و أصلها لام الاضافة. و إنما دخلت فى النفى

---

(۱) سورة ۴۳ الزخرف آية ۷۶

(۲) سورة ۷۳ المزمل آية ۲۰

(۳) سورة ۳۴ سبأ آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۱۳

و لم تدخل فى الإيجاب لتعلق الخبر بحرف النفى، كما دخلت الباء فى خبر (ما) و لم تدخل فى الإيجاب.

و إنما لم يعاقب اللَّه تعالى الخلق مع كون النبى صلى الله عليه و آله فيهم على سلامته مما ينزل بهم، لأنه تعالى أرسله رحمة للعالمين. و ذلك يقتضى ألا يعذبهم و هو فيهم.

و قوله «وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» قيل فى معناه أقوال:

أحدها- ان النبى صلى الله عليه و آله لما خرج من مكة بقى فيها بقية من المؤمنين يستغفرون، و هو قول ابن عباس، و عطية، و أبى مالك، و الضحاك، و اختاره الجبائى.

و قال آخرون: أراد بذلك لا يعذبهم بعذاب الاستئصال فى الدنيا، و هم يقولون يا رب غفرانك. و يعذبهم على شركهم فى الآخرة، و ذلك عن ابن عباس فى رواية أخرى، و هو قول أبى موسى، و يزيد بن رومان، و محمّد بن مبشر.

الثالث- أنهم لو استغفروا لم يعذبوا، و فى ذلك استدعاء إلى الاستغفار روى ذلك عن ابن عباس فى رواية أخرى، و به قال مجاهد و

قتادة و السدی و ابن زید.

و قال الزجاج: معناه لا یعذب اللَّه من یؤل إلی الإسلام.

و قال الحسن و عکرمة: هذه الآیة منسوخة بالتی بعدها. قال الرمانی: هذا غلط، لأن الخبر لا ینسخ.

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): آیة ۳۴] ..... ص : ۱۱۳

وَ ما لَهُمْ أَلَّا یُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ یَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما کانُوا أَوْلِیاءَهُ إِنْ أَوْلِیاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ (۳۴)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۱۱۴

(ما) فی قوله «وَ ما لَهُمْ أَلَّا یُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ» خرجت مخرج الاستفهام و معناه إیجاب العذاب، و جاز ذلک، لأنه ابلغ فی معنی الإیجاب، من حیث انه لا جواب- لمن سأل عن مثل هذا- یصح فی نفی العذاب، و المعنی لم لا یعذبهم و هذا فعلهم.

و موضع (أن) نصب بمعنی أی شی‌ء لهم فی أن لا یعذبهم، لکن لما حذف الجار عمل معنی الفعل من الاستقرار، و جاز الحذف مع (أن) و لم یجز مع المصدر لطول (أن) بالصلة اللازمة من الفعل و الفاعل، و لیس کذلک المصدر. و حکی عن الأخفش ان (أن) زائدة مع عملها.

و قوله «وَ هُمْ یَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ» و الصد المنع، و الصد الاعراض عن الشی‌ء من غیر حیلولة بینه و بین غیره و المراد هاهنا المنع.

و قوله: «وَ ما کانُوا أَوْلِیاءَهُ» جمع ولی و هو الذی یستحق القیام بأمر الشی‌ء و یکون أحق به من غیره، فعلی هذا اللَّه تعالی ولی المتقین دون المشرکین. و

قال ابو جعفر علیه السلام و الحسن قال المشرکون: نحن اولیاء المسجد، فرد اللَّه ذلک علیهم، فقال «وَ ما کانُوا أَوْلِیاءَهُ». ثم اخبر اللَّه تعالی «إن أولیاؤه» بمعنی لیس أولیاء المسجد إلا المتقون الذین یترکون معاصی اللَّه و یجتنبونها.

و قال قوم: المعنی إن اولیاء اللَّه إلا المتقون و الاول احسن: لأنه مما یقتضیه الإنکار.

و قیل فی معنی (لا) قولان: أحدهما- ان معناها الجحد ای ما لهم فی الامتناع من العذاب. و قیل هی صلة، لان المعنی إیجاب العذاب، کما قال الشاعر:

لو لم تکن غطفان لا دنوت لها إذن للام ذووا احسابها عمرا «۱»

---

(۱) قائلة الفرزدق دیوانه ۲۸۳ و الخزانة ۲/ ۸۷ و الطبری ۵/ ۳۰۲ و ۱۳/ ۵۱۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۱۱۵

و الاول احسن، لأن المعنی لم لا یعذبهم اللَّه. فان قیل: کیف تجمعون بین الآیتین علی قول من لا ینسخ الاولی، فان فی الاولی نفی ان یعذبهم اللَّه و هم یستغفرون و فی الثانیة اثبت ذلک؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة:

أحدها- ان یکون أراد و ما لهم ان لا یعذبهم اللَّه فی الآخرة و الثانی- ان یکون یعنی بالأولی عذاب الاستئصال کما فعل بالأمم الماضیة و بالثانیة أراد عذاب السیف و الأسر و غیر ذلک و یکون قوله «وَ ما کانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ» ای انه لا یعذبهم بعذاب الدنیا، و الآخرة إذا تابوا و استغفروا.

الثالث- أنه لا یعذبهم ما دام النبی فیهم و ما داموا یستغفرون و إن کانوا یستحقون العذاب بکفرهم و عنادهم.

و قوله: «وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ» دلیل علی بطلان قول من قال المعارف ضرورة.

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): آیة ۳۵] ..... ص : ۱۱۵

وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكاءً وَ تَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۳۵)

روى الحسين الجعفى عن أبى بكر «صلاتهم» نصباً «إِلَّا مُكاءً وَ تَصْدِيَةً» رفع فيهما. و الصواب ما عليه القراء، لان «صلاتهم» معرفة و «مُكاءً وَ تَصْدِيَةً» نكرة و لا يجوز ان يجعل اسم كان نكرة و خبره معرفة. و من قرأ كذلك فلان الصلاة لما كانت مؤنثة و لم يكن فى كان علامة التأنيث أضاف الفعل إلى المذكر و هو «مكاء». و هذا ليس بصحيح، لأن «صلاتهم» لما كان مضافاً إلى المذكر جاز ان يذكر كما ان المذكر إذا أضيف إلى المؤنث جاز ان يؤنث، نحو قولهم: ذهبت بعض أصابعه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۱۶

و معنى الآية الاخبار من اللّه تعالى أنه لم تكن صلاة هؤلاء الكفار الصادين عن المسجد الحرام «إلا مكاء» لئلا يظن ظان ان مع كونهم مصلين و مستغفرين لا يعذبهم اللّه، كما قال فى الآية الاولى، فبين ان صلاتهم كانت مكاء و تصدية.

و المكاء صفير كصفير المكاء. و هو طائر يكون بالحجاز و له صفير قال الشاعر:

و مكا بها فكأنما يمكو بأعصم عاقل «۱»

و أصل المكاء جمع الريح للصفير. و يقال مكا يمكو مكاء إذا صفر بفيه و منه يمكو است الدابة إذا انتفخت بالريح. و الاست: الكوة، و المكو ان يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما فى فيه ثم يصيح. و منه قول عنترة:

و حليل غانية تركت مجدلا تمكو فريضته كشدق الا علم «۲»

اى يصفر بالريح لما طعنه و التصدية التصفيق يقال صدى يصدى تصدية إذا صفق بيديه. و منه الصدى صوت الجبل، و نحوه. و منه تصدى للملك إذا تعرض له ليكلمه. و قال ابن عباس، و ابن عمر، و الحسن، و عطية، و مجاهد، و قتادة و السدى: المكاء الصفير، و التصدية التصفيق، قال الراجز:

ضنت بخد و جلت عن خد فأنا من غر و الهوى أصدى

أى اصفق بيدى تعجباً. و الغرو: العجب.

و قال ابو على الجبائى: كان بعضهم يتصدى لبعض ليراه بذلك الفعل، و كان يصفر له. و قال سعيد بن جبير و ابن زيد: التصدية صدهم عن البيت الحرام. و قيل:

إنهم كانوا يخلطون و يشوشون بذلك على النبى صلى الله عليه و آله.

و إنما سمى مكاؤهم بأنه صلاة لأمرين:

---

(۱) مجاز القرآن ۱/ ۲۴۶

(۲) ديوانه: ۲۴ من معلقته الشهيرة. و اللسان (مكا) و تفسير القرطبى ۷/ ۴۰۰ و الطبرى ۱۳/ ۵۲۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۱۷

أحدهما- انهم كانوا يقيمون فعلهم الصفير و التصفيق مقام الصلاة و الدعاء و التسبيح.

و الاخر- انهم كانوا يعملون كعمل الصلاة مما فيه هذا.

و قوله «فَذُوقُوا الْعَذابَ» قال الحسن، و الضحاك، و ابن جريج، و ابن إسحاق: إن معناه عذاب السيف. و قال ابو على الجبائى: يقال لهم فى الاخرة «فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» فى دار الدنيا و هو قول البلخى. و المعنى باشروه و ليس المراد به من ذوق الفم.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۳۶] ..... ص : ۱۱۷

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (۳۶)

آية في الكوفي و المدنيين وَ آيتان في البَصري خاصة.

أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار بأنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل اللَّه و غرضهم المنع عن سبيل اللَّه. و سبيل اللَّه هاهنا، هو دين اللَّه الذي أتى به محمّد صلى الله عليه و آله و سمى سبيل اللَّه هاهنا، لان بسلوكه و اتباعه يبلغ ما عند اللَّه، و إن لم يعلموا أنها سبيل اللَّه لأنهم قصدوا إلى الصد عنها، و هي سبيل اللَّه على الحقيقة. و يجوز أن يقال قصد الصد عن سبيل اللَّه، و إن لم يعلم. و لا يجوز قصد أن يصد من غير أن يعلم، لأن (أن) تفسر الوجه الذي منه قصد، فلا يكون إلا مع العلم بالوجه كقولك قصد أن يكذب، و قصد الكذب من غير ان يعلم أنه كذب.

و إنما قال «يُنْفِقُونَ» ثم قال «فَسَيُنْفِقُونَها»، لأن الاول معناه ان من التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۱۸

شأنهم ان ينفقوا للصد، و الثاني- معناه انه سيقع الإنفاق الذي يكون حسرة بما يرونه من الغلبة. و الحسرة الغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة. و الأصل الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً و الحاسر خلاف الدارع. و حسر حسرة و هو حسير قال المراد:

ما انا اليوم على شيء خلا يا بنة القين تولى يحسرا «۱»

و كان الإنفاق المذكور في الاية القائم به أبو سفيان: صخر بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من كنانة في قول سعيد، و ابن ابرى، و مجاهد و الحكم ابن عيينة. و في ذلك قال كعب بن مالك:

و جئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر و مقنع

ثلاثة آلاف و نحن نصية ثلاث مئين ان كثرن فأربع «۲»

و قال الضحاك: إنما عنى بالآية الإنفاق يوم بدر.

و في الآية دلالة على نبوة النبي صلى الله عليه و آله لأنه اخبر بالشيء قبل كونه فكان على ما اخبر به.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۳۷] ..... ص : ۱۱۸

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (۳۷)

آية بلا خلاف.

---

(۱) اللسان (حسر). الحسر: الندامة. و القين العبد المملوك.

(۲) سيرة ابن هشام ۳/ ۱۴۱، و طبقات فحول الشعراء: ۱۸۳. و الطبري ۱۳/ ۵۳۰ و مقاييس اللغة ۲/ ۱۲۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۱۹

قرأ حمزة و الكسائي «ليميز» مضمومة الياء مشددة، و الباقون بفتح الياء خفيفاً.

اخبر اللَّه تعالى انه يحشر الكفار إلى جهنم «ليميز الخبيث» الذي هو الكافر «من الطيب» الذي هو المؤمن. (و التمييز) هو إخراج الشيء عما خالفه مما ليس منه، و إلحاقه بما هو منه. تقول مازه يميزه، و ميزه تمييزاً. و امتاز امتيازاً و انماز انميازاً و الخبيث الرديء من كل شيء. و ضده الطيب. و منه خبث الحديد و خبث الفضة، و خبث الإنسان خبثاً، و تخبث تخبثاً، و تخابث تخابثاً و خبثه تخبيثاً و (الطيب) المستلذ من الطعام و الطيب الحلال من الرزق، و الطيب من الولد الذي يفرح به و الطيب نقيض الخبيث، و هو الجيد من كل شيء.

و قيل المعنى ليميز اللَّه ما أنفقه المؤمنون في طاعة اللَّه مما أنفقه المشركون في معاصيه. و قوله «وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ» معناه إن الكافر يكون على أسوء حال كالمتاع و الركام، هواناً، و تحقيراً، و إذلالا.

و قوله «فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً» معناه تراكب بعضه فوق بعض. كالرمل الركام و هو المتراكب. ركمه يركمه ركماً و تراكم تراكماً و ارتكم ارتكاماً. و منه قوله تعالى فى صفة السحاب «ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً» «۱» و قال الحسن يركمهم اللَّه مع ما أنفقوا فى جهنم، كما قال «يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ» «۲» ثم اخبر انه إذا ركمه جميعاً يجعله فى جهنم و اخبر عنهم بأنهم الخاسرون نفوسهم باهلاكهم إياها بارتكاب المعاصى و الكفر المؤدى الى عذاب الأبد

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۳۸] ..... ص : ۱۱۹

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (۳۸)

---

(۱) سورة ۲۴ النور آية ۴۳

(۲) سورة ۹ التوبة آية ۳۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۲۰

أمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول للكفار إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف و المعنى إن أنابوا عن الكفر و المعاصى و تابوا منها توبة خالصة، لأن الكف عن المعاصى مع الإصرار لا يوجب الغفران. و إنما اطلق الوعد فى الآية بالانتهاء عن المعصية، لان الانتهاء عنها لا يكون مع الإصرار عليها، لان الإصرار معصية.

و قوله «وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ» معناه و ان يعودوا، و يرجعوا إلى المعصية «فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ» فى تعجيل العقاب لهم فى الدنيا بعذاب الاستئصال و ما جرى مجراه من الأسر و القتل، يوم بدر، و بالنصر من اللَّه، فى قول الحسن و مجاهد، و السدى.

و السلوف: التقدم، تقول سلف يسلف سلوفاً و أسلف إسلافاً و تسلف تسلفاً و سلفه تسلفاً و تسليفاً و استسلف استسلافاً، و السالفة على العنق، و السلافة أخلص الخمر و أجودها. و السلفان المتزوجان بأختين و السنة الطريقة التى يجرى عليها الامر، و منه قولهم هذا مستمر على سنن واحد.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): الآيات ۳۹ الى ۴۰] ..... ص : ۱۲۰

وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۳۹) وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (۴۰)

آيتان.

أمر اللَّه تعالى بهذه الآية نبيه صلى الله عليه و آله و المؤمنين ان يقاتلوا الكفار «حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» و هى الكفر من غير اهل العهد، و ما جرى مجراه من البغى، لأنهم يدعون الناس إلى مثل حالهم بتعززهم على اهل الحق و تطاولهم فيفتنونهم فى دينهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۲۱

و قال ابن عباس، و الحسن: معناه حتى لا يكون شرك. و قال ابن إسحاق حتى لا يفتن مؤمن عن دينه و الفرق بين قوله «حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» و بين قوله حتى لا يكون كفر هو ان الذليل و الأسير و الشريد لا يفتن الناس فى دينهم لان الذل لا يدعو الى حال صاحبه كما يدعو العزّ.

و قوله «وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» معناه ان يجمع اهل الباطل و أهل الحق على الدين الحق فيما يعتقدونه و يعملون به، فيكون الدين كله حينئذ للَّه بالاجتماع على طاعته و عبادته، و الدين هاهنا الطاعة بالعبادة.

و قوله «فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه فان رجعوا عن الكفر و انتهوا عنه فان اللَّه يجازيهم مجازاة البصير بهم و بأعمالهم

باطنها و ظاهرها لا يخفى عليه شيء منها.

و قوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و ان تولى هؤلاء الكفار و اعرضوا عن الدين الحق و اتباعه فثقوا باللّه و تذكروا ما وعدكم به ايها المؤمنون تسكيناً لنفوسهم و تمكيناً للحق عندهم.

و الثانى- فاعلموا ان اللّه ينصركم عليهم على طريق الأمر بعلم هذا ليكونوا على بصيرة فى ان الغلبة لهم و قوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» شرط. و قوله «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ» امر فى موضع الجواب، و إنما جاز ذلك لان فيه معنى الخبر، فلم يخرج من ان يجب الثانى بالأول، كأنه قال فواجب عليكم العلم بأن اللّه مولاكم او فينبغى ان تعلموا ان اللّه مولاكم.

و المولى هاهنا هو الناصر. و هو الذى يوليكم عن الغلبة. و المولى على اقسام بمعنى الناصر و بمعنى الحليف، و بمعنى المعنق و المعتق. و بمعنى الأولى و الأحق كما قال لبيد:

فقدت كلا الفرجين يحسب انه مولى المخافة خلفها و امامها «۱»

---

(۱) مقاييس اللغة ۲/ ۲۱۲ [.....]

و منه

قول النبى صلى الله عليه و آله «أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل»

، اى من هو اولى بالعقد عليها. و قال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان:

فأصبحت مولاها من الناس كلهم و احرى قريش ان تهاب و تحمدا «۱»

و قال ابو عبيدة: و منه قوله «النار مولاهم» معناه الاولى بهم و استشهد ببيت لبيد المتقدم ذكره. و قد استوفينا اقسام مولى فى غير هذا الموضع «۲» فلا نطول بذكره هاهنا. و التولى عن الدين هو الذهاب عنه الى خلافه و هو و الاعراض بمعنى واحد و التولى فى الدين هو الذهاب إلى جهة الحق و متابعة النبى صلى الله عليه و آله و النصرة له و المعونة له.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۴۱] ..... ص : ۱۲۲

وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۱)

الغنيمة ما أخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال. و هى هبة من اللّه تعالى للمسلمين.

و الفيء ما أخذ بغير قتال فى قول عطا بن السائب، و سفيان الثورى و هو قول الشافعى، و هو المروى فى اخبارنا.

و قال قوم: الفيء و الغنيمة واحد. و قالوا إن هذه الآية ناسخة للتى فى الحشر من قوله

---

(۱) مر هذا البيت فى ۳/ ۱۸۷

(۲) فى ۳/ ۱۸۶، ۱۸۷.

«ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» «۱» لأنه بين فى هذه الآية ان الأربعة اخماس للمقاتلة. و على القول الأول لا يحتاج إلى هذا، و عند أصحابنا

ان مال الفيء للإمام خاصة يفرقه فيمن شاء بعضه في مؤنة نفسه و ذوى قرابته. و اليتامى و المساكين و ابن السبيل من اهل بيت رسول اللّه ليس لسائر الناس فيه شيء. و اما خمس الغنيمة، فانه يقسم عندنا ستة اقسام: فسهم للّه، و سهم لرسوله للنبى، و هذان السهمان مع سهم ذى القربى، للقائم مقام النبى صلى الله عليه و آله ينفقها على نفسه و أهل بيته من بنى هاشم، و سهم لليتامى: و سهم للمساكين: و سهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقى الناس لأن اللّه تعالى عوضهم ذلك عما أباح لفقراء المسلمين و مساكينهم و أبناء سبيلهم من الصدقات إذ كانت الصدقات محرمة على أهل بيت الرسول عليهم السلام و هو قول على بن الحسين بن على بن أبى طالب، و محمّد بن على الباقر ابنه عليهم السلام رواه الطبرى بإسناده عنهما.

و قال الحسين بن على المغربى حاكياً عن الصابونى من أصحابنا، إن هؤلاء الثلاثة فرق لا يدخلون فى سهم ذى القربى و إن كان عموم اللفظ يقتضيه، لأن سهامهم مفردة، و هو الظاهر من المذهب. و الذين يستحقون الخمس عندنا من كان من ولد عبد المطلب، لأن هاشماً لم يعقب إلا منه: من الطالبيين و العباسيين و الحارثيين و اللهبيين، فاما ولد عبد مناف من المطلبيين، فلا شيء لهم فيه، و عند أصحابنا الخمس يجب فى كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب و أرباح التجارات و الكنوز و المعادن و الغوص و غير ذلك مما ذكرناه فى كتب الفقه.

و يمكن الاستدلال على ذلك بهذه الآية، لأن جميع ذلك يسمى غنيمة.

و قال ابن عباس، و ابراهيم، و قتادة، و عطا: الخمس يقسم خمسة أقسام فسهم اللّه و سهم الرسول واحد.

و قال قوم: يقسم أربعة أقسام سهم لبنى هاشم و ثلاثة للذين ذكروا بعد ذلك

---

(۱) سورة ۵۹ الحشر آية ۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۲۴

من سائر المسلمين، ذهب اليه الشافعي.

و قال اهل العراق: يقسم الخمس ثلاثة اقسام، لان سهم الرسول صرفه الأئمة الأربعة إلى الكراع و السلاح.

و قال مالك: يقسم على ما ذكره اللّه. و يجوز للإمام ان يخرج عنهم حسب ما يراه و إنما جاء على طريق الاولى فى بعض الأحوال.

و قال ابو العالية- و هو رجل من صالحى التابعين- يقسم ستة اقسام، فسهم اللّه للكعبة، و الباقى لمن ذكر بعد ذلك.

و قال ابن عباس و مجاهد: ذو القربى هم بنو هاشم، و قد بينا نحن

ان المراد بذى القربى اهل بيت النبى صلى الله عليه و آله: و بعد النبى القائم مقامه، و به قال على بن الحسين عليه السلام

و

روى جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه و آله انهم بنو هاشم، و بنو المطلب

و اختاره الشافعي و قال الحسن و قتادة: سهم اللّه و سهم رسوله و سهم ذى القربى لولى الأمر من بعده و هو مثل مذهبنا.

و قال ابو على الجبائى: إن الأئمة الأربعة جعلوا سهم الرسول و ذى القربى فى الكراع و السلاح و اجمعوا على ان سهم اليتامى و المساكين و ابن السبيل شائع فى الناس بخلاف ما قلناه.

و اليتيم من مات أبوه و هو صغير قبل البلوغ. و كل حيوان يتيم من قبل أمه إلا ابن آدم، فانه من قبل أبيه.

و اما ابن السبيل، فهو المنقطع به فى سفره. و إنما قيل ابن السبيل بمعنى أخرجه إلى هذا المستقر، كما يخرجه أبوه من مستقره لقى محتاجاً.

و المسكين المحتاج الذى من شأنه ان تسكنه الحاجة عما ينهض به الغنى.

و قوله «فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ» قيل فى فتح (ان) قولان: أحدهما- فعلى ان للّه خمسه و حذف حرف الجر فنصب الثانى- انه عطف على (ان)

الاولی و حذف خبر الأولی لدلالة الکلام علیه، و تقدیره اعلموا ان ما غنمتم من شـیء یجب قسـمته و اعلموا ان للّه خمسه. قال الفراء: إنه جزاء بمنزلـة «أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً» قال الرمانی: هـذا غلط التبیان فی تفسـیر القرآن، ج۵، ص: ۱۲۵

لأن (ان) لا تدخل علی الجزاء إلا مع العماد، کما لا تدخل (ان) إلا علی هذا الوجه.

و قوله «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» «۱» معناه اعلموا أنما غنمتم من شـیء لهؤلاء الذین ذکرناهم ان کنتم مؤمنین باللّه مصدقین له فی اخباره و ما أنزله علی عبده محمّد صلی الله علیه و آله من القرآن.

و قال الزجاج یجوز ان یکون قوله «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» متعلقاً بقوله «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ. إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ» ای فأیقنوا ان اللّه ناصرکم إذ کنتم شاهـدتم من نصره ما شاهـدتم. و معنی «يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» یوم بدر و سـمی یوم الفرقان لأنه تمیز اهل الحق مع قلة عددهم من المشـرکین مع کثرة عددهم بنصـر اللّه المؤمنین. و قیل کان یوم السابع عشر من شهر رمضان و قیل

التاسع عشر، سنة اثنتین من الهجرة؟ و هو المروی عن أبی عبد اللّه علیه السلام

ثم قال «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ای هو قادر علی مجازاة من أطاعه بجزیل الثواب، و علی عقاب من عصاه بألیم العذاب.

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): آیة ۴۲] ..... ص : ۱۲۵

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ وَ لكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (۴۲)

---

(۱) سورة ۹ التوبة آیة ۶۴

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۲۶

آیتان فی المدنیین و البصری و آیة واحدة فی الکوفی.

قرأ ابن کثیر و ابو عمرو (بالعدوة) بکسر العین، الباقون بضمها و هما لغتان قال الراعی فی الکسر:

و عینان حمر مآقیهما کما نظر العدوة الجؤذر «۱»

و قال أوس بن حجر فی الضم:

و فارس لا یحل الحی عدوته و لوا سراعاً و ما هموا بإقبال «۲»

و العدوة شـفیر الوادی. و قال البصریون: الکسر اکثر اللغات. و قال احمد ابن یحیی: بالضم اکثر. و قال قوم: هما لغتان سواء، و قرأ نافع و ابو بکر عن عـاصم و ابن کثیر فی روایـة البزی و شـبل «حیی» بإظهـار الیـاءین. و قرأ البـاقون بالإدغـام و إنما جاز الإدغام فی (حیی) للزوم الحرکـة فی الثـانی یجری مجری (ردّوا) إذا أخـبروا عن جماعـة قـالوا: حیوا فخففوا و قـد جـاء مـدغماً، فقـالوا حیوا و من اختـار الاظهـار، فلامتنـاع الإدغام فی مضارعه مضارعه من یحیی فجری علی شاکلته قال الزجاج، لأن الحرف الثانی ینتقل عن لفظ الیاء تقول حیی یحیی فاما احیا یحیی فلا یجوز فیه الإدغام عند البصـریین، لان الثانی إذا سـکن فی الصحیح من المضاعف فی نحو لم یردد کان الاظهار أجود فالمعتل بذلک أولی، لان سـکونه ألزم فلذلک وجه الاظهار فی (یحیی) لأنه أحق من (لم یردد) لان السکون له ألزم و قد أجاز الفراء الإدغام فی یحیی و انشد بیتاً لا یعرف شاعره:

و کأنها بین النساء سبیکة تمشی بشدة بأنها فتعی «۳»

تقـدیر معنی الآیـة و اذکروا أیهـا المؤمنون «إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ» و هی الجهـة التی هی نهایـة الشـیء من احـد جانبیه. و منه قولهم عـدوتا

الوادى. و هما شفيراه و جانباه. و (الدنيا) بمعنى الأدنى الى المدينة. و (القصوى) بمعنى الأقصى

(۱، ۲) تفسير الطبرى ۱۳/ ۵۶۵

(۳) معانى القرآن ۱/ ۴۱۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۲۷

منها الى جهة مكة، و ذلك ان النبى صلى الله عليه و آله و أصحابه نزلوا بالجانب الأدنى إلى المدينة. و قريش نزلت بالجانب الأقصى منها الى مكة فنزلا الوادى بهذه الصفة، قد اكتنفا شفيريه. و قوله «وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» يعنى أبا سفيان و أصحابه فى موضع أسفل منكم الى ساحل البحر. و إنما نصب أسفل، لان تقديره بمكان أسفل. فهو فى موضع خفض، و نصب لأنه لا ينصرف و كان يجوز الرفع على تقدير و الركب أشد سفلا منكم، و من نصب يجوز ان يكون أراد و الركب مكاناً أسفل منكم بجعله ظرفاً. و الذى حكيناه، هو قول الحسن، و قتادة، و ابن إسحاق و مجاهد و السدى.

و اصل الدنيا الدنو بالواو، بدلالة قولهم دنوت إلى الشيء أدنو دنواً، فقلبت الواو ياء. و لم تقلب مثل ذلك فى القصوى، لأنه ذهب بالدنيا مذهب الاسم فى قولهم الدنيا و الاخرة، و ان كان أصلها صفة، فخففت. لأن الاسم أحق بالتخفيف.

و تقول: أدناه ادناء و استدناه استدناء، و تدانوا تدانياً. و داناه مداناة. و (العلو) قرار تحته قرار. و (السفل) قرار فوقه قرار، تقول: سفل يسفل سفلا، و تسفل تسفلا و تسافل تسافلا و سفل تسفيلا، و سافله مسافلة، و هو الأسفل، و هى السفلى.

و قوله «وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ» و المواعدة وعد كل واحد من الاثنين الآخر و تواعدوا تواعداً. و (الاختلاف) مذهب كل واحد من الشيئين فى نقيض الآخر، و منه الاختلاف فى الميعاد لذهاب كل واحد من الفريقين فيما يناقض الميعاد من التقدم و التأخر و الزيادة و النقصان عما انعقد به الميعاد.

و قيل: اختلافهم فى الميعاد بمعنى «لَوْ تَواعَدْتُمْ» أيها المؤمنون على الاجتماع فى الموضع الذى اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد، فى قول ابن إسحاق. و وجه آخر «و لو تواعدتم» من غير لطف اللَّه لكم «لاختلفتم» بالعوائق و القواطع فذكر الميعاد لتأكيد أمره فى الاتفاق و لو لا التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۲۸

لطف اللَّه مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

و قوله «لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا» معناه ليفصل اللَّه امراً كان مفعولا- من عز الإسلام و علو اهله على عبدة الأوثان و غيرهم من الكفار بحسن تدبيره و لطفه.

و قوله «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ» معناه ليهلك من هلك عن قيام حجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرات للنبى صلى الله عليه و آله فى حروبه و غيرها «وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ» يعنى ليستبصر من استبصر عن قيام حجة، فجعل اللَّه المتبع للحق بمنزلة الحى، و جعل الضال بمنزلة الهالك.

و قوله: «وَ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه «سميع» لما يقوله القائل فى ذلك «عليم» بما يضمره، فهو يجازيه بحسب ما يكون منه.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۴۳] ..... ص : ۱۲۸

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۴۳)

التقدير و اذكر يا محمد «إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلًا» و الهاء و الميم كناية عن الكفار الذين قاتلوه يوم بدر «وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ» و هذه الرؤية كانت فى المنام عند اكثر المفسرين. و الرؤيا فى المنام تصور يتوهم معه الرؤية فى اليقظة و

الرؤيا على اربعة اقسام: رؤيا من اللَّه عز و جل، و لها تأويل و رؤيا من وسوسة الشيطان، و رؤيا من غلبة الاخلاط، و رؤيا من الأفكار، و كلها أضغاث أحلام إلا الرؤيا من قبل اللَّه تعالى التى هى إلهام فى المنام يتصور به الشيء التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۲۹ كـأنه يرى فى اليقظـة. و رؤيا النبى صـلى الله عليه و آله هـذه بشارة له، و للمؤمنين بالغلبـة و قال الحسن: معنى «فى منامك» فى عينك التى تنام بها، و ليس من الرؤيا فى النوم، و هو قول البلخى، و هو بعيد، لأنه خلاف الظاهر من مفهوم الكلام.

قـال الرمـانى: و يجوز أن يريه اللَّه الشـيء فى المنـام على خلاـف ما هو به، لأن الرؤيا فى المنام يخيل له المعنى من غير قطع و إن جاء معه تطلع من الإنسـان على المعنى و إنمـا ذلـك على مثل تخييل السـراب ماء من غير تطلع على أنه ماء، فهـذا يجوز ان يفعله اللّه. و لا يجوز ان يلهمه إعتقاد الشيء على خلاف ما هو به. لان ذلك يكون جهلا، و لا يجوز أن يفعله اللَّه تعالى.

و النوم ضـرب من السـهو يزول معه معظم الحس، تقول نـام ينـام نومـاً و نومه تنويمـاً و أنـامه إنامـة و تناوم تناوماً و اسـتنام اسـتنامة. و (المنام) موضع النوم و المضطجع موضع الاضطجاع.

و (القلـة) نقصان عن عـدد، كما أن الكثرة زيادة على عـدد يقال: قل يقل قلـة و قلله تقليلا، و اسـتقل اسـتقلالا و تقلل تقللا. و الشـيء يكون قليلا بالاضافـة إلى ما هو اكثر منه. و يكون كثيراً بالاضافة إلى ما هو أقل منه. و أقل منه. و أقله إقلالا إذا أطاقه فصادفه قليلا فى طاقته، فهو مشتق من هذا و استقل من المرض إذا قوى قوة يزول بها المرض اى وجده قليلا فى قوته لا يعتد به.

و قوله «لَفَشِلْتُمْ» فالفشل ضـعف الوجل لان الضـعف قـد يكون لمرض من غير فزع و قـد يكون من فزع. فالفشل إنما هو الضـعف عن فزع. فشل يفشل فشلا فهو فاشل، و فشله تفشيلا: إذا نسبه إلى الفشل، و تفاشلوا تفاشلا.

و قوله «وَ لَتَنازَعْتُمْ» فالتنازع الاختلاف الـذى يحاول كل واحـد منهم نزع صاحبه مما هو عليه تنازعوا تنازعا، و نازعه منازعة و نزع عن الامر ينزع نزوعاً، و استنزعه إذا طلب نزوعه. و انتزعه إذا اقتلعه عن مكانه.

و قوله «وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ» فالسلامة النجاة من الآفة. سلم يسلم سلامة و أسلمه التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۳۰ إسلاماً إذا دفعه على السلامة، و أسلم الإنسان إذا دخل فى السلامة من جهة الدين و سلمه تسليماً إذا نجاه. و استسلم استسلاماً إذا سلم نفسه للأمر، و تسلم تسلماً إذا طلب السلامة، و استلم الحجر إذا طلب لمسه على السلامة و سالمه مسالمة، و تسالما تسالماً.

و قوله «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» فالصدر الموضع الأجل لكون القلب فيه.

و صـدر المجلس أجله، لأنه موضع الرئيس، و صـدر الـدار مشـبه بصـدر الإنسان لأنه المسـتقبل منه كاسـتقباله من الإنسان يقال صـدر يصدر صدوراً و أصدره اصداراً و تصدر تصدراً و صدره تصديراً و صادره مصادرة، و تصادروا تصادراً.

ففائـدة الآية إن اللَّه لطف للمؤمنين بما لو لم يكن لفشـلوا و لاضـطراب أمرهم و اختلفت كلمتهم. و لكن سـلمهم اللَّه من ذلك بلطفه لهم و إحسانه بهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۴۴] ..... ص : ۱۳۰

وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (۴۴)

التقدير اذكروا أيها المؤمنون إذ يريكموهم، فالهاء و الميم كناية عن المشـركين، و الكاف و الميم كناية عن المؤمنين، أرى اللَّه تعالى الكفار قليلين فى أعين المؤمنين ليشـتد بذلك طمعهم فيهم و جرأتهم عليهم، و قلل المؤمنين فى أعين الكفار لئلا يتأهبوا و لا يستعدوا لقتـالهم و لاـ يكـترثوا بهـم و يظفر بهـم المؤمنـون. و المراد بالرؤيـة هاهنـا الرؤيـة بالبصـر، و هـو الإـدراك بحاسـة البصـر و الرائى هو المـدرك. و العين حاسـة يـدرك بها البصـر، و العين مشتركـة، فمنها عين الماء، و عين الميزان، و عين الركبة، و عين الذهب، و العين النفس، و الالتقاء اجتماع الاتصال، لان الاجتماع التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۳۱

على وجهيـن: اجتمـاع الاتصـال و اجتمـاع فى معنى مـن غير اتصـال كاجتمـاع القـوم فى الـدار، و ان لم يكن هنـاك اتصـال. و يقـال

للعسكرين إذا تصافا التقيا لوقوع العين على العين.

فان قيل كيف قللهم اللّه فى أعينهم مع رؤيتهم لهم؟

قلنا: بأن يتخيلوهم بأعينهم قليلا من غير رؤية على الصحة لجميعهم و ذلك بلطف من ألطافه تعالى مما يصد به عن الرؤية من قتام يستر بعضهم و لا- يستر بعضاً آخر. و روى عن ابن مسعود انه قال رأيناهم قليلا حتى قلت لمن كان الى جانبى أ تراهم سبعين رجلا؟ فقال لى هم نحو المائة. فلما أسرنا رجلا منهم سألناه كم كانوا، فقال ألفاً.

و قوله «لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا» إنما كرره فى هذه الآية مع ذكره فى الآية الاولى، لاختلاف الفائدة، فمعناه فى الآية الاولى «وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ. وَ لكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا» من الالتقاء على الصفة التى حصلتم عليها، و معناه فى الثانية يقلل كل فريق ف. ى عين صاحبه «لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا» من إعزاز الدين بجهادكم على ما دبره لكم. و إنما قال «كانَ مَفْعُولًا» و المعنى يكون مفعولا فى المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان إذ قد علم اللّه انه كائن لا محالة.

و قوله تعالى «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» اى ترجع الأمور الى ملكه و تدبيره خاصة، و يزول ملك كل من ملكه فى دار الدنيا.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (٨): آية ۴۵] ..... ص : ۱۳۱

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۴۵)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۳۲

هذا خطاب من اللّه تعالى للمؤمنين خاصة يأمرهم بأنهم إذا لقوا جماعة من الكفار لحربهم أن يثبتوا و يذكروا اللّه كثيراً، و يستنصروه عليهم لكى يفلحوا و يفوزوا بالظفر بهم، و بالثواب عند اللّه يوم القيامة. و قد بينا ان معنى الايمان هو التصديق بما أوجبه اللّه على المكلفين أو ندبهم اليه. و الفئة الجماعة المنقطعة من غيرها و أصله من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعته. و الثبوت حصول الشيء فى المكان على استمرار، يقال لمن استمر على صفة: قد ثبت كثبوت الطين. و الذكر ضد السهو، و قد يكون الذكر القول من غير سهو. و الفئة المذكورة فى الآية و ان كانت مطلقة، فالمراد بها المشركة او الباغية، لأن اللّه لا يأمر المؤمنين بالثبوت لقتال احد الا من هو بهذه الصفة، و لا يأمر بقتال المؤمنين.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (٨): آية ۴۶] ..... ص : ۱۳۲

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (۴۶)

أمر اللّه تعالى هؤلاء المؤمنين الذين ذكرهم بأن يطيعوا اللّه و رسوله، و لا يختلفوا فيضعفوا عن الحرب. و العامل فى «فتفشلوا» الفاء التى هى بدل من (أن) على معنى جواب النهى كقولك لا تأت زيداً فيهينك، و لذلك عطف بالنصب فى قوله «وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ» عليه.

و قوله «وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ» معناه كالمثل أى ان لكم ريحاً تنصرون بها يقال ذهب ريح فلان اى كان يجرى فى أمره على السعادة بريح تحمل اليها، فلما ذهبت وقف أمره، فهذه بلاغة حسنة. و قيل: المعنى ريح النصرة التى يبعثها اللّه مع من ينصره على من يخذله، فى قول قتادة و ابن زيد. و قيل: تذهب دولتكم، من قولهم ذهب ريحه، أى ذهبت دولته. فى قول أبى عبيدة و أبى على. و قال عبيد التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۳۳

ابن الأبرص:

كما حميناك يوم النعف من شطب و الفضل للقوم من ريح و من عدد «۱»

اى من ريح عز و من عدد. و

قال أبو جعفر علیه السلام: هذه الآیة نزلت حین أشار خباب بن المنذر علی النبی صلی الله علیه و آله ان ینتقل من مکانه حتی ینزلوا علی الماء و یجیؤهم من خلفهم، فقال بعضهم لا تنغفر معصاتک یا رسول اللَّه. فتنازعوا، فنزلت الآیة و عمل النبی صلی الله علیه و آله علی قول خباب.

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): آیة ۴۷] ..... ص : ۱۳۳

وَ لا تَکُونُوا کَالَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النَّاسِ وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ وَ اللَّهُ بِما یَعْمَلُونَ مُحِیطٌ (۴۷)

نهی اللَّه تعالی المؤمنین فی هذه الآیة ان یکونوا مثل «کَالَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النَّاسِ» و هم قریش، لما خرجت لتحمی العیر، فلما نجا ابو سفیان أرسل الیهم ان ارجعوا، فقد سلمت عیرکم و هم بالجحفة: فقال أبو جهل و اللَّه لا نرجع حتی نرد بدراً و ننحر جزراً، و نشرب خمراً و تعزف علینا القیان و یرانا من غشینا من اهل الحجاز، ذکره ابن عباس و مجاهد و عروة بن الزبیر و ابن إسحاق. و البطر الخروج عن موجب النعمة- من شکرها، و القیام بحقها- الی خلافه. و أصله الشق فمنه البیطار الذی یشق اللحم بالمبضع، و بطر الإنسان بطراً و أبطره کثرة النعمة علیه إبطاراً و بطره تبطیراً. و الرئاء اظهار الجمیل مع ابطان القبیح تقول: راءی یرائی مراءاة و ریاء. و المرائی رجل سوء لما بینا. و النفاق اظهار الایمان مع ابطان الکفر. و الصد المنع. و قیل هو جعل ما یدعو إلی الاعراض

---

(۱) دیوانه: ۴۹ و الطبری ۱۳/ ۵۷۵ و اعجاز القرآن للباقلانی: ۱۳۱ و (النعف) ما انحدر من حزونة الجبل و (شطب) اسم جبل.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۳۴

فهؤلاء یصدون عن سبیل اللَّه بما یدعون الناس إلی الاعراض عنها من معادات أهلها و قتالهم علیها و تکذیبهم بما جاء به الداعی الیها. و الفرق بین الصد و المنع أن المنع ما یتعذر معه الفعل و الصد ما یدعو الی ترک الفعل.

و قوله «وَ اللَّهُ بِما یَعْمَلُونَ مُحِیطٌ» معناه یحتمل أمرین: أحدهما- انه یحیط علمه بما یعملونه. الثانی- انه قادر علی جزاء ما یعملونه من ثواب أو عقاب.

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): آیة ۴۸] ..... ص : ۱۳۴

وَ إِذْ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَکُمُ الْیَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّی جارٌ لَکُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَکَصَ عَلی عَقِبَیْهِ وَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ إِنِّی أَخافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِیدُ الْعِقابِ (۴۸)

التقدیر: و اذکر «إِذْ زَیَّنَ لَهُمُ» یعنی المشرکین «زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ» بمعنی حسنها فی نفوسهم و التزیین هو التحسین. و المعنی أن إبلیس حسن للمشرکین أعمالهم و حرضهم علی قتال محمّد، و خروجهم من مکة، و قوی نفوسهم، و قال لهم «لا غالِبَ لَکُمُ الْیَوْمَ مِنَ النَّاسِ». تقول غلب یغلب غلبة، فهو غالب، و غالبه مغالبة و تغالبا تغالباً و غلبه تغلیباً. و الغلبة القهر للمنازع، و الملک لأمره.

و قوله «وَ إِنِّی جارٌ لَکُمْ» حکایة عما قال إبلیس للمشرکین، فانه قال لهم انی جار لکم، لأنهم خافوا بنی کنانة لما کان بینهم، فأراد إبلیس بأن یسکن خوفهم، و الجار هو الدافع عن صاحبه السوء أجاره یجیره جواراً. و منه قوله «وَ هُوَ یُجِیرُ وَ لا یُجارُ عَلَیْهِ» «۱» ای یعقد لمن أحب دفع الضرر عنه من کل احد

---

(۱) سورة ۲۳ المؤمنون آیة ۸۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۳۵

و لا یعقد علیه، فالجار المجیر. و قوله «فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ» معناه، فلما التقتا و رأی بعضهم بعضاً «نکص» یعنی إبلیس «عَلی عَقِبَیْهِ» و

النكوص هو الرجوع قهقرى خوفاً مما يرى. نكص ينكص نكوصاً، قال زهير.

هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا لا ينكصون إذا ما استلحموا و حموا «۱»

و اختلفوا فى ظهور الشيطان لهم حتى رأوه، فقال ابن عباس، و السدى و قتادة، و ابن إسحاق.:

ظهر لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى المدلجى فى جماعة من جنده، و قال لهم: هذه كنانة قد أتتكم نجدة، فلما رأى الملائكة «نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ» فقال الحارث بن هشام الى اين يا سراقة، فقال «إِنِّى أَرى ما لا تَرَوْنَ» و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام.

و قيل إنه رأى جبرائيل بين يدى النبى صلى الله عليه و آله. و قال ابو على الجبائى حوّله اللَّه على صورة إنسان علماً للنبى صلى الله عليه و آله بما يخبر به عنه. و قال الحسن و البلخى: إنما هو يوسوس من غير ان يحول فى صورة انسان.

و قوله «إِنِّى أَخافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ» حكاية عن قول إبليس حين ولى فقال لقريش انى ارى من الملائكة ما لا- ترون انى أخاف اللَّه و اللَّه شديد العقاب.

و انما خافه من ان يأخذه فى تلك الحال بعقوبته دون ان يكون خاف معصيته فامتنع منها.

قال الحسن: إبليس عدو اللَّه لا- يخاف اللَّه لكن كلما استؤصل جند من جنوده وقعت بذلك عليه مخافة و ذلة. و قال البلخى هو كقولك للرجل جمعت بين الفريقين حتى إذا وقع الشر بينهم خليتهم و انصرفت، و قلت اعملوا ما شئتم و تريد بذلك انك خليت بينهم دون ان يكون هناك قول، و الاول هو المشهور فى التفاسير.

---

(۱) ديوانه ۱۵۹ من قصيدته فى هرم بن سنان. و الطبرى ۱۴ / ۱۱ و (حبيك البيض) طرائق حديد. و (البيض) الخوذ من سلاح المحارب. و (حموا) من الحمية، و هى الانفة و الغضب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۳۶

و الواو دخلت فى قوله «وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ» للعطف على خروجهم بطراً و رئاء الناس، فعطف حالهم فى تزيين الشيطان أعمالهم على حالهم فى خروجهم بطراً.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۴۹] ..... ص : ۱۳۶

إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۴۹)

العامل فى «إذ» يحتمل أن يكون احد شيئين: أحدهما- الابتداء و التقدير ذاك «إذ يقول» و الآخر بتقدير اذكر «إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ» و هم الذين يبطنون الكفر و يظهرون الايمان «وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» الشاكين فى الإسلام مع اظهارهم كلمة الايمان، و هم بمكة جماعة خرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا هذا القول، و هم قيس بن الوليد بن المغيرة «۱» و الحارث بن زمعة و على بن أمية و العاص بن المنبه بن الحجاج، هذا قول مجاهد، و الشعبى و قال الحسن: المرض الشرك «وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» المشركون. و قال ابو على فصلوا فى الذكر لان المنافقين كانوا يضمرون عداوة النبى صلى الله عليه و آله و المؤمنين، و كانوا هؤلاء مرتبتين و كلهم فى معنى المنافقين، لان الشك فى الإسلام كفر.

و قوله «غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ» معناه ان المسلمين اغتروا بالإسلام. و الغرور: اظهار النصح مع إبطان الغش تقول: غره يغره غروراً و اغتر به اغتراراً و منه الغرر، لأنه عمل بما لا يؤمن معه الغرور. و قوله «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» معناه و من يسلم لأمر اللَّه و يثق به و يرضى بفعله، لان التوكل على اللَّه هو التسليم لأمره مع الثقة و الرضا به، تقول: و كل أمره الى اللَّه، يكل و اتكل عليه يتكل اتكالا و توكل توكلا و تواكل القوم تواكلا إذا اتكل بعضهم على بعض، و وكل توكيلا. و قوله

(۱) فی بعض النسخ (ابو قیس بن الفاکهة بن المغیرة)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۳۷

«فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» معناه انه قادر لا يغالب واضح للأشياء مواضعها

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۵۰] ..... ص : ۱۳۷

وَ لَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (۵۰)

قرأ ابن عامر «إذ تتوفى» بتاءين فأدغم أحدهما فى الاخرى هشام عنه.

الباقون بالياء و التاء. من قرأ بالتاء أسند الفعل الى الملائكة كقوله «إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ» «۱» و من قرأ بالياء، فلأن التأنيث غير حقيقى.

هذا خطاب من اللَّه تعالى للنبى صلى الله عليه و آله يقول اللَّه تعالى له: «و لو ترى» الوقت الذى تتوقى الملائكة الذين كفروا بمعنى انهم يقبضون أرواحهم على استيفائها، لان الموت انما يكون بإخراج الروح على تمامها. و جواب «لو» محذوف، و تقديره لرأيت منظراً عظيماً اوامراً عجيباً او عقاباً شديداً، و حذف الجواب فى مثل هذا أبلغ، لان الكلام يدل عليه. و المرئى ليس بمذكور فى الكلام لكن فيه دلالة عليه لان تقديره: لو رأيت الملائكة يضربون من الكفار الوجوه و الأدبار، و حذفه ابلغ و أوجز مع أن الكلام يدل عليه. و قال مجاهد و سعيد بن جبير: معنى أدبارهم أستاههم لكنه كنى عنه. و قال الحسن: معناه ظهورهم. و قال ابو على: المعنى ستضربهم الملائكة عند الموت. قال الرماني: و هذا غلط، لأنه خلاف الظاهر، و خلاف الإجماع المتقدم أنه يوم بدر. و روى الحسن: ان رجلا قال يا رسول اللَّه إنى رأيت بظهر أبى جهل مثل الشرك، فقال: ذاك ضرب الملائكة. و

روى عن مجاهد ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه و آله انى حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فبدر رأسه، فقال: سبقك اليه الملائكة.

و عن ابن عباس انه كان يوم بدر.

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۳۸

و قوله: «وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ» تقديره، و يقولون يعنى الملائكة للكفار يقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق يوم القيامة و حذف لدلالة الكلام عليه. و مثله قوله «وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا» «۱» أى يقولون ربنا أبصرنا، و دل الكلام عليه. و الحريق تفريق الأجسام الكبيرة العظيمة بالنار العظيمة يقال: احترق احتراقاً و احرق إحراقاً و تحرق تحرقاً و حرقه تحريقاً، و جواب «لو» محذوف، و تقديره لرأيت منظراً هائلا و إنما حذف جواب «لو» لأن ذكره يخص وجهاً و مع الحذف يظن وجوه كثيرة فهو أبلغ.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۵۱] ..... ص : ۱۳۸

ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (۵۱)

قوله «ذلك» إشارة من الملائكة للكفار الى ما تقدم ذكره من قولهم «ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ» قالوا ذلك العذاب «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» و موضع «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» يحتمل وجهين من الاعراب: أحدهما- الرفع بأنه خبر ذلك. و الثانى- النصب بأنه متصل بمحذوف، و تقديره ذلك جزاؤكم «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» و إنما قيل بما قدمت أيديكم مع أن اليد لا تعمل شيئاً لتبين أنه بمنزلة ما يعمل باليد فى

الجنايۀ، و لذلک لم يذكر القلوب، و إن كان بها معتمد العصيان، لأنه قصد إظهار ما يقع به الجنايات فى غالب الأمر و تعارف الناس.

و التقديم ترتيب الشىء أولا قبل غيره:

قدمه تقديماً و تقدم تقدما و استقدم استقداماً و تقادم عهده تقادماً و اقدم على الأمر إقداما.

و قوله: «أَنَّ اللَّهَ لَيسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» العامل فى «ان» يحتمل شيئين:

أحدهما- أن يكون موضعه نصباً بتقدير و بأن اللَّه او خفضاً على الخلاف فيه.

و الثاني- ان يكون رفعاً بمعنى و ذلک ان اللَّه كما تقول ذلک هذا.

---

(۱) سورة ۳۲ الم السجدة آية ۱۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۳۹

و إنما نفى المبالغة فى الظلم عنه تعالى دون نفى الظلم رأساً، لأنه جاء على جواب من أضاف اليه فعل جميع الظلم، و لأن ما ينزل بالكفار لو لم يكن باستحقاق لكان ظلماً عظيما، و لكان فاعله ظلاماً.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۵۲] ..... ص : ۱۳۹

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ (۵۲)

العامل فى قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ» الابتداء و تقديره دأبهم كدأب آل فرعون، فموضعه رفع، لأنه خبر المبتدأ، كما تقول زيد خلفک، فموضع خلفک رفع بأنه خبر المبتدأ، و لفظه نصب بالاستقرار، فكذلک الكاف فى «كدأب». و الدأب العادة و الطريقة تقول ما ذلک دأبه و دينه و ديدنه.

و المعنى انه جوزى هؤلاء بالقتل و الأسر كما جوزى آل فرعون بالغرق.

و قال الزجاج الدأب إدامة الفعل داب يدأب فى كذا إذا دام عليه، و دأب يدأب داباً و دؤباً فهو دائب يفعل كذا اى يجرى فيه على عادة. و قال خداش بن زهير العامرى:

و ما زال ذاک الدأب حتى تجادلت هو ازن و ارفضت سليم و عامر «۱»

و آل فرعون المراد به اتباعه فيما دعاهم اليه من ربوبيته، سموا «آل» لأن مرجع أمرهم اليه بسبب اكيد. و الفرق بين «آل فلان» و «الأصحاب» ان الاصحاب مأخوذ من الصحبة لطلب علم او غيره، كالأصحاب فى السفر، و كثر فى الموافقة على المذهب، كما يقولون اصحاب مالک و اصحاب الشافعي يراد به الموافقة فى المذهب، و لا يوصفون بأنهم آل الشافعي او أبى حنيفة. و الآل يرجعون اليه بالسبب الأوكد الأقرب.

---

(۱) روح المعانى ۱۰/ ۱۷، و مجاز القرآن ۱/ ۲۴۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۴۰

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ» معناه قادر و قد يكون القوى بمعنى الشديد، و ذلک لا يجوز إطلاقه على اللّه، و كذلک لا يوصف بأنه شديد العقاب و إنما وصف عقابه بأنه شديد دون اللَّه تعالى.

فمعنى الآية تشبيه حال المشركين فى تكذيبهم بآيات اللَّه التى اتى بها محمد صلى الله عليه و آله بحال آل فرعون فى التكذيب بآيات اللَّه التى اتى بها موسى عليه السلام لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاک كتعجيله لأولئک بعذاب الاستئصال.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۵۳] ..... ص : ۱۴۰

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۵۳)

الاشارة بقوله: «ذلک» الی ما تقدم ذکره من أخذ اللَّه الکفار بالعقاب فکأنه قال ذلک العقاب المدلول علیه بأن اللَّه لا یغیر النعمة الی النقمة إلا بتغییر النفس الی الحال القبیحة، ف «ذلک» ابتداء و خبره «بان اللّه» کما یقول القائل: العقاب بذنوب العباد، و الکاف فی «ذلک» للخطاب و «ذلک» إشارة الی البعید و «ذاک» إشارة الی ما دونه، و «ذا» اشارة الی ما هو حاضر. و قوله «لم یک» أصله یکون فحذفت الواو للجزم و التقاء الساکنین، ثم حذفت النون استخفافاً لکثرة الاستعمال مع انه لا یقع بالحذف إخلال بالمعنی، لأن «کان و یکون» أم الافعال الا ترى أن کل فعل فیه معناها، لأنک إذا قلت ضرب معناه کان ضرب، و یضرب معناه یکون یضرب فلما قربت بأنها ام الأفعال و کثر استعمالها احتمل الحذف و لم یحتمل نظائرها، و ذلک مثل لم یجز و لم یصن کما جاز فیها. و التغییر تصییر الشیء علی خلاف ما کان بما لو شوهد لشوهد علی خلاف ما کان. و انما قیل بما لو شوهد لشوهد علی خلاف ما کان للتفریق بینه و بین ما یصیر علی خلاف ما کان بالحکم فیه بما لم یکن علیه، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۴۱

ألا ترى ان المعلوم بعد ان لم یکن معلوماً لا یتغیر بهذا العلم، لأنه لو شوهد لم یشاهد علی خلاف ما کان، و القدرة شوهدت علی خلاف ما یشاهد العجز.

و فی الآیة دلالة علی بطلان مذهب المجبرة، لأنها تدل علی انه لا یکون العقاب الا بتغییر النفس الی ما لا یجوز ان یغیر الیه، و هذا یبین انه لا یحسن من اللَّه العقاب الا لمن فعل قبیحاً او اخل بواجب، و ذلک یبطل قول من قال: یجوز ان یعاقب اللَّه البریء بجرم السقیم، و جملة معنی الآیة إنا أخذنا هؤلاء الذین کذبوا بآیاتنا من مشرکی قریش ببدر بذنوبهم، و تغییرهم نعمة اللَّه علیهم من بعث رسوله و تکذیبهم إیاه و إخراجهم له من بین أظهرهم، ففعلنا بهم مثل ما فعلنا بالماضین من الکفار.

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): آیة ۵۴] ..... ص : ۱۴۱

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلٌّ كانُوا ظالِمِينَ (۵۴)

انما أعاد قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» لا علی وجه التکرار بلا فائدة بل لوجهین: أحدهما- قال ابو علی: لأنه علی نوعین مختلفین من العقاب و قال الرمانی: فیه تصریف القول فی الذم بما کانوا علیه من قبح الفعل و تقدیر الکلام: دأب هؤلاء الکفار مثل داب آل فرعون. و یحتمل ان یکون کنایة عن هؤلاء الکفار «كَذَّبُوا بِآياتِ».

و التکذیب نسبة الخبر الی الکذب، فالتکذیب بالحق مذموم، و التکذیب بالباطل- لأنه باطل- ظاهر أمره محمود، و انما وجب فی التکذیب بآیات اللَّه تعجیل العقوبة، و لم یجب ذلک فی غیره. لما فی تعجیل عقوبتهم من الزجر لغیرهم، فیصلحون به مع علم اللَّه بأنه لیس فیهم من یفلح- علی مذهب من یقول: لو علم اللَّه ان فیهم التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۴۲

من یؤمن، لأبقاه. و انما کان التکذیب بآیات اللَّه من أعظم الاجرام، لما یتبعه من تضییع حقوق اللَّه فیما یلزم من طاعاته التی لا تصح الا بالتصدیق بآیاته التی جاءت بها رسله. اخبر اللَّه انه کما أهلک هؤلاء الکفار بتکذیبهم النبی صلی الله علیه و آله کذلک أهلک من الکفار قوماً آخرین بتکذیبهم بآیات اللّه، و أغرق آل فرعون بمثل ذلک، ثم اخبر ان کل هؤلاء کانوا ظالمین لنفوسهم بارتکاب معاصی اللَّه و بترک طاعاته.

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): آیة ۵۵] ..... ص : ۱۴۲

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۵۵)

الشر الرمی بالمکاره کشرر النار و مثله الضرر، و ضد الشر الخیر و ضد الضرر النفع. و الدابة ما من شأنه ان یدب علی الأرض لکن

بـالعرف لا يطلق إلا على الخيل، و من ذلك قوله «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها «۱»» و قوله «عِنْدَ اللَّهِ» معناه فى معلوم اللَّه و فى حكمه. و أصل «عند» أن يكون ظرفاً من ظروف المكان إلا أنه قد تصرف فيها على هذا المعنى. و الفاء فى قوله «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» عطف جملة على جملة، و هو من الصـلة، كأنه قال: كفروا مصـممين على الكفر «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» و انما حسن عطف جملة من ابتداء و خبره على جملة من فعل و فاعل، لما فيها من التأدية الى معنى الحال و ذلك ان صلابتهم بالكفر ادى الى الحال فى انهم لا يؤمنون.
فأخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان شر خصلة يكون الإنسان عليها هو الكفر لما فى ذلك من تضييع نعم اللَّه التى توجب أعظم العقاب.
و الآية متناولة لمن علم اللَّه منه انه لا يؤمن، لأن قوله «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» اخبار عن نفى ايمانهم فيما بعد.

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۶. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۴۳

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۵۶] ..... ص : ۱۴۳

الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لا يَتَّقُونَ (۵۶)

قال مجاهد: هذه الآية نزلت فى بنى قريظة، لما نقضت عهد النبى صلى الله عليه و آله فى ألا يحاربوه و لا يمالئوا عليه، فقضوا عهده، و مالئوا عليه، و عاونوا قريشاً يوم الخنـدق، فانتقم اللَّه منهم. و المعاهـدة المعاقـدة على أمر يتقـدم فيه للوثيقة به بالأيمان المؤكدة على ما يعقـد عليه، و نقض العهـد مثـل نقض الوعـد لأـنه حق للمعاهـد كما ان ذلك حق للموعود، و نقض العزم هو الرجوع عما عزم عليه. و النقض يكون بشيئين: أحدهما- فيما كان من بناء و شبهه. الثانى- فى عقد أوامر يعزم عليه.
و قوله تعالى «ثم ينقضون» عطف المستقبل على الماضـى، لان الغرض ان من شأنهم نقض العهـد مرة بعد اخرى فى مسـتقبل أوقاتهم بعد العهد اليهم. و قوله «فهم لا يتقون» معناه نقضوا عهدك من غير ان يتقوا عقاب اللَّه عاجلا و آجلا.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۵۷] ..... ص : ۱۴۳

فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۵۷)

معنى «تثقفن» تصادفن و تلقين. و أصـله الإدراك بسـرعة تقول ثقف الكلمة فهو ثقف، و ثقفه إذا قومه و ثاقفه مثاقفة إذا تدارك كل واحـد منهما امر صاحبه بسـرعة و دخلت نون التأكيـد لما دخلت «ما» و لو لم تـدخله لما حسن دخول النون، لأن دخول «ما» كـدخول القسم فى أنه علامـة تؤذن أنه من مواضع التأكيـد المطلوب من التصـديق، لأن النون تدخل لتأكيد المطلوب فيما يدل على المطلب، و هى فى التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۴۴
ستة مواضع: الأمر، و النهى، و الاستفهام، و العرض، و القسم، و الجزاء مع «ما» و قوله «فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ» يحتمل معنيين:
أحدهما- إذا اسـرتهم فنكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضى العهد خوفاً منك، و هو قول الحسن و قتادة و سعيد بن جبير و السدى و ابن زيد.
الثانى- افعل بهم من القتل ما يفرق من خلفهم، فى قول الزجاج.
و التشـريد التفريق على اضـطراب، شـرد يشـرد شـروداً و شـرده تشـريداً و تشـرد تشـرداً. و دابة شـرود. و التشريد و التطريد و التبديد و التفريق نظائر.
و قوله «لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» معناه لكى يفكروا فيتعظوا و ينزجروا عن الكفر و المعاصى. و روى فى الشواذ «من خلفهم» و المعنى نكل بهم انت يا محمّد من ورائهم و الاول أجود. و عليه القراء.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۵۸] ..... ص : ۱۴۴

وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ (۵۸)

بنى المضارع مع نون التأكيد، لأن النون لما أبطلت السكون اللازم للجزم الذى هو أمكن فى الفعل، كانت على إبطال غيره من الاعراب أقوى. و إنما بنى على الفتح لسلامتها من البابين الكسرة و الضمة فى المؤنث و الجمع، فى قولهم لا تحسبن يا امرأة، و لا تحسبن يا قوم. و تثبت الألف مع الجازم فى (أما تخافن) و لم تثبت مع الجازم فى قولك (لا تخف القوم) لان الحركة فى هذا عارضة، لأن التقاء الساكنين من كلمتين.

أمر اللَّه تعالى نبيه انه متى خاف- ممن بينه و بينه عهد- خيانة أن ينبذ اليه عهده على سواء. و الخيانة نقض العهد فيما ائتمن عليه، تقول: خانه يخونه خيانة، و اختان التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۴۵

المال اختياناً. و تخونه تخوناً و خونه تخويناً. و (النبذ) إلقاء الخبر الى من لا يعلمه بما يوجب أنه حرب بنقض عهد أو إقامة على بغى تقول: نبذ ينبذ نبذاً و انتبذ انتباذاً و تنابذ القوم تنابذاً، و نابذه منابذة.

و قوله «عَلى سَواءٍ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- على استواء فى العلم به أنت و هم فى انكم حرب لئلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب. و الثانى- ان معناه على عدل من قول الراجز:

فاضرب وجوه الغدر الاعداء حتى يحيوك على السواء «۱»

أى على العدل. و منه قيل للوسط سواء، لاعتداله الى الجهات، كما قال حسان بن ثابت:

يا ويح أنصار النبى و رهطه بعد المغيب فى سواء الملحد «۲»

اى فى وسطه. و قال الوليد بن مسلم: معناه على مهل و هذا بعيد، لأنه لا يعرف فى اللغة. فان قيل كيف جاز نبذ العهد و نقضه بالخوف من الخيانة؟

قيل: انما فعل ذلک لظهور أمارات الخيانة التى دلت على نقض العهد و لم تشتهر و لو اشتهرت لم يجب النبذ، كما حارب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أهل مكة، لما نقضوا العهد بقتل خزاعة، و هم فى ذمة النبى صلى الله عليه و آله أهل مكة، لما نقضوا العهد بقتل خزاعة، و هم فى ذمة النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فلما فعلوا ذلک فعلا ظاهراً مشهوراً أغنى ذلک عن نبذ العهد اليهم، و لو نقضوه على خفى لم يكن بد من نبذ العهد اليهم، لئلا ينسب الى نقض العهد و الغدر.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ» معناه انه يبغضهم و انما عبر بحرف النفى، لأن صفة النفى تدل على الإثبات إذا كان هناک ما يدل عليه، و هو أبلغ فى هذا الموضع لأن معناه: انهم حرموا محبة اللَّه بخيانتهم و أوجب ذلک بغضه إياهم. و محبة اللَّه للخلق ارادة منافعهم و بغضه إياهم ارادة عقابهم.

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴/ ۲۷ و القرطبى ۸/ ۳۳

(۲) تفسير القرطبى ۸/ ۳۳ و قد مر فى ۱/ ۴۰۵ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۴۶

و الآيتان معاً نزلنا فى بنى قريظة، قال الواقدى: نزلت هذه الآية فى بنى قينقاع، و بهذه الآية سار النبى صلى الله عليه و آله اليهم.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۵۹] ..... ص : ۱۴۶

وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (۵۹)

قرأ ابن عامر و حمزة و حفص و أبو جعفر «وَ لا يَحْسَبَنَّ» بالياء. الباقون بالتاء.

و قرأ ابن عامر «انهم» بفتح الهمزة. الباقون بكسرها.

قال أبو على الفارسى: من قرأ بالتاء جعل «الَّذِينَ كَفَرُوا» المفعول الأول و «سبقوا» المفعول الثانى، و موضعه النصب، و هو واضح. و من قرأ بالياء احتمل ثلاثة أشياء:

أحدها- (لا يحسبن الذين كفروا) و هو قول أبى الحسن.

الثانى- أن يكون أضمر المفعول الاول و تقديره: و لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقونا و إياهم سبقوا الثالث- ان يقدر على حذف (أن) كأنه قال: و لا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا. قال الزجاج يقوى ذلك، ان فى قراءة ابن مسعود «إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ» فعلى هذا يكون ان سبقوا سد مسد المفعولين، كما ان قوله «أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا» «۱» كذلك. و من فتح الهمزة جعل الجملة متعلقة بالجملة الاولى و التقدير و لا تحسبنهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون فهم يجازون على كفرهم. و من كسر استأنف الكلام، قال ابو عبيدة: سبقوا معناه فاتوا، فإنهم لا يعجزون اى لا يفوتون، و مثله «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا» ثم استأنف، فقال: «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» «۲»

---

(۱) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۲.

(۲) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۴۷

فكذلك ها هنا استأنف الكلام. و انما امتنع الاقتصار على احد المفعولين فى (حسب) لأن المفعول الثانى خبر عن الأول، و الفعل متعلق بما دلت عليه الجملة فهو بخلاف (أعطيت) فى هذا.

و الحسبان هو الظن. و قال الرمانى: هو شك يقوى فيه احدى النقيضين لقوة المعنى فى حيز القولين. و أصله الحساب، لأن المعنى فيه داخل فيما يحسب به و يعمل عليه. و الاحتساب قبول الحساب و الاعتداد به و فى المضارع لغتان، فتميم تفتح السين و أهل الحجاز يكسرونها. و السبق تقدم الشيء على طالب اللحوق به: سبق يسبق سبقاً و تسابقا تسابقاً، و سابقه مسابقة و استبقوا استباقاً و سبقة تسبيقاً إذا أعطاه السبق.

و السابق و المصلى فى صفة الفرس. و الاعجاز إيجاد ما يعجز عنه: أعجزه إعجازاً و عجزه تعجيزاً و عاجزه معاجزة و استعجز استعجازاً.

و قال ابو عبيدة: معنى «لا يُعْجِزُونَ» لا يفوتون. و قال الحسن: معنى لا يعجزون اللَّه لا يفوتونه حتى لا يثقفنهم يوم القيامة. و قال الجبائى: معناه لا يعجزونك حتى يظفرك اللَّه بهم. و قال الزجاج:

المعنى لا يحسبن من أفلت من هذه الحرب قد سبق الى الحياة. و قال الزجاج:

يجوز أن تكون (لا) صلة على ضعف فيه. و المعنى لا يحسبن الذين كفروا انهم يعجزون. اى يفوتون.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۶۰] ..... ص : ۱۴۷

وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (۶۰)

امر اللَّه تعالى المؤمنين ان يعدوا ما قدروا عليه من السلاح و آلة الحرب و الخيل و غير ذلك. و الاعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه فى أمره و لو اتخذه له فى التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۴۸

نفسه محبة له لم يكن اعداداً و هو مما يعد فيما يحتاج اليه من غيره و الاستطاعة معنى تنطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المنع، تقول:

استطاع استطاعة، و طاوع مطاوعة و أطاع طاعة، و تطوع تطوعاً، و انطاع انطياعاً. و قوله تعالى «من قوة» اى مما تقوون به على عدوه. و قيل:

معناه من الرمى ذكره الفراء. و رواه عن النبى صلى الله عليه و آله عقبة بن عامر، على ما ذكره الطبرى.

و قال عكرمة: أراد به الحصون.

و قوله تعالى: «وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ» فالرباط شد أيسر من العقد: ربطه يربطه ربطاً و رباطاً و ارتبطه ارتباطاً و رابطه مرابطة.

و قوله «تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ» فالهاء فى (به) راجعة الى الرباط و ذكره لأنه على لفظ الواحد و ان كان فى معنى الجمع، لأنه كالجراب و القراب و الذراع. و الإرهاب إزعاج النفس بالخوف تقول: ارهبه ارهاباً و رهبه ترهيباً و رهب رهبة و ترهب ترهباً و استرهبه استرهاباً، و قال طفيل:

ويل ام حى دفعتم فى نحورهم بنى كلاب غداة الرعب و الرهب «۱»

و العدو المراصد بالمكاره لتعديتها الى صاحبها و العدو ضد الولى.

و قوله «وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ» لا تعلمونهم تقديره و ترهبون آخرين، فهو نصب ب (ترهبون) و يجوز ان يكون نصباً بقوله: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ) و للآخرين من دونهم. و قيل فى المعنيين بذلك خمسة اقوال: أحدها- قال مجاهد: هم بنو قريظة و قال السدى. هم اهل فارس. و قال الحسن و ابن زيد: هم المنافقون. الرابع- الجن، و هو اختيار الطبرى، قال: لأن الاعداد للأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد. الخامس- قال الجبائى: كل من لا تعرفون عداوته داخل فيه. و معنى «لا تعلمونهم» لا تعرفونهم فلذلك لم يكن معه المفعول الثانى.

و قوله: «اللَّه يعلمهم» معناه يعرفهم كما قال الشاعر:

---

(۱) ديوانه: ۶۵ و مجاز القرآن ۱/ ۲۴۹

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۴۹

فان اللَّه يعلمنى و وهباً و إنا سوف نلقاه كلانا «۱»

و قوله تعالى: «وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ» يعنى ما من شيء تنفقونه فى الجهاد إلا و اللَّه يوفيكم ثوابه على ذلك بأتم الجزاء و لا تبخسون، فمعنى الآية الأمر باعداد السلاح و الكراع لا خافة اعداء اللَّه بما بملإ صدورهم من الاستعداد لقتالهم مع تضمن أخلاف ما أنفق فى سبيل اللَّه بأحوج ما يكون صاحبه اليه بما تربح فيه تجارته.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۶۱] ..... ص : ۱۴۹

وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۶۱)

قرأ ابو بكر عن عاصم «السلم» بكسر السين. الباقون بفتحها و فى ذلك ثلاث لغات:

الفتح و الكسر مع سكون اللام، و فتح السين و اللام معاً. و معناها المسالمة و لذلك أنث قال رجل من اليمن جاهلى:

أنا بل اننى سلم لأهلك فاقبلى سلمى «۲»

قال ابو الحسن: السلم فيها الكسر و الفتح لغتان. و قال غيره: السلم بفتح السين و اللام على ثلاثة أوجه. تقول: أخذت الأسير سلماً اى على الاستسلام. و السلم السلف على السلامة. و السلم شجر واحده سلمة، تقول له بالسلامة.

و قوله: «وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ» معناه ان مالوا الى المسالمة، تقول: جنح يجنح جنوحاً و جنحت السفينة إذا مالت الى الوقوف، و منه جناح الطائر لأنه يميل به فى

(۱) قائله النمر بن ثولب العكلى. الاقتضاب: ۳۰۳، و المفصل للزمخشرى: ۸۸ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۳۹.

(۲) مجاز القرآن ۱/ ۲۵۰ و التاج و اللسان (سلم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۵۰

احد شقيه. و لا جناح عليه فى كذا اى لا ميل الى مأثم، قال ابو زيد: جنح يجنح جنوحاً إذا اعطى بيده او عدل الى ما يحب القوم، و جنح العدو و الخيل، و جنحت الإبل إذا اخفضت فى السير. و ليس فى الآية ما يدل على ان الكفار إذا ما لو الى الهدنة وجب اجابتهم اليها على كل حال، لأن الأحوال تختلف فى ذلك، فتارة تقتضى الاجابة، و تارة لا تقتضى، و ذلك إذا و تروا المسلمين بأمر يقتضى الغلظة مع حصول العدة و القوة.

فان قيل: إذا جازت الهدنة مع الكفار فهلا جاز المكافئة فى أمر الامامة حتى يجوز تسليمها الى من لا يستحقها؟. قلنا: تسليم الامامة الى من لا يستحقها فساد فى الدين كفساد تسليم النبوة الى مثله. و قوله «وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» اى فوض أمرك اليه تعالى وثق بأنه لا يدبره الا على ما تقتضيه الحكمة.

و اختلفوا هل فى الآية نسخ؟ فقال الحسن و قتادة و ابن زيد: نسخها قوله:

«فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» «۱» و قال قوم: ليست منسوخة، لأنها فى الموادعة لأهل الكتاب و الاخرى فى عباد الأوثان، و الصحيح أنها ليست منسوخة، لأن قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» نزلت فى سنة تسع و بعث بها رسول اللَّه الى مكة ثم صالح اهل نجران بعد ذلك على ألفى حلة: ألف فى صفر و ألف فى رجب. و قوله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» معناه انه يسمع دعاء من يدعوه عليم بما تقتضى المصلحة من اجابته و حسن تدبيره

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): الآيات ۶۲ الى ۶۳] ..... ص : ۱۵۰

وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۶۲) وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۶۳)

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۶

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۵۱

آيتان فى الكوفى و المدنى، و آية فى البصرى.

هذا خطاب للنبى صلى الله عليه و آله يقول له: «إِنْ يُرِيدُوا» يعنى الكفار. و قيل هم بنو قريظة، و معناه ان قصدوا بالصلح خديعتك. و الخديعة اظهار المحبوب فى الامر للاستجابة له مع ابطان خلافه: خدع خدعاً و خديعة و اختدعه اختداعا و تخادع له تخادعا. و انخدع انخداعاً. و قوله «فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ» معناه، فان اللَّه كافيك يقال: اعطانى ما احسبنى اى كفانى. و أصله الحساب، و انما أعطاه بحساب ما يكفيه. و قوله «هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ» فالتأييد التمكين من الفعل على أتم ما يصح فيه، تقول: أيده تأييداً و تأيد تأيداً. و الأيد القوة. و المعنى ان اللَّه قواه بالنصر من عنده، بالمؤمنين الذين ينصرونه على أعدائه. و قوله «وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ» و التأليف الجمع على تشاكل، فلما جمعت قلوبهم على تشاكل فيما تحبه و تنازع اليه كانت قد الفت، و لذلك قيل: هذه الكلمة تأتلف مع هذه، و لا تأتلف. و

المراد بالمؤمنين الأنصار و بتأليف قلوبهم ما كان بين الأوس و الخزرج من العداوة و القتال، هذا قول أبى جعفر عليه السلام

و السدى و بشر بن ثابت الانصارى و ابن إسحاق. و قال مجاهد: هو فى كل متحابين فى اللَّه. و انما كان الجمع على المحبة تأليفاً بين

القلوب، لأنه مأخوذ من الالفة و هی الاجتماع علی الموافقة فی المحبة، و لا یجوز فی الجمع علی البغضاء ان یسمی بذلک. و قوله «لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً» فالإنفاق إخراج الشیء عن الملک. و المعنی «لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً» لتجمعهم علی الالفة مأتم لک ذاک، و لکن اللَّه الف بینهم بلطف من الطافه و حسن تدبیره، و بالإسلام الذی هداهم اللَّه الیه. و نصب «جمیعاً» علی الحال.

و قوله «إِنَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ» معناه قادر لا یمتنع علیه شیء یرید فعله «حَکِیمٌ عَلِیمٌ» لا یفعل الا ما تقتضیه الحکمة فعلی ذلک جمع قلوبهم علی الالفة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۵۲

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): آیة ۶۴] ..... ص : ۱۵۲

یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُکَ اللَّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (۶۴)

هذا خطاب من اللَّه تعالی لنبیه محمد صلی الله علیه و آله یقول له: یکفیک ان یکون ناصرک علی أعدائک اللَّه تعالی، و الذین اتبعوک من المؤمنین من المهاجرین و الأنصار، و انما کرر قوله «حسبک» مع انه قد ذکر فیما قبل، لأن المعنی هناک إن أرادوا اخداعک کفاک اللَّه أمرهم. و ها هنا معناه عام فی کل ما یحتاج فیه الی کفایة اللَّه إیاه. و قوله «وَ مَنِ اتَّبَعَکَ» یحتمل اعرابه وجهین: أحدهما- ان یکون نصباً. و المعنی و یکفی من اتبعک علی التأویل، لأن الکاف فی موضع خفض بالاضافة لکنه مفعول به فی المعنی، فعطف علی المعنی، و لیس ذلک بکثیر. و أجاز الفراء الرفع لقوله «إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ» و مثله قوله «إِنَّا مُنَجُّوکَ وَ أَهْلَکَ» «۱» و قال الشاعر:

إذا کانت الهیجاء و انشقت العصا فحسبک و الضحاک سیف مهند «۲»

و هو معنی قول الشعبی و ابن زید. و قال الحسن: هو عطف علی اسم اللَّه، فیکون رفعاً. و الکسائی، و الفراء، و الزجاج أجازوا الوجهین و حمل علیهما معاً ابو علی الجبائی. و الاتباع موافقة الداعی فیما یدعوا الیه من اجل دعائه.

و المؤمنون یوافقون النبی صلی الله علیه و آله فی کل ما دعا الیه. و قال الواقدی: نزلت هذه الایة فی بنی قریظة و بنی النضیر لما قالوا له: نحن نسلم و نتبعک.

قوله تعالی:[سورة الأنفال (۸): آیة ۶۵] ..... ص : ۱۵۲

یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ عَلَی الْقِتالِ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ وَ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَةٌ یَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَفْقَهُونَ (۶۵)

---

(۱) سورة ۲۹ العنکبوت آیة ۳۳.

(۲) القرطبی ۸/ ۴۲ و معانی القرآن ۱/ ۴۱۷ و تفسیر القاسمی ۸/ ۳۰۳

. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۵۳

و هذا ایضاً خطاب للنبی صلی الله علیه و آله یأمره اللَّه بأن یحرض المؤمنین علی قتال المشرکین.

و التحریض و الحث نظائر، و هو الدعاء الأکید بتحریک النفس علی أمر من الأمور. و ضده التفتیر. و المعنی حثهم علی القتال. و التحریض الحث علی الشیء الذی یعلم معه انه حارض إن خالف و تأخر. و الحارض هو الذی قارب الهلاک. و منه قوله: «حَتَّی تَکُونَ حَرَضاً» ای حتی تذوب غما علی ذلک و تقارب الهلاک «أَوْ تَکُونَ مِنَ الْهالِکِینَ» «۱» و حارض فلان علی أمره إذا واظب علیه. و التحریض ترغیب فی الفعل بما یبعث علی المبادرة الیه مع الصبر علیه. و القتال محاولة الصد و المنع بما فیه تعرض للقتل. و

المجاهـدة ان يقصد الى قتل المشـركين بقتاله، و من يدفع عن نفسه فليس كذلك. و الصبر هو حبس النفس عما تنازع اليه من صد ما ينبغى أن يكون عليه و ضده الجزع، و قال الشاعر:

فان تصبرا فالصبر خير مغبة و ان تجزعا فالأمر ما تريان «۲»

و الغلبة الظفر بالبغية فى المحاربة قتلا او اسراً او هزيمة. و قد يقال فى الظفر بالبغية فى المنازعة بالغلبة. و معنى «لا يفقهون» ها هنا انهم على جهالة، خلاف من يقاتل على بصيرة، و هو يرجو به ثواب الاخرة. و قال قوم: معناه لا يعلمون ما لهم من استحقاق الثواب بالقتال. و قوله «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْـرُونَ صـابِرُونَ يَغْلِبُوا مِـائَتَيْنِ» و ان كان بلفظ الخبر، فالمراد به الأمر، و يـدل على ذلك قوله «الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ» لأن التخفيف لا يكون الا بعد المشقة.

(۱) سورة ۱۲ يوسف آية ۸۵

(۲) مجمع البيان ۲/ ۵۵۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۵۴

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۶۶] ..... ص : ۱۵۴

الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُم وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُم ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُم مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (۶۶)

قرأ اهل الكوفة «إن يكن ... مائة. و ان يكن ... الف» بالياء فيهما وافقهم اهل البصـرة فى الاولى. و قرأ اهل الكوفة الا الكسائى «ضـعفاً» بفتح الضاد الباقون بضـمها، و لكنهم سكنوا العين الا أبا جعفر، فانه فتحها و مد و همز على وزن «فعلاء» على الجمع. من قرأ «ان يكن» بالياء فلان المراد به المـذكر بدلالة قوله «يغلبوا» و كذلك ما وصف به المائة بقوله «صابرة» لأنهم رجال: حملا على المعنى كما حمل على المعنى فى قوله «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «۱» فأنث لما كانت فى المعنى حسـنات. و من قرأ بالتاء فلان اللفظ لفظ التأنيث. و من قرأ الاول بالتـاء و الثـانى بالياء فلان القراءة بالتاء فى الاولى أشـد مشاكلـة لقوله «مِائَـةٌ صابِرَةٌ» و ليس كـذلك فى الاخرى، لأنه اخبر عنهم بقوله «يغلبوا». و قال سيبويه يقال: ضعف ضعفاً فهو ضعيف. قال و قالوا الفقر كما قالوا الضعف، فعل ذلك انهما لغتان.

هذه الاية نسـخت حكم ما تقدمها، لأن فى الاولى كان وجوب ثبات الواحد للعشـرة و العشرة للمائة، فلما علم اللَّه تعالى ان ذلك يشق عليهم و تغيرت المصـلحة فى ذلـك نقلهم الى ثبـات الواحـد للاـثنين و المائـة للمـائتين، فخفف ذلـك عنهم، و هو قول ابن عبـاس و الحسن و عكرمة و قتادة و مجاهد و السدى و عطا و البلخى و الجبائى و الرمانى، و جميع المفسـرين. و التخفيف رفع المشقة بالخفة. و الخفة نقيض الثقل و الخفة و السهولة بمعنى واحد. و الضعف نقصان القوة، و هو من الضعف لأنه ذهاب بعض القوة

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۱۶۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۵۵

و قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» فالاـذن الإطلاـق فى الفعل، لأنه يسـمع بالاذن، و منه الأذان و الإيـذان و الاستئـذان، و قوله «الآن» مبنى مع الالف و اللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف، لأنه ينكر تارة و يعرف أخرى، فاستبهم استبهام الحروف بأنه للفصل بين الزمانين على انتقال معناه الى الذى يليه من الوقت كما ينتقل أمس، فالأمس و الغد و الآن نظائر و أحكامها مختلفة لعلل لزمتها.

و قوله تعالى «وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» معناه انه معهم بالمعونـة لهم، و المعنى ان معونـة اللَّه مع الصابرين و حقيقة «مع» ان تكون للمصاحبة للجهة بالمعونة و ذلك لا يجوز عليه تعالى. و قيل هذه الآية نزلت بعد الاولى بمدة.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۶۷] ..... ص : ۱۵۵

ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۶۷)

قرأ اهل البصرة و ابن شاهى «ان تكون» بالتاء. الباقون بالياء. و قرأ ابو جعفر «أسارى» و من الأسارى- بفتح الهمزة منهما و بألف بعد السين- وافقه ابو عمرو فى الثانى. الباقون بفتح الهمزة و سكون السين من غير الف فيهما.

من قرأ بالتاء فلان لفظ الأسرى لفظ التأنيث، فحمله على اللفظ.

و من قرأ بالياء فلان الفعل متقدم و الأسرى المراد به المذكورون.

و ايضاً فقد وقع الفصل بين الفعل و الفاعل و كل واحد من ذلك إذا انفرد يذكر الفعل معه، مثل جاء الرجل و حضر القاضى امرأة، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير اولى. و اختار الأخفش التذكير. و قال ابو على الفارسى: الأسرى أقيس من الأسارى لأن أسير فعيل بمعنى مفعول، و ما كان كذلك لا يجمع بالواو التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۵۶

و النون، و لا بالألف و التاء. و إنما يجمع على فعلى مثل جريح و جرحى و قتيل و قتلى و عفير و عفرى، و لديغ و لدغى، و كذلك كل من أصيب فى بدنه مثل مريض و مرضى و أحمق و حمقى و سكران و سكرى. و من قرأ أسارى شبهه بكسالى و قالوا كسلى شبهوه باسرى. و أسارى فى جمع أسير ليس على بابه، و قال ابو الحسن: الأسرى ما لم يكن موثقاً و الأسارى موثوقون. قال: و العرب لا تعرف ذلك بل هما عندهم سواء. و قال الأزهرى: الأسارى جمع اسرى فهو جمع الجمع، و الأسر الشد على المحارب بما يصير به فى قبضة الآخذ له. و أصله الشد، يقال: قتب مأسور اى مشدود و كانوا يشدون الأسير بالفداء.

و المعنى: ما كان لنبى ان يحبس كافراً للفداء و المن حتى يثخن فى الأرض، و الإثخان فى الأرض تغليظ الحال بكثرة القتل. و قال مجاهد: الإثخان القتل.

و الثخن و الغلظ و الكثافة نظائر. و قوله «تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا» يعنى تريدون الفداء و العرض متاع الدنيا و سماه عرضاً لقلة لبثه لأنه بمعنى العرض فى اللغة.

و قوله «وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» معناه و اللّه يريد عمل الاخرة من الطاعات التى تؤدى الى الثواب و إرادة اللّه لنا خير من إرادتنا لأنفسنا.

و قوله «وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» معناه يريد عمل الاخرة، فانه يعزكم و يرشدكم الى إصلاحكم، لأنه عزيز حكيم، فلا تخافوا قهراً مع إعزازه إياكم.

و هذه الاية نزلت فى أسارى بدر قبل ان يكثر الإسلام، فلما كثر المسلمون قال اللّه تعالى «فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً» «۱» و هو قول ابن عباس و قتادة. و قال فادوهم بأربعة آلاف، و فى الاية دليل على بطلان مذهب المجبرة لأنه تعالى فصل إرادة نفسه من إرادتهم، و لو كان يريد ما أرادوه لم يصح هذا الفعل من التفصيل فان قيل: كيف يكون القتل فيهم كان أصلح و قد اسلم منهم جماعة، و من علم اللّه من حاله انه يؤمن يجب تبقيته؟! قلنا: فى ذلك خلاف، فمن قال:

---

(۱) سورة ۴۷ محمّد آية ۴ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۵۷

لا يجب ذلك لا يلزمه السؤال. و من قال: ذلك واجب قال: ان اللّه أراد ان يأمرهم بأخذ الفداء و إنما عاتبهم على ذلك لأنهم بادروا اليه قبل ان يؤمروا به.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۶۸] ..... ص : ۱۵۷

لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكَمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۶۸)

قيل فى معنى قوله «لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ» قولان:

قال الحسن لو لا ما كتبه اللّه فى اللوح المحفوظ من انه لا يعذبهم على ذلك.

و قال غيره: لو لا ما كتب اللّه فيه انه يغفر لأهل بدر ما تقدم و ما تأخر.

الثانى- قال مجاهد: يعنى ما ذكره من قوله «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» «۱» فكأنه قال: لا أعذب إلا بعد المظاهرة فى البيان و تكرير الحجة به.

و قال قوم «لو لا- ما كتبه اللّه» من ان الفدية ستحل لهم فيما بعد، ذهب اليه سعيد ابن جبير. و معنى الاية «لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ» من فداء الأسرى و الغنيمة عذاب عظيم، لأنهم أخذوه قبل ان يؤذن لهم. و قد كان سبق ان اللّه سيحله لهم فى قول ابن عباس و الحسن، و قال الجبائى: و المعنى «لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ» و هو القرآن الذى آمنتم به و استحققتم لذلك غفران الصغائر لمسكم فيما أخذتم به من الفداء عذاب عظيم. و لا يجوز ان يكون المراد به الا الصغائر لأنهم قبل الغفران لم يكونوا فساقاً اجماعاً. قال الجبائى: و قد كان من النبى صلى الله عليه و آله فى هذا معصية اجماعاً من غير تعيين ما هى، و أظن انها فى ترك قتل الأسرى. و هذا الذى ذكره غير صحيح، لأنه لا إجماع فى ذلك بل عندنا لا يجوز على النبى صلى الله عليه و آله فعل شىء من القبائح صغيراً كان او كبيراً لما فى ذلك من التنفير عنه على ما بيناه

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۵۸

فى غير موضع. و اكثر المفسرين على ان النبى صلى الله عليه و آله لم يقع منه خلاف لأمر اللّه و

قد روى ان النبى صلى الله عليه و آله كره أخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك فى وجهه، فقال يا رسول اللّه هذا أول حرب لقينا فيه المشركين أردت ان يثخن فيهم القتل حتى لا يعود احد بعد هذا الى خلافك و قتالك، فقال رسول اللّه: قد كرهت ما كرهت، و لكن رأيت ما صنع القوم، فالمعصية فى ذلك كانت من قوم من الصحابة الذين مالوا الى الدنيا و أخذ الفداء.

و قد قال البلخى ايضاً إن اجلاء الصحابة براء من ذلك. و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال إن الغنائم أحلت لى و لم تحل لنبى قبلى.

و معنى «لو لا» امتناع الثانى لوقوع الأول كقولك: لو لا زيد بالمكان الذى هو به لاتيتك، فامتنع الإتيان لمكان زيد. و السبق يكون تقدماً فى الزمان و المكان و الرتبة بأن يكون له و إن لم يكن فيها. و المس مماسة يقع معها إدراك، و هو كاللمس فى الحقيقة. و العظيم ما يصغر فيه قدر غيره، و يكون ذلك بعظم الجثة تارة و بعظم الشأن أخرى. و العظيم هو المستحق للصفة بأن قدر غيره صغير عنده.

و

قال أبو جعفر عليه السلام كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين أوقية من فضة و الاوقية أربعون مثقالا إلا العباس فان فداءه كان مائة اوقية و كان أخذ منه حين أسر اثنين و عشرين اوقية ذهباً، فقال النبى صلى الله عليه و آله ذاك غنيمة ففاد نفسك و ابنى أخيك عقيل و نوفل بن الحارث، فقال: ليس معى، فقال: اين الذهب الذى سلمته الى ام الفضل و قلت: ان حدث بى حدث، فهو لك و للفضل و عبد اللّه و ميثم، فقال من أخبرك بهذا؟ قال: اللّه، قال: اشهد انك رسول اللّه، و اللّه ما اطلع على هذا احد إلا اللّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۶۹] ..... ص : ۱۵۸

فَكُلُوا مِمّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۶۹)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۵۹

أباح اللّه تعالى للمؤمنين بهذه الاية أن يأكلوا مما غنموه من اموال المشركين بالقهر من دار الحرب. و لفظه و إن كان لفظ الامر. فالمراد به الاباحة و رفع الحظر.

و الغنيمة ما أخذ من دار الحرب بالقهر. و الفيء ما رجع الى المسلمين، و انتقل اليهم من المشركين. و الاكل تناول الطعام بالفم مع المضغ و البلع، فمتى فعل الصائم هذا فقد أكل فى الحقيقة. و الفرق بين الحلال و المباح ان الحلال من حل العقد فى التحريم و المباح من التوسعة فى الفعل و ان اجتمعا فى الحل و الطيب المستلذ، و شبه الحلال به فسمى طيباً. و اللذة نيل المشتهى. قال الزجاج: الفاء فى قوله «فكلوا» على تقدير قد أحللت لكم الفداء فكلوه.

و قوله «وَ اتَّقُوا اللّهَ» معناه اتقوا معاصيه فان اللّه غفور رحيم لمن أطاعه و ترك معاصيه.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (٨): آية ٧٠] ..... ص : ۱۵۹

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرى إِنْ يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۷۰)

قرأ ابو عمرو وحده من السبعة و ابو جعفر «الأسارى» الباقون «الأسرى» و ابو عمرو جمع المذهبين فى الاول و الثانى. و حمله الباقون على النظير فى المعنى.

و قد فسرنا فيما مضى الأسير من أخذ من دار الحرب من أهلها، و لو أخذ مسلم لكان قد فك اسره. خاطب اللّه بهذه الآية نبيه صلى الله عليه و آله و أمره ان يقول لمن حصل فى يده من الأسرى يعنى من حصل فى وثاقه و سماه فى يده لأنه بمنزلة ما التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۰

قبض على يده بالاستيلاء عليه و لذلك يقال فى الملك المتنازع فيه لمن اليد؟ و قوله «إِنْ يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً» يعنى اسلاماً. و قيل معناه إن يعلم منكم خيراً فى المستقبل بأن يفعلوه فيعلمه اللّه موجوداً، لان ما لم يفعل لا يعلمه موجوداً و الخير النفع العظيم، و هو ها هنا البصيرة فى دين اللّه و حسن النية فى امر اللّه. و قوله «يُؤْتِكُمْ خَيْراً» يعنى يعطيكم خيراً «مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ» من الفداء. و قال الحسن اطلقهم بالفداء، و لو لم يسلموا لم يتركهم.

و قوله «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ» يعنى زيادة مما يؤتيهم يغفر لهم معاصيهم و يسترها عليهم لأنه غفور رحيم. و روى عن العباس انه قال: كان معى عشرون اوقية فأخذت منى فاعطانى مكانها عشرين عبداً و وعدنى بالمغفرة. و قال العباس فىّ نزلت و فى و فى اصحابى هذه الاية، و هو قول ابن عباس و الضحاك و قتادة و غيرهم.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (٨): آية ٧١] ..... ص : ۱۶۰

وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۷۱)

معنى الاية ان هؤلاء الأسارى ان علم اللّه فى قلوبهم خيراً اخلف عليهم خيراً مما أخذ منهم. و ان عزموا على الخيانة، و نقض العهد و فعلوا خلاف ما وقع عليه العقد من تأدية فرض اللّه، فقد خانوا اللّه من قبل هذا. و المعنى فقد خانوا أولياء اللّه، لأن اللّه لا يمكن ان يخان، لأنه عالم بالأشياء كلها لا يخفى عليه خافية.

و الخيانة ها هنا نقض عقد الطاعة للّه و رسوله التى شهدت بها الدلالة. و قوله «فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ» المعنى لما خانوا بأن خرجوا الى بدر و

قـاتلوا مع المشـركين، فقـد أمكن اللَّه منهم بـان غلبوا و أسـروا. فـان خانوا ثانياً فيمكن اللَّه منهم مثل ذلك. و الإمكان هو القـدرة على الشيء مع ارتفاع المانع، و ما لو حرص عليه صاحبه أتم الحرص لم التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۱

يصح ان يقع منه لا يكون إمكاناً، فالامكان ينافى المنع و الإلجاء كما ينافى العجز القدرة.

و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معنـاه عـالم بمـا تقولونه و مـا فى نفوسـكم و بجميع الأشـياء «حكيم» فيما يفعله. و الحكيم هو العالم بوجوه الحكمة فى الفعل مما يصرف عن خلافها و الأصل فى الحكمة المنع فهى تمنع الفعل من الخلل و الفساد.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۷۲] ..... ص : ۱۶۱

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۷۲)

قرأ حمزة «ولايتهم» بكسـر الواو. الباقون بفتحها. قال الزجاج: إنما جاز الكسـر لأنه يشبه الصناعة كالخياطة و القصارة و الحياكة، و قال الشاعر فى الفتح:

دعيهم فهم ألبّ على ولاية و حفرهم ان يعلموا ذاك دائب «۱»

قال ابو عبيـدة: بفتـح الواو مصـدر المولى تقول: مولى بين الولايـة و إذا كسـرت فهو من وليت الشـيء. قال ابو الحسن: يفتـح الواو من الولايـة إلا الولاية فى السـلطان بكسـر الواو، و كسـر الواو فى الاخرى لغة. و قرأ الأعمش بكسـر الواو من الولاية فى الدين هنا. قال ابو على الفارسـى: الولايـة ها هنا فى الـدين و الفتح أجود. قال ابو الحسن. و هى قراءة الناس. و عن الأعمش أنه كسـر الواو، و هى لغة. و ليست

---

(۱) معانى القرآن ۱/ ۴۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۲

بذلك. قال المبرد عن الاصمعى: ان الأعمش لحن فى كسره لذلك. قال ابو على:

إذا كان ذلك لغة لا يكون لحناً. قال الفراء: و الكسـر أحب الى، لأنها ولاية المواريث. و قال الازهرى: فى النصرة و النسب بفتح الواو. و فى الامارة بكسرها.

اخبر اللَّه تعـالى فى هـذه الآيـة عن احوال المؤمنين الـذين هـاجروا من مكـة الى المدينـة بقوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هـاجَرُوا وَ جاهَـدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِـهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و عن احوال الأنصار بقوله «وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا» يعنى النبى صلى الله عليه و آله. ثم قال «أولئك» يعنى المهـاجرين و الأنصار «بَعْضُـهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» و الهجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد فراراً من المفتنين فى الـدين، لأنهم هجروا دار الكفار الى دار الإسـلام. و الجهاد تحمل المشاق فى قتال اعـداء الـدين جاهد جهاداً و جهده الامر جهداً و اجتهد اجتهاداً، و جاهد مجاهدة. و الإيواء ضم الإنسان صاحبه اليه بانزاله عنده و تقريبه له، تقول: آواه يؤويه إيواء و أوى يأوى اوياً، و أويت معناه رجعت الى المأوى. و الولاية عقد النصرة للموافقة فى الديانة.

ثم اخبر تعالى عن الـذين آمنوا و لم يهاجروا من مكـة الى المدينـة فقال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ولاية القرابة نفاها عنهم لأنهم كانوا يتوارثون بالهجرة و النصـرة دون الرحم- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة و السدى- و

عن أبى جعفر عليه السلام انهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الاولى.

الثانى- انه نفى الولاية التى يكونون بها يداً واحدة فى الحل و العقد، فنفى عن هؤلاء ما أثبته للأولين حتى يهاجروا. ثم قال «وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ» اى طلبوا نصركم «فى الدين» يعنى الذين آمنوا و لم يهاجروا «فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ» اى نصرهم بسبب الايمان الذى يجب عليكم ان تنصروهم على الكفار «إِلَّا عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ» يعنى موادعة و مهادنة تقتضيه من جهة ان عقدهم بخلاف عقدهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۳

و قيل انه نسخ ذلك بقوله «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» «۱».

و قوله «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» يعنى عالم بما يعملونه.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۷۳] ..... ص : ۱۶۳

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ فَسادٌ كَبِيرٌ (۷۳)

اخبر اللَّه تعالى عن الكافرين أن بعضهم اولياء بعض بمعنى النصرة، لأنه ينصر بعضهم بعضاً. و قوله «إِلَّا تَفْعَلُوهُ» الهاء عائدة الى معنى ما أمروا به فى الآية الاولى و الثانية، و مخرجه مخرج الخبر و المراد به الأمر، و تقديره الا تفعلوا ما أمرتم به من التناصر و التعاون و البراءة من الكفار «تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ فَسادٌ كَبِيرٌ» على المؤمنين الذين لم يهاجروا. فالفتنة ها هنا المحنة بالميل الى الضلال لأنه إذا لم يتوال المؤمن المؤمن على ظاهر حاله من الايمان و الفضل، و لم يدعه الى التبرى من الضلال ادى ذلك الى الضلال. و الفساد ضد الصلاح و هو الانقلاب الى الضرر القبيح. و الصلاح جريان الشيء على استقامة. و الولى هو المختص بالعقد على النصرة فى وقت الحاجة، و قد يعقد بالعزم، و قد يعقد بالحكم. و قيل فى معنى قوله «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» قولان: أحدهما- فى الميراث، فى قول ابن عباس، و أبى مالك. و الثانى- قال قتادة و ابن اسحق فى النصرة.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۷۴] ..... ص : ۱۶۳

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۷۴)

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۷۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۴

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الذين آمنوا باللَّه و صدقوا رسوله و هاجروا من ديارهم و أوطانهم، يعنى من مكة الى المدينة، و جاهدوا مع ذلك فى سبيل اللَّه و قتال أعدائه. و الذين آووا من الأنصار و معناه ضموهم اليهم و نصروا النبى صلى الله عليه و آله بأنهم المؤمنون حقاً، و قيل فى معناه قولان: أحدهما انهم المؤمنون الذين حققوا ايمانهم لما يقتضيه من الهجرة و النصرة بخلاف من اقام بدار الشرك. الثانى- قال ابو على الجبائى: معناه انهم المؤمنون حقاً، لان اللَّه حقق ايمانهم بالبشارة التى بشرهم بها، و لو لم يهاجروا و لم ينصروا لم يكن مثل هذا.

و اختلفوا فى هل تصح الهجرة فى هذا الزمان أو لا؟

فقال قوم: لا تصح لان

النبى صلى الله عليه و آله قال: لا هجرة بعد الفتح

و لأن الهجرة انتقال من دار الكفر الى دار الإسلام على هجر الأوطان، و ليس يقع مثل هذا فى هذا الزمان لاتساع بلاد الإسلام إلا أن يكون نادراً لا يعتد به.

و قال الحسن: بقيت هجرة الاعراب الى الأمصار الى يوم القيامة.

و الأقوى أن يكون حكم الهجرة باقياً، لأن من أسلم فى دار الحرب ثم هاجر الى دار الإسلام كان مهاجراً، و سمى الجهاد فى سبيل اللَّه لأنه طريق الى ثواب اللَّه فى دار كرامته.

و قوله «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» اخبار منه تعالى أن لهؤلاء المغفرة لذنوبهم و الرزق الكريم يعنى العظيم الواسع و الكريم الذى يصح منه الكرم من غير مانع.

و الكرم الجود العظيم و الشرف قال الشاعر:

تلك المكارم لأقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

و قيل: الرزق الكريم هنا طعام الجنة لأنه لا يستحيل الى أجوافهم نجواً بل يصير كالمسك ريحاً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۵

قوله تعالى:[سورة الأنفال (۸): آية ۷۵] ..... ص : ۱۶۵

وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۷۵)

اخبر اللَّه تعالى بأن الذين هاجروا بعد هجرة من هاجر، و قيل أراد بعد الفتح و جاهدوا مع المؤمنين بأن قال «فَأُولئِكَ مِنْكُمْ» و معناه حكمهم حكمكم فى وجوب موالاتهم و مواريثهم و نصرتهم. و قوله «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» قيل فى معنى «كِتابِ اللَّهِ» قولان:

أحدهما- فى كتاب اللَّه من اللوح المحفوظ، كما قال «ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ، وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها» «۱».

و الثانى- قال الزجاج: يعنى فى حكم اللَّه.

و معنى «أولوا» ذووا، واحده ذو، و لا واحد له من لفظه.

و فى الآية دلالة على ان من كان قرباه أقرب الى الميت كان أولى بالميراث سواء كان عصبة او لم يكن او له تسمية او لم يكن لان مع كونه اقرب تبطل التسمية. و من وافقنا فى توريث ذوى الأرحام يستثنى العصبة، و ذوى السهام.

و هذه الآية نسخت حكم التوارث بالنصرة و الهجرة فإنهم كانوا لا يورثون الاعراب من المهاجرين على ما ذكره فى الآيات الاول. و من قال: الولاية فى الاية الأولى ولاية النصرة دون الميراث يقول: ليست هذه ناسخة لها بل هما محكمتان.

و دخلت الفاء فى قوله: «فأولئك» كما تقول الذى يأتينى فله درهم، لأن فيه معنى المجازات و قال مجاهد: فى هذه الآيات الثلاث ذكر ما ولاية رسول اللَّه بين

---

(۱) سورة ۵۷ الحديد آية ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۶

المهاجرين و الأنصار فى الميراث، ثم نسخ ذلك بآخرها من قوله «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» و قال عبد اللَّه بن الزبير نزلت فى العصبات كان الرجل يعاقد الرجل يقول ترثنى و أرثك فنزلت «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ» الى آخرها.

و قال الحسن: و الذين آمنوا من بعد يعنى بعد فتح مكة. و قوله «منكم» معناه مؤمنون مثلكم، و لا هجرة بعد فتح مكة، و قال: الهجرة الى الأمصار قائمة الى يوم القيامة. و كان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر الى اعرابية. و روى عن عمر انه قال: لا تنكحوا أهل مكة،

فإنهم اعراب.
و أكثر هذه السورة فی قصة بدر. و كانت فی صبيحة السابع عشر من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة، من شهد هذه الواقعة فله الفضل.
التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۷

۹-سورة براءة ..... ص : ۱۶۷

اشارة

و تسمى سورة التوبة مدنية و هی مائة و تسع و عشرون آية فی الكوفی و ثلاثون فی البصری و المدنيين قال مجاهد و قتادة و عثمان: هی آخر ما نزلت على النبی صلی الله علیه و آله بالمدينة و روى عن حذيفة انه قال: كيف يسمونها سورة التوبة و هی سورة العذاب؟! و روى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة قال: تلك الفاضحة ما زالت تنزل و فيهم و منهم حتى خشينا الا تدع احداً. قال و سورة الأنفال نزلت فی بدر، و سورة الحشر فی بنی النضير.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱] ..... ص : ۱۶۷

بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۱)
قيل فی علة ترك افتتاح هذه السورة ب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) قولان:
أحدهما- ما روى عن أبی بن كعب أنه ضمت هذه السورة الى الانفال بالمقاربة، فكانتا كسورة واحدة لأن الاولى فی ذكر العهود و الاخرى فی رفع العهود. و قال عثمان لاشتباه قصتهما، لان الاولى فی ذكر العهود و الاخرى فی رفع العهود. و قال المبرد: لأن «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» أمان و براءة نزلت رفع الامان.
و يحتمل رفع «براءة» وجهين:
أحدهما- ان يكون خبراً لمبتدأ محذوف و تقديره هذه الآيات براءة. التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۸
و الثانی- ان يكون مبتدأ و خبره الظرف فی قوله «الى الذين». و الاول أجود لأنه يدل على حصول المدرك كما تقول لما تراه حاضرا: حسن و اللَّه ای هذا حسن.
و معنى البراءة انقطاع العصمة برىء براءة و ابرأه إبراءً و تبرأ تبرؤاً و برئت من المرض و برأت أبرأ و أبرؤ و برأ تبريئا. و روى أهل اللغة برأت أبرؤ برءاً، و لم يجیء من المهموز (فعلت أفعل) إلا فی هذا الحرف الواحد و بريت القلم أبريه برياً بغير همز، و براه السير إذا هزله. و برىء له يبرئ إذا تعرض له، و باراه إذا عارضه و أبرأت البعير إذا جعلت لأنفه براه بالألف.
و معنى الآية برىء اللَّه من المشركين و رسوله «إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» من إعطائهم الامان، و العهود و الوفاء لهم بها إلا إذا نكثوا، لأنهم كانوا ينكثون ما كان بينهم و بين النبی صلی الله علیه و آله، فأمر اللَّه تعالى النبی صلی الله علیه و آله ان ينبذ ايضاً اليهم عهدهم. و قوله «إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» فالعهد العقد الذی يتقدم به لتوثيق الامر عهد عهداً و عاهد معاهدة و تعاهد الامر تعاهداً و تعهده تعهداً. و قوله:
«عاهدتم» انما جاء بلفظ الخطاب، لأن فيه دلالة على الأمر بالنبذ الى المشركين برفع الامان و لو لا ذلك لجاز عاقدنا، لان معاقدة النبی صلی الله علیه و آله انما هی عن اللَّه عز و جل. و يجوز رفع الامان و البراءة من غير نقض العهد إذا كان مشروطاً الى ان يرفعه اللَّه اليهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۲] ..... ص : ۱۶۸

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكافِرِينَ (۲)

السيح السير فى الأرض على مهل تقول: ساح يسيح سيحاً و سياحة و سيوحاً التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۶۹

و سيحاناً و انساح الماء انسياحاً و سيحه تسييحاً.

امر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان يقال لهؤلاء المشركين أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر آمنين و إنما أحلهم هذه الأشهر لأنها الأشهر الحرم الى آخر المحرم من أول شوال، فى قول ابن عباس و الزهرى. و قال الفراء: كانت المدة الى آخر المحرم لأنه كان فيهم من كان مدته خمسين ليلة، و هو من لم يكن له عهد من النبى صلى الله عليه و آله فجعل اللَّه ذلك له. قال: و معنى الأشهر الحرم المحرم وحده و إنما جمعه لأنه متصل بذى الحجة و ذى القعدة فكأنه قال: فإذا انقضت الثلاثة أشهر.

و

قال ابو عبد اللَّه عليه السلام أول الاربعة الأشهر يوم النحر و آخرها العاشر من شهر ربيع الآخر

، و هو قول محمّد بن كعب القرطى و مجاهد، و قال الحسن: إنما جعل لهم هذه المدة، لان منهم من كان عهده اكثر من اربعة أشهر فحط اليها. و منهم من كان اقل فرفع اليها. و قال ابو على الجبائى: كان يوم النحر لعشرين من ذى القعدة الى عشرين من ربيع الاول، لان الحج كان تلك السنة فى ذلك الوقت ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة و فيها حجة الوداع، و كان سبب ذلك النسيء الذى كان فى الجاهلية.

و

قرأ براءة على الناس يوم النحر بمكة على بن أبى طالب عليه السلام لأن أبا بكر كان على الموسم فى تلك السنة فاتبعه النبى صلى الله عليه و آله بعلى عليه السلام، و قال:

لا يبلغ عنى الا رجل منى-

فى قول الحسن و قتادة و مجاهد و الجبائى- و

روى أصحابنا ان النبى صلى الله عليه و آله كان ولاه ايضاً الموسم، و أنه حين أخذ البراءة من أبى بكر رجع أبو بكر فقال: يا رسول اللَّه انزل فىّ قرآن؟ فقال: لا، و لكن لا يؤدى إلا أنا او رجل منى.

و روى الشعبى عن محرز بن أبى هريرة: قال: قال ابو هريرة: كنت أنادى مع على عليه السلام حين أذن المشركين فكان إذا اضمحل صوته مما ينادى دعوت مكانه قال فقلت يا ابه اى شيء كنتم تقولون؟ قال: كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۷۰

مشرك- قال و ما حج بعد عامنا مشرك- و لا يطوف بالبيت عريان و لا يدخل الجنة الا مؤمن و من كانت بينه و بين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مدة فان اجله الى اربعة أشهر فإذا انقضت اربعة أشهر فان اللَّه برىء من المشركين و رسوله. و فتحت مكة سنة ثمان و نزلت براءة سنة تسع و حج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حجة الوداع سنة عشر.

و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ» معناه انكم غير فائتين كما يفوت ما يعجز عنه لأنكم حيث ما كنتم فى سلطان اللَّه و ملكه و الاعجاز إيجاد العجز و العجز ضد القدرة عند من أثبته معنى.

و قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكافِرِينَ» فالاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة و العار.

و الخزى النكال الفاضح.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۳] ..... ص : ۱۷۰

وَ أَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ (۳)

آية فى الكوفى و المدنى، و آيتان فى البصرى.

الأذان الاعلام فى قول ابن زيد و الزجاج و الجبائى، تقول: أذننى فلان كذا فأذنت اى اعلمنى فعلمت. و قال بعضهم: معناه النداء الذى يسمع بالاذن.

و قال الفراء و الزجاج: انما ارتفع لأنه عطف على قوله «براءة» و قيل معناه عليكم اذان، لأن فيه معنى الامر. و الحج المقصد الى اعمال المناسك على ما امر اللَّه به و قد بينا شرائط الحج و أركانه و فرائضه فى كتب الفقه، و لا نطول بذكره ها هنا و الحج الأكبر قال عطا، و مجاهد، و عامر و بشر بن عبادة: هو ما فيه الوقوف التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۵، ص: ۱۷۱

بعرفة، و الأصغر العمرة، و قال مجاهد: الحج الأكبر هو القران، و الحج الأصغر هو الافراد. و قيل فى معنى «يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ» ثلاثة اقوال:

أحدها- ما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال: عرفة

، و هو المروى عن عمر و ابن عباس بخلاف فيه و به قال عطا و مجاهد و ابن الزبير و ابو حنيفة.

الثانى-

فى رواية اخرى عن النبى صلى الله عليه و آله و على عليه السلام و ابن عباس و سعيد ابن جبير، و عبد اللَّه بن أبى أوفى، و ابراهيم و مجاهد أنه يوم النحر، و هو المروى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام.

و سمى بالحج الأكبر لأنه حج فيه المشركون و المسلمون و لم يحج بعدها مشرك.

الثالث- قال مجاهد و شعبة: هو جميع ايام الحج.

اعلم اللَّه تعالى فى هذه الاية المشركين انه و رسوله برىء من المشركين و انه ان تبتم و رجعتم الى الايمان و طاعة الرسول «فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» و ان أعرضتم و توليتم فاعلموا انكم لا تفوتون اللَّه و ان اللَّه يبشر الكافرين بعذاب اليم اى شديد مؤلم.

قال الحسن الحج الأكبر ثلاثة ايام الحج اجتمعت فى تلك الأيام الثلاثة أعياد المسلمين و أعياد اليهود و أعياد النصارى،

فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله لم يكن فيما خلا و لا يكون الى يوم القيامة.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۴] ..... ص : ۱۷۱

إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَ لَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (۴)

آية اجماعاً.

استثنى اللَّه تعالى من براءته عز و جل، و براءة و رسوله صلى الله عليه و آله من المشركين من كان لهم العهد، فى قول الزجاج، و قال الفراء: هذا استثناء فى موضع نصب، و هو التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۵، ص: ۱۷۲

قوم من بنى كنانة كان قد بقى من أجلهم تسعة أشهر، فقال اللَّه تعالى «فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ» لا تحطوهم الى الاربعة أشهر، و قال مجاهد: عنى بذلك جماعة من خزاعة و مدلج. و قال ابن عباس: توجه ذلك الى كل من كان بينه و بين رسول اللّه عهد قبل براءة. و ينبغى أن يكون ابن عباس أراد بذلك من كان بينه و بينه عقد هدنة او الى قوم من المشركين لم يتعرضوا له صلى الله عليه و آله بعداوة و لا ظاهروا عليه عدوه، لان النبى صلى الله عليه و آله صالح اهل هجر و اهل البحرين و ايلى و دومة الجندل، و أدرج، و

اهل معنا، و هم ناس من اليهود فى توجهه الى تبوك او فى مرجعه منها، و له عهود الصلح و الحرب غير هذه، و لم ينبذ اليهم بنقض عهد، و لا حاربهم بعد ان صاروا اهل ذمة الى ان مضى لسبيله. و وفى لهم بذلك من بعده، فمن حمل ذلك على جميع العهود فقد اخطأ. و قال الحسن: هذا استثناء من قوله تعالى «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ»، «إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» ثم نقلت الى ها هنا و باقى الناس على خلافه.

و قوله «ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً» النقصان حط العدة عن عدة، و الزيادة الحاق العدة بعدة. و المعنى ثم لم ينقصوكم من شروطكم العهد شيئاً، و لم يظاهروا عليكم أحداً فالمظاهرة المعاونة على العدو للظهور عليه فهؤلاء إن لم يعاونوا عليكم احداً من أعدائكم و لا نقصوكم شيئاً من حقكم فى عهدهم فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم، و هو أمن من اللّه تعالى الى ان يبلغوا المدة التى وافقهم عليها. قال قتادة: و هم مشركوا قريش كانوا عاهدوه فى الحديبية و بقى من مدتهم اربعة أشهر بعد يوم النحر. و الإتمام بلوغ الحد فى العدة من غير زيادة و لا نقصان فهنا معناه إمضاء الامر على ما تقدم به العهد الى انقضاء اجل العقد. و المدة زمان طويل الفسحة، و اشتقاقه من مددت له فى الأجل للمهلة. و المعنى الى انقضاء مدتهم.

و قرأ عطاء «ثم لم ينقضوكم» بالضاد المعجمة و هى شاذة (و أن) بفتح الهمزة، لان تقديره بأن اللّه برىء من المشركين، و لا يجوز أن يكون المراد نبذ العهد الى التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۷۳

مكة، لأن مكة فتحت سنة ثمان و صارت دار الإسلام، و نبذ العهد كان فى سنة تسع فعلم بذلك ان المراد غيرهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵] ..... ص : ۱۷۳

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۵)

الانسلاخ إخراج الشىء مما لابسه، و كذلك سلخ الشاة إذا نزع الجلد عنها و سلخنا شهر كذا نسلخه سلخاً و سلوخاً. و قيل فى الأشهر الحرم قولان:

أحدهما- رجب و ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم، ثلاثة سرد و واحد فرد الثانى- الأشهر الأربعة التى جعل لهم ان يسيحوا فيها آمنين، و هى عشرون من ذى الحجة، و المحرم، و صفر، و شهر ربيع الاول، و عشر من ربيع الآخر، فى قول الحسن و السدى و غيرهما.

امر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و المؤمنين انه إذا انقضت مدة هؤلاء المعاهدين، و هى الاربعة أشهر ان يقتلوا المشركين حيث وجدوهم. قال الفراء: سواء كان فى الأشهر الحرم او غيرها و سواء فى الحل او فى الحرم، و ان يأخذوهم، و يحصروهم و الحصر المنع من الخروج عن محيط و أحصر الرجل إحصاراً و حاصره العدو محاصرة و حصاراً، و حصر فى كلامه حصراً و انحصر الشىء انحصاراً. و الحصر و الحبس و الأسر نظائر. و قوله «وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ» يعنى كل موضع يرقب فيه العدو و المرصد الطريق و مثله المرقب و المربأ، يقال: رصده يرصده رصداً، و نصب كل التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۷۴

مرصد على تقدير على كل مرصد- على قول الأخفش- كما قال الشاعر:

نغالى اللحم للاضياف نياً و نرخصه إذا نضج القدور «۱»

اى نغالى باللحم. و قال الزجاج هو ظرف كقولك ذهبت مذهباً و قال الشاعر:

إن المنية للفتى بالمرصد «۲»

فجعله بمنزلة المحدود، و المرصد مبهم، و الطريق محدود، فهذا فرق ما بينهما و استدل بهذه الاية على ان تارك الصلاة متعمداً يجب قتله، لأن اللّه تعالى أوجب الامتناع من قتل المشركين بشرطين: أحدهما- ان يتوبوا من الشرك.

و الثانی- ان يقيموا الصلاة، فإذا لم يقيموا الصلاة وجب قتلهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (٩): آية ۶] ..... ص : ۱۷۴

وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (۶)

قوله «احد» ليست التی تقع فی النفی فی مثل قولک (ما جاءنی احد) لأن الإيجاب لا يصح فيه أعم العام الذی هو هو علی الجملة و التفصيل كقولک:

ليسوا مجتمعين، و لا متفرقين، و لا يصح مثل ذلک فی الإيجاب، و يصح فی الاستفهام لان فيه معنی النفی، و لو لا ذلک لم يصح جوابه ب «لا» و التقدير و إن استجارک احد من المشركين استجارک فأضمر الفعل، و لم يجز فی الجواب ان يقول: إن يقوم احد زيد يذهب، لقوة «إن» إنها للفعل خاصة و مثله انشد الأخفش:

لا تجزعی إن منفساً أهلكته فإذا هلكت فعند ذلک فاجزعی «۳»

---

(۱) مر تخريج هذا البيت فی ۱/ ۴۷۰ تعليقة ۳

(۲) تفسير القرطبی ۸/ ۷۳ و مجاز القرآن ۱/ ۲۵۳

(۳) القرطبی ۸/ ۷۷. نسبه للنمير بن تولب.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۷۵

فأخبر، ثم جزم علی جواب الجزاء، لأنها شرط و ليس كذلک الجواب، لأنه قد يكون بالفاء و لا يجوز إضمار الفعل فی شیء من حروف المجازاة إلا فی «إن» لأنها ام الباب، و هی الأصل الذی يلزمه، قال الشاعر:

فان انت تفعل فللفاعلی ن انت المجيرين تلک الغمارا «۱»

و اما قول الشاعر:

فمتی واغل ينبهم يحيو ه و يعطف عليه كأس الساقی

فإنما هو ضرورة، لا يجوز مثله فی الكلام قال الفراء «استجارک» فی موضع جزم، و انه فرق بين الجازم و المجزوم ب «احد» و ذلک جائز فی «ان» خاصة و قد يفرق بينهما و بين المجزوم بالمنصوب و المرفوع، فالمنصوب مثل قولک:

إن أخاک ضربت ظلمت، و المرفوع مثل قوله تعالی «إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ» «۲» امر اللَّه تعالی نبيه صلی الله عليه و آله انه متی استجارک احد من المشركين الذين أمرتک بقتالهم ای طلب منه الجار فی رفع الأذی عن صاحبه. و قيل: المعنی ان استأمنک احد فأمنه «حَتَّی يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ» و المشرک يصح ان يسمع كلام اللَّه علی الحقيقة لان حكاية كلام اللَّه يطلق عليه الاسم بأنه كلام اللَّه لظهور الامر فيه، و لا يحتاج ان يقدر اصل له، كما يقال: كلام سيبويه و غيره. و من ظن ان الحكاية تفارق المحكی لأجل هذا الظاهر فقد غلط، لان المراد ما ذكرناه فيما يقال فی العرف انه كلام اللَّه. و قوله «ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ» فالابلاغ التصيير الی منتهی الحد. و الا بلاغ و الأداء نظائر. و فی الاية دلالة علی بطلان قول من قال: المعارف ضرورية لأنها لو كانت كذلک لما كان لطلب ما هو عالم به معنی. و معنی قوله «لا يعلمون» اخبار عن جهلهم فی أفعالهم، لا انهم لا يعقلون، و إنما أراد لا ينتفعون بمثله.

و لا يعرفون ما لهم و عليهم من الثواب و العقاب.

---

(۱) معانی القرآن ۱/ ۴۲۲. نسبه للكميت.

(۲) سورة ۴ النساء آية ۱۷۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۷۶

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آیة ۷] ..... ص : ۱۷۶

کَیْفَ یَکُونُ لِلْمُشْرِکِینَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِینَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَمَا اسْتَقامُوا لَکُمْ فَاسْتَقِیمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ (۷)

قال الفراء: هذا على التعجب كما تقول: كيف تستبقى مثلك؟! اى لا يبغى ان يستبقى، و فى قراءة عبد اللَّه: كيف يكون لهم عهد عند اللَّه، و لا ذمة، فادخل الكلام «لا» مع الواو، و لان معنى الاول جحد. و قال غيره: فى الكلام حذف لان الكلام خرج مخرج الإنكار عليهم. و تقديره كيف يكون للمشركين عهد عند اللَّه و عند رسوله مع إضمار الغدر فى عهدهم، فجاء الإنكار ان يكون لهم عهد مع ما ينبذ من العهد على ذلك، و ذلك يقتضى إضمار الغدر فيما وقع من العهد.

ثم استثنى من ذلك «الَّذِینَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» فكان ذلك ايجاباً فيهم لان ما قبله فى معنى النفى، و التقدير ليس للمشركين عهد الا الذين. و موضع «الذين» يحتمل الجر و النصب. و حكى الكسائى: اين كنت لتنجو منى اى ما كنت.

و «المسجد» الموضع المهيأ لصلاة الجماعة، و المراد ها هنا مسجد مكة خاصة و أصله موضع السجود كالمجلس موضع الجلوس و «الحرام» المحظور بعض أحواله فالخمر حرام لحظر شربها و سائر انواع التصرف فيها. و الام حرام بحظر نكاحها و المسجد الحرام لحظر صيده و سفلك الدم فيه و ابتذاله ما يبتذل به غيره. و قوله «فَمَا اسْتَقامُوا لَکُمْ» معناه ما استمروا لكم على العهد. و الاستقامة الاستمرار على جهة الصواب. و متى كان الاستمرار على وجه الخطأ لا يسمى استقامة. و معنى «فَاسْتَقِیمُوا لَهُمْ» استمروا لهم على العهد مثلهم و المراد بالذين عوهدوا عند المسجد التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۷۷

الحرام، قيل فيهم ثلاثة أقول: قال مجاهد: هم خزاعة. و قال ابن إسحاق: هم قوم من بنى كنانة. و قال ابن عباس: هم قريش.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ» اخبار منه تعالى انه يحب من يتقى معاصيه و يعمل بطاعاته و انه يريد ثوابه و منافعه. و فى الآية دليل على ان تمكين الحربى من المقام فى دار الإسلام بعد قضاء حاجته ليس بجائز

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آیة ۸] ..... ص : ۱۷۷

کَیْفَ وَ إِنْ یَظْهَرُوا عَلَیْکُمْ لا یَرْقُبُوا فِیکُمْ إِلاًّ وَ لا ذِمَّةً یُرْضُونَکُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَ تَأْبى قُلُوبُهُمْ وَ أَکْثَرُهُمْ فاسِقُونَ (۸)

تقدير الاية كيف لهم عهد و كيف لا تقتلونهم و حذف، لان قوله فى الاية لاولى «کَیْفَ یَکُونُ لِلْمُشْرِکِینَ عَهْدٌ» دل على ذلك و مثله قول الشاعر:

و خبّرتمانى أنما الموت فى القرى فكيف و هاتا هضبة و قليب «۱»

و يروى و هذى اى كيف مات و ليس فى قرية. و قال الحطيئة فى حذف الفعل بعد كيف:

فكيف و لم أعلمهم خذلوكم على معظم و لا اديمكم قدوا «۲»

أى كيف تلوموننى على مدح قوم و تذمونهم. و المعنى كيف لهم يعنى لهؤلاء المشركين عهد، و هم إن يظهروا عليكم بمعنى يعلوا عليكم بالغلبة، لان الظهور هو العلو بالغلبة. و أصله خروج الشيء الى حيث يصح ان يدرك «لا یَرْقُبُوا فِیکُمْ» معناه لا يراعون فيكم، و الرقوب هو العمل فى الامر على ما تقدم به العهد. و المراقبة

---

(۱) قائله كعب بن سعد الغنوى. الأصمعيات ۹۹ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۱۴۵ و أمالى القالى ۲/ ۱۵۱ و معانى القرآن ۱/ ۴۲۴

(۲) معانى القرآن ۱/ ۴۲۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۱۷۸

و المراعاة نظائر فی اللغة. و قوله: «إِلًّا وَ لا ذِمَّةً» قیل فی معنی الإل ستة اقوال:

أولها- قال مجاهد و ابن زید: إن معناه العهد. و الثانی- فی روایة اخری عن مجاهد أنه اسم اللَّه. و منه قول أبی بکر لما سمع کلام مسیلمة: لم یخرج هذا من إل، فأین یذهب بکم. الثالث- قال ابن عباس: هو القرابة. الرابع- قال الحسن: هو الجوار. الخامس- قال قتادة: هو الحلف. السادس- قال ابو عبیدة:

هو التمیز. و الأصل فی جمیع ذلک العهد و هو مأخوذ من الألیل و هو البریق، یقال: أل یؤل إذا لمع و الألة الحربة للمعانها، و أذن مؤللة مشبهة بالحربة فی تحدیدها و قال الزجاج: أصله التحدید قال الشاعر:

وجدناهم کاذباً إلهم و ذو الال و العهد لا یکذب «۱»

أی ذو العهد، و قال ابن مقبل:

أفسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الال و أعراق الرحم «۲»

یعنی القرابة، و قال حسان:

لعمرک إن إلکم فی قریش کال السقب من رأل النعام «۳»

و قوله «یُرْضُونَکُمْ بِأَفْواهِهِمْ» معناه یقولون قولا یرضیکم بذلک فی الظاهر و تأبی قلوبهم أن یذعنوا لکم بتصدیق ما یبدونه لکم. ثم اخبر تعالی عن حالهم بأن أکثرهم فاسقون. و قال ابن الأخشاد: أراد بذلک انهم متمردون فی شرکهم لأن الفاسق هو الخارج من الشیء من قولهم فسقت الرطبة. و إنما کان أکثرهم بهذه الصفة و لم یکن جمیعهم و إن کانوا کلهم فاسقین لأن المراد به رؤساءهم.

(۱، ۲) تفسیر الطبری ۱۴/ ۱۴۸، ۱۴۹

(۳) دیوانه: ۴۰۷ اللسان (أ لک) و تفسیر الطبری ۱۴/ ۱۴۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۱۷۹

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۹] ..... ص : ۱۷۹

اشْتَرَوْا بِآیاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِیلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِیلِهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (۹)

قیل فی من نزلت هذه الآیة بسببه قولان:

قال مجاهد: نزلت فی أبی سفیان لما جمعهم علی طعامه فاطعم حلفاءه و ترک حلفاء النبی صلی الله علیه و آله. و قال ابو علی الجبائی: نزلت فی قوم من الیهود دخلوا فی العهد فیما دلت علیه هذه الصفة. و معنی «اشْتَرَوْا بِآیاتِ اللَّهِ» استبدلوا بحجج اللَّه و بیناته العظیمة الشأن «ثَمَناً قَلِیلًا» ای عرضاً قلیلا و اصل الاشتراء استبدال ما کان من المتاع بالثمن، و نقیضه البیع، و هو العقد علی تسلیم المتاع بالثمن.

و الثمن ما کان من العین و الورق- فی الأصل- ثم قیل لما أخذوه بدل آیات اللَّه ثمن، لأنه بمنزلته فی أنه یستبدل به. و قوله «فَصَدُّوا عَنْ سَبِیلِهِ» ای صدوا عن الإسلام، و معنی هذه الفاء کمعنی جواب الجزاء، لان اشتراءهم هذا أداهم الی الصد عن سبیل اللَّه. و الصد هو المنع. ثم اخبر تعالی عنهم انهم بئس ما کانوا یعملونه من هذا الاستبدال.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۰] ..... ص : ۱۷۹

لا یَرْقُبُونَ فِی مُؤْمِنٍ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (۱۰)

قـد بينا ان المراقبـة هى المراعاة لما تقدم من العهد الذى يلزم الديانة، لئلا يقع إخلال بشـىء منه. و الإل العهد. و الذمة عقد الجوار، و هما متقاربان. و فصل بينهما بأن الذمـة عقـد قوم يـذم نقضه. و الإل الـذى هو العهـد عقد يدعو الى الوفاء و البيان الذى فيه، لأنه يلوح المعنى الذى يدعو الى الوفاء إذا ضل كل واحد التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۸۰

منهمـا يقتضـى هـذا. و انما أعيـد ذكر «لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً» لأنه فى صـفة «الـذين اشتروا بآيات الله ثمنا» و الاول فى صـفة جميع الناقضين للعهد. و قال فى الثانى «فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ»، فلذلك كرر بوصفين مختلفين. و قـال الجبائى: لأنه فى صـفة اليهود خاصـة، و الأول فى صـفة الناقضـين عامـة، و إنما ذموا بترك المراقبـة، لأن مع تركها الغالب ان يقع إخلال بما تقـدم من العقـد، فلزمت المراقبـة لهذه العلة. و ترك المراقبة فى عهد المؤمن أعظم منها فى ترك عهد غيره لكثرة الزواجر عن الغدر بالمؤمن، لأنه ليس من شأنه الغدر.

اخبر اللَّه تعـالى عن هؤلاـء المشـركين انهم لاـ يراعون فى المؤمن عقـد العهـد و لا ذمـة الجوار، و انهم مع ذلك معتـدون. و الاعتـداء الخروج من الحق و أصـله المجـاوزة، و منه التعـدى و هو تجاوز الحـد و معاداة القوم مجاوزة الحـد فى البغضـة و كـذلك العـداوة. و الاسـتعداء طلب معاملـة العـدو فى الإيقاع به، و العـدو مجاوزة حـد السـعى. و الغرض بالآيـة حث المسـلمين على قتالهم، و أن لا يبقوا عليهم كما انهم لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا عليهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱] ..... ص : ۱۸۰

فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۱۱)

شرط اللَّه لهؤلاـء المشـركين بـأنهم إن تـابوا و رجعوا عما هم عليه من الشـرك الى طاعـة اللَّه، و الاعتراف بوحـدانيته، و الإقرار بالنبى صلى الله عليه و آله، و أقـاموا الصـلاة المفروضـة على ما شـرعها اللَّه و اعطوا الزكاة الواجبـة عليهم، فإنهم يكونون اخوان المؤمنين فى الـدين، و الايمـان. و تقـديره فهم إخوانكم. و التوبـة هى النـدم على القبيـح لقبحه مع العزم على ترك العود الى مثله فى القبـح، و فى الناس من قال الى مثله فى صفته التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۸۱

فمن قـال ذلـك قـال توبـة المجبوب من الزنـا هى النـدم على الزنـا مـع العزم على ترك المعـاودة الى مثله على مـا يصـح و يجوز من الإمكان، و هو انه لو رد اللَّه عز و جل عضوه ما زنى، فاما من نسـى الـذنب فان توبته صـحيحة لا يؤاخـذ بالـذنب، لأنه مكلف قـد ادى جميع ما عليه فى الحال، فقد تخلص بذلك من العقاب. فان قيل لم شـرط مع التوبة من الشـرك و حصول الايمان إيتاء الزكاة؟ مع انه ليس كل مسـلم عليه الزكاة! قلنا: انما يجب عليه بشـرط الإمكان فإذا أقر بحكم الزكاة مع التعذر عليه دخل فى حكم الصفة التى يجب بها.

و قوله «وَ نُفَصِّلُ الْآياتِ» معناه نبينها و نميزها بخاصـة لكل واحـد منها بما يتميز به من غيرها حتى يظهر مـدلولها على أتم ما يكون من الظهور فيها «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» ذلك و يثبتونه دون الجهال الذين لا يعقلون عن اللَّه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲] ..... ص : ۱۸۱

وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (۱۲)

قرأ أهل الكوفـة و ابن عامر «أئمـة» بهمزتين، إلا هشاماً عن ابن عامر فانه فصل بين الهمزتين بالف. الباقون بهمزة واحدة و ياء بعدها. و فصل بينهما بالف ابو جعفر و المرى عن المسيبى و السوسنجردى عن يزيد بن إسماعيل. و قرأ ابن عامر و الحسن «لا أَيْمانَ لَهُمْ» بكسر الألف الباقون بفتحها. و الكسر يحتمل وجهين: أحدهما- انهم ارتدوا، و لا إسلام لهم، ذكره الزجاج. قال: و يجوز «لا إيمان لهم» على المصـدر، و تقـديره لا تأمنوهم بعـد نكثهم العهـد. و الآخر- لأنهم كفروا «لا أَيْمانَ لَهُمْ» و يحتمل أن يكون المراد أنهم آمنوا إيماناً لا

يفون به فلا إيمان لهم. و من فتح الهمزة فلقوله: «وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ» و لقوله التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۸۲
«عهدهم» و أثبت لهم الايمان. فان قيل كيف نفى فقال «إِنَّهُمْ لا- أَيْمانَ لَهُمْ» و قد أثبتها فى الأول من الآية بقوله «وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ»؟! قلنا: اليمين التى أثبتها هى ما حلفوا بها و عقدوا عليها، و لم يفوا، و انما المراد به انهم لا أيمان لهم يفون بها، و يتمسكون بموجبها. و قال ابو على النحوى «أئمة» على وزن «افعلة» جمع إمام نحو مثال و امثلة فصار أئمة، و اجتمع همزتان الف أفعلة، و الهمزة التى هى فاء الفعل، و التى هى فاء الفعل ساكنة فنقل اليها حركة التى بعدها ليمكن النطق بها. فمن خففها اتى بالهمزتين الاولى مفتوحة و الثانية مكسورة. و من كره ذلك قلب الثانية ياء و لم يجعلها بين بين، لأن همزة بين بين فى تقدير التحقيق و ذلك مكروه عندهم. و قال الرمانى: انما جاز اجتماع الهمزتين فى كلمة، لئلا يجتمع على الكلمة تغيير الإدغام و الانقلاب مع خفة التحقيق لأجل ما بعده من السكون، و هو مذهب ابن أبى إسحاق من البصريين. و الباقون لا يجيزونه، ذكره الزجاج، قال: لأنه يلزم عليه ان يقرأ «أأ أم» بهمزتين و ذلك باطل بالاتفاق. و على هذا القول هذا أ أم بهمزتين، قال: و انما قلبت الهمزة فى أئمة على حركتها دون حركة ما قبلها، لان الحركة إنما نقلها الى الهمزة لبيان زنة الكلمة، فلو ذهبت تقلبها على ما قبلها لكان مناقضاً للغرض فيها و إذا بنيت من الامامة هذا افعل من هذا قلت هذا أوم من هذا- فى قول المازنى- لأن أصله كان أ أم فلم يمكنه ان يبدل منها الفاء لاجتماع الساكنين، فجعلها واواً كما قالوا فى جمع آدم أوادم. قال الزجاج: و هو القياس و هذا ايم من هذا فى قول الأخفش، قال: لأنها صارت الياء فى أيمة بدلا لازماً.

و قوله «وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ» فالنكث نقض العهد الذى جعل لتوثيق الامر و ذلك بالخلاف لما تقدم من العزم. و «الأيمان» جمع يمين، و هو القسم و القسم هو قول عقد بالمعنى لتأكيده، و تغليظ الأمر فيه نحو و اللَّه ليكونن و تاللَّه ما كان، فيجوز أن يكون من اعطى صفقة بيمينه، و يجوز أن يكون من يمن التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۸۳
التيسير فى فعله. و قوله «وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ» فالطعن هو الاعتماد بالعيب. و أصله الطعن بالرمح، و نحوه فى الشيء لنقض بنيته.

و قوله «فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ» امر من اللَّه تعالى بقتال أئمة الكفر، و هم رؤساء الضلال و الكفار، و الامام هو المتقدم الاتباع، فأئمة الكفر رؤساء الكفر و الامام فى الخير مهتد هاد، و فى الشر ضال مضل، كما قال تعالى «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» «۱» و المعنى بائمة الكفر رؤساء قريش، فى قول ابن عباس و مجاهد. و قال قتادة: هم ابو جهل بن هشام، و أمية بن خلف و عتبة بن ربيعة و ابو سفيان بن حرب، و سهيل بن عمرو، و هم الذين هموا بإخراجه، و كان حذيفة يقول: لم يأت أهل هذه الآية.

و

روى عن أبى جعفر عليه السلام انها نزلت فى اهل الجمل و روى ذلك عن على عليه السلام

و عمار، و غيرهما. و يقول حذيفة قال يزيد بن وهب: قوله «إِنَّهُمْ لا- أَيْمانَ لَهُمْ» معناه لا تأمنوهم. و من كسر معناه، لأنهم كفروا لا إيمان لهم.

و قوله: «لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» معناه لكى ينتهوا.

و فى الاية دلالة على ان الذمى إذا اظهر الطعن فى الإسلام فانه يجب قتله، لان عهده معقود على أن لا يطعن فى الإسلام، فإذا طعن فقد نكث عهده.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۳] ..... ص : ۱۸۳

أَ لا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَ هُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳)

قوله «ألا» كلمة موضوعة للتحضيض على الفعل، و أصلها «لا» دخلت عليها

(۱) سورة ۲۸ القصص آية ۴۱. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۸۴

الف الاستفهام، فصارت تحضيضاً كما انها إذا دخلت على «ليس» صارت تقريراً و «ألا» موافقة للتحضيض بالاستقبال و «أليس» إنما هى للحال، فهى موافقة للحال بهذا المعنى. و إذا قال: «أ لا تُقاتِلُونَ» كان معناه التحضيض على قتالهم و إذا قال: «الا قاتلتم» كان ذلك تأنيباً، لأن ما يلزم إذا ترك ذم على تركه و يحض على فعله قبل وقته. حض اللَّه تعالى المؤمنين على قتال الكفار الذين «نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ» من مكة اى قصدوه. و الهم مقاربة الفعل بالعزم من غير اتباع له، و قد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم و قد يستعمل الهم على مقاربة العزم.

و قوله «وَ هُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» فالبدوء فعل ما لم يتكرر و المرة الفعلة من المر، و المرة و الكرة و الدفعة نظائر. و معنى «بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» بدءوا حلفاء النبى صلى الله عليه و آله بالقتال من خزاعة، فى قول الزجاج، و قال ابن إسحاق و الجبائى:

بدءوا بنقض العهد. و قال الطبرى: بدؤهم بخروجهم الى بدر، لقتالهم.

و قوله «أ تَخْشَوْنَهُمْ» معناه أ تخافونهم. ثم قال: «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ» اى تخافوه «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» و فى ذلك غاية الفصاحة لأنه جمع بين التقريع و التشجيع. و المعنى أ تخشون ان ينالكم من قتالهم مكروه، فاللَّه أحق ان تخشوا عقابه فى ارتكاب معاصيه إن كنتم مصدقين بعقابه و ثوابه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): الآيات ۱۴ الى ۱۵] ..... ص : ۱۸۴

قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (۱۴) وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۱۵)

آيتان.

هذا امر من اللَّه تعالى للمؤمنين بأن يقاتلوا هؤلاء الناقضين للعهد البادئين التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۸۵

بقتال حلفاء النبى صلى الله عليه و آله من خزاعة، فإنهم إذا قاتلوهم يعذب اللَّه الكفار بأيديهم يعنى بأيدى المؤمنين الذين يقاتلونهم، و ينصركم ايها المؤمنون ينصركم اللَّه «عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ» بذلك «صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» و فى ذلك دليل على انه اشتد غضب جماعة المؤمنين للَّه، فوعدهم اللَّه النصر، فى قول قتادة و الزجاج. و فيها دلالة على نبوة النبى صلى الله عليه و آله لأنه وعده النصر فكان الأمر على ما قال. و قوله «وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ» قيل المراد بهم خزاعة الذين قاتلوهم، فى قول السدى و غيره، لأنهم كانوا حلفاء النبى صلى الله عليه و آله. و التعذيب إيقاع العذاب لصاحبه و العذاب الم يستمر به، قال عبيد ابن الأبرص:

و المرء ما عاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيب

و معنى «يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ» اى انكم إذا تناولتموهم بالسلاح من السيوف و النبل و الرماح انزل اللَّه بهم العذاب. و قال ابو على: ذلك مجاز و المعنى انه لما كان ذلك بأمر اللَّه اضافه الى نفسه، و هو احسن من الاول.

و قوله «و يخزهم» معناه يذلهم و الاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة على صاحبه خزى خزياً و أخزاه اللَّه إخزاء. و يجوز فى «و يخزهم» ثلاثة أوجه من الاعراب:

الجزم باللفظ و عليه القراء، و النصب على الظرف، و الرفع على الاستئناف و لم يقرأ بهما.

و قوله «وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» فالشفاء سلامة النفس بما يزيل عنها الأذى، فكلما وافق النفس و أزال عنها الهم فهو شفاء و قيل «وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» يعنى خزاعة، لأنهم نقضوا العهد بقتالهم- فى قول مجاهد و السدى- و الصدور جمع الصدر و هو الموضع الأجل الذى يصدر عنه الأمر، و منه الإيراد و الإصدار.

و قوله «وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ» معناه يبطل غيظهم و يعدمه. و الاذهاب جعل الشىء يذهب و الذهاب الانتقال عن الشىء، و المجىء الانتقال الى الشىء، و الغيظ نقص الطبع بانزعاج النفس. تقول: غاظه يغيظه غيظاً و اغتاظ اغتياظاً و غايظه مغايظة. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۸۶

و قوله «وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ» معناه يقبل اللَّه توبة من يشاء من عباده.

و وجه اتصال قوله «وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ» بما قبله من وجهين:

أحدهما- بشارتهم بأن فيهم من يتوب و يرجع عن الكفر الى الايمان.

و الآخر- انه ليس فى قتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبة.

و رفع «و يتوب» بخروجه عن موجب القتال فاستأنفه.

و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عليم بتوبتهم إذا تابوا حكيم فى أمركم بقتالهم إذا نكثوا قبل أن يتوبوا و يرجعوا، لأن أفعاله كلها صواب و حكمة.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۶] ..... ص : ۱۸۶

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (۱۶)

قوله «ام حسبتم» من الاستفهام الذى يتوسط الكلام فيجعل ب (أم) ليفرق بينه و بين الاستفهام المبتدأ الذى لم يتصل بكلام و لو كان المراد الابتداء لكان اما بالألف أو ب (هل) كقوله «هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ» «۱» و المعنى ظننتم أن تتركوا. و الظن و الحسبان نظائر، و الحسبان قوة المعنى فى النفس من غير قطع، و هو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به «أَنْ تُتْرَكُوا» معنى الترك هو ضد ينافى الفعل المبتدأ فى محل القدرة عليه. و يستعمل بمعنى (ألا يفعل) كقوله «وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ» «۲» و قوله «وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ» إذا قيل: لما يفعل، فهو نفى للفعل مع تقريب لوقوعه. و إذا قيل: لم يفعل، فهو نفى بعد اطماع فى

---

(۱) سورة ۷۶ الدهر آية ۱.

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۱۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۸۷

وقوعه. و المعنى و لما يجاهدوا و يمتنعوا ان يتخذوا وليجة و يعلم اللَّه ذلك منكم فجاء مجىء نفى العلم لنفى المعلوم، لأنه متى كان علم اللَّه انه كائن. و كان ابلغ و أوجز، لأنه اتى على طريقة نفى صفات اللَّه تعالى.

و قوله «وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً» تقديره و لما يعلم اللَّه الذين آمنوا لم يتخذوا من دون اللَّه و لا رسوله وليجة، فالوليجة الدخيلة فى القوم من غيرهم تقول: ولج يلج ولوجاً و أولج إيلاجاً و تولج تولجاً بمعنى الدخول.

و الوليجة و الدخيلة و البطانة نظائر. و كل شىء دخل فى شىء و ليس منه فهو وليجة، قال طرفة:

فان القوافى يتلجن موالجاً تضايق عنها ان تولجها الابر «۱»

و قال آخر:

متخذاً من ضعوات تولجا متخذاً فيها اياداً دولجا «۲»

يعنى الكأس. و قال الفراء: نهوا ان يتخذوا بطانة يفشون اليهم أسرارهم.

و قال الجبائى: اتخاذ الوليجة من دون اللَّه و دون رسوله هو النفاق. نهوا أن يكونوا منافقين، و هو قول الحسن، فانه قال: الوليجة هى

الکفر و النفاق. و فی الآیـة دلالـة علی انه لا یجوز ان یتخذ من الفساق ولیجة، لان فی ذلک تألیفاً بالفسق یجری مجری الدعاء الیه مع ان الواجب معـاداة الفسـاق و البراءة منهم، و مع ذلـک فهو غیر مـأمون علی الأسـرار و الاطلاـع علیها. قال الزجاج: کانت براءة تسـمی الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقین، لأنه لما فرض القتال تمیز المؤمنون من المنافقین و من یوالی المؤمنین ممن یوالی أعداءهم.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۱۷] ..... ص : ۱۸۷

ما کانَ لِلْمُشْرِکِینَ أَنْ یَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِینَ عَلی أَنْفُسِهِمْ بِالْکُفْرِ أُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَ فِی النَّارِ هُمْ خالِدُونَ (۱۷)

(۱، ۲) مجاز القرآن ۱/ ۲۵۴ و اللسان (ولج)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۱۸۸

قرأ ابن کثیر و ابو عمرو «مسـجد اللَّه» علی التوحید. الباقون علی الجمع، فمن قرأ علی التوحید، قال الحسن أراد به المسجد الحرام و به قال الجبائی. و یحتمل ان یکون أراد المساجـد کلها، لأن لفظ الجنس یدل علی القلیل و الکثیر. و من قرأ علی الجمع یحتمل ان یکون أراد جمیـع المساجـد. و یحتمـل ان یکـون أراد المسـجد الحرام. و إنمـا جمـع لأـن کـل موضـع منـه مسـجد یسـجد علیه. و القراءتـان متناسبتان.

و الأصل فی المسجد هو موضع السجود و فی العرف یعبر به عن البیت المهیأ لصلاة الجماعة فیه.

اخبر اللَّه تعـالی انه لیس لمشـرک ان یعمر مسـجد اللَّه. و العمـارة ان یجـدد منه مـا استرم من الأبنیـة، و منه قولهم: اعتمر إذا زار، لأـنه یجـدد بالزیارة ما استرم من الحال. و قوله «شاهِدِینَ عَلی أَنْفُسِهِمْ بِالْکُفْرِ» نصب علی الحال، فالشـهادة خبر عن علم مشاهد بأن یشاهد المعنی او یظهر ظهور ما یشاهد کظهور المعنی فی شهادة أن لا إله إلا اللَّه. و المعنی بذلک أحد شیئین:

أحـدهما- ان فیمـا یخبرون به دلیلاـ علی کفرهم، لا أنهم یقولون نحن کفار، و لکن کما یقال للرجل ان کلامک لیشـهد انک ظالم- هذا قول الحسن.

و الثـانی- قـال السـدی: ان النصـرانی إذا سـئل مـا انت؟ قـال نصـرانی و الیهودی یقول انا یهودی و عابـد الوثن یقول مشـرک فـذلک شهادتهم علی أنفسهم بالکفر.

و قـال الکلبی: معناه شاهـدین علی النبی بالکفر، و هو من أنفسـهم. و قوله «أُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَ فِی النَّارِ هُمْ خالِدُونَ» اخبار منه تعالی ان اعمال هؤلاء الـذین شـهدوا علی أنفسـهم بالکفر باطلـة بمنزلـة ما لم یعمل، لأنهم أوقعوها علی وجه لا یسـتحق بها الثواب، و انهم مع ذلک مخلدون فی نار جهنم معذبون بأنواع العذاب.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۱۸۹

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۱۸] ..... ص : ۱۸۹

إِنَّما یَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَی الزَّکاةَ وَ لَمْ یَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسی أُولئِکَ أَنْ یَکُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِینَ (۱۸)

اخبر اللَّه تعالی فی هـذه الآیة انه ینبغی الا «یَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ» إلا «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» و أقر بوحدانیته و اعترف بالیوم الآخر یعنی یوم القیامة ثم اقام بعد ذلک «الصـلاة» بحدودها. و أعطی «الزکاة» الواجبة- ان وجبت علیه- مستحقیها و لم یخف سوی اللَّه احداً من المخلوقین، فإذا فعلوا ذلک فإنهم یکونون من المهتـدین الی الجنـة و نیل ثوابها، لأن عسـی من اللَّه واجبة لیست علی طریق الشک، و هو قول ابن عبـاس و الحسن. و قـال قوم: انمـا قـال عسـی لیکونوا علی طریق الحـذر، ممـا یحبـط أعمالهم، و یـدخل فی عمارة المساجـد عمارتها

بالصلاة فيها، و الذكر للّه. و العبادة له، لأن تجديد احوال الطاعة للّه من أوكد الأسباب التى تكون بها عامرة، كما ان إهمالها من أوكد الأسباب فى اخرابها، و ذكر قوله «وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ» بعد ذكر قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» يدل على ان الايمان لا- يقع على أفعال الجوارح، لأنه لو كان الايمان متناولا لذلك اجمع لما جاز عطف ما دخل فيه عليه. و من حمل ذلك على ان المراد به التفصيل و زيادة البيان فيما يشتمل على الايمان تارك للظاهر. و الخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر تقول: خشى يخشى خشية فهو خاش، و مثله خاف يخاف خوفاً و مخافة، فهو خائف. و الخاشى نقيض الآمن. و الاهتداء المذكور فى الآية هو التمسك بطاعة اللّه التى تؤدى الى الجنة و فاعلها يسمى مهتدياً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۹۰

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۹] ..... ص : ۱۹۰

أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۱۹)

خاطب اللّه تعالى بهذه الآية قوماً جعلوا القيام بسقى الحجيج و عمارة المسجد الحرام من الكفار مع مقامهم على الكفر مساوياً أو أفضل من ايمان من آمن باللّه و اليوم الآخر و جاهد فى سبيل اللّه، فأخبر تعالى انهما لا يستويان عند اللّه فى الفضل لان الذى آمن باللّه و اليوم الآخر و جاهد فى سبيل اللّه أفضل ممن يسقى الحجيج و لم يفعل ذلك. و فى الآية حذف احد أمرين: أحدهما- ان يكون تقديره كايمان من آمن باللّه و أقام الاسم مقام المصدر، لأن اصل السقاية مصدر كما قال الشاعر:

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى و لكنما الفتيان كل فتى ندى «۱»

اى فتيان نبات. و السقاية آلة تتخذ لسقى الماء. و قيل كانوا يسقون الحجيج الماء و الشراب. و بيت البئر سقاية ايضاً قال الرمانى المشبه لا- يجوز ان يكون مجاهداً فى سبيل اللّه لأنه لا يعرف اللّه فيتبع أمره فى ذلك و المجاهد إذا عرف اللّه صح ان يكون مطيعاً بالجهاد لاتباعه امر اللّه فيه. و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام ان الاية نزلت فى امير المؤمنين عليه السلام و العباس.

و روى الطبرى بإسناده عن ابن عباس انها نزلت فى العباس حين قال يوم بدر: إن سبقتمونا الى الإسلام و الهجرة لم تسبقونا الى سقاية الحاج و سدنة البيت، فأنزل اللّه الاية. و روى الطبرى بإسناده عن الحسن انها نزلت فى على و العباس و عثمان و شيبة. و قال الشعبى: نزلت فى على و العباس، و به قال ابن وهب و السدى.

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴/ ۱۷۲ و معانى القرآن ۱/ ۴۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۹۱

و قوله «وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» اخبار منه تعالى انه لا يهدى احداً ممن ظلم نفسه و كفر بآيات اللّه، و جحد وحدانيته الى الجنة كما انه يهدى اليها من كان عارفاً بذلك فاعلا لطاعته مجتنباً لمعصيته.

و اختلفوا فى سبب نزول الاية فقال قوم: سأل المشركون اليهود فقالوا:

نحن سقاة الحجيج و عمار المسجد الحرام أ فنحن أفضل ام محمّد و أصحابه؟ فقالت اليهود لهم: أنتم أفضل، عناداً للنبى صلى الله عليه و آله و المؤمنين. و قال آخرون: تفاخر المسلمون الذين جاهدوا و الذين لم يجاهدوا. فنزلت الآية، ذكره الزجاج.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۲۰] ..... ص : ۱۹۱

الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ (٢٠)

موضع «الـذين» رفع بالابتـداء و خبره أعظم درجـة. اخبر اللَّه تعالى ان الـذين آمنوا يعنى صدقوا باللَّه و اعترفوا بوحدانيته، و أقروا بنبوة نبيه، و هاجروا عن أوطانهم التى هى دار الكفر الى دار الإسـلام، و جاهـدوا فى سبيل اللَّه بأموالهم و أنفسـهم أعظم درجـة عنـد اللَّه. و معناه يتضاعف فضلهم عند اللَّه مع شرف الجنس.

و لو قال على درجة أفاد شرف الجنس فقط.

و قوله «أُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ» اخبار منه تعالى ان من وصفه هم الذين يظفرون بالبغية و يدركون الطلبة، لان الفوز هو الظفر بالبغية و هو و الفلاح و النجاح نظائر.

و قيل: إنه يلحق بمثل منزلـة المجاهـدين من لم يجاهـد بأن يجاهد فى طلب العلم الدينى فيتعلمه و يعلم غيره و يدعو اليه و الى اللّه. و ربما كانت هـذه المنزلـة فوق تلك فان قيل كيف قال «أَعْظَمُ دَرَجَـةً» من الكفار بالساقية و السدانة؟ قلنا: على ما روينا عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام و ابن عباس و غيرهم لا يتوجه السؤال عن التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۹۲

ذلك لان المفاضـلة جرت بينهم، لان لجميعهم الفضل عنـد اللَّه و من لا يقول ذلك يجيب بجوابين: أحـدهما- انه على تقدير ان لهم بذلك منزلة كما قال تعالى «أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا» «١» هـذا قول الحسن و أبى على. و الثـانى- قال الزجاج المعنى أعظم من غيرهم درجـة. و (الذى) يجوز وصـفها و لا يجوز وصف «من» إذا كانت بمعنى الذى، لأن «من» تكون تارة معرفة موصولة فلذلك افترقا. و قيل معنى «الفائزى» انهم الظافرون بثواب اللَّه الذى استحقوه على طاعتهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (٩): آية ٢١] ..... ص : ١٩٢

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوانٍ وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١)

فى الآية اخبار من اللَّه تعالى بالبشارة و اعلام للذين آمنوا و هاجروا برحمة من جهته تعالى، و البشرى و البشارة الدلالة على ما يظهر به السرور فى بشرة الوجه تقول بشرته أبشره بشرى و ابشر ابشاراً و استبشر استبشاراً و تباشر تباشراً و بشره تبشيراً فاما باشره مباشرة، فبمعنى لاقاه ببشر و رضوان. و هو معنى يستحق بالإحسان، يدعو الى الحمد على ما كان، و يضاد سخط الغضبان، تقول: رضى رضاً و رضواناً و أرضاه إرضاء و ترضاه ترضياً و ارتضاه ارتضاء و استرضاه استرضاء و تراضوه تراضيا.

و قوله «وَ جَنَّاتٍ» يعنى البسـاتين التى يجنهـا الشـجر، و أما الرياض فهى الموطأة للخضـرة التى قـد ينبت فيها نبات الزهر و منه الرياضـة لأنها توطئة لتقريب العمل.

و قوله «لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ» فالنعيم لين العيش اللذيذ، و هو مشتق من النعمة

---

(١) سورة ٢٥ الفرقان آية ٢۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۹۳

و هى اللين، و أما النعمة بكسر النون، فهى منفعة يستحق بها الشكر لأنها كنعم العيش و المقيم الدائم بخلاف الراحل فكأنه قال: المقيم ابداً.

قوله تعالى:[سورة التوبة (٩): آية ٢٢] ..... ص : ١٩٣

خالِدِينَ فِيها أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)

«خالِدِينَ» نصب على الحـال من الهـاء و الميم فى قـوله: «لهم» و الخلود فى العرف الـدوام فى الشـيء كـالخلود فى الجنـة مـأخوذ من

قولهم: خلد هذا الكتاب فى الديوان على تقدير الدوام من غير انقطاع. و الأبد الزمان المستقبل من غير آخر كما أن (قط) للماضى تقول: ما رأيته قط، و لا أراه ابداً و جمع الأبد آباد و أبود تقول لا أفعل ذلك أبداً، و تأبد المنزل إذا أقفر و أتى عليه لا بد، و الاوابد الوحوش سميت بذلك لطول أعمارها و بقائها. و قيل: لم يمت وحش حتف أنفه و انما يموت بآفة، و جاء فلان بأبدة اى بداهية و أتان آبد تسكن القفر متأبدة.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» اخبار منه تعالى ان عنده الجزاء أى فى مقدوره الجزاء الذى يستحق بالأعمال تقول: أجره يأجره أجراً و آجره إجارة و استأجره استئجاراً و منه الأجير.

و قوله «عظيم» يعنى كبير متضاعف لا تبلغه نعمة غيره من الخلق، و الأبد قطعة من الدهر متتابعة فى اللغة قال الحر بن البعيث:

أهاج عليك الشوق اطلال دمنة بناصفة البردين أو جانب الهجل

اتى ابد من دون حدثان عهدها و جرت عليها كل نافحة شمل «۱»

و من الدليل على أن الأبد قطعة من الدهر أنه ورد مجموعاً فى كلامهم. قالت صفية بنت عبد المطلب تخاطب ولدها الزبير:

و خالجت آباد الدهور عليكم و أسماء لم تشعر بذلك أيم

(۱) اللسان «شمل»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۹۴

فلو كان زبر مشركاً لعذرته و لكن زبراً يزعم الناس مسلم

و يقال: تأبد الربيع إذا مر عليه قطعة من الدهر و ليس يعنون انه مر عليه أبد لا غاية له قال مزاحم العقيلى:

أ تعرف بالغرين داراً تأبدت من الحى و استبقت عليها العواصف

فأما الخلود، فليس فى كلام العرب ما يدل على انه بقاء لا غاية له و إنما يخبرون به عن البقاء الى مدة كما قال المخبل السعدى:

الا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحم «۱»

أراد دفع الرياح عن النؤى الى هذا الوقت هذه الاثافى التى بقيت الى هذا الوقت.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۲۳] ..... ص : ۱۹۴

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۲۳)

روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام ان هذه الآية نزلت فى حاطب بن بلتعة حيث كتب الى قريش بخبر النبى صلى الله عليه و آله حين أراد فتح مكة.

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ آبائهم و إخوانهم أولياء متى استحبوا الكفر، و آثروه على الايمان. و «الاتخاذ» هو الافتعال من أخذ الشيء. و الاتخاذ أعداد الشيء لأمر من الأمور.

و اتخاذهم اولياء: هو ان يعتقدوا موالاتهم و وجوب نصرتهم فيما ينوبهم، و ليس ذلك بمانع من صلتهم، و الإحسان اليهم، لأنه تعالى حث على ذلك، فقال: «وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً»

(۱) مر هذا البيت فى ۲/ ۲۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۱۹۵

«۱». و الأب و الوالد نظائر. و الأخ الشقيق فى النسب من قبل الأب و الام، و كل من رجع من آخر الى واحد فى النسب من والد و

والدة، فهو أخ.

و الأولياء جمع ولى و هو من كان مختصاً بايلاء التصرف فى وقت الحاجة. و قال الحسن: من تولى المشرك، فهو مشرك. و هذا إذا كان راضياً بشركه، و يكون سبيله سبيل من يتولى الفاسق أن يكون فاسقاً.

و قوله «إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ» معناه إن طلبوا محبة الكفر على الايمان. و قد يكون استحب بمعنى أحب كما ان استجاب بمعنى أجاب. ثم اخبر تعالى ان من استحب الكفار على المؤمنين فإنهم أيضاً ظالمون نفوسهم و الباخسون حظها من الثواب، لأنهم وضعوا الموالاة فى غير موضعها.

قوله تعالى:[سورة التوبة (٩): آية ٢۴] ..... ص : ١٩۵

قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (٢۴)

قرأ ابو بكر عن عاصم و «عشيراتكم» على الجمع. الباقون على التوحيد.

من جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فإذا جمع قال و عشيراتكم.

و من أفرد قال العشيرة تقع على الجمع. و قال ابو الحسن: العرب لا تجمع العشيرة عشيرات. و انما تقول عشائر.

---

(١) سورة ٣١ لقمان آية ١۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ١٩۶

أمر اللَّه تعالى بهذه الآية نبيه صلى الله عليه و آله أن يخاطب هؤلاء الذين تخلفوا عن الهجرة الى دار الإسلام. و أقاموا بدار الكفر، و قال الجبائى: هو خطاب للمؤمنين أجمع و تحذير لهم من ترك الجهاد و حث لهم عليه، فأمره أن يقول لهم «إِنْ كانَ آباؤُكُمْ» الذين ولدوكم «وَ أَبْناؤُكُمْ» الذين ولدتموهم، و هم الأولاد الذكور «وَ أَزْواجُكُمْ» جمع زوجة و هى المرأة التى عقد عليها عقدة نكاح صحيح، لأن ملك اليمين و المعقود عليها عقد شبهة لا تسمى زوجة «وَ عَشِيرَتُكُمْ» و هى الجماعة التى ترجع الى عقد كعقد العشرة. و منه المعاشرة، و هى الاجتماع على عقد يعم.

و منه العشار النوق التى أتى على حملها عشرة أشهر «وَ أَمْوالٌ» جمع مال «اقْتَرَفْتُمُوها» أى اقتطعتموها و اكتسبتموها، و مثله الاحتراف. و الاقتراف اقتطاع الشيء عن مكانه الى غيره «وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها» يعنى ما اشتريتموه طلباً للربح تخافون خسرانها و وقوفها «وَ مَساكِنُ» جمع مسكن و هى المواضع التى تسكنونها و ترضونها «أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» يعنى آثر فى نفسوكم و أقرب الى قلوبكم. و المحبة إرادة خاصة للشيء فمن أحب الجهاد فقد أراد فعله و من أحب اللَّه أراد شكره و عبادته. و من أحب النبى أراد إجلاله و إعظامه. و الذى اقتضى نزول هذه الاية محبتهم التى منعتهم الهجرة. و قوله «فَتَرَبَّصُوا» اى فتثبتوا. و التربص التثبت فى الشيء حتى يجيء وقته. و التربص و التنظر و التوقف نظائر فى اللغة. و نقيضه التعجل بالأمر.

و قال مجاهد قوله «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» من عقوبة عاجلة أو آجلة. و قوله «وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ» معناه إنه لا يهديهم الى الثواب و الجنة لأنه تعالى قد هداهم الى الايمان فقال «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى «١»».

قوله تعالى:[سورة التوبة (٩): آية ٢۵] ..... ص : ١٩۶

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢۵)

(۱) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آية ۱۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۹۷

أقسم اللَّه تعالى فى هـذه الايـة- لأن لام «لقد» لام القسم- بأنه نصـر المؤمنين فى مواطن كثيرة. و مواطن فى موضع جر ب «فى» و انما نصب، لأنه لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له فى الآحاد، فلا ينصرف. و جر كثيرة على المواضع و أنثه على اللفظ. و مواطن جمع موطن. و معنى النصـر الغلبة على العدو. و المعونة قد تكون فى حمل الثقيل، و تكون فى شراء متاع و تكون فى قضاء حاجة، و لا يكون النصر إلا المعونة على العدو خاصة. و الموطن هو الموضع الذى يقيم فيه صاحبه و إنما قد أقاموا فى هذه المواطن للقتال. و معنى كثيرة

روى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام انها كانت ثمانين موطناً

، و الكثيرة عدة زائدة على غيرها فهى كثيرة بالاضافة الى ما دونها قليلة بالاضافة الى ما فوقها.

و قوله «وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ»، و حنين اسم واد بين مكة و الطائف فى قول قتادة.

و قال عروة: هو واد الى جانب ذى المجاز، فلذلک صرف، و يجوز ترک صرفه على انه اسم للبقعة قال الشاعر:

نصروا نبيهم و شدوا أزره بحنين يوم تواكل الابطال «۱»

و قوله «إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ» فالاعجاب السـرور بما يتعجب منه، و العجب السرور بالنفس على الفخر بما يتعجب منه. و قال قتادة: إنه كان سـبب انهزام المسـلمين يوم حنين أن بعضـهم قال حين رأى كثرة المسـلمين يوم حنين لأنهم كانوا اثنى عشر ألفاً، فقال: لن نغلب اليوم عن قلـة. فانهزموا بعد ساعة. و قيل: إنهم كانوا عشـرة آلاف. و قال بعضـهم: ثمانية آلاف و الأول أشـهر. و لما انهزموا لم يبق مع النبى صلى الله عليه و آله الا تسعة نفر من بنى هاشم و أيمن ابن ام ايمن. و العباس بن عبد

(۱) قائله حسان ديوانه ۳۳۴ و معانى القرآن ۱/ ۴۲۹ و اللسان (حنن)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۱۹۸

المطلب. و ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و على بن أبى طالب عليه السلام فى آخرين،

فأخذ النبى صلى الله عليه و آله كفاً من الحصباء فرماهم به، و قال شاهت الوجوه فانهزم المشركون.

و قوله «فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَـيْئاً» معناه لم تغن كثرتكم شـيئاً. و الإغناء إعطاء ما يرفع الحاجة. و لذلک قيل فى الدعاء أغناک اللَّه «فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً» معناه لم تعطلكم ما يرفع حاجتكم.

و قوله «وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ» معناه ليس فيها موضع يصـلح لكم لفراركم عن عدوكم. و الضيق مقدار ناقص عن مقدار، و الرحب السعة فى المكان و قد يكون فى الرزق. و السعة فى النفقة.

و قوله «ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» فالادبار الذهاب الى جهة الخلف و الإقبال الى جهة القدام. و المعنى وليتم عن عدوكم منهزمين. و تقديره و ليتموهم الأدبار.

و كانت غزوة حنين عقيب الفتح فى شهر رمضان أو فى شوال سنة ثمان.

فان قيل كيف قال انه نصرهم فى مواطن كثيرة؟ و المؤمنون منصورون فى جميع الأحوال؟

قلنا عنه جوابان: أحدهما- ان ذلک اخبار بأنه نصـرهم دفعات كثيرة و لا يدل على انه لم ينصرهم فى موضع آخر، و الثانى- لأنهم لما انهزموا لم يكونوا منصورين و كان ذلک منهم خطأ و إن وقع مكفراً.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۲۶] ..... ص : ۱۹۸

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ (٢۶)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۱۹۹

اخبر اللّه تعالی أنه حین انهزم المسلمون و بقی النبی صلی الله علیه و آله فی نفر من قومه أنه أنزل السکینة، و هی الرحمة التی تسکن الیها النفس و یزول معها الخوف حتی رجعوا الیهم و قاتلوهم و هزمهم اللّه تعالی بأن أنزل النصر و أنزل السکینة. و قیل السکینة هی الطمأنینة و الامنة. و قال الحسن: هی الوقار قال الشاعر:

للّه قبر غالها ما ذا یجن لقد اجن سکینة و وقارا «۱»

و قوله «وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها» و الجنود هی الجموع التی تصلح للحروب.

و المراد بها ها هنا الملائکة، جند و أجناد و جنود، فانزل اللّه الملائکة مداداً للمؤمنین و قال الجبائی: إنما نزلت الملائکة یوم حنین من جهة الخاطر الذی یشجع قلوبهم و یجبن عنهم أعداءهم، و لم تقاتل إلا یوم بدر خاصة.

و قوله «وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه- ها هنا- القتل و الأسر و سلب الأموال مع الاذلال و الصغار. ثم قال «وَ ذلِكَ» یعنی ذلک العذاب «جَزاءُ الْكافِرِينَ» من جحد نعم اللّه و أنکر وحدانیته، و جحد نبوة نبیه مع ما أعده لهم من عذاب النار.

قوله تعالی:[سورة التوبة (٩): آیة ٢٧] ..... ص : ١٩٩

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)

معنی (ثم) ها هنا العطف علی الفعل الاول، و قد ذکرت (ثم) فی ثلاثة مواضع متقاربة: فالأول- عطف علی ما قبلها. و الثانیة- عطف علی «وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ» و الثالثة- عطف علی (أَنْزَلَ ... ثُمَّ يَتُوبُ) و انما حسن عطف المستقبل علی الماضی لأنه مشاکله فان الأول تذکیر بنعمه و الثانی وعد بنعمه.

و التوبة هی الندم علی ما مضی من القبیح، و العزم علی أن لا یعود الی مثله إما فی

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٨۶.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ٢٠٠

الجنس او فی القبح علی الخلاف فیه، فشرط الندم بالعزم، لأن الندم إنما هو علی الماضی و العزم علی ما یستقبل، فلو لم یجتمعا لم تکن توبة. و معنی «ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ» انه یقبل التوبة من بعد هزیمة من انهزم. و یجوز أن یکون المراد بعد کفر من کفر یقبل توبة من یتوب و یرجع الی طاعة اللّه و الإسلام و یندم علی ما فعل من القبیح «علی من یشاء» و إنما علقه بالمشیئة، لأن قبول التوبة و إسقاط العقاب عندها تفضل- عندنا- و لو کان ذلک واجباً لما جاز تعلق ذلک بالمشیئة کما لم یعلق الثواب علی الطاعة و العوض علی الألم فی موضع بالمشیئة. و من خالف فی ذلک قال: إنما علقها بالمشیئة، لأن منهم من له لطف یؤمن عنده فاللّه تعالی یشاء أن یلطف له مع صرف العمل فی ترک التوبة الی اللّه.

و قوله «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» معناه انه ستار للذنوب لا یفضح احداً علی معاصیه بل یسترها علیه إذا تاب منها، و هو رحیم بعباده.

قوله تعالی:[سورة التوبة (٩): آیة ٢٨] ..... ص : ٢٠٠

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)

هذا خطاب من اللّه تعالی للمؤمنین یخبرهم فیه أن المشرکین أنجاس و یأمرهم ان یمنعوا المشرکین من أن یقربوا المسجد الحرام بعد

عامهم هذا أی الذی أشار الیه، و هی سنهٔ تسع من الهجرهٔ التی نبذ فیها براءهٔ المشرکین. و کانت بعده حجهٔ الوداع- و هو قول قتادهٔ و غیره من المفسرین- و المراد بالمسجد الحرام الحرم کله- فی قول عطاء و غیره- و کل شیء مستقذر فی اللغهٔ یسمی نجساً، فإذا استعمل مفرد قیل: نجس- بفتح النون و الجیم معاً- و یقع علی الذکر و الأنثی سواء. و ظاهر التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۰۱ الآیهٔ یقتضی أن الکفار أنجاس، و لا یجوز مع ذلک أن یمکنوا من دخول شیء من المساجد، لأن شرکهم أجری مجری القذر الذی یجب تجنبه، و علی هذا من باشر ید کافر، وجب علیه ان یغسل یده إذا کانت یده او ید المشرک رطبهٔ. و إن کانت أیدیهما یابستین مسحها بالحائط. و قال الحسن: من صافح مشرکاً فلیتوضأ، و لم یفصل.

و اختلفوا فی هل یجوز دخولهم المسجد الحرام بعد تلک السنهٔ أم لا؟.

فروی عن جابر ابن عبد اللَّه، و قتادهٔ أنه لا یدخله احد إلا أن یکون عبداً او أحداً من اهل الذمهٔ. و قال عمر بن عبد العزیز: لا یجوز لهم دخول المسجد الحرام، و لا یدخل احد من الیهود و النصاری شیئاً من المساجد بحال. و هذا هو الذی نذهب الیه. و قال الطبری و قتادهٔ: سموا أنجاساً، لأنهم لا یغتسلون من جنابهٔ.

و قوله «فان خفتم عیلهٔ» فالعیلهٔ الفقر، تقول: عال یعیل إذا افتقر قال الشاعر:

و ما یدری الفقیر متی غناه و ما یدری الغنی متی یعیل «۱»

و کانوا خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشرکین، فقال اللَّه تعالی «وَ إِنْ خِفْتُمْ عَیْلَهً» یعنی فقراً بانقطاعهم، فاللَّه یغنیکم من فضله إن شاء- فی قول قتادهٔ و مجاهد- و إنما علقه بالمشیئهٔ لأحد أمرین: أحدهما- لان منهم من لا یبلغ هذا المعنی الموعود به، لأنه یجوز ان یموت قبله- فی قول أبی علی- و الثانی- لتنقطع الآمال الی اللَّه تعالی، کما قال «لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِینَ» «۲». و قوله «إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ حَکِیمٌ» معناه عالم بمصالحکم حکیم فی منع المشرکین من دخول المسجد الحرام.

قوله تعالی:[سورهٔ التوبهٔ (۹): آیهٔ ۲۹] ..... ص : ۲۰۱

قاتِلُوا الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْیَوْمِ الْآخِرِ وَ لا یُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا یَدِینُونَ دِینَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ حَتَّی یُعْطُوا الْجِزْیَهَ عَنْ یَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ (۲۹)

---

(۱) مر هذا البیت فی ۳/ ۱۰۹ و هو فی مجاز القرآن ۱/ ۲۵۵

(۲) سورهٔ ۴۸ الفتح آیهٔ ۲۷

. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۰۲

قوله تعالی «قاتِلُوا الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْیَوْمِ الْآخِرِ» امر من اللَّه تعالی لنبیه و للمؤمنین بأن یقاتلوا الذین لا یعترفون بتوحید اللَّه، و لا یقرون بالیوم الاخر و البعث و النشور. و ذلک یدل علی صحهٔ مذهبنا فی الیهود و النصاری و أمثالهم انه لا یجوز أن یکونوا عارفین باللَّه و إن أقروا بذلک بلسانهم. و انما یجور أن یکونوا معتقدین لذلک اعتقاداً لیس بعلم. و الایهٔ صریحهٔ بأن هؤلاء الذین هم أهل الکتاب الذین تؤخذ منهم الجزیهٔ لا یؤمنون باللَّه و لا بالیوم الاخر و انه یجب قتالهم «حَتَّی یُعْطُوا الْجِزْیَهَ عَنْ یَدٍ». و من قال: إنهم یجوز أن یکونوا عارفین باللَّه تعالی، قال: الایهٔ خرجت مخرج الذم لهم، لأنهم بمنزلهٔ من لا یقربه فی عظم الجرم، کما انهم بمنزلهٔ المشرکین فی عبادهٔ اللَّه بالکفر. و قال الجبائی:

لأنهم یضیفون الیه ما لا یلیق به فکأنهم لا یعرفونه. و انما جمعت هذه الأوصاف لهم و لم یذکروا بالکفار من اهل الکتاب للتحریض علی قتالهم بما هم علیه من صفات الذم التی توجب البراءهٔ منهم و العداوهٔ لهم.

و قوله «وَ لا یَدِینُونَ دِینَ الْحَقِّ» یدل علی ان دین الیهودیهٔ و النصرانیهٔ غیر دین الحق، و ذلک یقوی انهم غیر عارفین باللَّه، لأنهم لو

كانوا عارفين كانوا فى ذلك محقين، فأما اعتقادهم لشريعة التوراة فإنما وصف بأنه غير حق لامرين:

أحدهما- انها نسخت فالعمل بها بعد النسخ باطل غير حق. الثانى- ان التوراة التى هى معهم مغيرة مبدلة لقوله «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ» «۱» و يقلبونه عن معانيه.

و قوله «وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» معناه انهم لا يعترفون بالإسلام

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۴۵ و سورة ۵ المائدة آية ۱۴ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۰۳

الذى هو الدين الحق، و لا يسلمون لأمر اللَّه الذى بعث به نبيه محمّد صلى الله عليه و آله فى تحريم حرامه و تحليل حلاله. و الدين فى الأصل الطاعة قال زهير:

لئن حللت بجوفى بنى اسد فى دين عمرو و حالت بيننا فدك «۱»

و قوله «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ» فالجزية عطية عقوبة جزاء على الكفر باللَّه على ما وضعه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على أهل الذمة- و هو على وزن جلسة، و قعدة- لنوع من الجزاء. و إنما قيل «عن يد» ليفارق حال الغصب على اقرار أحد. و قال ابو على: معناه يعطونا من أيديهم يجيئون بها بنفوسهم لا ينوب عنهم فيها غيرهم إذا قدروا عليه. فيكون أذل لهم. و قال قوم: معناه عن نقد كما يقال: باع يداً بيد. و قال آخرون: معناه عن يد لكم عليهم و نعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم. و قال الحسين بن على المغربى: معناه عن قهر، و هو قول الزجاج.

و قوله «وَ هُمْ صاغِرُونَ» فالصغار الذل و النكال الذى يصغر قدر صاحبه، صغر يصغر صغاراً، فهو صاغر. و قيل: الصغار إعطاء الجزية قائماً، و الآخذ جالس ذهب اليه عكرمة. و الجزية لا تؤخذ عندنا إلا من اليهود و النصارى و المجوس. و أما غيرهم من الكفار على اختلاف مذاهبهم من عباد الأصنام و الأوثان و الصابئة و غيرهم فلا يقبل منهم غير الإسلام أو السبى. و انما كان كذلك لما علم اللَّه تعالى من المصلحة فى اقرار هؤلاء على كفرهم و منع ذلك فى غيرهم، لأن هؤلاء على كفرهم يقرون بألسنتهم بالتوحيد و بعض الأنبياء، و ان لم يكونوا على الحقيقة عارفين. و أولئك يجحدون ذلك كله، فلذلك فرق بينهما.

فان قيل: إعطاء الجزية منهم لا يخلوا أن يكون طاعة او معصية، فان كان معصية فكيف أمر اللَّه بها؟ و إن كان طاعة وجب أن يكونوا مطيعين للَّه.

قلنا: إعطاؤهم ليس بمعصية. و أما كونها طاعة للَّه فليس كذلك، لأنهم انما يعطونها دفعاً للقتل عن أنفسهم لا طاعة للَّه، فان الكافر لا يقع منه طاعة عندنا

---

(۱) ديوانه ۱۸۳ و مجاز القرآن ۱/ ۲۸۶ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۱۹۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۰۴

بحال، لأنه لو فعل طاعة للَّه لاستحق الثواب و الإحباط باطل، فكان يجب ان يكون مستحقاً للثواب و ذلك خلاف الإجماع.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۳۰] ..... ص : ۲۰۴

وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (۳۰)

قرأ «عزير» بالتنوين عاصم و الكسائى و عبد الوارث عن أبى عمرو. الباقون بترك التنوين. و قرأ عاصم وحده «يضاهؤن» بالهمزة.

الباقون بغير همزة.

من ترك التنوين فى «عزير» قيل فى وجه ذلك ثلاثة أقوال: أحدها- انه اعجمى معرفة لا ينصرف. و الثانى- لأن ابن ها هنا صفة بين علمين و الخبر محذوف و التقدير معبودنا أو نبينا عزير ابن اللَّه. الثالث- انه حذف التنوين لالتقاء الساكنين تشبيهاً بحرف اللين، كما قال الشاعر:

فألفيته غير مستعتب و لا ذاكر اللَّه إلا قليلا «۱»

هذا الوجه قول الفراء: و عند سيبويه هو ضرورة فى الشعر قال أبو علي:

من نونه جعله مبتدأ و جعل ابناً خبره، و لا بد مع ذلك من التنوين فى حال السعة و الاختيار، لأن أبا عمرو و غيره يصرف عجمياً كان او عربياً.

و من حذف التنوين يحتمل وجهين: أحدهما- أنه جعل الموصوف و الصفة بمنزلة اسم واحد، كما يقال: لا رجل ظريف. و حذف التنوين و لم يحرك لالتقاء الساكنين، كما يحرك يا زيد العاقل، لأن الساكنين كأنهما التقيا فى تضاعيف كلمة واحدة، فحذف الاول منهما و لم يحرك لكثرة الاستعمال. و الوجه الاخر-

---

(۱) مر تخريجه فى ۲/ ۷۶ تعليقة ۳

أن يجعل مبتدأ و الاخر الخبر مثل من نون و حذف التنوين لالتقاء الساكنين، و على هذا قراءة من قرأ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ» فحذف التنوين لالتقاء الساكنين.

فان قيل كيف أخبر اللَّه عن اليهود بأنهم يقولون عزير ابن اللَّه و اليهود تنكر هذا؟! قلنا: إنما اخبر اللَّه بذلك عنهم، لأن منهم من كان يذهب اليه، و الدليل على ذلك ان اليهود فى وقت ما انزل اللَّه القرآن سمعت هذه الآية فلم تنكرها. و هو كقولك: الخوارج تقول بتعذيب الأطفال، و إنما يقول بذلك الازارقة منهم خاصة.

قال ابن عباس: القائل لذلك جماعة جاءوا الى النبى صلى الله عليه و آله، فقالوا له ذلك، و هم سلام ابن مشكم، و نعمان بن اوفى، و شاس بن قيس، و مالك بن الصيف، فانزل اللَّه فيهم الآية.

و قوله «ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ» معنا انه لا- يرجع الى معنى صحيح: فهو لا يجاوز أفواههم، لأن المعنى الصحيح ما رجع الى ضرورة العقل او حجته او برهانه او دليل سمعى. و قوله «يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» معناه يشابهون و منه قولهم امرأة ضهياء التى لا تحيض، و لا يخرج ثدياها اى أشبهت الرجال. و قال أبو على الفارسى: ليست يضاهؤن من قولهم امرأة ضهياء، لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية لأنه ليس فى الكلام شيء على وزن (فعياء) و يشبه ان يكون ذلك لغة، كما قالوا ارجأت و أرجيت. و اختار الزجاج أن تكون الهمزة أصلية، كما جاء كثير من الأشياء على وزن لا يطرد نحو (كنهبل) و هو الشجر العظام، و كذلك (قرنفل) لا نظير له. و وزنه (فعنلل).

و قال ابن عباس «الَّذِينَ كَفَرُوا» أراد به عبدة الأوثان، و قال الفراء: يشابهونهم فى عبادة اللات و العزى و مناة الثالثة الاخرى. و قال قوم فى قولهم: الملائكة بنات اللّه. و قال الزجاج: شابهوهم فى تقليدهم أسلافهم فى هذا القول.

و قوله «قاتَلَهُمُ اللَّهُ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال: أحدها- قال ابن عباس معناه لعنهم اللَّه. الثانى- معناه قتلهم اللَّه كقولهم عافاه اللَّه من السوء. الثالث-

كالمقاتل لغيره فى عداوة اللَّه.

و قوله «أَنَّى يُؤْفَكُونَ» معناه كيف يصرفون عن الحق الى الافك الذى هو الكذب، و رجل مأفوك عن الخير و ارض مأفوكة صرف

عنها المطر قال الشاعر:

أنى الم بك الخيال تطيف

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۳۱] ..... ص : ۲۰۶

اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (۳۱)

اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء اليهود و النصارى الذين حكى حكايتهم انهم اتخذوا أحبارهم، و هو جمع حبر، و هو العالم الذى صناعته تحبير المعانى بحسن البيان و قيل حبر و حبر- بفتح الباء و كسرها- حكاه الفراء. و الرهبان جمع راهب و هو الخاشى الذى يظهر عليه للناس الخشية. و قد كثر استعماله فى متنسكى النصارى و

روى عنه صلى الله عليه و آله أن معنى اتخاذهم أرباباً أنهم قبلوا منهم التحريم و التحليل بخلاف ما أمر اللَّه تعالى، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام

، فسمى اللَّه ذلك اتخاذهم إياهم أرباباً من حيث كان التحريم و التحليل لا يسوغ إلا للَّه تعالى. و هو قول أكثر المفسرين.

و قوله «وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» عطف على الأرباب أى و اتخذوا عيسى رباً.

و قوله «وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً» معناه ان اللَّه تعالى لم يأمر هؤلاء اليهود و النصارى و غيرهم إلا بعبادة اللَّه وحده لا شريك له. ثم أخبر فقال «لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ» يعنى تنزيهاً عما يشركون. و معنى سبحانه براءة اللَّه من السوء كما قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۰۷

أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر «۱»

و الآية تدل على أن المشرك مع اللَّه فى التحليل و التحريم على مخالفة امر اللَّه كالمشرك فى عبادة اللَّه، لأن استحلال ما حرم اللَّه كفر بالإجماع. و كل كافر مشرك و لا يلزم على ذلك أن يكون من قبل من الشيطان باغوائه فارتكب المعاصى أن يكون كافراً على ما استدل به بعض الخوارج، لأنه إذا قبل من الشيطان ما يعتقد انه معصية و لا يقصد بذلك طاعة الشيطان و لا تعظيمه يكون فاسقاً، و لا يكون كافراً. و ليس كذلك من ذكره اللَّه تعالى فى الاية، لأنهم كانوا يقبلون تحريم علمائهم و أحبارهم و يقصدون بذلك تعظيمهم. و لا يلزم على ذلك قبول المعاصى من العالم، لأن العامى يعتد بالرجوع الى العالم فيقبل منه ما أدى اجتهاده اليه و علمه، فإذا قصد العالم و أفتاه بغير ما علمه فهو المخطئ دون المستفتى. و ليس كذلك هؤلاء، لأنهم ما كانوا تعبدوا بالرجوع الى الأحبار و القبول منهم لأنهم لو كانوا تعبدوا بذلك لما ذمهم اللَّه على ذلك.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۳۲] ..... ص : ۲۰۷

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (۳۲)

اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار من اليهود و النصارى انهم «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ» و الإطفاء اذهاب نور النار. ثم استعمل فى اذهاب كل نور. و «نُورَ اللَّهِ» القرآن و الإسلام، فى قول المفسرين: السدى و الحسن. و قال الجبائى: نور اللَّه: الدلالة و البرهان، لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار.

و واحد الأفواه فم فى الاستعمال، و أصله فوه فحذفت الهاء و أبدلت من الواو

---

(۱) قائله الأعشى. و قد مر تخريجه فى ۳/ ۸۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۰۸

ميم، لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها. و لما سمى اللَّه تعالى الحجج و البراهين نورا سمى معارضتهم له إطفاء. و أضاف ذلك الى الأفواه، لأن الإطفاء يكون بالأفواه، و هو النفخ، و هذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم و تضعيف كيدهم، لأن النفخ يؤثر فى الأنوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ذكره الحسين بن على المغربى. و قوله «وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» الاباء الامتناع مما طلب من المعنى. قال الشاعر:

و إن أرادوا ظلمنا أبينا

أى منعناهم من الظلم، و ليس الاباء من الكراهة فى شيء على ما يقول المجبرة لأنهم يقولون: فلان يأبى الضيم، فيمدحونه، و لا مدحة فى كراهة الضيم لتساوى الضعيف و القوى فى ذلك. و إنما المدح فى المنع خاصة، و لذلك مدح عورة بن الورد بأنه أبى للضيم بمعنى أنه ممتنع منه، و قوله (و إن أرادوا ظلمنا أبينا) يدل على ذلك لأنه لا مدحة فى ان يكرهوا ظلم من يظلمهم. و إنما المدحة فى منع من أراد ظلمهم. و المنع فى الاية يمنع اللَّه إلا- إتمام نوره. و إن كره الكافرون. و لا يجوز على قياس «وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» أن تقول: ضربت إلا أخاك، لأن فى الاباء معنى النفى، فكأنه قال: لا يمكنهم اللَّه إلا أن يتم نوره. و إذا لم يكن فى اللفظ مستثنى منه لم تدخل «إلا» فى الإيجاب، و تدخل فى النفى على تقدير الحذف قال الشاعر:

و هل لى أم غيرها ان تركتها أبى اللَّه إلا أن أكون لها ابنما «۱»

و التقدير فى الآية و يأبى اللَّه كل شيء الا إتمام نوره. فى قول الزجاج، و أنكر أن يكون فى الآية معنى الجحد.

---

(۱) تفسير القرطبى ۸/ ۱۲۱ و معانى القرآن ۴۳۳۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۰۹

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۳۳] ..... ص : ۲۰۹

هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ (۳۳)

اخبر اللَّه تعالى انه «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ» صلى الله عليه و آله و حمله الرسالة التى يؤديها الى أمته «بالهدى» يعنى بالحجج و البينات و البيان لما يؤديهم العمل به الى أبواب الجنة. و «دِینِ الْحَقِّ» هو الإسلام و ما تضمنه من الشرائع، لأنه الذى يستحق عليه الجزاء بالثواب. و كل دين سواه باطل لأنه يستحق به العقاب. و من شأن الرسول أن يكون أفضل من جميع أمته من حيث يجب عليهم طاعته و امتثال ما يأمرهم به بما هو مصلحة لهم، و لأنه رئيس لهم فى الدين، و يقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل فيه.

و قوله «لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ» معناه ليعلى دين الإسلام على جميع الأديان بالحكم و الغلبة و القهر لهم. و قال البلخى: ظهوره على جميع الأديان بالحكم، لأن جميع الأديان نال المسلمون منهم و غزوا فيهم و أخذوا سبيهم و جزيتهم.

و فى الآية دلالة على صدق نبوته صلى الله عليه و آله لأنها تضمنت الوعد بظهور الإسلام على جميع الأديان، و قد صح ظهوره عليها.

و قال ابو جعفر عليه السلام ان ذلك يكون عند خروج القائم عليه السلام. و قال ابن عباس: إن الهاء فى «ليظهره» عائدة الى الرسول صلى الله عليه و آله أى ليعلمه اللَّه الأديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۳۴] ..... ص : ۲۰۹

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ کَثِیراً مِنَ الْأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ لَیَأْکُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ (۳۴)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۱۰

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين يعلمهم أن كثيراً من أحبار اليهود و علمائهم و رؤسائهم، و كثيراً من رهبان النصارى ليأكلون أموال الناس بالباطل من حيث كانوا يأخذون الرشا فى الأحكام- فى قول إسحاق و الجبائى- و أكل المال بالباطل تملكه من الجهات التى يحرم منها اخذه. و قيل فى معنى «لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ» وجهان: أحدهما- انهم يتملكون، فوضع يأكلون موضعه لأن الاكل غرضهم. و الثانى- يأكلون اموال الناس من الطعام، فكأنهم يأكلون الأموال، لأنها من المأكول، كما قال الشاعر:

ذر الآكلين الماء لوماً فما أرى ينالون خيراً بعد أكلهم الماء «۱»

اى ثمن الماء. و قوله «وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» معناه يمنعون غيرهم من اتّباع الإسلام الذى هو سبيل اللَّه التى دعاهم الى سلوكها. و الغرض بذلك التحذير من اتباعهم و التهوين على المسلمين مخالفتهم.

و قوله «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ، وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ» معناه الذين يخبئون أموالهم من غير ان يخرجوا زكاتها، لأنهم لو اخرجوا زكاتها و كنزوا ما بقى لم يكونوا ملومين بلا خلاف. و هو قول ابن عباس، و جابر، و ابن عمر، و الحسن و السدى، و الجبائى. قال: و هو إجماع. و اصل الكنز كبس الشيء بعضه على بعض.

و منه قولهم كنز التمر و الطعام قال الهذلى:

لا درّ درّى إن أطعمت نازلكم قرف الحتى و عندى البر مكنوز «۲»

---

(۱) اللسان (أكل) و روايته (من) بدل (ذر) و (ظلماً) بدل (لوماً).

(۲) مقاييس اللغة ۲/ ۱۳۶ و اللسان «كنز».

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۱۱

الحتى سويق المقل. و قوله «وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ» إنما لم يقل و لا ينفقونهما لأحد أمرين: أحدهما- ان تكون الكناية عائدة الى مدلول عليه و تقديره و لا ينفقون الكنوز أو الأموال. و الآخر- ان يكون الكناية عائدة الى مدلول عليه و تقديره و لا ينفقون الكنوز أو الأموال. و الآخر- ان يكون اكتفى بأحدهما عن الآخر للإيجاز و مثله «وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها» «۱» و قال حسان:

إن شرخ الشباب و الشعر الاس ود ما لم يعاص كان جنونا «۲»

و قال الآخر:

نحن بما عندنا و انت بما عندك راض و الرأى مختلف «۳»

و كان يجب ان يقول راضيان. و معنى البيت نحن بما عندنا راضون و أنت بما عندك راض و حذف الخبر من الاول لدلالة الثانى عليه كما حذف المفعول فى الثانى لدلالة الأول عليه فى قوله «وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ» «۴» و التقدير و الذاكرات اللَّه. و مثل ذلك الآية. و تقديرها و الذين يكنزون الذهب و لا ينفقونه فى سبيل اللَّه و يكنزون الفضة و لا ينفقونها فى سبيل اللَّه. و موضع «و الذين يكنزون» يحتمل وجهين من الاعراب: أحدهما- ان يكون نصباً بالعطف على اسم (إنّ) و تقديره: يأكلون و الذين يكنزون الذهب: و الثانى- ان يكون رفعاً على الاستئناف.

و قال ابن عمر كل ما أخرجت زكاته فليس بكنز، و به قال عكرمة. و قال الجبائى و غيره: «الَّذِينَ يَكْنِزُونَ» نزلت فى مانعى الزكاة من أهل الصلاة. و قال قوم: نزلت فى المشركين، و الأولى أن تحمل الآية على العموم فى الفريقين.

و قوله «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان اصل البشرى مما يظهر فى بشرة الوجه من فرح أو غم، إلا

---

(۱) سورة ۶۲ الجمعة آیة ۱۱

(۲) تفسیر القرطبی ۸/ ۱۲۸ و مجاز القرآن ۱/ ۲۵۸

(۳) تفسیر القرطبی ۸/ ۱۲۸ و معانی القرآن ۱/ ۴۳۴، ۴۴۵.

(۴) سورة ۳۳ الأحزاب آیة ۳۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۱۲

انه کثر استعماله فی الفرح کما قال الجعدی.

و أرانی طرباً فی إثرهم طرب الواله او کالمختبل «۱»

لأن أصل الطرب ما یستخف من سرور او حزن.

و الثانی- انه وضع الوعید بالعذاب الألیم موضع البشری بالنعیم. و

روی عن علی علیه السلام انه قال: کلما زاد علی أربعة آلاف، فهو کنز. أدیت زکاته او لم تؤد، و ما دونها فهو نفقة.

و قال أبو ذر: من ترک بیضاء او صفراء کوی بها و

سئل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عند نزول هذه الآیة أی مال یتخذ، فقال: لساناً ذاکراً و قلباً شاکراً و زوجة تعین أحدکم علی دینه.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۳۵] ..... ص : ۲۱۲

یَوْمَ یُحْمی عَلَیْها فِی نارِ جَهَنَّمَ فَتُکْوی بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما کَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ فَذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَکْنِزُونَ (۳۵)

قوله «یَوْمَ یُحْمی متعلق بقوله «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ» فی یوم یحمی علیها.

و معناه انه یدخل الذهب و الفضة الی النار فیوقد علیها یعنی علی الکنوز التی کنزوا فالهاء فی قوله «علیها» عائدة علی الکنوز او الفضة.

و الاحماء جعل الشیء حاراً فی الاحساس، و هو فوق الاسخان، و ضده التبرید تقول: حمی حماً و أحماء احماء إذا امتنع من حر النار.

و قوله «فتکوی» فالکی إلصاق الشیء الحار بالعضو من البدن. و منه قولهم اخر الداء الکی لغلظ أمره کقطع العضو إذا عظم فساده تقول: کواه یکویه کیاً

---

(۱) مقاییس اللغة ۳/ ۴۴۵ و اللسان (خیل)

. التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۱۳

و اکتوی اکتواء. و قوله «جباههم» جمع جبهة و هی صفحة علی الوجه فوق الحاجبین.

و جبهه بالمکروه یجبهه جبهاً إذا استقبله به «وَ جُنُوبُهُمْ» جمع جنب و الجنب و الضلع و الأبطل نظائر «و ظهورهم» جمع ظهر، و هو الصفحة العلیا من خلف، المقابلة للبطن یقال: کتب فی ظهر الدرج و بطنه إذا کتب فی جانبیه. و المعنی ان اللَّه یحمی هذه الکنوز بالنار لیکوی بها جباه من کنزها و لم یخرج حق اللَّه منها و جنوبهم و ظهورهم، فیکون ذلک أشد لعذابهم و أعظم لخزیهم.

و قوله «هذا ما کَنَزْتُمْ» ای یقال لهم: هذا ما ذخرتموه لأنفسکم «فَذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَکْنِزُونَ» و معناه فأطعموا جزاء ما کنتم تدخرونه من منع الزکوات و الحقوق الواجبة فی أموالکم.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۳۶] ..... ص : ۲۱۳

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِی کِتابِ اللَّهِ یَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِیهِنَّ أَنْفُسَکُمْ وَ قاتِلُوا الْمُشْرِکِینَ کَافَّةً کَما یُقاتِلُونَکُمْ کَافَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ (۳۶)

قرأ ابو جعفر «اثنا عشر» و «أحد عشر» و «تسعة عشر» بسکون الشین فیهن إلا أن النهروانی روی عنه حذف الألف التی قبل العین.
لما ذکر اللَّه تعالی وعید الظالم لنفسه بکنز المال من غیر إخراج الزکاة و غیرها من الحقوق التی للَّه منه اقتضی ذلک ان یذکر النهی عن مثل حاله، و هو الظلم فی الأشهر الحرم التی تؤدی الی مثل حاله او شر منها فی سوء المنقلب، فأخبر تعالی «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ» فی السنة علی ما تعبد اللَّه المسلمین بأن یجعلوه لسنتهم دون ما یعتبره مخالفوا الإسلام «اثْنا عَشَرَ شَهْراً» و انما قسمت السنة اثنی عشر شهراً لتوافق أمر التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۱۴
الاهلة مع نزول الشمس فی اثنی عشر برجاً تجری علی حساب متفق، کما قال:
«الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ» «۱» و الشهر مأخوذ من شهرة أمره لحاجة الناس الیه فی معاملاتهم و محل دیونهم و حجهم و صومهم، و غیر ذلک من مصالحهم المتعلقة بالشریعة.
و قوله «فِی کِتابِ اللَّهِ» معناه فیما کتبه اللّه فی اللوح المحفوظ و فی الکتب المنزلة علی أنبیائه.
و قوله «یَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» متصل ب «عِنْدَ اللَّهِ» و العامل فیها الاستقرار. ثم بین أمر هذه الاثنی عشر شهراً «مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ» و هی ذو القعدة، و ذو الحجة، و المحرم، و رجب: ثلاثة سرد و واحد فرد کما یعتقده العرب.
و معنی «حرم» انه یعظم انتهاک المحارم فیها اکثر مما یعظم فی غیرها، و کانت العرب تعظمها حتی ان الرجل لو لقی قاتل أبیه لم یهجه لحرمته. و انما جعل اللَّه تعالی بعض الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم فی ذلک من المصلحة فی الکف عن الظلم فیها، فعظم منزلتها، و انه ربما أدی ذلک الی ترک الظلم أصلا لانطفاء النائرة تلک المدة و انکسار الحمیة، فان الأشیاء تجر الی اشکالها.
و قوله «ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ» معناه التدین بذلک هو الدین المستقیم.
و قوله «فَلا تَظْلِمُوا فِیهِنَّ أَنْفُسَکُمْ» نهی منه تعالی لخلقه عن أن یظلموا أنفسهم لأن من فعل قبیحاً یستحق علیه العقاب، فقد ظلم نفسه بذلک بإدخال الضرر علیها و قال ابو مسلم: معناه لا تدعوا قتال عدوکم فی هذه الأشهر بأجمعکم، و لا تمتنعوا من أحد الا من دخل تحت الجزیة و الصغار، و کان من أهلها بدلالة قوله «وَ قاتِلُوا الْمُشْرِکِینَ کَافَّةً» و کافة مشتقة من کفة الشیء و هی طرفه و انما أخذ من أن الشیء إذا انتهی الی ذلک کف عن الزیادة، و لا یثنی کافة و لا یجمع.
و قوله «وَ قاتِلُوا الْمُشْرِکِینَ کَافَّةً» امر منه تعالی بقتال المشرکین أجمع: امر

(۱) سورة ۵۵ الرحمان آیة ۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۱۵
اللَّه تعالی المؤمنین بأن یقاتلوهم کما أن المشرکین یقاتلونهم کذلک، و الضمیر فی قوله «فیهن» یحتمل أن یکون عائداً علی الشهور کلها علی ما قال ابن عباس، و یحتمل أن یعود علی الأربعة الحرم علی ما قال قتادة لعظم أمرها. و اختار الفراء رجوعه الی الأشهر الحرم. قال لأنه لو رجع الی الاثنی عشر لقال فیها. و الصحیح ان الجمیع جائز و انما خص الأربعة أشهر بذلک فی قول قتادة لتعاظم الظلم لا أن الظلم یجوز فعله علی حال من الأحوال.
و قوله «ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ» معناه ذلک الحساب الصحیح هو الدین القیم لا ما کانت علیه العرب من النسیء. و قیل: معناه ذلک التدین هو الدین القیم. و قوله «کافة» نصب علی المصدر، و لا یدخل علیها الالف و اللام، لأنه من المصادر التی لا تنصرف لوقوعه موقع معاً و جمعاً بمعنی المصدر الذی هو فی موضع الحال المذکورة، فهو فی لزوم النکرة نظیر أجمعین فی لزوم المعرفة.
و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ» لمعاصیهم و ما یؤدی الی عقابه و یکون معهم بالنصرة و الولایة دون الاجتماع فی مکان او محل، لأن اللّه لا یجوز علیه ذلک لأنه من أمارات الحدث

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۳۷] ..... ص : ۲۱۵

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (۳۷)

قرأ ابو جعفر و ابن فرج عن البزى «انما النسى» من غير همز قلب الهمزة ياء و ادغم الياء الاولى فيها فلذلك شدد. الباقون «النسيء» ممدود مهموز على وزن فعيل. و روى عن ابن مجاهد و ابن مسعود عن عبيد بن عقيل عن شبل عن ابن كثير التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۱۶

«النسء» على وزن النسع. و قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «يضل» بضم الياء و فتح الضاد. و قرأ يعقوب بضم الياء و كسر الضاد. الباقون بفتح الياء و كسر الضاد.

قال ابو على: وجه قراءة ابن كثير إذا قرأت على وزن النسع ان (النسيء) التأخير. قال ابو زيد: نسأت الإبل فى ظمئها يوماً او يومين او اكثر من ذلك، و المصدر «النسيء» و يقال: الإبل نسأتها على الحوض و أنا أنسأها نسئا إذا أخرتها عنه. قال: و ما روى عن ابن كثير من قراءته بالياء فذلك على ابدال الياء من الهمزة، و لا أعلمها لغة فى التأخير، كما ان أرجيت لغة فى ارجأت. و ما روى فيه من التشديد فعلى تخفيف الهمز، لأن النسيّ بتشديد الياء على وزن فعيل بالتخفيف قياسى. و سيبويه لا يجيز نحو هذا القلب الذى فى النسيء الا فى ضرورة الشعر. و ابن زيد يراه و يروى كثيراً عن العرب. و من قرأ بالمد و الهمز فلأنه اكثر هذا فى المعنى. قال أبو زيد: أنسأته الدين إنساء إذا اخترته و اسم ذلك النسيئة و النسأ. و كان النسيء فى الشهور تأخير حرمة شهر الى شهر ليست له تلك الحرمة فيحرمون بهذا التأخير ما أحل اللَّه و يحلون ما حرم اللَّه. و النسيء مصدر كالنذير و النكير و عذير الحى. و لا يجوز أن يكون (فعيلا) بمعنى مفعول لأنه حمل على ذلك كأن معناه انما المؤخر زيادة فى الكفر. و المؤخر الشهر و ليس الشهر نفسه بزيادة فى الكفر، و انما الزيادة فى الكفر تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلك الحرمة. و قال ابو عبيدة فيما روى عن الثورى من قوله: انما النسيء زيادة فى الكفر قال: كانوا قد و كلوا قوماً من بنى كنانة يقال لهم:

بنوا فقيم و كانوا يؤخرون المحرم و ذلك نساء الشهور لا يفعلون ذلك الا فى ذى الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم، فينادى مناد أن افعلوا ذلك لحاجة او لحرب، و ليس كل سنة يفعلون ذلك، فان أرادوا ان يحلوا المحرم نادوا هذا صفر و ان المحرم الأكبر صفر، و ربما جعلوا صفراً محرماً مع ذى القعدة حتى يذهب الناس الى منازلهم إذا نادى المنادى بذلك، و كانوا يسمون المحرم صفراً و يقدمون صفراً سنة و يؤخرونه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۱۷

و قال الفراء: و الذى يتقدم به رجل من بنى كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة و كان رئيس الموسم، فيقول: أنا الذى لا أعاب و لا أجاب و لا يرد لى قضاء فيقولون:

نعم صدقت انسئنا شهراً او أخر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر و أحل المحرم فيفعل ذلك. و انما دعاهم الى ذلك توالى ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها و كان معاشهم فى الغارة. و الذى كان ينسأها حين جاء الإسلام هو جنادة بن عوف بن أبى امية و كان فى بنى معد إن قبل بنو كنانة قال الشاعر:

ألسنا الناسئين على معدّ شهور الحل نجعلها حراما «۱»

و قال ابن عباس كانوا يجعلون المحرم صفراً و قال ابو على: كانوا يؤخرون الحج فى كل سنة شهراً و كان الذين ينسئون بنو سليم، و غطفان، و هوازن، و وافق حج المشركين فى السنة التى حج فيها ابو بكر فى ذى القعدة،

فلما حج النبى صلى الله عليه و آله فى العام المقبل وافق ذلك فى ذى الحجة فلذلك قال: ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات و الأرض.

و قال مجاهد: فكان النسيء المنهى عنه فى الآية تأخير الأشهر الحرم عما رتبها اللَّه، و كانوا فى الجاهلية يعملون ذلك و كان الحج

یقع فی غیر وقته و اعتقاد حرمة الشهر فی غیر أوانه، فبین تعالی أن ذلک زیادة فی الکفر.

قال ابو علی: من قرأ «یضل» بفتح الیاء و کسر الضاد قال الذین کفروا لا یخلو أن یکونوا مضلین لغیرهم أو ضالین هم فی أنفسهم فإذا کان کذلک لم یکن فی حسن اسناد الضلال فی قوله «یضل» اشکال، ألا تری أن المضل لغیره ضال بفعله إضلال غیره کما ان الضال فی نفسه الذی لم یضله غیره لا یمتنع اسناد الضلال الیه و من ضم الیاء و کسر الضاد فمعناه ان کبراءهم و اتباعهم یضلونهم بأمرهم إیاهم بحملهم علی هذا التأخیر فی الشهور. و روی فی التفسیر ان رجلا من کنانة یقال له ابو ثمامة کان یقول للناس فی منصرفهم من الحج إن آلهتکم قد أقسمت

---

(۱) قائله الکمیت. تفسیر القرطبی ۸/ ۱۳۸

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۱۸

لنحرمنّ. و ربما قال لنحلن هذا الشهر یعنی المحرم فیحلونه و یحرمون صفراً و ان حرموه أحلوا صفراً و کانوا یسمونهما الصفرین فهذا إضلال من هذا المنادی.

و من قرأ بضم الیاء و فتح الضاد- و قیل انها قراءة ابن مسعود- یقوی ذلک قوله «زُیِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ» ای زین ذلک لهم حاملوهم علیه و داعوهم الیه. و علی هذه القراءة یکون «الَّذِینَ کَفَرُوا» فی موضع رفع بأنهم فاعلون و المفعول به محذوف و تقدیره یضل منسئوا الشهور الذین کفروا تابعیهم و الآخذین لهم بذلک.

و معنی قوله «لِیُواطِؤُا» فالمواطأة موافقة امر التوطئة و المعنی لیواطئوا العدة فی الاربعة أشهر.

و قوله «زُیِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ» قال الحسن و أبو علی المزین لهم أنفسهم و الشیطان و قیل: زین بالشهوة و لیجتنبوا المشتهی فذکر ذلک للتحذیر و الاعتراف به. و التزیین یکون بمعنی الفعل له و یکون بمعنی تقبل الطبع. و إنما سمی إنساؤهم زیادة فی الکفر من حیث أنهم اعتقدوا أن ذلک صحیح و صواب فلذلک کان کفراً فلا حجة فی ذلک ان تکون أفعال الجوارح کفراً.

و قوله «وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ» معناه انه لا یهدیهم الی طریق الجنة إذ کانوا کفاراً مستحقین لعذاب الأبد.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۳۸] ..... ص : ۲۱۸

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ما لَکُمْ إِذا قِیلَ لَکُمُ انْفِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَی الْأَرْضِ أَ رَضِیتُمْ بِالْحَیاةِ الدُّنْیا مِنَ الْآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَیاةِ الدُّنْیا فِی الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِیلٌ (۳۸)

هذا خطاب من اللَّه تعالی لجماعة من المؤمنین و عتاب و توبیخ لهم بأنهم إذا قیل لهم علی لسان رسوله «انْفِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ» و معناه اخرجوا فی سبیل اللَّه یعنی الجهاد التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۱۹

و سماه سبیل اللَّه، لأن القیام به موصل الی معنی الجنة و رضا اللَّه تعالی و النفر الخروج الی الشیء لأمر هیج علیه و ضده الهدوء تقول: نفر الی الثغر ینفر نفراً و نفیراً و لا یقال النفور إلا فی المکروه کنفور الدابة عما تخاف، و قوله «اثَّاقَلْتُمْ إِلَی الْأَرْضِ» أصله تثاقلتم و أدغمت التاء فی الثاء لمناسبتها لها و ادخلت الف الوصل لیمکن الابتداء بها و مثله ادارکوا قال الشاعر:

تولی الضجیع إذا ما استافها خصراً عذب المذاق إذا ما أتابع القبل «۱»

و التثاقل تعاطی اظهار ثقل النفس و مثله التباطئ و ضده التسرع. و معنی «اثَّاقَلْتُمْ إِلَی الْأَرْضِ» قیل فیه قولان:

أحدهما- الی المقام بأرضکم و وطنکم.

الثانی- لما اخرج من الأرض من الثمر و الزرع. قال الحسن و مجاهد:

دعوا الی الخروج الی غزوة تبوک بعد فتح مکة و غزوة الطائف، و کان ایام ادراک الثمرة و محبة القعود فی الظل فعاتبهم اللَّه علی

ذلک. و الآیـة مخصوصـة بقوم من المؤمنین دون جمیعهم، لأن من المعلوم ان جمیعهم لم یکن بهـذه الصـفة من التثاقل فی الجهاد، و هو قول الجبائی و غیره. فقال اللَّه تعالی لهم علی جهة التوبیخ، و التعنیف أ رضـیتم بالحیاة الدنیا علی الاخرة، آثرتم الحیاة الدنیا الفانیة علی الحیاة الآخرة الباقیة. و هو اسـتفهام، و المراد به الإنکار. و الرضا هو الارادة غیر انها لا توصف بذلک إلا إذا تعلقت بما مضـی من الفعل و الارادة توصف بما لم یوجد بعد قال تعالی مخبراً «فَما مَتاعُ الْحَیاةِ الدُّنْیا فِی الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِیلٌ» ای لیس الانتفاع بما یظهر للحواس الا قیل و منه قولهم: تمتع بالریاض و المناظر الحسان. و یقال للأشیاء التی لها أثمان: متاع تشبیهاً بالانتفاع به.

---

(۱) معانی القرآن ۱/ ۴۳۸ و الطبری ۱۴/ ۲۵۲ (استاف) الشیء قرب منه و شمه، و (القبل)- بضم القاف- جمع قبلة. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۲۰

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۳۹] ..... ص : ۲۲۰

إِلَّا تَنْفِرُوا یُعَذِّبْکُمْ عَذاباً أَلِیماً وَ یَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَیْرَکُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَیْئاً وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْ‌ءٍ قَدِیرٌ (۳۹)

هـذا تحـذیر من اللَّه تعالی لهؤلاء الـذین استبطأهم و وصـفهم بالتثاقل عن سبیل اللَّه بقوله «إِلَّا تَنْفِرُوا» أی إن لم تخرجوا الی سبیل اللَّه التی دعیتم الیها من الجهاد «یُعَذِّبْکُمْ عَذاباً أَلِیماً وَ یَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَیْرَکُمْ» یقومون بنصرة نبیه و لا یتثاقلون فیه.

و الاسـتبدال جعل أحـد الشـیئین بـدل الاخر مع الطلب له و التعـذیب بطول وقت العـذاب، لأنه من الاسـتمرار و قـد یکون عقاباً و غیر عقاب.

و قوله «وَ لا تَضُـرُّوهُ شَـیْئاً» قیل فیمن یرجع الیه قولان: أحـدهما- انه یعود علی اسم اللَّه فی قول الحسن. قال: لأنه غنی بنفسه عن جمیع الأشـیاء و الاـخر- قـال الزجاج: إنها تعود الی النبی صـلی الله علیه و آله لأن اللَّه عصـمه من جمیع الناس و قوله «وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَـیْ‌ءٍ قَدِیرٌ» معناه قادر علی الاستبدال بکم و علی غیره من الأشیاء. و فیه مبالغة.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۴۰] ..... ص : ۲۲۰

إِلَّا تَنْصُـرُوهُ فَقَدْ نَصَـرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِینَ کَفَرُوا ثانِیَ اثْنَیْنِ إِذْ هُما فِی الْغارِ إِذْ یَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَـکِینَتَهُ عَلَیْهِ وَ أَیَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَ جَعَلَ کَلِمَةَ الَّذِینَ کَفَرُوا السُّفْلی وَ کَلِمَةُ اللَّهِ هِیَ الْعُلْیا وَ اللَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۴۰)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۲۱

قرأ یعقوب وحـده «وَ کَلِمَـةُ اللَّهِ هِیَ الْعُلْیا» بالنصب علی تقـدیر و جعل کلمـة اللَّه هی العلیا و من رفع اسـتأنف، و هو أبلغ لأنه یفید أن کلمة اللَّه العلیا علی کل حال.

و هذا ایضاً زجر آخر و تهدید لمن خاطبه فی الآیة الاولی بأنهم إن لم ینصروا النبی صلی الله علیه و آله و لم یقاتلوا معه و لم یجاهدوا عدوه «فَقَدْ نَصَـرَهُ اللَّهُ» أی قد فعل اللَّه به النصر حین أخرجه الکفار من مکة «ثانِیَ اثْنَیْنِ». و هو نصب علی الحال ای هو و معه آخر، و هو ابو بکر فی وقت کونهمـا فی الغـار من حیث «یَقُولُ لِصـاحِبِهِ» یعنی أبـا بکر «لاـ تَحْزَنْ» ای لاـ تخف. و لاـ تجزع «إِنَّ اللَّهَ مَعَنـا» أی ینصـرنا. و النصـرة علی ضـربین: أحدهما- یکون نعمة علی من ینصـره. و الآخر- لا یکون کذلک، فنصـرة المؤمنین تکون إحساناً من الناصـر الی نفسه لأـن ذلـک طاعـة للَّه و لم تکن نعمـة علی النبی صـلی الله علیه و آله. و الثـانی- من ینصـر غیره لینفعه بما تـدعو الیه الحکمة کان ذلک نعمة علیه مثل نصرة اللَّه لنبیه صلی الله علیه و آله.

و معنی «ثانِیَ اثْنَیْنِ» أحد اثنین یقولون هذا ثانی اثنین، و ثالث ثلاثة، و رابع أربعة، و خامس خمسة، لأنه مشتق من المضاف الیه. و قد یقولون خامس اربعة أی خمس الاربعة بمصیره فیهم بعد أن لم یکن.

و الغار ثقب عظيم فى الجبل. قيل: و هو جبل بمكة يقال له ثور، فى قول قتادة.

و قال مجاهد: مكث النبى صلى الله عليه و آله فى الغار مع أبى بكر ثلاثاً. و قال الحسن: أنبت اللَّه على باب الغار ثمامة، و هى شجيرة صغيرة. و قال غيره: الهم العنكبوت فنسجت على باب الغار. ثمامة، و هى شجيرة صغيرة. و قال غيره: الهم العنكبوت فنسجت على باب الغار. و أصل الغار الدخول الى عمق الخباء. و منه قوله «إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً» «۱» و غارت عينه تغور غوراً إذا دخلت فى رأسه. و منه أغار على القوم إذا أخرجهم من أخبيتهم بهجومه عليهم.

و قوله «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ» قيل فيمن تعود الهاء اليه قولان: أحدهما- قال الزجاج: إنها تعود الى النبى صلى الله عليه و آله. و الثانى- قال الجبائى: تعود على أبى بكر

---

(۱) سورة ۶۷ الملك آية ۳۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۲۲

لأنه كان الخائف و احتاج الى الأمن لأن من وعد بالنصر فهو ساكن القلب. و الاول أصح، لأن جميع الكنايات قبل هذا و بعده راجعة الى النبى صلى الله عليه و آله ألا ترى أن قوله «إِلَّا تَنْصُرُوهُ» الهاء راجعة الى النبى صلى الله عليه و آله بلا خلاف، و قوله «فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ» فالهاء أيضاً راجعة الى النبى صلى الله عليه و آله و قوله «إِذْ أَخْرَجَهُ» يعنى النبى صلى الله عليه و آله «إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ» يعنى صاحب النبى صلى الله عليه و آله ثم قال «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ» و قال بعده «وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ» يعنى النبى صلى الله عليه و آله فلا يليق أن يتخلل ذلك كله كناية عن غيره و تأييد اللَّه إياه بالجنود ما كان من تقوية الملائكة لقلبه بالبشارة بالنصر من ربه و من إلقاء اليأس فى قلوب المشركين حتى انصرفوا خائبين.

و قوله «وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى أى جعلها نازلة دنية و أراد بذلك أن يسفل وعيدهم النبى صلى الله عليه و آله و تخويفهم إياه فأبطل وعيدهم و نصر رسول اللَّه و المؤمنين عليهم فعبر عن ذلك بأنه جعل كلمتهم كذلك، لا انه خلق كلمتهم كما قال «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «۱».

و قيل: إن كلمة الذين كفروا الشرك، و كلمة اللَّه التوحيد، و هى قول:

لا اله الا اللَّه. و قيل: كلمتهم هو ما تغامزوا عليه من قتله. و «كَلِمَةُ اللَّهِ» ما وعد به من النصر و النجاة. ثم أخبر ان «كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا» المرتفعة اى هى المنصورة بغير جعل جاعل، لأنها لا يجوز أن تدعو الى خلاف الحكمة. و قوله «وَ اللَّهُ عَزِيزٌ» معناه قادر لا يقهر «حكيم» واضع الأشياء مواضعها ليس فيها وجه من وجوه القبح.

و ليس فى الاية ما يدل على تفضيل أبى بكر، لأن قوله «ثانِيَ اثْنَيْنِ» مجرد الاخبار أن النبى صلى الله عليه و آله خرج و معه غيره، و كذلك قوله «إِذْ هُما فِي الْغارِ» خبر عن كونهما فيه، و قوله «إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ» لا مدح فيه أيضاً، لأن تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة ألا ترى أن اللَّه تعالى قال فى صفة المؤمن و الكافر

---

(۱) سورة ۴۳ الزخرف آية ۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۲۳

«قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ» «۱» و قد يسمون البهيمة بأنها صاحب الإنسان كقول الشاعر (و صاحبى بازل شمول) و قد يقول الرجل المسلم لغيره: أرسل اليك صاحبى اليهودى، و لا يدل ذلك على الفضل، و قوله «لا تَحْزَنْ» إن لم يكن ذماً فليس بمدح بل هو نهى محض عن الخوف، و قوله «إِنَّ اللَّهَ مَعَنا» قيل إن المراد به النبى صلى الله عليه و آله، و لو أريد به أبو بكر معه لم يكن فيه فضيلة، لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يفعل القبيح لا تفعل إن اللّه معنا

یرید أنه متطلع علینا، عالم بحالنا. و السکینة قد بینا أنها نزلت علی النبی صلی الله علیه و آله بما بیناه من ان التأیید بجنود الملائکة کان یختص بـالنبی صـلی الله علیه و آله فأین موضع الفضـیلة للرجل لولا العناد، و لم نـذکر هـذا للطعن علی أبی بکر بل بینا أن الاسـتدلال بالآیة علی الفضل غیر صحیح.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۴۱] ..... ص : ۲۲۳

انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالًا وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴۱)

هـذا امر من اللَّه تعالی للمؤمنین أن ینفروا الی جهاد المشـرکین خفافاً و ثقالا و قیل فی معنی «خِفافاً وَ ثِقالًا» ثمانیـة أقوال: أحدها- قال الحسن و مجاهد و الضـحاک و الجبائی: إن معناه شـباناً و شـیوخاً. و ثانیها- قال صالح: معناه أغنیاء و فقراء. و ثالثها- قال ابن عباس و قتادة: نشاطاً و غیر نشاط. و رابعها- قال ابو عمرو: رکباناً و مشاة. و خامسها- قال ابن زید: ذا صنعة و غیر ذی صنعة.

و سادسـها- قـال الحکم: مشاغیل و غیر مشاغیل. و سابعها- قال الفراء: ذو العیال، و المیسـرة: هم الثقال، و ذو العسـرة و قلـة العیال هم الخفاف. و ثامنها- ان یحمل

---

(۱) سورة ۱۸ الکهف آیة ۳۸

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۲۴

علی عمومه فیـدخل فیه جمیع ذلک. و هو الأولی و الألیق بالظاهر، و هو اختیار الطبری، و الرمانی و یکون ذلک علی حال خفـة النفیر و ثقله لأن هذا الذی ذکر یجری مجری التمثیل لما یعمل هذا العمل به.

و قوله «وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ» أمر من اللَّه لهم بـأن یجاهـدوا فی قتـال أعـدائه بـأموالهم و أنفسـهم. و الجهـاد بالمال واجب کالجهـاد بالأـنفس، و هو الإنفاق فی سبیل اللَّه، و ظاهر الایـة یـدل علی وجوب ذلک بحسب الإمکان، فمن لم یطق الجهاد إلا بالمال فعلیه ذلک یعین به من لیس له مال.

و ظاهر الآیـة یقتضـی وجوب مجاهـدة البغاة کما یجب مجاهدة الکفار، لأنه جهاد فی سبیل اللَّه، و لقوله «فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتَّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللَّهِ» «۱» فأوجب قتال البغاة الی حین یرجعوا الی الحق. و قوله «ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ» إشارة الی الجهاد و تقـدیره ذلک الجهاد خیر لکم. و إنمـا قـال «خَیْرٌ لَکُمْ» و ان لم یکن فی ترک الجهـاد خیر، لأحـد أمرین: أحـدهما- خیر من ترکه الی المبـاح. و الثـانی- ان فیه الخیر لکم لا فی ترکه، فلا یکون خیر بمعنی أفعل من کذا.

و قوله «إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» معناه إن کنتم تعلمون الخیر فی الجملـة فاعلموا أن هـذا خیر. و قال أبو علی: معناه «إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» صـدق اللَّه فیما وعد به من الثواب الدائم.

و قال أبو الضحی: أول ما نزل من سورة براءة «انفروا».

و قال مجاهد: أول ما نزل قوله «لَقَدْ نَصَرَکُمُ اللَّهُ».

و قال ابن عباس: نسخ هذه الایة قوله «وَ ما کانَ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا کَافَّةً» «۲».

و قال جعفر بن قیس: هذا لیس بمنسوخ، لأن المنسوخ ما لا یجوز فعله.

و هذا لیس بصحیح، لأنه یجوز أن یکون وجوبه زال الی الندب او الاباحة.

---

(۱) سورة ۴۹ الحجرات آیة ۹

(۲) سورة ۹ التوبة آیة ۱۲۳

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۲۵

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۴۲] ..... ص : ۲۲۵

لَوْ كانَ عَرَضاً قَرِيباً وَ سَفَراً قاصِداً لاتَّبَعُوكَ وَ لكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (۴۲)

هذه الایة فی قوم تخلفوا عن النبی صلی الله علیه و آله و لم یخرجوا معه الی غزوة تبوک.

و حسن الکنایة عنهم و إن لم یجر لهم ذکر لکونهم داخلین فی جملة الذین أمروا بالخروج مع النبی صلی الله علیه و آله الی الجهاد و أن ینفروا معه. و المعنی لو کان المدعو الیه عرضاً قریباً من الغنیمة و ما یطمع فیه من المال «وَ سَفَراً قاصِداً» معناه سفراً سهلا باقتصاده من غیر طول فی آخره. و سمی العدل قصداً، لأنه مما ینبغی أن یقصد «لَاتَّبَعُوكَ» یعنی خرجوا معک و بادروا الی اتباعک «وَ لكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ» ای بعدت علیهم المسافة، لأنهم دعوا الی الخروج الی تبوک ناحیة الشام، فالشقة القطعة من الأرض التی یشق رکوبها علی صاحبها لبعدها. و یحتمل أن یکون من الشق و یحتمل ان یکون من المشقة. و الشقة السفر و المشاقة. و قریش یضمون الشین، و قیس یکسرونها. و قریش یضمون العین من (بعدت).

و قوله «وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ» اخبار منه تعالی ان هؤلاء الذین ذکرهم یحلفون و یقسمون علی وجه الاعتذار الیک و یقولون فیما بعد «لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ» ای لو قدرنا و تمکنا من الخروج لخرجنا معکم ثم اخبر تعالی انهم «يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ» بذلک و اخبر تعالی انه یعلم انهم یکذبون فی هذا الخبر الذی أقسموا علیه. و فی الایة دلالة علی أن الاستطاعة قبل الفعل لأنهم لا یخلون من احد أمرین: إما أن یکونوا مستطیعین من الخروج و قادرین علیه و لم یخرجوا او لم یکونوا قادرین علیه و إنما حلفوا أنهم لو قدروا فی المستقبل التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۲۶

لخرجوا، فان کان الاول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل، و إن کان المراد الثانی فقد أکذبهم اللَّه فی ذلک و بین انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا، و فی ذلک أیضاً تقدم القدرة علی المقدور و لیس لهم أن یحملوا الاستطاعة علی آلة السفر و عدة الجهاد، لأن ذلک ترک الظاهر من غیر ضرورة فان حقیقة الاستطاعة القدرة و إنما یشبه غیرها بها علی ضرب من المجاز، علی انه إذا کان عدم الآلة و العدة یعذر صاحبه فی التأخر فمن لیس فیه قدرة اولی بأن یکون معذوراً و فی الایة دلالة علی النبوة لأنه اخبر انهم سیحلفون فی المستقبل علی ذلک باللَّه «لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ» فجاءوا فیما بعد و حلفوا علی ما اخبر به.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۴۳] ..... ص : ۲۲۶

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكاذِبِينَ (۴۳)

هذا خطاب فیه بعض العتاب للنبی صلی الله علیه و آله فی إذنه من استأذنه فی التأخر فأذن له، فأخبر اللَّه بأنه کان الأولی ان لا تأذن لهم و تلزمهم الخروج معک حتی إذا لم یخرجوا ظهر نفاقهم، لأنه متی أذن لهم ثم تأخروا لم یعلم بالنفاق کان تأخرهم أم بغیره. و کان الذین استأذنوه منافقین. و حقیقة العفو الصفح عن الذنب، و مثله الغفران، و هو ترک المؤاخذة علی الاجرام. و قد کان یجوز أن یعفو اللَّه عن جمیع المعاصی کفراً کان او غیره، غیر أنه أخبر أنه لا یعفو عن عقاب الکفر، لإجماع الامة علی ذلک، و ما عداه من الفسق باق علی ما کان علیه من الجواز.

و انما قال «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ» علی غیر لفظ المتکلم لأنه أفخم من الکنایة لأن هذا الاسم من اسماء التعظیم کما أن قولک إن رأی الأمیر افخم من قولک إنی رأیت.

و قال ابو علی الجبائی: فی الایة دلالة علی ان النبی صلی الله علیه و آله کان وقع منه ذنب التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۲۷

فى هـذا الاذن. قال: لأنه لا يجوز أن يقال لم فعلت ما جعلت لك فعله؟ كما لا يجوز أن يقول لم فعلت ما أمرتك بفعله. و هـذا الـذى ذكره غير صحيح، لأن قوله «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ» إنما هى كلمهٔ عتاب له صلى الله عليه و آله لم فعل ما كان الأولى به أن لا يفعله، لأنه و ان كان له فعله من حيث لم يكن محظوراً فان الأولى ان لا يفعله، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب أخاً له: لم عاتبته و كلمته بما يشق عليه؟ و ان كان له معاتبته و كلامه بما يثقل عليه. و كيف يكون ذلك معصيهٔ و قد قال اللَّه فى موضع آخر:

«فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ» و إنما أراد اللَّه أنه كان ينبغى أن ينتظر تأكيد الوحى فيه. و من قال هـذا ناسخ لذلك فعليه الدلالهٔ.

و قوله «لِمَ أَذِنْتَ» فالاذن رفع التبعهٔ، عاتب اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله لم أذن لقوم من المتأخرين عن الخروج معه الى تبوك و إن كـان له إذنهم لكن كـان الاولى ان لا يأذن «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ» حتى يظهر لك «الَّذِينَ صَدَقُوا» فى قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم، لأنه كان فيهم من اعتل بالمرض و العجز و عدم الحمولهٔ «وَ تَعْلَمَ الْكاذِبِينَ» منهم فى هذا القول.

قوله تعالى:[سورهٔ التوبهٔ (۹): آیهٔ ۴۴] ..... ص : ۲۲۷

لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (۴۴)

أخبر اللَّه تعالى نبيه بعلامهٔ المنافقين و الكاذبين بأن بين أنه لا يستأذن احد النبى صلى الله عليه و آله فى التأخر عنه و الخروج معه الى جهاد أعدائه و لا يسأله الاذن فى التأخر القوم الذين يؤمنون باللَّه و يصدقون به و يقرون بوحدانيته و يعترفون باليوم الاخر. و الاستئذان طلب الاذن من الآذن. و معنى قوله «أَنْ يُجاهِدُوا» فيه حـذف و تقـديره لأن لا يجاهـدوا بحـذف (لا) لان ذمهم قد دل عليه- هذا قول أبى على التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۲۸

الجبائى- و قال الحسن: تقديره كراهيهٔ أن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم. و قال الزجاج: هو فى موضع نصب، لان تقديره فى أن يجاهدوا، فلما حذف حرف الجر انتصب، و عند سيبويه و غيره هو فى موضع الجر.

و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» اخبار منه تعالى بانه يعلم من يتقى معصيهٔ اللَّه و يخاف عقابه، و من لا يتقيه. قال ابن عباس هـذا تعيير للمنافقين حين استأذنوه فى القعود عن الجهاد و عذر للمؤمنين، فقال: لم يذهبوا حتى يستأذنوه. و المعنى انه لم يخرجهم من صفهٔ المتقين إلا انه علم أنهم ليسوا منهم.

فان قيل أى الجهادين أفضل: أ جهاد السيف أم جهاد العلم؟

قيل: هـذا بحسب الحاجهٔ اليه و المصلحهٔ فيه، و كذلك الجهاد بالمال و الجهاد بالنفس. و إنما يقع التفاضل مع استواء الأحوال الا بمقدار الخصلهٔ الزائدهٔ من خصال الفضل. و أجاز الرمانى الجهاد مع الفساق إذا عاونوا على حق فى قتال الكفار لأنهم يطيعون فى ذلك الفعل كما هم مطيعون فى الصلاهٔ و الصيام و غير ذلك من شريعهٔ الإسلام. و الظاهر من مذهب أصحابنا أنه لا يجوز ذلك إلا ما كان على وجه الدفع عن النفس و عن بيضهٔ الإسلام.

قوله تعالى:[سورهٔ التوبهٔ (۹): آیهٔ ۴۵] ..... ص : ۲۲۸

إِنَّما يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (۴۵)

أخبر اللَّه تعالى فى هـذه الايهٔ بانه إنما يستأذن النبى صلى الله عليه و آله فى التأخر عن الجهاد و القعود عن القتال معه القوم «الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» اى لا يصدقون باللَّه و لا يعترفون به «وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» يعنى بالبعث و النشور «وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ» يعنى اضطربت و شكت. و الارتياب هو الاضطراب فى الاعتقاد بالتقدم مرهٔ و التأخر اخرى. و الريبهٔ التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۲۹

شك معه تهمهٔ: رابنى ريباً و ريبهٔ و ارتاب ارتياباً، و استراب استرابهٔ.

و قوله «فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ» معناه فهم فی شکهم یذهبون و یرجعون و التردد هو التصرف بالذهاب و الرجوع مرات متقاربة، مثل المتحیر، ردّه ردّاً و ردّده تردیداً، و تردّد تردداً و ارتدّ ارتداداً، و راده مرادة، و ترادّ القوم تراداً، و استرده استرداداً. و قوله «فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ» یدل علی بطلان قول من یقول: إن المعارف ضرورة، لأنه تعالی أخبر أنهم فی شکهم یترددون، صفة الشاک المتحیر فی دینه الذی لیس علی بصیرة من أمره. و قیل فی معنی الیوم الاخر قولان:

أحدهما- انه آخر یوم من أیام الدنیا و المؤذن بالکرة الأخیرة.

الثانی- و هو الأقوی- انه یوم الجزاء و الحساب و هو یوم القیامة و هو الأظهر من مفهوم هذه اللفظة.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۴۶] ..... ص : ۲۲۹

وَ لَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ لكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ (۴۶)

اخبر اللَّه تعالی ان هؤلاء المنافقین لو أرادوا الخروج مع النبی صلی الله علیه و آله نصرة له و رغبة فی جهاد الکفار کما أراد المؤمنون ذلک لأعدوا للخروج عدة، و هو ما یتهیأ لهم معها الخروج، و لکن لم یکن لهم فی ذلک نیة و کان عزمهم علی أن النبی صلی الله علیه و آله ان لم یأذن لهم فی الاقامة فخرجوا، أفسدوا علیک و ضربوا بین أصحابک، و أفسدوا قلوبهم، فکره اللَّه خروجهم علی هذا الوجه، لان ذلک کفر و معصیة. و اللَّه لا یکره الخروج الذی أمرهم به، و هو أن یخرجوا لنصرة نبیه و قتال عدوه و الجهاد فی سبیله کما خرج المؤمنون کذلک، فثبطهم اللَّه عن الخروج الذی عزموا علیه و لم یثبطهم عن الخروج الذی أمرهم به، لأن الاول کفر. و الثانی طاعة.

و قوله «وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ» یحتمل شیئین: أحدهما- أن یکون التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۳۰
القائلون لهم ذلک أصحابهم الذین نهوهم عن الخروج مع النبی نصرة له و رغبة فی الجهاد. و الثانی- ان یکون ذلک من قول النبی صلی الله علیه و آله لهم علی وجه التهدید لا علی وجه الاذن، و یجوز أن یکون إذنه لهم فی القعود الذی عاتبه اللَّه علیه. و أنه کان الأولی أن لا یأذن لهم فیه، و لا یجوز أن یکون ذلک من قول اللَّه، لأنه لو کان کذلک لکان مباحاً لهم التأخر. اللهم إلا أن یکون ذلک علی وجه التهدید، فیجوز أن یکون ذلک من قول اللَّه. و العدة و الاهبة و الآلة نظائر. و الانبعاث الانطلاق بسرعة فی الأمر، و لذلک یقال: فلان لا ینبعث فی الحاجة أی لیس له نفاذ فیها.

و التثبط التوقف عن الامر بالتزهید فیه و مثله التعقیل. و قوله «مَعَ الْقاعِدِينَ» یعنی مع النساء و الصبیان و المرضی و الزمنی، و من لیس به حراک. قال ابن إسحاق:

کان الذین استأذنوه اشرافاً و رؤساء کعبد اللَّه بن أبی بن أبی سلول و الحد بن قیس.

و زاد مجاهد رفاعة بن التابوت و أوس بن قبطی.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۴۷] ..... ص : ۲۳۰

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالاً وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (۴۷)

بین اللَّه تعالی فی هذه الآیة الوجوه فی کراهیة انبعاثهم و وجه الحکمة فی تثبیطهم عن ذلک و هو ما علم من ان فی خروجهم مفسدة للمؤمنین، لأنه قال «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا» قال الفراء: لو قال ما زادکم یرید خروجهم لکان جائزاً، و هذا من سعة العربیة. و الخبال الفساد، و الخبال الموت، و الخبال الاضطراب فی الرأی بتزیین أمر لقوم و تقبیحه لآخرین لیختلفوا و تفترق کلمتهم.

و قوله «وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ» و الإیضاع الاسراع فی السیر بطرح العلق التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۳۱
قال الشاعر:

أرانا موضعين لأمر غيب و نسحر بالطعام و بالشراب «۱»

و قال آخر:

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها و أضع «۲»

و ربما قالوا للراكب: وضع بغير الف، و منه وضعت الناقة تضع وضعاً، و أوضعتها إيضاعاً. و معنى الإيضاع ها هنا إسراعهم فى الدخول بينهم للتضريب بنقل الكلام على وجه التخويف. قال الحسن: معناه مشوا بينكم بالنميمة، لإفساد ذات بينكم. و قوله «وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال قتادة و ابن إسحاق: فيكم القابلون منهم عند سماع قولهم، و قوله «إلا خبالا» استثناء منقطع و تقديره ما زادوكم قوة و لكن طلبوا لكم الخبال و يحتمل أن يكون المعنى إنهم على خبال فى الرأى فيعقده حتى يصير خبالا فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا.

الثانى- قال مجاهد و ابن زيد: لهم عيون منهم ينقلون أخباركم الى المشركين.

و قوله «يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ» معناه يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة و الفرقة.

قال الحسن: يبغونكم أن تكونوا مشركين. و أصل الفتنة إخراج خبث الذهب بالنار، تقول: بغيتك كذا بمعنى بغيت لك و مثله جلبتك و جلبت لك و «خلالكم» أى بينكم مشتق من التخلل، و هى الفرج تكون بين القوم فى الصفوف و غيرها، و منه قول النبى صلى الله عليه و آله تراصوا فى الصفوف لا يتخللكم أولاد الخذف.

و قوله: «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» معناه- ها هنا- عالم بمن يستأذن

---

(۱) مر تخريجه فى ۱/ ۳۷۲

(۲) قائله دريد بن الصمة قاله يوم حنين: اللسان (وضع) و سيرة ابن هشام ۴/ ۸۲ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۲۷۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۳۲

النبى صلى الله عليه و آله فى التأخر شكاً فى الإسلام و نفاقاً، و عالماً بمن سمع حديث المؤمن و ينقله الى المنافقين فان هؤلاء ظالمون أنفسهم و باخسون لها حظها من الثواب.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۴۸] ..... ص : ۲۳۲

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كارِهُونَ (۴۸)

اقسم اللَّه تعالى أن هؤلاء المنافقين «ابتغوا» أى طلبوا إفساد ذات بينكم و افتراق كلمتكم فى يوم أحد حتى انصرف عبد اللَّه بن أبى بأصحابه و خذل النبى صلى الله عليه و آله و كان هو و جماعة من المنافقين يبغون للإسلام الغوائل قبل هذا، فسلم اللَّه المؤمنين من فتنتهم و صرفها عنهم. و قوله «وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ» فالتقليب هو تصريف الشيء بجعل أسفله أعلاه مرة بعد أخرى، فهؤلاء صرفوا القول فى المعنى للحيلة و المكيدة و قوله «حَتَّى جاءَ الْحَقُّ» أى حتى اتى الحق «وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كارِهُونَ» أى فى حال كراهتهم لذلك، فهى جملة فى موضع الحال. و الظهور خروج الشيء الى حيث يقع عليه الإدراك و قد يظهر المعنى للنفس إذا حصل العلم به.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۴۹] ..... ص : ۲۳۲

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَ لا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (۴۹)

قال ابن عباس و مجاهد و ابن زيد: نزلت هذه الآية فى ألحد بن قيس، و ذلك ان النبى صلى الله عليه و آله لما دعا الناس الى الخروج الى غزوة تبوك لقتال الروم جاءه ألحد ابن قيس، فقال: يا رسول اللَّه إنى رجل مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الأصفر، قال الفراء:

سمی الروم أصفر، لأن حبشياً غلب علی ناحيۀ الروم، و كان له بنات التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۳۳
قد أخذن من بياض الروم و سواد الحبشۀ فكنّ صفراً لعساً، فنزلت هذه الآيۀ فيه.

و قال الحسن و قتادۀ و أبو عبيدۀ و أبو علی و الزجاج: معنی و لا- تفتنی و لا- تؤثمنی بالعصيان فی المخالفۀ التی توجب الفرقۀ، فتضمنت الآيۀ ان من جملۀ المنافقين من استأذن النبی صلی الله عليه و آله فی التأخر عن الخروج، و الاذن رفع التبعۀ فی الفعل، و هو و الاباحۀ بمعنی، و قال له «لا تفتنی» ای لا تؤثمنی بأن تكلفنی المشقۀ فی ذلک فأهم بالعصيان أو لا تفتنی ببنات أصفر علی ما حكيناه، فقال اللّه تعالی «أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا» أی وقعوا فی الكفر و المعصيۀ بهذا القول و بهذا الفعل. و السقوط الوقوع الی جهۀ السفل و وقوع الفعل حدوثه و سقوطه أيضاً. و قوله «وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ» اخبار منه تعالی أن جهنم مطيفۀ بما فيها من جميع جهاتها بالكافرين.

و الاحاطۀ و الاطافۀ و الاحداق نظائر فی اللغۀ. و لا يدل ذلک علی انها لا تحيط بغير الكفار من الفساق الا تری أنها تحيط بالزبانيۀ و المتولين للعقاب، فلا تعلق للخوارج بذلک.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۰] ..... ص : ۲۳۳

إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ (۵۰)

هذا خطاب من اللّه تعالی لنبيه صلی الله عليه و آله بأن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم متی نال النبی صلی الله عليه و آله و المؤمنين حسنۀ أی نعمۀ من اللّه تعالی و ظفر بأعدائهم و غنيمۀ ينالونها ساءهم ذلک و أحزنهم، و إن تصبهم مصيبۀ أی آفۀ فی النفس او الأهل او المال- و أصلها الصوب- و هو الجری الی الشیء، يقال: صاب يصوب صوباً، و منه صوب الإناء إذا ميله للجری، و الصواب اصابۀ الحق «يَقُولُوا» يعنی هؤلاء المنافقين «قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ» و معناه قد حذرنا و احترزنا، فی قول مجاهد و غيره، و معناه، التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۳۴
أخذنا أمرنا من مواضع الهلكۀ فسلمنا مما وقعوا فيه «وَ يَتَوَلَّوْا» ای يعرضوا «وَ هُمْ فَرِحُونَ» يعنی فرحين بتأخرهم و سلامتهم مما نال المؤمنين من المصيبۀ. و الاصابۀ وقوع الشیء بما قصد به.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۱] ..... ص : ۲۳۴

قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۵۱)

امر اللّه تعالی نبيه صلی الله عليه و آله ان يقول لهؤلاء المنافقين الذين يفرحون بمصيبات المؤمنين و سلامتهم منها «لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا» و قيل فی معناه قولان:

أحدهما- ان كل ما يصيبنا من خير أو شر فهو مما كتبه اللّه فی اللوح المحفوظ من أمرنا، و ليس علی ما تظنون و تتوهمون من إهمالنا من غير أن نرجع فی أمرنا الی تدبير ربنا، هذا قول الحسن. الثانی- قال الجبائی و الزجاج: يحتمل أن يكون معناه لن يصيبنا فی عاقبۀ أمرنا إلا ما كتب اللّه لنا فی القرآن من النصر الذی و عدنا. و قال البلخی: يجوز ان يكون (كتب) بمعنی علم و يجوز ان يكون بمعنی حكم، و الأولان أقوی. فان قيل: ما الفائدۀ فی كتب ما يكون من أفعال العباد قبل كونها؟ قلنا فی ذلک مصلحۀ للملائكۀ ما يقابلون به فيجدونه متفقاً فی الصحۀ، مع ان تصور كثرته اهول فی النفس و أملأ للصدر.

و قوله: «هُوَ مَوْلانا» يحتمل معنيين: أحدهما- انه مالكنا و نحن عبيده.

و الثانی- فان اللّه يتولی حياطتنا و دفع الضرر عنا.

و قوله «وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» امر منه تعالی للمؤمنين ان يتوكلوا عليه تعالی دون غيره. و التوكل تفويض الامر الی اللّه و الرضا

بتدبيره و الثقة بحسن اختياره، كما قال «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» «۱» و حرف الجر الذى فى

---

(۱) سورة ۶۳ الطلاق آية ۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۳۵

معنى الظرف متعلق بالأمر فى قوله «فليتوكل» و تقديره فليتوكل على اللَّه المؤمنون و انما جاز تقديمه لأنه لا يلبس، و لا يجوز تقديمه على حرف الجزاء لأنه يلبس بالجزاء فى الجواب.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۲] ..... ص : ۲۳۵

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (۵۲)

روى ابن فليح و البزى إلا النقاش «هَلْ تَرَبَّصُونَ» بتشديد التاء، وجهه أنه أراد تتربصون فأدغم احد التاءين فى الاخرى.

امر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول لهؤلاء المنافقين «هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا» و التربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه و لذلك قيل تربص بالطعام إذا تمسك به الى حين زيادة سعره، و قوله «إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ» و احدى الشيئين واحدة منهما، واحد العشر واحد منهـا، و احـدى النسـاء معناه واحـدة منهن. و الحسـنيان عظيمان فى الحسن من النعم و معانيهما ها هنا إما الغلبـة بنصـر اللَّه عز و جل و الشهادة المودية الى الجنة، فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و غيرهم. و (هل) حرف من حروف الاستفهام و المراد ها هنا التقريع بـالتربص المؤدى صـاحبه الى كل ما يكرهه من خيبته و فوز خصـمه. و قوله «وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ» أى قل لهؤلاء: و نحن ايضـاً نتوقع بكم ان يوقع بكم عـذاباً «مِنْ عِنْدِهِ» يهلككم به «او بأيـدينا» بـأن ينصـرنا عليكم فيقتلكم بأيـدينا. و قوله «فتربصوا» صورته صورة الأمر و المراد به التهديد كما قال: «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «۱» «وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ» «۲» و انما قلنا ذلك لأن

---

(۱) سورة ۴۱ حم السجدة آية ۴۰

(۲) سورة ۱۷ الإسراء آية ۶۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۳۶

تربص المنافقين بالمؤمنين تمسك بما يؤدى الى الهلاك و ذلك قبيح لا يريـده اللَّه و لا يأمر به. و قال الفراء: العرب تدغم لام هل و بل فى التاء خاصة و هو كثير فى كلامهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۳] ..... ص : ۲۳۶

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ (۵۳)

أمر اللَّه تعالى نبيه صـلى الله عليه و آله ان يقول لهؤلاء المنافقين «أنفقوا» و صورته صورة الامر و فيه ضـرب من التهديد و هو مثل قوله «فَمَنْ شـاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ» «۱» و انما هو بيان عن توسـعة التمكين من الطاعة و المعصـية، و قال قوم: معناه الخبر الذى تدخل (إن) فيه للجزاء كما قال كثير:

اسيئى بنا او احسنى لا ملومة لدينا و لا مقلية ان تقلت «۲»

كأنه قال: إن أحسنت أو أسأت لم تلامى، و إنما حسن ان يأتى بصيغة الأمر على معنى الخبر بتوسعة التمكين لأنه بمنزلة الأمر فى طلب فعل ما يتمكن الذى قد عرفه المخاطب، كأنه قيل اعمل بحسب ما يوجبه الحق فيما مكنت من الامرين.

و وجه آخر أن كـل واحـد من الضـربين كالمأمور به فى انه لا يعود و بال العائـد الا على المأمور. و قوله «طوعا» فالطوع الانقياد بارادة لمن عمـل عليهـا. و الكره فعل الشـيء بكراهـة حمل عليها. و قوله «لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ» معناه لا يجب لكم به الثواب على ذلك مثل تقبل الهدية و وجوب المكافاة و تقبل التوبة و إيجاب الثواب عليها، و مثله فى كل طاعة.

و قوله «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ» اخبـار منه تعالى و خطاب لهؤلاء المنافقين بأنهم كانوا فاسـقين متمردين عن طاعـة اللّه، فلـذلك لم يقبل نفقاتهم و إنما كانوا ينفقون

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۲۹

(۲) معانى القرآن ۱/ ۴۴۱ و قد مر فى ۱/ ۳۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۳۷

أموالهم فى سبيل اللّه للرياء و دفعاً عن أنفسهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۴] ..... ص : ۲۳۷

وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَ هُمْ كُسالى وَ لا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَ هُمْ كارِهُونَ (۵۴)

قرأ اهل الكوفـة إلا عاصـما «ان يقبل» بالياء. الباقون بالتاء. وجه قراءة من قرأ بالياء ان التأنيث ليس بحقيقى فجاز أن يـذكر كقوله «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ» «۱» و من قرأ بالتاء فعلى ظاهر التأنيث.

و المنع أمر يضـاد الفعل و ينافيه. و المعنى ها هنا أن هؤلاء المنافقين منعوا أنفسـهم ان يفعل بهم قبول نفقاتهم، كما يقول القائل: منعته برى و عطائى.

و قوله «ان تقبـل» فى موضع نصب، و تقـديره و مـا منعهم من أن تقبـل و حـذف (من). و قوله «إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ» انهم فى موضع رفع و العامل فى اعراب انهم يحتمل احد أمرين: أحدهما- ما منعهم من ذلك إلا كفرهم.

و الثانى- أن يكون تقـديره ما منعهم اللّه منه إلا لأنهم كفروا باللّه. و عنـدنا ان الكافر لا يقع منه الإنفاق على وجه يكون طاعـة، لأنه لو أوقعها على ذلك الوجه لاستحق الثواب. و الإحباط باطل، فكان يؤدى الى ان يكون مستحقاً للثواب.

و ذلك خلاف الإجماع. و عنـد من خالفنا من المعتزلة و غيرهم يصح ذلك، غير انه ينحبط بكفره فأما الصـلاة فلا يصح أن تقع منهم على وجه تكون طاعة بلا خلاف، لأن الصـلاة طريقها الشـرع فمن لا يعترف بالشـرع لا يصح أن يوقعها طاعة، و ليس كذلك الإنفاق، لأن العقل دال على حسنه غير انهم و إن علموا ذلك لا يقع منهم

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۳۸

كذلك على ما بيناه.

و قوله «وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسالى اى يقومون اليهـا على وجه الكسل و ذلك ذم لهم بأنهم يصلون الصلاة على غير الوجه الذى أمروا به، من النفاق الذى يبعث على الكسل عنها دون الايمان الذى يبعث على النشاط لها.

و قوله «وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كـارِهُونَ» اخبـار منه تعـالى بـأنهم لا ينفقون ما ينفقونه لكونه طاعـة بل ينفقونه كارهين لـذلك و ذلك يقوى ما قلناه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۵] ..... ص : ۲۳۸

فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ (۵۵)

هذا نهى للنبى صلى الله عليه و آله و المراد به المؤمنون و المعنى: لا يروق ناظركم ايها المؤمنون ظاهر حسنها يعنى اموال المنافقين و الكفار و أولادهم تستحسنونه بالطبع البشرى. و انما قلنا ذلك، لأن النبى صلى الله عليه و آله مع زهده لا يجوز ان يعجب بها إعجاب مشته لها. و قوله «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» و قيل فى معنى ذلك وجوه: أحدها- قال ابن عباس و قتادة و الفراء: ان فيه التقديم و التأخير و التقدير فلا تعجبك أموالهم و لا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد اللَّه ليعذبهم بها فى الآخرة، فيكون الظرف على هذا متعلقاً بأموالهم و أولادهم، و مثله قوله تعالى «فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ» «۱» و تقديره فالقه اليهم فانظر ما ذا يرجعون ثم تول عنهم. الثانى- قال ابن زيد: معناه انما يريد اللَّه ليعذبهم بحفظها و المصائب فيها مع حرمان النفقة بها. و الثالث- قال الجبائى: تقديره انما

(۱) سورة ۲۷ النمل آية ۲۸ [.....]

يريد اللَّه ليعذبهم فى الحياة الدنيا عند تمكن المؤمنين من أخذها و غنمها فيتحسرون عليها و يكون ذلك جزاء على كفرهم نعم اللَّه تعالى بها. و الرابع- قال البلخى و الزجاج: ان معناه فلا تعجبك أموالهم، فإنها و بال عليهم، لأن اللَّه يعذبهم بها اى بما يكلفهم من إنفاقها فى الوجوه التى أمرهم بها فتزهق أنفسهم لشدة ذلك عليهم لانفاقهم، و هم مع هذا كله كافرون و عاقبتهم النار فيكون قوله «وَ هُمْ كافِرُونَ» اخباراً عن سوء أحوالهم و قلة نفع المال و الولد لهم لهم و لا يكون عطفاً على ما مضى.

و الخامس- أن يكون المعنى أن مفارقتها و تركها و الخروج عنها بالموت صعب عليهم شديد، لأنهم يفارقون النعم و لا يدرون الى ما ذا يصيرون بعد الموت فيكون حينئذ عذاباً عليهم. بمعنى ان مفارقتها غم و عذاب. و معنى «وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ» اى تهلك و تذهب بالموت يقال: زهق بضاعة فلان اى ذهبت اجمع. السادس- قال الحسن: اخبر اللَّه تعالى عن عاقبتهم انهم يموتون على النفاق. و قال: ليعذبهم بزكاتها و إنفاقها فى سبيل اللَّه، و هو قول البلخى ايضاً و الزجاج مع اعتقادهم ان ذلك ليس بقربة، فيكون ذلك عذاباً أليماً.

و اللام فى قوله «ليعذبهم» يحتمل ان يكون بمعنى (أن) و التقدير إنما يريد اللَّه أن يعذبهم. و الزهق الخروج بصعوبة. و أصله الهلاك، و منه قوله «قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ» «۱» و كل هالك زاهق، زهق يزهق زهوقاً. و الزاهق من الدواب السمين الشديد السمن، لأنه هالك يثقل بدنه فى السير و الكر و الفر. و زهق فلان بين ايدى القوم إذا زهق سابقاً لهم حتى يهلك منهم. و الاعجاب السرور بما يعجب منه تقول: اعجبنى حديثه اى سرنى بظرف حديثه.

و ليس فى الآية ما يدل على ان اللَّه تعالى أراد الكفر على ما يقوله المجبرة، لأن قوله «وَ هُمْ كافِرُونَ» فى موضع الحال كقولك أريد ان تذمه و هو كافر و أريد ان تضربه و هو عاص و أنت لا تريد كفره و لا عصيانه بل تريد ذمه فى حال

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۸۱

كفره و عصيانه، و تقدير الاية إنما يريد اللَّه عذابهم و إزهاق أنفسهم اى اهلاكها فى حال كونهم كافرين، كما يقول القائل للطبيب: اختلف الى كل يوم و أنا مريض، و هو لا يريد المرض، و يقول لغلامه: اختلف الى و أنا محبوس، و لا يريد حبس نفسه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۶] ..... ص : ۲۴۰

وَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (۵۶)

اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يقسمون باللَّه انهم لمنكم يعنى من المؤمنين و على دينهم الذى يدينون به. ثم قال اللَّه تعالى مكذباً لهم «وَ ما هُمْ مِنْكُمْ» اى ليسوا مؤمنين مثلكم و لا مطيعين للَّه فى اتباع دينه كما أنتم كذلك، و لكنهم قوم يفرقون اخبار منه تعالى ان هؤلاء المنافقين يفرقون من اظهار الكفر لئلا يقتلوا و الفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر. و أصله من مفارقة الا من الى حال الانزعاج.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۷] ..... ص : ۲۴۰

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغاراتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ (۵۷)

قرأ يعقوب «أو مدخلا» بفتح الميم و تخفيف الدال و سكونها. و قرأ شاذّ «مدخلا» بضم الميم و سكون الدال.

اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم لو وجدوا ملجأ. و معناه لو أدركوا مطلوبهم، يقال: وجدت الضالة وجداناً و وجدت على الرجل وجداً و موجدة.

و الملجأ الموضع الذى يتحصن فيه و مثله المعقل و الموئل، و المعتصم و المنتصر. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۴۱

ابن عباس: معناه ها هنا حرزا. و قال مجاهد: أى حصناً، و مثله يستعمل فى الناصر و المساعد. و قوله «أو مغارات» اى لو وجدوا مغارات، و هى جمع مغارة و هى المدخل الساتر من دخل فيه. و قال ابن عباس: معناه المغارات و الغيران و الغار و الثقب الواسع فى الجبل، و منه غارت العين من الماء إذا غابت فى الأرض، و غارت عينه إذا دخلت فى رأسه. و المدخل المسلك الذى يتدسس بالدخول فيه و هو مفتعل من الدخول كالمتّلج من الولوج. و أصله متدخل. و

قال ابن عباس و أبو جعفر عليه السلام و الفراء: المدّخل الاسراب فى الأرض.

و قوله «لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ» فالجماح مضى الماء مسرعاً على وجهه لا يرده شىء عنه. و قال الزجاج: فرس جموح، و هو الذى إذا حمل لم يرده اللجام. و قيل: هو المشى بين المشيين قال مهلهل:

لقد جمحت جماحاً فى دمائهم حتى رأيت ذوى أجسامهم جمدوا

و قال الزجاج: معنى (مدخلا) اى لو وجدوا قوماً يدخلون فى جملتهم أو قوماً يدخلونهم فى جملتهم يعتصمون بهم لفعلوا.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۸] ..... ص : ۲۴۱

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ (۵۸)

قرأ يعقوب «يلمزك» بضم الميم. الباقون بكسرها، و هما لغتان، و هذه الآية فيها اخبار أن من جملة المنافقين الذين ذكرهم من يلمزك يا محمّد صلى الله عليه و آله فى الصدقات اى يعيبك فى قول الحسن. و اللمز العيب على وجه المساترة، و الهمز العيب- بكسر العين و غمزها- فى قول الزجاج- تقول: لمزه يلمزه و يلمزه- بالكسر و الضم- و هى صفتهم قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۴۲

إذا لقيتك تبدى لى مكاشرة و ان تغيبت كنت الهامز اللمزة «۱»

و قال رؤبة:

قاربت بين عنقى و جمزى فى ظل عصرى باطلى و لمزى «۲»

و قال ابو عبيدة: يلزمك معناه يعيبك. و قال قتادة: معناه يطعن عليك.

و الهمز الغيبة. و منه قوله «هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ» «۳». و قيل لاعرابى: أ تهمز الفأرة؟

قال: الهر يهمزها، فأوقع الهمز على الاكل، و الهمز كاللمز، و منه قوله «أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً» «۴» و الصدقات جمع صدقة و هى العطية للفقير على وجه البر و الصلة. و الصدقة الواجبة فى الأموال حرام على رسول اللَّه و أهل بيته كأنهم جعلوا فى تقدير الأغنياء، فأما البر على وجه التطوع فهو مباح لهم.

و قوله «فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا» يعنى من الصدقات رضوا بذلك و حمدوك عليه «وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ» يعنى إذا لم يعطوا ما طلبوه من الصدقات سخطوا و غضبوا. و الصدقة محرمة على من كان غنياً.

و اختلفوا فى حد الغنى، فقال قوم: هو من ملك نصاباً من المال. و قال آخرون:

هو من كانت له مادة تكفيه، ملك النصاب أو لم يملك، و الذى كان يلمز النبى صلى الله عليه و آله فى الصدقات بلتعة بن حاطب، و كان يقول: إنما يعطى محمّد الصدقات من يشاء فربما أعطاه النبى صلى الله عليه و آله فيرضى و ربما منعه فسخط، فتكلم فيه، فنزلت الآية فيه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۵۹] ..... ص : ۲۴۲

وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ (۵۹)

---

(۱) قائله زياد الأعجم مجاز القرآن ۱/ ۲۶۳ و اللسان «همز» و مقاييس اللغة ۶/ ۶۶ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۳۰۱ و فيه اختلاف كثير فى الرواية.

(۲) ديوانه: ۶۴ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۳۰۰.

(۳) سورة ۶۸ القلم آية ۱۱

(۴) سورة ۴۹ الحجرات آية ۱۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۴۳

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات و عابوك بها لو رضوا بما أعطاهم اللَّه و رسوله «وَ قالُوا» مع ذلك «حَسْبُنَا اللَّهُ» اى كفانا اللَّه و انه سيعطينا اللَّه من فضله و انعامه و يعطينا رسوله مثل ذلك و قالوا «إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ» و الجواب محذوف و التقدير لكان خيراً لهم و أعود عليهم و حذف الجواب فى مثل هذا ابلغ لأنه لتأكيد الخبر به استغنى عن ذكره.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۶۰] ..... ص : ۲۴۳

إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۶۰)

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية انه ليست الصدقات التى هى زكاة الأموال إلا للفقراء و المساكين و من ذكرهم فى الآية.

و اختلفوا فى الفرق بين الفقير و المسكين، فقال ابن عباس و الحسن و جابر و ابن زيد و الزهرى و مجاهد: الفقير المتعفف الذى لا يسأل، و المسكين الذى يسأل، ذهبوا الى أنه مشتق من المسكنة بالمسألة. و

روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال (ليس المسكين الذى تردّه الاكلة و الاكلتان و التمرة و التمرتان و لكن المسكين الذى لا يجد غنى فيغنيه و لا يسأل الناس إلحافاً).

و قال قتادة: الفقير ذو الزمانة من اهل الحاجة. و المسكين من كان صحيحاً محتاجاً. و قال قوم: هما بمعنى واحد إلا انه ذكر بالصفتين لتأكيد أمره قال الشاعر:

انا الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد «۱»

(۱) اللسان (وفق). الحلوبة: الناقة التى تحلب (وفق العيال) على قدر حاجتهم و (السبد) كناية عن القليل و أصله الوبر و هو الشعر الضعيف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۴۴

و يسمى المحتاج فقيراً تشبيهاً بأن الحاجة كأنها قد كسرت فقار ظهره يقال:

فقر الرجل فقراً و أفقره اللّه افقاراً و افتقر افتقارا، و تفاقر تفاقراً. و سمى المسكين بذلك تشبيهاً بأن الحاجة كأنها سكنته عن حال اهل السعة و الثروة. قال اللّه تعالى «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ» «۱» فمن قال: المسكين أحسن حالا احتج بهذه الآية. و من قال هما سواء قال: السفينة كانت مشتركة بين جماعة لكل واحد منهم الشيء اليسير.

و قوله «وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها» يعنى سعاة الزكاة و جباتها، و هو قول الزهرى و ابن زيد و غيرهم. و قوله «وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ» معناه أقوام أشراف كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه و آله فكان يتألفهم على الإسلام و يستعين بهم على قتال غيرهم و يعطيهم سهماً من الزكاة.

و هل هو ثابت فى جميع الأحوال ام فى وقت دون وقت؟ فقال الحسن و الشعبى:

ان هذا كان خاصاً على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله. و روى جابر عن أبى جعفر محمّد بن على عليهما السلام ذلك.

و اختار الجبائى انه ثابت فى كل عصر الا ان من شرطه ان يكون هناك امام عدل يتألفهم على ذلك.

و قوله «وَ فِي الرِّقابِ» يعنى المكاتبين و أجاز أصحابنا ان يشترى به عبد مؤمن إذا كان فى شدة و يعتق من مال الزكاة، و يكون ولاؤه لأرباب الزكاة، و هو قول ابن عباس و جعفر بن مبشر.

و قوله «وَ الْغارِمِينَ» قال مجاهد و قتادة و الزهرى و جميع المفسرين، و هو

قول أبى جعفر عليه السلام انهم الذين ركبتهم الديون فى غير معصية و لا إسراف فتقضى عنهم ديونهم

، و «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى الجهاد بلا خلاف، و يدخل فيه عند أصحابنا جميع مصالح المسلمين، و هو قول ابن عمر و عطاء. و به قال البلخى، فانه قال: تبنى به المساجد و القناطر و غير ذلك، و هو قول جعفر بن مبشر. و «ابْنِ السَّبِيلِ» و هو المسافر

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۸۰

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۴۵

المنقطع به فانه يعطى من الزكاة و ان كان غنياً فى بلده من غير ان يكون ديناً عليه، و هو قول مجاهد و قتادة قال الشاعر:

انا ابن الحرب ربتنى وليداً الى ان شبت و اكتهلت لداتى «۱»

و قال بعضهم: جعل اللّه الزكاة لامرين: أحدهما- سدّ خلة. و الآخر- تقوية و معونة لعز الإسلام. و استدل بذلك على ان المؤلفة قلوبهم فى كل زمان.

و اختلفوا فى مقدار ما يعطى الجابى للصدقة، فقال مجاهد و الضحاك: يعطى الثمن بلا زيادة. و قال عبد اللّه بن عمر بن العاص و الحسن و ابن زيد:

هو على قدر عمالته، و هو المروى فى اخبارنا.

و قال ابن عباس و حذيفة و عمر بن الخطاب و عطاء و ابراهيم و سعيد بن جبير، و هو

قول أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام ان لقاسم الزكاة ان يضعها فى اى الأصناف شاء. و كان بعض المتأخرين لا يضعها الا فى سبعة أصناف لأن المؤلفة قد انقرضوا. و ان قسمها الإنسان عن نفسه، ففى ستة لأنه بطل سهم العامل، و زعم انه لا يجزى فى كل

صنف أقل من ثلاثة.

و عندنا ان سهم المؤلفة و السعاة و سهم الجهاد قد سقط اليوم، و يقسم فى الخمسة الباقية كما يشاء رب المال و ان وضعها فى فرقة منهم جاز.

و قوله «فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ» نصب على المصدر اى فرض ذلك فريضة و كان يجوز الرفع على الابتداء و لم يقرأ به، و معناه ان ما فرضه اللَّه و قدره واجب عليكم.

و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عالم بمصالحكم حكيم فيما يوجبه عليكم من إخراج الصدقات و غير ذلك.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۶۱] ..... ص : ۲۴۵

وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۶۱)

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۴/ ۳۲۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۴۶

قرأ نافع «أذن خير» بالتخفيف الباقون بالتثقيل. و كلهم أضاف، و رفع «و رحمة» الا أبا عمر و فانه جر (و رحمة) و كان يجوز النصب على (و رحمة) يفعل ذلك، و لم يقرأ به أحد، قال أبو على: تخفيف «أذن» من أذن قياس مطرد نحو طنب و طنب، و عنق و عنق و ظفر و ظفر لأن ذلك تخفيف و تثقيل لا تفاقهما فى الوزن و فى جمع التكسير تقول: آذان و أطناب و أعناق و أظفار، فأما الأذن فى الآية فانه يجوز ان يطلق على الجملة و ان كان عبارة عن جارحة فيها، كما قال الخليل فى الناب من الإبل سميت به لمكان الناب البازل، فسميت الجملة كلها به. و يجوز أن يكون (فعلا) من اذن يأذن إذا استمع. و معناه انه كثير الاستماع مثل شلل و أنف و شحح، قال ابو زيد: رجل اذن و يقن إذا كان يصدق بكل ما يسمع فكما ان (يقن) صفة كبطل كذلك (اذن) كشلل، و يقولون: اذن يأذن إذا استمع، و منه قوله «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها» «۱» اى استمعت، و قوله «ائْذَنْ لِي» «۲» اى استمع. و فى الحديث (ما اذن اللَّه لشيء كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن) قال الشاعر.

فى سماع يأذن الشيخ له و حديث مثل ما ذى مشار «۳»

و المعنى- فى الاضافة- مستمع خير لكم و صلاح و مصغ اليه، لا مستمع شر و فساد. و من رفع (رحمة) فالمعنى فيه أذن خير و رحمة اى مستمع خير و رحمة فجعله للرحمة لكثرة هذا المعنى فيه، كما قال «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ» «۴» و يجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر. و أما من جر فعطفه على (خير) كأنه قال اذن خير و رحمة، و تقديره مستمع خير و رحمة. و جاز هذا كما جاز مستمع

---

(۱) سورة ۸۴ الانشقاق آية ۲

(۲) سورة ۹ التوبة آية ۵۰

(۳) اللسان (اذن) نسبه الى (عدى) و الماذى المشار: العسل المصفى

(۴) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۱۰۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۴۷

خير، لأن الرحمة من الخير و إنما خص تشريفاً، كما قال «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» ثم قال «خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ» «۱» و ان كان قوله

تعالى «خلق» عم الإنسان و غيره. و البعد بين الجار و ما عطف عليه لا- يمنع من العطف ألا ترى ان من قرأ «وَ قِيلِهِ يا رَبِّ» انما جعله عطفاً على «وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» «۲» و علم قيله.

و روى ان الأعمش قرأ قل «اذن خير و رحمة» و هى قراءة ابن مسعود.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان من جمله هؤلاء- المنافقين الذين وصفهم و ذكرهم- من يؤذى النبى صلى الله عليه و آله و الأذى هو ضرر ربما تنفر منه النفس فى عاجل الامر و انهم يقولون هو اذن يعنون النبى صلى اللَّه عليه و آله. و معنى (اذن) انه يصغى الى كل احد فيقبل ما يقوله- فى قول ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاك- و قيل أصله من اذن إذا استمع على ما بيناه قال عدى بن زيد:

ايها القلب تعلل بددن إن همى فى سماع و أذن «۳»

و قيل السبب فى ذلك: ان قوماً من المنافقين تكلموا بما أرادوه، و قالوا ان بلغه اعتذرنا اليه، فانه اذن يسمع ما يقال له، فقال اللَّه تعالى «قل» يا محمد «أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ» لا اذن شر، و ليس بمعنى أفعل. و انما معناه أذن صلاح و لو رفع خيراً لكان معناه أصلح، و هى قراءة الحسن و الأعشى و البرجمى. و انما قال بعد ذلك «يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» لأن معناه انه لإيمانه باللَّه يعمل بالحق فيما يسمع من غيره. و قيل يصغى الى الوحى من قبل اللَّه.

و قوله «وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ» قال ابن عباس: معناه و يصدق المؤمنين. و قيل دخلت اللام كما دخلت فى قوله «رَدِفَ لَكُمْ» «۴» و تقديره ردفكم، و اللام مقحمة و مثله «لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» «۵» و معناه يرهبون ربهم. و اللام مقحمة.

---

(۱) سورة ۹۶ العلق ۲.

(۲) سورة ۴۳ الزخرف آية ۸۸، ۸۵ [.....]

(۳) اللسان (اذن) و امالى المرتضى ۱/ ۳۳ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۳۲۵

(۴) سورة ۲۷ النمل آية ۷۲.

(۵) سورة ۷ الاعراف آية ۱۵۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۴۸

و قال قوم: دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق و ايمان الامان.

و قوله «وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» يعنى ان النبى صلى الله عليه و آله رحمة للمؤمنين منكم و انما خص المؤمنين بالذكر و ان كان رحمة للكفار أيضاً من حيث انتفع المؤمنون به دون غيرهم من الكفار. ثم قال «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» اى مؤلم موجع جزاء لهم على أذاهم للنبى صلى الله عليه و آله.

و

قال ابن إسحاق: نزلت هذه الآية فى نبتل بن الحارث كان يقول: إنى لأنال من محمد ما شئت، ثم آتيه اعتذر اليه و أحلف له فيقبل، فجاء جبرائيل الى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله فقال: انه يجلس اليك رجل ادلم ثائر شعر الرأس اسفع الخدين احمر العينين كأنهما قدران من صفر كبده اغلظ من كبد الجمل ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره، و كان ذلك صفة نبتل بن الحارث من منافقى الأنصار، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله من اختار أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث، ذكره ابن إسحاق.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۶۲] ..... ص : ۲۴۸

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ (۶۲)

اخبر اللَّه تعالى أن هؤلاء المنافقين يقسمون باللَّه أنهم على دينكم و أن الذى بلغكم عنهم باطل «لِيُرْضُوكُمْ» و معناه يريدون بذلك

رضاکم لتحمدوهم علیه. ثم قال تعالی «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ یُرْضُوهُ» أی اللَّه و رسوله أولی بأن یطلبوا مرضاتهما «إِنْ کانُوا مُؤْمِنِینَ» مصدقین باللَّه مقرین بنبوة نبیه، و الفرق بین الاحق و الأصلح ان الأحق قد یکون موضعه غیر الفعل کقولک: زید أحق بالمال، و الأصلح لا یقع هذا الموقع لأنه من صفات الفعل و تقول: اللَّه أحق أن یطاع و لا تقول أصلح، و قیل فی رد ضمیر الواحد فی قوله «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ یُرْضُوهُ» قولان: التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۴۹

أحدهما- أنه لما کان رضی رسول اللَّه رضی اللَّه ترک ذکره، لأنه دال علیه و التقدیر و اللَّه أحق أن یرضوه و رسوله أحق أن یرضوه کما قال الشاعر:

نحن بما عندنا و انت بما عندک راض و الرأی مختلف «۱»

و الثانی- أنه لا یذکر علی طریق المجمل مع غیره تعظیماً له بافراد الذکر المعظم بما لا یجوز إلا له، و لذلک

قال النبی صلی الله علیه و آله لمن سمعه یقول: من أطاع اللَّه و رسوله هدی (و من یعصمه فقد غوی)

و انما أراد ما قلناه.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۶۳] ..... ص : ۲۴۹

أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ یُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِیها ذلِکَ الْخِزْیُ الْعَظِیمُ (۶۳)

یقول اللَّه تعالی علی وجه التهدید و التقریع و التوبیخ لهؤلاء المنافقین «أَ لَمْ یَعْلَمُوا» أی أو ما علموا «أَنَّهُ مَنْ یُحادِدِ اللَّهَ» ای یتجاوز حدود اللَّه التی أمر المکلفین ان لا یتجاوزها، فالمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة و مثله المباعدة. و المعنی مصیرهم فی حد غیر حد أولیاء اللَّه. فالمخالفة و المحادة و المجانبة و المعاداة نظائر فی اللغة.

و انما قال: لمن لا یعلم «أَ لَمْ یَعْلَمُوا» لأحد أمرین: أحدهما- علی وجه الاستبطاء لهم و التخلف عن علمه. و الآخر- انه یجب ان تعلموا الآن هذه الاخبار. و قال الجبائی: معناه أ لم یخبرهم النبی صلی الله علیه و آله بذلک.

و قوله «فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِیها» یحتمل أن یکون علی التکریر، لأن الأولی للتأکید مع طول الکلام، و تقدیره فله نار جهنم أو فان له نار جهنم.

قال الزجاج: و لو قرئ (فان) بکسر الهمزة علی وجه الاستئناف کان جائزاً، غیر أنه لم یقرأ به احد. و قوله «ذلِکَ الْخِزْیُ الْعَظِیمُ» معناه ذلک الذی ذکرناه

---

(۱) انظر ۱/ ۱۷۲. و ۵/ ۲۱۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۵۰

من أن له نار جهنم هو الخزی یعنی الهوان بما یستحی من مثله. تقول: خزی خزیا إذا انقمع للهوان فأخزاه إخزاء و خزیاً.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۶۴] ..... ص : ۲۵۰

یَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَیْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِی قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ (۶۴)

قیل فی معنی یحذر المنافقون قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد و اختاره الجبائی: ان معناه الخبر عنهم بأنهم کانوا یحذرون ان تنزل فیهم آیة یفتضحون بها لأنهم کانوا شاکین، حتی قال بعضهم: لوددت ان اضرب کل واحد منکم مائة و لا ینزل فیکم قرآن، ذکره ابو جعفر و قال: نزلت فی رجل یقال له مخشی بن الحمیر الاشجعی.

الثانی- قال الزجاج: انه تهديد و معناه ليحذروا، و حسن ذلك لأن موضوع الكلام على التهديد. و الحذر أعداد ما يتقى الضرر، و مثله الخوف و الفزع تقول:

حـذرت حذراً و تحذر تحذراً و حاذره محاذرة و حذاراً و حذره تحذيراً. و المنافق الذى يظهر من الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر و اشتق ذلك من نافقاء اليربوع لأنه يخفى باباً و يظهر باباً ليكون إذا أتى من أحدهما خرج من الآخر.

و قوله «تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ» أى تخبرهم، غير أن (تنبئهم) يتعدى الى ثلاثة مفاعيل بمنزلة أعلمت. و قوله «قُلِ اسْتَهْزِؤُا» أمر للنبى صلى الله عليه و آله أن يقول لهؤلاء المنافقين (استهزؤا) اى اطلبوا الهزء، و الهزء إظهار شىء و ابطان خلافه للتهزؤ به، و هو بصورة الأمر و المراد به التهديد. و قوله «إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ» إخبار من اللّه تعالى أن الذى تخافون من ظهوره فان اللّه يظهره بأن يبين لنبيه صلى الله عليه و آله باطن حالهم و نفاقهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۵۱

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۶۵] ..... ص : ۲۵۱

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أَ بِاللَّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ (۶۵)

خاطب اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله فأقسم، لأن اللام لام القسم بأنك يا محمّد صلى الله عليه و آله إن سألت هؤلاء المنافقين عما تكلموا به «لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ» قال الحسن و قتادة: هؤلاء قالوا فى غزاة تبوك: أ يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام و حصونها- هيهات هيهات- فأطلع اللّه نبيه صلى الله عليه و آله على ما قالوه، فلما سألهم النبى عن ذلك على وجه التأنيب لهم و التقبيح لفعلهم: لم طعنتم فى الدين بالباطل و الزور؟ فأجابوا بما لا عذر فيه بل هو و بال عليهم: بأنا كنا نخوض و نلعب.

و الخوض دخول القدم فيما كان مائعاً من الماء أو الطين هذا فى الأصل ثم كثر حتى صار فى كل دخول منه أذى و تلويث. و اللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتحصيل اللذة من غير مراعاة الحكمة كفعل الصبى، و قالوا: ملاعب الأسنة اى انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبى الذى لا يفكر فى عاقبة أمره. فقال اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله: «قل» لهم «أَ بِاللَّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ» قال ابو على:

ذكر الاستهزاء ها هنا مجاز، لأنه جعل الهزء بالمؤمنين و بآيات اللّه هزءاً باللّه.

و الهزء إيهام امر على خلاف ما هو به استصغاراً لصاحبه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۶۶] ..... ص : ۲۵۱

لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً بِأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ (۶۶)

قرأ عاصم «ان نعف» بنون مفتوحة و ضم الفاء «نعذب» بالنون و كسر التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۵۲

الذال «طائفة» بالنصب. الباقون بضم الياء فى (يعف تُعذب طائفةٌ) بضم التاء و رفع طائفة. من قرأ بالنون فلقوله «ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ» «۱» و من قرأ بالتاء فالمعنى ذاك بعينه. و أما «تعذب» فمن قرأ بالتاء، فلان الفعل فى اللفظ مسند الى مؤنث.

قوله تعالى: «لا تَعْتَذِرُوا» صورته صورة النهى و المراد به التهديد. و المراد ان اللّه تعالى امر نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول لهؤلاء المنافقين الذين يحلفون بأنهم ما قالوه إلا لعباً و خوضاً على وجه الهزء بآيات اللّه «لا تَعْتَذِرُوا» بالمعاذير الكاذبة فإنكم بما فعلتموه «قَدْ كَفَرْتُمْ» بعد أن كنتم مظهرين الايمان الذى يحكم لمن أظهره بأنه مؤمن، و لا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدّون، لما قلناه فى غير موضع: ان المؤمن لا يجوز عندنا أن يكفر لأنه كان يؤدى الى اجتماع استحقاق الثواب الدائم و العقاب الدائم، لبطلان التحابط.

و الإجماع يمنع من ذلك. و الاعتذار اظهار ما يقتضى العذر، و العذر ما يسقط الذم عن الجناية.

و قوله «إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً» اخبار منه تعالى أنه ان عفا عن قوم منهم إذا تابوا يعذب طائفة أخرى لم يتوبوا. و العفو رفع التبعة عما وقع من المعصية و ترك العقوبة عليها. و مثله الصفح و الغفران. و قوله «بِأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ» معناه انه انما يعذب الطائفة التى يعذبها لكونها مجرمة مذنبة مرتكبة لما يستحق به العقاب. و الاجرام الانقطاع عن الحق الى الباطل، و أصله الصرم تقول:

جرم الثمر يجرمه جرماً و جراماً إذا صرمه. و الجرم مصرم الحق بالباطل و أصله الصرم تقول:

جرم الثمر يجرمه جرماً و جراماً إذا صرمه. و الجرم مصرم الحق بالباطل و تجرمت السنة إذا تصرّمت قال لبيد:

دمن تجرّم بعد عهد انيسها حجج خلون حلالها و حرامها «۲»

قال الزجاج و الفراء: نزلت الآية فى ثلاثة نفر فهزأ اثنان و ضحك واحد

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۵۲.

(۲) اللسان «جرم»

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۵۳

قال ابن إسحاق: كان الذى عفا عنه مخشى بن حصين الأشجعى حليف بنى سلمة لأنه أنكر منهم بعض ما سمع فجعلت طائفة للواحد و يراد بها نفس طائفة. و أما فى اللغة فيقال للجماعة طائفة، لأنهم يطيفون بالشيء. و قوله تعالى «وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» «۱» يجوز أن يراد به واحد على ما فسرناه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۶۷] ..... ص : ۲۵۳

الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۶۷)

أخبر اللَّه تعالى بأن المنافقين الذين يظهرون الايمان و يسرون الكفر بعضهم من بعض. و المعنى إن بعضهم يضاف الى بعض بالاجتماع على النفاق، كما يقول القائل لغيره: أنت منى و أنا منك و المعنى إن أمرنا واحد لا ينفصل. و قيل: بعضهم من بعض فيما يلحقهم من مقت اللَّه و عذابه أى منازلهم متساوية فى ذلك. ثم أخبر أن هؤلاء المنافقين يأمرون غيرهم بالمنكر الذى نهى اللَّه عنه و توعد عليه من الكفر باللَّه و نبيه و جحد آياته «وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ» يعنى الأفعال الحسنة التى أمر اللّه بها و حث عليها، و انهم يقبضون أيديهم اى يمسكون أموالهم عن إنفاقها فى طاعة اللَّه و مرضاته و هو قول قتادة. و قال الحسن و مجاهد: أراد إمساكها عن الإنفاق فى سبيل اللَّه.

و قال الجبائى: أراد به إمساك الايدى عن الجهاد فى سبيله اللَّه.

و قوله «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» معناه تركوا امر اللَّه يعنى صار بمنزلة المنسى بالسهو عنه فجازاهم اللَّه بأن صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه و رحمته، و ذكر ذلك لازدواج الكلام. و قال قتادة: اى نسوا من الخير و لم ينسوا من الشر. ثم اخبر

---

(۱) سورة ۲۴ النور آية ۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۵۴

تعالى فقال «إِنَّ الْمُنافِقِينَ» الذين يخادعون المؤمنين بإظهار الايمان مع ابطانهم الكفر «هُمُ الْفاسِقُونَ» الخارجون عن الايمان باللَّه و برسوله و عن طاعاته.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۶۸] ..... ص : ۲۵۴

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها هِيَ حَسْبُهُمْ وَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ (۶۸)

اخبر اللَّه تعالى بأنه «وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ» الذين يظهرون الإسلام و يبطنون الكفر «نارَ جَهَنَّمَ» يعاقبون فيها أبد الآبدين و كذلك الكفار الذين يتولونهم، و هم على ظاهر الكفر، فلذلك أفردهم بالذكر ليعلم أن الفريقين معاً يتناولهم الوعيد و تقول: وعدته بالشر و عيداً و وعدته بالخير و عداً و أوعدته إيعاداً و توعدته توعداً فى الشر لا بالخير، و واعدته مواعدة، و تواعدوا تواعداً و قوله «هِيَ حَسْبُهُمْ» يعنى نار جهنم و العقاب فيها كافيهم، و لعنهم اللَّه يعنى أبعدهم اللَّه من جنته و خيره «و لهم» مع ذلك «عَذابٌ مُقِيمٌ» و معناه دائم لا- يزول و قيل معنى «هِيَ حَسْبُهُمْ» أى هى كفاية ذنوبهم، و وفاء لجزاء عملهم. و اللعن الابعاد من الرحمة عقاباً على المعصية، و لذلك لا يقال لعن البهيمة كما لا يدعا لها بالعفو.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۶۹] ..... ص : ۲۵۴

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَما اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (۶۹)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۵۵

الكاف فى قوله «كالذين» فى موضع نصب، و التقدير احذروا أن يحل بكم من العذاب و العقوبة كالذين. و يحتمل أن يكون المراد وعدكم اللَّه على الكفر كما وعد الذين من قبلكم، فشبه المنافقين فى عدولهم عن أمر اللَّه للاستمتاع بلذات الدنيا بمن قبلكم مع أن عاقبة امر الفريقين يؤل الى العقاب مع أن الأولين كانوا أشد من هؤلاء قوة فى أبدانهم و أطول اعماراً و اكثر أموالا و أشد تمكيناً فلم يقدروا ان يدفعوا عن نفوسهم ما حل بهم من عقاب اللَّه.

و قوله «فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ» فالاستمتاع هو طلب المتعة و هى فعل ما فيه اللذة من المآكل و المشارب و المناكح. و معناه انهم تمتعوا بنصيبهم من الخير العاجل و باعوا بذلك الخير الآجل فهلكوا بشر استبدال، كما تمتعتم ايها المنافقون بخلاقكم اى بنصيبكم و الخلاق النصيب سواء كان عاجلا او آجلا.

و قوله «وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا» خطاب للمنافقين بأن قيل لهم خضتم فى الباطل و الكذب على اللَّه كالذين تابعوهم على ذلك من المنافقين و غيرهم من الكفار «حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» لأنهم كانوا أوقعوها على خلاف ما أمرهم اللَّه به فلم يستحقوا عليها ثواباً بل استحقوا عليها العقاب، فلذلك كانوا خاسرين أنفسهم و مهلكين لها بفعل المعاصى المؤدى الى الهلاك و روى عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية:

ما أشبه الليلة بالبارحة كذلك من قبلكم هؤلاء بنو إسرائيل لشبهنا بهم لا أعلم إلا

انه قال (و الذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضب لدخلتموه) و مثله روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و آله و عن أبى سعيد الخدرى مثله.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۷۰] ..... ص : ۲۵۵

أَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْراهِيمَ وَ أَصْحابِ مَدْيَنَ وَ الْمُؤْتَفِكاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۷۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۵۶

آية فى الكوفى و البصرى و آيتان فى المدنيين آخر الأولى «و ثمود» قوله «ألم» صورته صورة الاستفهام، و المراد به التقرير و التحذير. و إنما حسن فى الاستفهام أن يخرج الى معنى التقرير لأن الاحتجاج بما يلزمهم الإقرار به فقال اللَّه تعالى مخاطباً لنبيه: أ لم يأت هؤلاء المنافقين الذين وصفهم خبر من كان قبلهم من قوم نوح و عاد و ثمود و قوم ابراهيم و أصحاب مدين، على وجه الاحتجاج عليهم فيتعظوا، لأن الأمم الماضية و القرون السالفة إذا كان اللَّه تعالى إنما أهلكها و دمرها لتكذيبها رسلها كان ذلك واجباً فى كل أمة يساوونهم فى هذه العلة، فأقل أحوالهم ألا يأمنوا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك. قال الرمانى: و الحكمة تقتضى إذا تساوى جماعة فى استحقاق العقاب ان لا يجوز العفو عن بعضهم دون بعض مع تساويهم فى الأحوال. و انما يجوز العدول من قوم الى قوم فى الواحد منا للحاجة و هذا يتم على قول من يقول بالأصلح، و من لا يقول بذلك يقول: هو متفضل بذلك و له ان يتفضل على من يشاء و لا يلزم ان يفعل ذلك بكل مكلف.

و قوله «وَ الْمُؤْتَفِكاتِ» قال الحسن و قتادة: هى ثلاث قرّيات لقوم لوط و لذلك جمعها بالألف و التاء. و قال فى موضع آخر «وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى «۱»» فجاء به على طريق الجنس. قال الزجاج: معناه ائتفكت بأهلها انقلبت. و مدين ابن ابراهيم اسم له. و قوله «أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» معناه جاءت هؤلاء المذكورين الرسل من عند اللَّه معها حجج و دلالات على صدقها فكذبوا بها فأهلكهم اللَّه، و حذف لدلالة الكلام عليه. ثم قال «فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» اى لم يكن اللَّه ظالماً لهم بهذا الإهلاك «وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بأن فعلوا من الكفر و المعاصى ما استحقوا به الهلاك.

---

(۱) سورة ۵۳ النجم آية ۵۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۵۷

و قيل: ان اللَّه تعالى أهلك قوم نوح بالغرق. و أهلك عاداً بالريح الصرصر العاتية. و أهلك ثمود بالرجفة و الصاعقة. و أهلك قوم ابراهيم بالتشتيت و سلب الملك و النعمة. و أهلك اصحاب مدين بعذاب يوم الظلة. و أهلك قوم لوط بانقلاب الأرض، كل ذلك عدل منه على من ظلم نفسه و عصى اللَّه و استحق عقابه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۷۱] ..... ص : ۲۵۷

وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۷۱)

لما ذكر اللَّه تعالى المنافقين و وصفهم بأن بعضهم من بعض بالاتفاق و التعاضد اقتضى ان يذكر المؤمنين، و يصفهم بضد أوصافهم، فقال تعالى «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» أى يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه و ان يواليه و قال الرمانى: العقل يدل على وجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً، لأنها تجرى مجرى استحقاق الحمد على طاعة اللّه و الذم على معصيته. و لا يجوز ان يرد الشرع بخلاف ذلك. و إذا قلنا: المؤمن ولى اللَّه معناه أنه ينصر أولياء اللَّه و ينصر دينه، و اللَّه وليه بمعنى أولى بتدبيره و تصريفه و فرض طاعته عليه. ثم قال «يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» يعنى المؤمنين يأمرون بما أوجب اللَّه فعله أو رغب فيه عقلا أو شرعاً و هو المعروف «وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» و هو ما نهى اللَّه تعالى عنه و زهد فيه إما عقلا أو شرعاً.

و يضيفون الى ذلك إقامة الصلاة اى إتيانها بكمالها و المداومة عليها و يخرجون زكاة أموالهم حسب ما أوجبها اللَّه عليهم، و يضعونها حيث امر اللَّه بوضعها فيه و يطيعون التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۵۸

اللَّه و رسوله اى يمتثلون أمرهما و يتبعون ارادتها و رضاهما.

ثم قال «أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ» يعنى المؤمنين الذين وصفهم ان ستنالهم فى القيامة رحمته. ثم اخبر عن نفسه فقال «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ» فـالعزيز معناه قادر لا يغلبه احـد من الكفار و المنافقين، حكيم فى عقاب المنافقين و اثابـة المؤمنين، و غير ذلك من الافعال. و إنكار المنكر يجب بلا خلاف سمعاً و عليه الإجماع و كذلك الأمر بالمعروف واجب، فأما العقل فلا يدل على وجوبهما أصلا، لأنه لو أوجب ذلـك لـوجب ان يمنع اللَّه من المنكر، لكن يجب على المكلف اظهـار كراهـة المنكر الـذى يقوم مقـام النهى عنه. و فى الآـية دلالة على ان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من فروض الأعيان لأن اللَّه تعالى جعل ذلك من صـفات المؤمنين، و لم يخص قوماً دون قوم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۷۲] ..... ص : ۲۵۸

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۷۲)

اخبر اللَّه تعـالى بـأنه كما وعـد المنافقين بنار جهنم و الخلود فيها كـذلك «وَعَـدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ» المعترفين بوحـدانيته و صـدق رسـله و كـذلك «الْمُؤْمِنـاتِ جَنَّاتٍ» يعنى بسـاتين يجنهـا الشـجر «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» و تقـديره تجرى من تحت أشـجارها الأنهار. و قيل: أنهار الجنـة أخاديد فى الأرض، فلذلك قال «من تحتها» و انهم فيها خالدون اى دائمون «وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً» معناه وعدهم مساكن طيبة. و المسكن الموضع الذى يسكن و روى الحسن انها قصور من اللؤلؤ و الياقوت الأحمر و الزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر. و قوله «فِی جَنَّاتِ عَدْنٍ» فالعدن الاقامة و الخلود، التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۵۹

و منه المعدن قال الأعشى:

و ان يستضافوا الى حكمه يضافوا الى راجح قد عدن «۱»

و

روى أنها جنة لا يسكنها إلا النبيون و الشهداء و الصالحون.

و قوله «وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» قال الرمانى: الرضوان معنى يدعو الى الحمد بالاجابة يسـتحق مثله بالطاعة فيما تقتضـيه الحكمة. و انما رفع (رضوان) لأنه اسـتأنفه للتعظيم كما يقول القائل: أعطيتك و وصـلتك ثم يقول: و حسن رأى فيك و رضاى عنك خير من جميع ذلك. و قوله «ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» معناه هذا النعيم الذى وصفه هو النجاح العظيم الذى لا شيء فوقه و لا أعظم منه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۷۳] ..... ص : ۲۵۹

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۷۳)

امر اللَّه تعـالى فى هـذه الآيـة نبيه صـلى الله عليه و آله أن يجاهـد الكفار و المنافقين. و الجهاد هو ممارسـة الأمر الشاق و الجهاد يجب باليـد و اللسان و القلب، فمن امكنه الجميع وجب عليه جميعه. و من لم يقـدر باليـد فباللسان فان لم يقدر فبالقلب. و اختلفوا فى كيفية جهـاد الكفـار و المنافقين. فقال ابن عباس: جهاد الكفار بالسـيف و جهاد المنافقين باللسان و الوعظ و التخويف، و هو قول الجبائى. و قال الحسن و قتادة:

جهاد الكفار بالسـيف و جهاد المنافقين باقامـة الحـدود عليهم. و كانوا اكثر من يصـيب الحدود. و قال ابن مسـعود: هو بالأنواع الثلاثة حسب الإمكان فان لم يقدر فليكفهر فى وجوههم و هو الأعم.

---

(۱) ديوانه: ۱۶ و روايته (هادن قد رزن) بدل «راجح قد عدن» و تفسير الطبرى ۱۴/ ۳۵۰، و اللسان «وزن» و مجاز القرآن ۱/ ۲۶۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۶۰

و روى فى قراءة اهل البيت عليهم السلام «جاهد الكفار بالمنافقين».
و قوله «وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» امر منه تعالى لنبيه ان يقوى قلبه على إحلال الألم بهم و أسماعهم الكلام الغليظ الشديد و لا يرق عليهم. ثم قال «وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» اى منزلهم جهنم و مقامهم. و المأوى منزل مقام، لا منزل ارتحال. و مثله المثوى و المسكن. و قوله «وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» اخبار منه تعالى ان مرجع هؤلاء و مآلهم بئس المرجع و المآل.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۷۴] ..... ص : ۲۶۰

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ما قالُوا وَ لَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا وَ ما نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (۷۴)
اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية، فقال عروة و ابن إسحاق و مجاهد:
إنها نزلت فى الخلاس بن سويد بن الصامت بأنه قال: فان كان ما جاء به محمّد حقاً لنحن شرّ من الحمير، ثم حلف باللَّه أنه ما قال. و قال قتادة: نزلت فى عبد اللَّه بن أبى بن سلول حين قال «لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ» «۱» و قال الحسن: كان ذلك فى جماعة من المنافقين. و قال الواقدى و الزجاج: نزلت فى اهل العقبة فإنهم ائتمروا أن يغتالوا رسول اللَّه فى عقبة فى الطريق عند مرجعهم من تبوك. و أرادوا ان يقطعوا اتساع راحلته، و اطلعه اللَّه على ذلك. و كان ذلك

---

(۱) سورة ۶۳ المنافقون آية ۸

من معجزاته صلى الله عليه و آله لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحى من اللَّه تعالى، فسار رسول اللَّه فى العقبة وحده و أمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادى و كانوا اثنى عشر رجلا أو خمسة عشر رجلا على الخلاف فيه. و عرفهم واحداً واحداً عمار بن ياسر و حذيفة، و كان أحدهما يقود ناقة رسول اللَّه و الآخر يسوقها، و الحديث مشروح فى كتاب الواقدى. و
قال ابو جعفر عليه السلام كانوا ثمانية من قريش و اربعة من العرب
و قوله «وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا» قيل فيه ثلاثة اقوال:
أحدها- قال مجاهد: همّ المنافقون بما لم يبلغوه من التنفير برسول اللَّه.
الثانى- قال قتادة: هموا بما ذكر فى قوله «لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ» فلم يبلغوا ذلك.
و الثالث- عن مجاهد أنهم هموا بقتل من أنكر عليهم ذلك. و قال بعضهم:
كان المنافقون قالوا: لو رجعنا وضعنا التاج على رأس عبد اللَّه ابن أبى، فلما أوقفوا على ذلك حلفوا بأنهم ما قالوا ذلك و لا هموا به، فأخبر اللَّه تعالى عن حالهم انهم يحلفون باللَّه ما قالوا، ثم اقسم تعالى بأنهم قالوا ذلك، لأن لام لقد لام القسم و انهم قالوا كلمة الكفر، و هى كل كلمة فيها جحد لنعم اللَّه او بلغت منزلتها فى العظم، و كانوا يطعنون فى الإسلام و النبوة، و أخبر انهم هموا بما لم يبلغوه. و الهم مقاربة الفعل بتغليبه فى النفس تقول: هم بالشيء يهم هماً، و منه قوله «وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأى «۱» و ليس الهم من العزم فى شيء إلا ان يبلغ نهاية العزم فى النفس. و النيل لحوق الأمر. و منه قوله (نال السيف و نال ما اشتهى او قدر او تمنى) فهؤلاء قدّروا فى أنفسهم من كيد الإسلام ما لم يبلغوه.
و قوله «وَ ما نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ» يعنى ما فتح اللَّه عليهم من الفتوح و أخذ الغنائم و استغنوا بعد أن كانوا محتاجين و قيل فى معناه قولان: أحدهما- انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر الغنى أن نقموا

---

(۱) سورة ۱۲ يوسف آية ۲۴

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۶۲

قال الشاعر:

ما نقموا من بنى أمية إلا انهم يحلمون ان غضبوا «۱»

و الآخر- انهم بطروا النعمة بالغنى فنقموا بطراً و اشراً فهم لا يفلحون بهذه الحال و لا بعدها. و الفضل الزيادة فى الخير على مقدارها، و التفضل هو الزيادة من الخير الذى كان للقادر عليه ان يفعله و أن لا يفعله.

ثم قال تعالى «فَإِنْ يَتُوبُوا» هؤلاء المنافقون و يرجعوا الى الحق «يَكُ خَيْراً لَهُمْ» فى دينهم و دنياهم، فإنهم ينالون بذلك رضى اللَّه و رسوله و الجنة «وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا» اى يعرضوا عن الرجوع الى الحق و سلوك الطريق الصحيح «يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً» اى مؤلماً «فِي الدُّنْيا» بما ينالهم من الحسرة و الغم و سوء الذكر و انواع المصائب و فى «الْآخِرَةِ» بعذاب النار «وَ ما لَهُمْ فِي الْأَرْضِ» اى ليس لهم فى الأرض «مِنْ وَلِيٍّ» اى محب «وَ لا نَصِيرٍ» يعنى من ينصرهم و يدفع عنهم عذاب اللَّه. و قيل: إن خلاساً تاب بعد ذلك، و قال: استثنى اللَّه تعالى لى التوبة فقبل اللَّه توبته.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۷۵] ..... ص : ۲۶۲

وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (۷۵)

اخبر اللَّه تعالى أن من جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم «مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ» أى منه «وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ» بإنفاقه فى طاعة اللَّه و صلة الرحم و المواساة و أن يعمل الاعمال الصالحة التى يكون بها صالحاً.

و قيل: نزلت الآية فى بلتعة بن حاطب كان محتاجاً فنذر لئن استغنى ليصدقن فأصاب اثنى عشر الف درهم، فلم يتصدق، و لم يكن من الصالحين. هكذا قال

---

(۱) مر تخريجه فى ۳/ ۵۵۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۶۳

الواقدى. و قال ابن إسحاق: هما بلتعة و مقنب بن قشير. و قيل: سبب ذلك أنه قتل مولى له فأخذ ديته اثنى عشر ألف درهم: أعطاه النبى صلى الله عليه و آله.

فان قيل كيف يصح أن يعاهد اللّه من لا يعرفه؟

قلنا: إذا وصفه بأخص صفاته جاز منه أن يصرف عهده اليه و إن جاز أن يكون غير عارف و قال الجبائى: كانوا عارفين، و انما كفروا بالنبى صلى الله عليه و آله.

و المعاهدة هى أن يقول علىّ عهد اللَّه لأفعلن كذا، فانه يكون قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره، لأن اللَّه تعالى حكم بذلك و قدر وجوبه عليه فى الشرع.

و الآية دالة على وجوب الوفاء بالعهد. و اللام الاولى من قوله «لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ» و الثانية من قوله «لنصدقن» جميعهما لام القسم غير أن الأولى وقعت موقع الجواب، و التقدير علينا عهد اللَّه لنصدقن إن آتانا من فضله. و لا يجوز أن تكون اللام الأولى لام الابتداء، لأن لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ، لأنها تقطع ما قبلها أن يعمل فيما بعدها إلا فى باب (إنّ) فإنها زحلقت الى الخبر لئلا يجتمع تأكيدان، و يجوز ان يقول: ان رزقنى اللَّه ما لا صلحت بفعل الصلاة و الصوم لأن ذلك واجب عليه آتاه ما لا أو لم يؤته.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۷۶] ..... ص : ۲۶۳

فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (۷۶)

أخبر اللَّه تعالی عن هؤلاء المنافقین الـذین عاهـدوا اللَّه، و قالوا متی آتانا اللَّه من فضـله لنصـدقن و لنکونن من الصالحین أنه آتاهم ما اقترحوه و رزقهم ما تمنوه من الأموال، و انهم لما آتاهم ذلک شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهد.

و معنی (لما) معنی (إذا) إلا أن (لما) الغالب علیها الجزاء، و هی اسم، لأنها تقع فی جواب (متی) علی تقدیر الوقت کقولک: متی کان هذا، فیقول السامع: لما کان ذلک. و (لما) و (لو) لا یکونان إلا لما مضی بخلاف (إن) التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۶۴

و (إذا) فإنهما لما یستقبل الا أن (لو) علی تقدیر نفی وجوب الثانی لانتفاء الأول و (لما) یدل علی وقوع الثانی لوقوع الاول.

و البخل منع النائل لشدة الإعطاء، ثم صار فی اسماء الذی منع الواجب، لأن من منع الزکاة فهو بخیل. قال الرمانی: و لا یجوز أن یکون البخل منع الواجب بمشقة الإعطاء قال زهیر:

ان البخیل ملوم حیث کان و ل کن الجواد علی علاته هرم «۱»

قال: لأنه یلزم علی ذلک ان یکون الجود هو بذل الواجب من غیر مشقة.

و إنما قال زهیر ما قاله لأن البخل صـفة نقص. قال الرمانی: و من منع ما لا یضره بذله و لا ینفعه منعه مما تدعو الیه الحکمة فهو بخیل، لأنه لا یقع المنع علی هـذه الصـفة إلا لشـدة فی النفس، و إن لم یرجع الی ضـرر، إذ الشدة من غیر ضـرر معقولة کما یصـفون الجوزة بأنها لئیمة لأجل الشدة. و قال عبد اللَّه بن عمر و الحسن و محمّد ابن کعب القرطی:

یعرف المنافق بثلاث خصال: إذا حـدث کـذب، و إذا وعـد خلف و إذا ائتمن خان. و خالفهم عطاء ابن أبی رباح فی ذلک و قال: إن النبی صلی الله علیه و آله إنما قال ذلک فی قوم من المنافقین.

و روی ان الحسن رجـع الی قـول عطـاء. و قـوله «وَ تَوَلَّوْا» ای أعرضوا عمـا عاهـدوا اللَّه علیه. و قوله «وَ هُمْ مُعْرِضُونَ» اخبـار منه بـأنهم معرضون عن الحق بالکلیة.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۷۷] ..... ص : ۲۶۴

فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلی یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ (۷۷)

بین اللَّه تعالی أنه أعقب هؤلاء المنافقین و معناه أورثهم و أداهم الی نفاق فی

---

(۱) اللسان (هرم).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۶۵

قلوبهم بخلهم بمـا آتـاهم اللَّه من فضـله مع الاـعراض عن أمر اللَّه، و هو قول الحسن و قـال مجاهـد: معناه أعقبهم ذلک بحرمان التوبة کما حرم إبلیس، و جعل ذلک إمارة و دلالـة علی أنهم لا یتوبون أبـداً لأحد شـیئین: من قال: اعقبهم بخلهم رد الضـمیر الیه. و المعنی یلقون جزاء بخلهم. و من ذهب الی ان اللّه أعقبهم رد الضمیر الی اسم اللَّه.

و قوله «بِمـا أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَـدُوهُ» فالاخلاف نقض ما تقـدم به العقـد من وعـد أو عزم و أصـله الخلاف، لأنه فعل خلاف ما تقـدم به العقد. و الوعد متی کان بأمر واجب أو ندب أو أمر حسن قبح الأخلاف، و ان کان الوعد وعداً بقبیح کان إخلافه حسناً. و قوله «وَ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ» یقوی قول من قال: إن الضـمیر عائد الی اللَّه لأنه بین انه انما فعل ذلک جزاء علی اخلافهم وعده و جزاء علی ما کانوا یکذبون فی اخبارهم علیه.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۷۸] ..... ص : ۲۶۵

أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (۷۸)

الالف فى قوله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا» الف استفهام و المراد به الإنكار. يقول اللَّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا» هؤلاء المنافقون «أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ» يعنى ما يخفون فى أنفسهم و ما يتناجون بينهم، و المعنى انه يجب عليهم أن يعلموا ذلك. تقول:

اسره إسراراً، و استسرّ استسراراً، و ساره مسارة و سراراً، و تسار إسراراً، و الاسرار إخفاء المعنى فى النفس و النجوى رفع الحديث بإظهار المعنى لمن يسلم عنده من إخراجه الى عدّو فيه لأنه من النجاة تقول: ناجاه مناجاة، و تناجوا تناجياً فكأن هؤلاء المنافقون يسرّون فى أنفسهم الكفر و يتناجون به بينهم. و قيل: السرّ و النجوى التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۶۶

واحد مكرر باختلاف اللفظين كما يقول القائل: آمرك بالوفاء و أنهاك عن الغدر و المعنى واحد مكرر باختلاف اللفظين. و قوله «أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» معناه يعلم كل ما غاب عن العباد مما غاب عن احساسهم او ادراكهم من موجود أو معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه، لأنها صفة مبالغة و اقتضى ذكر العلم- ها هنا- حال المنافقين فى كفرهم سرّاً و إظهارهم الايمان جهراً، فقيل لهم ان المجازى لكم يعلم سركم و نجواكم، كما قال: ذو الرمة فى معنى واحد بلفظين مختلفين:

لمياء فى شفتيها حوة لعس و فى اللثات و فى أنيابها شنب

فاللعس حوة و كرر لاختلاف اللفظين، و يمكن ان يكون لما ذكر الحوة خشى أن يتوهم السامع سواداً قبيحاً فبين انه لعس لأنه يستحسن ذلك.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۷۹] ..... ص : ۲۶۶

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ وَ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۷۹)

قيل: نزلت هذه الآية فى علية بن زيد الحارثى و زيد بن اسلم العجلانى فجاء علية بصاع من تمر فنثره فى الصدقة، و قال: يا رسول اللَّه عملت فى النخل بصاعين فصاعاً تركته لأهلى و صاعاً أقرضته ربى، و جاء زيد بن أسلم بصدقة فقال: معتب ابن قشير و عبد اللَّه بن نهيك إنما أراد الرياء. و قال قتادة و غيره من المفسرين:

إن هذه الآية نزلت فى حجاب بن عثمان، لأنه أتى النبى صلى الله عليه و آله بصاع من تمر و قال: يا رسول اللَّه إنى عملت فى النخل بصاعين من تمر فتركت للعيال صاعاً و أهديت للَّه صاعاً. و جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار و هى شطر ماله للصدقة، فقال المنافقون: إن عبد الرحمن لعظيم الرياء، و قالوا فى الآخر: إن التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۶۷

اللَّه لغنى عما أتى به، فأنزل اللَّه تعالى الآية فقال «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ» أى ينسبونهم الى النقص فى النفس يقولون: لمزه يلمز لمزاً إذا انتقصه و عابه و المطوعين على وزن (المتفعلين) و تقديره المتطوعين، فأدغمت التاء فى الطاء، و معناه المتقلين من طاعة اللَّه بما ليس بواجب عليهم، لأن الخير قد يكون واجباً و قد يكون ندباً و قد يكون مباحاً و لا يستحق المدح الا على الواجب و الندب دون المباح، و قوله «وَ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ» و الجهد هو الحمل على النفس بما يشق تقول:

جهده يجهده جهداً و جهداً- بالضم و الفتح- كالوجد و الوجد و الضعف و الضعف. و قال الشعبى: الجهد فى العمل و الجهد فى القوت. و قوله «فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ» يعنى المنافقين يهزءون بالمطوعين «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» اى يجازيهم على سخريتهم بأنواع العذاب «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» اى مؤلم موجع، و لما كان ضرر سخريتهم عائداً عليهم جاز ان يقال «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» لا انه يفعل السخرية.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۰] ..... ص : ۲۶۷

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفاسِقِينَ (۸۰)

قوله «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ» صيغته صيغة الأمر و المراد به المبالغة فى الأياس من المغفرة انه لو طلبها طلبة المأمور بها أو تركها ترك المنهى عنها لكان ذلك سواء فى ان اللَّه لا يفعلها، كما قال فى موضع آخر «سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» «۱». و الاستغفار طلب المغفرة من اللَّه تعالى بالدعاء بها و المغفرة ستر المعصية برفع العقوبة عليها. و تعليق الاستغفار بالسبعين مرة، و المراد

---

(۱) سورة ۶۳ المنافقون آية ۶ [.....]

به المبالغة لا العدد المخصوص، و يجرى ذلك مجرى قول القائل: لو قلت ألف مرة ما قبلت، و المراد بذلك إنى لا أقبل منك، و كذلك الآية المراد بها نفى الغفران جملة. و ما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال (و اللَّه لأزيدن على السبعين)

خبر واحد لا يلتفت اليه، و لأن فى ذلك ان النبى صلى الله عليه و آله استغفر للكفار و ذلك لا يجوز بالإجماع.

و

قد روى أنه قال (لو علمت انى لو زدت على السبعين مرة لغفر لفعلت).

و كان سبب نزول هذه الاية

ان النبى صلى الله عليه و آله كان إذا مات ميت صلى عليه و استغفر له

، و لم يكن بمنزلة المنافقين بعد، فأعلمه اللَّه تعالى ان فى جملة من تصلى عليهم من هو منافق و إن استغفاره له لا ينفع قل ذلك ام كثر، ثم نهى اللَّه نبيه أن يصلى على أحد منهم و أن يستغفر له حين عرفه إياهم بقوله «وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ» «۱» الاية. و قوله «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» اشارة منه تعالى الى ان ارتفاع الغفران انما كان لأنهم كفروا باللَّه و جحدوا نعمه، و كفروا برسوله فجحدوا نبوته «وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ» فمعناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة و الثواب. فأما الهداية الى الايمان بالإقرار بالتوحيد للَّه و الاعتراف بنبوة النبى صلى الله عليه و آله فقد هدى اللَّه اليه كل مكلف متمكن من النظر و الاستدلال، بأن نصب له على ذلك الدلالة و أوضحها له.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۱] ..... ص : ۲۶۸

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ (۸۱)

اخبر اللَّه تعالى بأن جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبى صلى الله عليه و آله و لم يخرجهم

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۸۵.

معه الى تبوك لما استأذنوه فى التأخر فأذن لهم، فرحوا بقعودهم خلاف رسول اللَّه.

و المخلف المتروك خلف من مضى، و مثله المؤخر عمن مضى تقول: خلف تخليفاً و تخلف تخلفاً. و الفرح ضد الغم، و الغم ضيق الصدر بفوت المشتهى، و عند البصريين من المعتزلة هو اعتقاد وصول الضرر اليه فى المستقبل او دفع الضرر المظنون و المعلوم عنه. و

معنى خلاف رسول اللّه قال أبو عبيدة: بعد رسول اللّه و أنشد:

عقب الربيع خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا «۱»

و قال غيره: معناه المصدر من قولك خالف خلافاً و هو نصب على المصدر.

و قوله «وَ كَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» اخبار منه تعالى ان هؤلاء المخلفين فرحوا بالتأخر و كرهوا إنفاق أموالهم و الجهاد بنفوسهم فى سبيل اللّه، فالجهاد بالمال هو تحمل لمشقة الإنفاق فى وجوه البر، و الجهاد بالنفس هو تعريضها لما يشق عليها اتباعاً لأمر اللّه. و قوله «لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ» معناه انهم قالوا لنظرائهم و من يقبل منهم: لا تخرجوا فى الوقت الحار، فقال اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله قل لهم «نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ» لأنهم توقوا بالقعود عن الخروج حرّ الشمس، فخالفوا بذلك أمر اللّه و أمر رسوله، و استحقوا حرّ نار جهنم، و كفى بهذا الاختيار جهلا ممن اختاره. و قوله «لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ» معناه لو كانوا يفقهون وعظ اللّه و تحذيره و تزهيده فى معاصيه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۲] ..... ص : ۲۶۹

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (۸۲)

---

(۱) قائله الحارث بن خالد المخزومى. الاغانى ۳/ ۳۳۳ و روايته (الرذاذ) بدل (الربيع) و اللسان (عقب)، (خلف).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۷۰

قوله «فليضحكوا» صيغته صيغة الامر و المراد به التهديد، و إنما قلنا: إنه بصورة الأمر، لأن اللام ساكنة و لو كانت لام الاضافة لكانت مكسورة لأنها تؤذن بعملها للجزاء المناسب لها، فلذلك ألزمت الحركة. و المراد بالاية الاخبار عن حال هؤلاء المنافقين و أنها فى وجه الضحك كحال المأمور منه فيما يؤل اليه من خير أو شر على صاحبه، فلذلك دخله معنى التهدد، و الضحك حال تفتح و انبساط يظهر فى وجه الإنسان عن تعجب مع فرح، و الضحاك هو الإنسان خاصة. و البكاء حال يظهر عن غم فى الوجه مع جرى الدموع على الخد، و هو ضد الضحك تقول:

بكا بكاءً، و أبكاه اللّه إبكاءً، و بكاه تبكية و تباكى تباكياً و استبكى استبكاءً و معنى الآية أن يقال لهؤلاء المنافقين: فاضحكوا بقليل تمتعكم فى الدنيا فإنكم ستبكون كثيراً يوم القيامة إذا حصلتم فى العقاب الدائم «جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» نصب (جزاء) على المصدر أى تجزون على معاصيكم، ذلك جزاء على أفعالكم التى اكتسبتموها.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۳] ..... ص : ۲۷۰

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ (۸۳)

قال اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله «فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ» يعنى ان ردّك اللّه «إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ» يعنى جماعة. فالرجوع هو تصيير الشيء الى المكان الذى كان فيه، تقول:

رجعته رجعاً كقولك رددته ردّاً، و قد يكون التصيير الى الحال التى كان عليها كرجوع الماء الى حال البرودة. و الطائفة الجماعة التى من شأنها أن تطوف و لهذا لا يقال فى جماعة الحجارة طائفة، و قد يسمى الواحد بأنه طائفة بمعنى نفس طائفة التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۷۱

و الأول اظهر. و قوله «فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ» اى طلبوا منك الاذن فى الخروج فى غزوة أخرى، و الاذن رفع التبعة فى الفعل و أصله أن

يكون بقول يسمع بالاذن.

و الخروج الانتقال عن محيط، فقال اللَّه لنبيه صلى الله عليه و آله قل لهم حينئذ «لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً» اى لا يقع منكم الخروج أبداً، فالابد الزمان المستقبل من غير انتهاء الى حد، و نظيره للماضى (قط) إلا انه مبنى كما بنى أمس لتضمنه حروف التعريف و أعرب (الأبد) كما أعرب (غد) لأن المستقبل أحق بالتنكير.

و قوله «وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا» اخبار بأنهم لا- يفعلون ذلك ابداً و لا يختارونه. و قوله «إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ» معناه اخبار منه تعالى انهم رضوا بالقعود أول مرة فينبغي ان يقعدوا مع الخالفين. و قيل فى معناه ثلاثة اقوال: أحدها- قال الحسن و قتادة: هم النساء و الصبيان. و قال ابن عباس: هم من تأخر من المنافقين. و قال الجبائى: هم كل من تأخر لمرض او نقص و قيل: معناه مع اهل الفساد مشتقاً من قولهم: خلف خلوفاً اى تغير الى الفساد.

و قيل: الخالف كل من تأخر عن الشاخص.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۴] ..... ص : ۲۷۱

وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ (۸۴)

هذا نهى من اللَّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله عن أن يصلى على أحد من المنافقين او يقوم على قبره و معناه أن يتولى دفنه او ينزل فى قبر كما يقال: قام فلان بأمر فلان.

و

قال ابن عباس و ابن عمر و قتادة و جابر: صلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على عبد اللَّه ابن أبى بن أبى سلول و البسه قميصه قبل أن ينهى عن الصلاة على المنافقين. و قال أنس: أراد أن يصلى عليه فأخذ جبرائيل بثوبه. و قال له «لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۷۲

مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ».

و الصلاة على الأموات فرض على الكفايات إذا قام به قوم سقط عن الباقين.

و اقل من يسقط به الفرض واحد و هى دعاء ليس فيها قراءة و لا تسبيح، و فيه خلاف.

و فيها خمس تكبيرات عندنا، و عند الفقهاء أربع تكبيرات، فالتكبيرة الأولى يشهد بعدها الشهادتين، و يكبر بالثانية، و يصلى بعدها على النبى صلى الله عليه و آله و يكبر الثالثة و يدعو للمؤمنين و المؤمنات، و يكبر الرابعة و يدعو للميت إن كان مؤمناً و عليه إن كان منافقاً، و يكبر الخامسة و يقف يومى الى يمينه حتى ترفع الجنازة، و ليس فيها تسليم. و سمعت أبا الطيب الطبرى و كان امام أصحاب الشافعى يقول: الخلاف بيننا و بينكم فى عبارة، لأن عندكم ينصرف بالخامسة. و عندنا بالتسليم، فجعلتم مكان التسليم التكبير. و ذلك خلاف فى عبارة.

و قوله «مات» موضع (مات) جر لأنه صفة ل (أحد) لان تقديره على احد ميت منهم و «أبداً» منصوب متصل، و (أحد) هذه هى التى تكون فى النفى دون الإيجاب لأنه يصح النهى عن الصلاة عليهم مجتمعين و متفرقين، كما يصح فى النفى و لا يمكن فى الإيجاب لأنه كنفى الضدين فى حال واحدة، فانه لا يصح إثباتها فى حال أصلا. و القبر حفرة يدفن فيها الميت، تقول: قبرته اقبره قبراً فأنا قابرٌ و هو مقبور و أقبرت فلاناً اقباراً إذا جعلته بقبره.

و قوله «إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» و المعنى انما نهيتك عن الصلاة عليهم لأنهم كفروا باللَّه و رسوله، فهى للتعليل، و انما كسرت لتحقيق الاخبار بأنهم على الصفة التى ذكرها و أنهم «ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ» اى خارجون عن طاعة اللَّه الى معصيته.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۵] ..... ص : ۲۷۲

وَ لا تُعْجِبْکَ أَمْوالُهُمْ وَ أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ کافِرُونَ (۸۵)

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۷۳

قد مضى تفسير مثل هذه الآية فلا وجه لإعادته «۱» و بينا أنه خطاب للنبی صلی الله علیه و آله و المراد به الامة، ينهاهم اللَّه أن يعجبوا بما اعطى اللَّه الكفار من الأموال و الأولاد فی الدنيا حتى يدعوهم ذلك الى الصلاة عليهم، و لا ينبغی ان يغتروا بذلك فإنما يريد اللَّه ان يعذبهم بها فی الدنيا، لأنهم لا ينفقونها فی طاعة اللَّه و لا يخرجون حق اللَّه منها. و يجوز أن يعذبهم بها فی الدنيا بما يلحقهم فيها من المصائب و الغموم و بما يأخذها المسلمون على وجه الغنيمة و بما يشق عليهم من إخراجها فی الزكاة و الإنفاق فی سبيل اللَّه مع اعتقادهم بطلان الإسلام و تشدد ذلك عليهم و يكون عذاباً لهم، و ان نفوسهم تزهق ای تهلك بالموت «وَ هُمْ کافِرُونَ» أي فی حال كفرهم، فلذلك عذبهم اللَّه فی الآخرة. و الاعجاب هو إيجاد السرور بما يتعجب منه من عظيم الإحسان، تقول: اعجبنی أمره اعجاباً إذا سررت بموضع التعجب منه و الزهق خروج النفس بمشقة شديدة و منه قوله «فَإِذا هُوَ زاهِقٌ» «۲» أی هالك.

و قيل: فی وجه حسن تكرار هذه الآية دفعتين قولان:

أحدهما- قال ابو علی: يجوز أن تكون الآيتان فی فريقين من المنافقين كما يقول القائل: لا- يعجبك حال زيد و لا يعجبك حال عمرو.

الثانی- أن يكون الغرض البيان عن قوة هذا المعنى فيما ينبغی ان يحذر منه مع أنه للتذكير فی موطنين بعد أحدهما عن الاخر، فيجب العناية به، و ليس ذلك بقبيح، لأن الواحد منا يحسن به أن يقوم فی مقام بعد مقام، و يكرر الوعظ و الزجر و التخويف و لا يكون ذلك قبيحاً.

---

(۱) فی تفسير آية ۵۶ من هذه السورة

(۲) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۱۸

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۷۴

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۶] ..... ص : ۲۷۴

وَ إِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَ جاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قالُوا ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ (۸۶)

بين اللَّه تعالى فی هذه الآية أنه إذا أنزل سورة من القرآن على النبی صلی الله علیه و آله «أَنْ آمِنُوا» و معناه بأن آمنوا فحذفت الباء و جعل «أن آمنوا» فی موضع نصب و التقدير بالايمان على وجه الأمر و لا يجوز الحذف مع صريح المصدر، و إنما جاز مع (أن) للزوم الصلة و الحمل على التأويل فی اللفظ كما حمل على المعنى.

و هذا خطاب للمؤمنين و أمر لهم بأن يدوموا على الايمان و يتمسكوا به فی مستقبل الأوقات و يدخل فيه المنافق و يتناوله الأمر بأن يستأنف الايمان و يترك النفاق ثم يجاهدوا بعد ذلك بنفوسهم و أموالهم لأنه لا ينفعهم الجهاد مع النفاق.

و قوله «اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ» معناه أن ذوی الغنى من المنافقين إذا أنزلت السورة يأمرهم فيها بالايمان و الجهاد يستأذنون النبی صلی الله علیه و آله فی القعود و التأخر عنه، مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشد ذلك عليهم و يكون عذاباً لهم- و هو قول الحسن و ابن عباس- فإنهما قالا: إنما لحق هؤلاء الذم لأنهم أقوى على الجهاد.

و قوله «وَ قالُوا ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ» اخبار منه تعالى أن هؤلاء المنافقين من ذوی الغنى يقولون للنبی صلی الله علیه و آله: اتركنا نكن مع القاعدين من الصبيان و الزمنى و المرضى الذين لا يقدرون على الخروج. قال الرمانی: و السورة جملة من القرآن تشتمل على

آيات قد أحاطت بها كما يحيط سور القصر بما فيه، و سؤر الهر بقيته من الماء. و الجهاد بالقتال دفعاً عن النفس معلوم حسنه عقلا لأنه مركوز فى العقل وجوب التحرز من المضار، و ليس فى العقل ما يدل على انه يجب على الإنسان ان يمنع غيره من الظلم و إنما يعلم ذلك سمعاً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۷۵

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۷] ..... ص : ۲۷۵

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (۸۷)

اخبر اللَّه تعالى بأن هؤلاء الذين قالوا «ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ» من المنافقين رضوا لنفوسهم أن يكونوا مع الخوالف و هم النساء و الصبيان و المرضى و المقعدون قال الزجاج: الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد، و يجوز أن يكون جمع خالفة فى الرجال، و الخالف و الخالفة الذى هو غير نجيب، و لم يأت فى (فاعل) (فواعل) صفة إلا حرفين قولهم: فارس و فوارس. و هالك و هوالك.

و قوله «وَ طُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه تعالى يجعل نكتة سوداء فى قلب المنافق و الكافر لتكون علامة للملائكة يعرفون بها أنه ممن لا يفلح أبداً.

الثانى- أن يكون المراد بذلك الذم لها بأنها كالمطبوع عليها فلا يدخلها صبر و لا ينتفى عنها شر، لأن حال الذم لها يقتضى صفات الذم، كما أن حال المدح يقتضى صفات المدح، كما قال جرير فى قصيدة أولها:

أ تصحوا أم فؤادك غير صاح عشية همّ صحبك بالرّواح

أ لستم خير من ركب المطايا و اندى العالمين بطون راح «۱»

و لا تحمل الا على المدح دون الاستفهام. و الطبع فى اللغة هو الختم تقول:

طبعه و ختمه بمعنى واحد.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۸] ..... ص : ۲۷۵

لكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أُولئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۸۸)

---

(۱) مر تخريجه فى ۱/ ۱۳۲، ۴۰۰ و قد مر فى ۲/ ۳۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۷۶

لما أخبر اللَّه تعالى عن حال المتأخرين عن النبى صلى الله عليه و آله و القاعدين عن الجهاد معه و أنهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. أخبر عن الرسول صلى الله عليه و آله و من معه و أنهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. أخبر عن الرسول صلى الله عليه و آله و من معه من المؤمنين المطيعين للَّه و رسوله بأنهم يجاهدون فى سبيل اللَّه بأموالهم و أنفسهم بالأموال التى ينفقونها فى مرضاة اللَّه و عدة الجهاد و يقاتلون الكفار بنفوسهم. ثم اخبر عما أعدّ لهم من الجزاء على أفعالهم تلك و انقيادهم للَّه و رسوله، فقال «أولئك» يعنى النبى و الذين معه «لَهُمُ الْخَيْراتُ» فى الجنة و نعيمها و خيراتها، و انهم المفلحون ايضاً الفائزون بكرامة اللَّه.

و الخيرات هى المنافع التى تسكن النفس اليها و ترتاح بها من النساء الحسان و غيره من نعيم الجنان واحده خيرة- هذا قول أبى عبيدة- و قال رجل من بنى عدى:

و لقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات «۱»

و الفلاح النجاح بالوصول الى البغية من نجح الحاجة و هو قضاؤها.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۸۹] ..... ص : ۲۷۶

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (۸۹)

بین اللَّه تعالی انه «أعد» لهؤلاء المؤمنین و الرسول «جنات» یعنی بساتین «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا» و معناه من تحت أشجارها «الْأَنْهارُ». و الاعداد جعل الشیء مهیئاً لغیره تقول: اعدّ إعداداً و استعدّ له استعداداً و هو من العدد، لأنه قد عدّ اللَّه جمیع ما یحتاج الی تقدیمه له من الأمور و مثله الاتخاذ. و الوجه فی أعداد ذلک قبل مجیء وقت الجزاء أن تصوره لذلک ادعی الی الطاعة و آکد فی الحرص علیها

---

(۱) مجاز القرآن ۱/ ۲۶۷ و اللسان (خیر) الربلة لحمة الفخذ

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۷۷

و یحتمل أن یکون المراد أنه سیجعل لهم جنات تجری من تحتها الأنهار غیر أنه ترک للظاهر. و قوله «ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ» اشارة الی ما أعده لهم و اخبار منه بأنه الفوز العظیم. و الفوز النجاة من الهلکة الی حال النعمة، و سمیت المهلکة مفازة تفاؤلا بالنجاة و إنما وصفه بالعظیم لأنه حاصل علی جهة الدوام.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۹۰] ..... ص : ۲۷۷

وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِیُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِینَ کَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ سَیُصِیبُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ (۹۰)

قرأ یعقوب و قتیبة (المعذرون) بسکون العین و تخفیف الذال. الباقون بفتح العین و تشدید الذال، وجه قراءة من قرأ بالتخفیف أنه أراد جاءوا بعذر.

و من قرأ بالتشدید احتمل أمرین: أحدهما- انه أراد المعتذرون، کان لهم عذر أو لم یکن، و إنما أدغم التاء فی الذال لقرب مخرجهما مثل قوله «یذکرون و یدکرون» و غیر ذلک، و أصله یتذکرون. الثانی- انه أراد المقصرون، و المعذر المقصر، و المعذر المبالغ الذی له عذر. و أما المعتذر فانه یقال لمن له عذر و لمن لا عذر له قال لبید:

الی الحول ثم اسم السلام علیکما و من یبک حولا کاملا فقد اعتذر «۱»

معناه جاء بعذر. و قال الزجاج: یجوز أن یکون المعذرون الذین یعتذرون فیوهمون أن لهم عذراً و لا عذر لهم. و روی عن ابن عباس انه قرأ بالتخفیف، و قال:

لعن اللَّه المعذرین أراد من یعتذر بغیر عذر، و بالتخفیف من بلغ أقصی العذر.

---

(۱) دیوانه القصیدة: ۲۱، و خزانة الأدب ۲/ ۲۱۷ و تفسیر الطبری ۱/ ۱۱۹ ۱۴/ ۱۱۷ و اللسان (عذر).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۷۸

و أصل التعذیر التقصیر مع طلب إقامة العذر، عذر فی الامر تعذیراً إذا لم یبالغ فیه. و الفرق بین الاعتذار و التعذیر، أن الاعتذار قد یکون بعذر من غیر تصحیح الأمر، و التعذیر تقصیر یطلب معه اقامة العذر فیه. و اختلفوا فی معنی «وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ» علی قولین: قال قتادة و اختاره الجبائی: انه من عذر فی الأمر تعذیراً إذا قصر. و قال مجاهد: جاء أهل العذر جملة علی معنی المعتذرین. و قال الحسن: اعتذروا بالکذب. و قال قوم: إنما جاء بنو غفار، خفاف بن إیماء بن رخصة و قومه.

و معنی الایة أن قوماً من الأعراب جاءوا الی النبی صلی الله علیه و آله یظهرون أنهم مؤمنون و لم یکن لهم فی الایمان و الجهاد نیة

فيعرضون نفوسهم عليه و غرضهم أن يأذن النبى صلى الله عليه و آله لهم فى التخلف، فجعلوا عرضهم أنفسهم عليه عذراً فى التخلف عن الجهاد و قوله «وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» يعنى المنافقين، لأنهم الذين كذبوا اللّه و رسوله فيما كانوا يظهرون من الايمان، فقال اللّه «سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» اى ينالهم عذاب مؤلم موجع فى الآخرة.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۹۱] ..... ص : ۲۷۸

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَى الْمَرْضى وَ لا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۹۱)

عذر اللّه تعالى فى هذه الآية من ذكره و وصفه، فقال «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ» و هو جمع ضعيف، و هو الذى قوته ناقصة بالزمانة و غيرها «وَ لا عَلَى الْمَرْضى» و هو جمع مريض و هم الاعلاء «وَ لا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ» يعنى من ليس معه نفقة الخروج و آلة السفر «حرج» يعنى ضيق و جناح. و أصل الضيق الذى يتعذر معه الامر. و قوله «إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ» شرط تعالى فى رفع الجناح و الاسم عن التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۷۹

المذكورين ان ينصحوا اللّه و رسوله بأن يخلصوا العمل من الغش، يقال: نصح فى عمله نصحاً، و ناصح نفسه مناصحة، و منه التوبة النصوح. ثم قال «ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ» أى ليس على من فعل الحسن الجميل طريق. و الإحسان هو إيصال النفع الى الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح. و يصح أن يحسن الإنسان الى نفسه و يحمل على ذلك، و هو إذا فعل الأفعال الجميلة التى يستحق بها المدح و الثواب.

و قوله «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» معناه ساتر على ذوى الاعذار بقبول العذر منهم «رحيم» بهم لا يلزمهم فوق طاقتهم. و قال قتادة: نزلت هذه الآية فى عابد بن عمرو المزنى و غيره. و

قال ابن عباس: نزلت فى عبد اللّه بن معقل المزنى، فانه و جماعة معه جاءوا الى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقالوا له: احملنا فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لا أجد ما أحملكم عليه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۹۲] ..... ص : ۲۷۹

وَ لا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ (۹۲)

هذه الاية عطف على الاولى و التقدير ليس على الذين جاءوك- و سألوك حملهم حيث لم يكن لهم حملان، فقلت لهم يا محمّد «لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» اى ليس لى حملان فحينئذ «تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ» يبكون «حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ» فى هذا الطريق و يتابعونك- حرج و أثم و لا ضيق و إنما حذف لدلالة الكلام عليه. و الحمل إعطاء المركوب من فرس أو بعير أو غير ذلك تقول حمله يحمله حملا- إذا أعطاه ما يحمل عليه، و حمل على ظهره حملا، و حمله الأمر تحميلا و تحمل تحملا، و احتمله احتمالا، و تحامل تحاملا. و اللام فى قوله «لتحملهم» التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۸۰

لام الغرض، و المعنى جاؤك و أرادوا منك حملهم و تقول: وجدت فى المال وجداً وجدة، و وجدت الضالة وجداناً و وجدت عليه- من الموجدة- وجداً. و الفيض الجرى عن امتلاء من حزن قلوبهم، و الحزن أ لم فى القلب لفوت أمر مأخوذ من حزن الأرض و هى الغليظة المسلك.

و قال مجاهد: نزلت هذه الاية فى نفر من مزينة، و قال محمّد بن كعب القرطى و ابن إسحاق: نزلت فى سبعة نفر من قبائل شتى. و قال الحسن: نزلت فى أبى موسى و أصحابه. و قال الواقدى: البكاءون سبعة من فقراء الأنصار، فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين، و العباس بن عبد المطلب رجلين، و يامين بن كعب بن نسيل النصرى من بنى النضير ثلاثة، و من جملة البكائين عبد اللّه بن معقل. و قال

الواقدى:

كان الناس بتبوك ثلاثين الفاً، و عشرة آلاف فارس.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۹۳] ..... ص : ۲۸۰

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِياءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۹۳)

بين اللّه تعالى فى هذه الآية ان السبيل و الطريق بالعقاب و الحرج انما هو للذين يطلبون الاذن من رسول اللّه فى المقام، و هم مع ذلك أغنياء يتمكنون من الجهاد فى سبيل اللّه، الراضين بكونهم مع الخوالف من النساء و الصبيان و من لا حراك به. ثم قال: و طبع اللّه على قلوبهم بمعنى وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيميزون بينهم و بين غيرهم من المؤمنين، و يحتمل أن يكون المراد انه بمنزلة المطبوع فى أن لا يدخلها الايمان كما لو طبعوا على الكفر. و مثله قوله «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ» و معناه لترك تلفظهم بالحق و عدولهم عن سماع الحق و انصرافهم عن النظر الى الصحيح كأنهم صم بكم عمى، و هم لا يعلمون ذلك، و لا يدرون الى ما يصير أمرهم من

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۸۱

عقاب الأبد، و لا يعرفون ما يلزمهم من احكام الشرع ما يعرفه المؤمنون. و قال البلخى: معناه لالفهم للخلاف و المعصية كأنهم لا يعلمون، و التقدير ان حكم هؤلاء المذكورين بهذه الأوصاف بخلاف من قد تحصن من العقاب بالايمان، لأنهم قد فتحوا على أنفسهم أبواب العذاب.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۹۴] ..... ص : ۲۸۱

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۹۴)

اخبر اللّه تعالى ان هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبى صلى الله عليه و آله من غير عذر كان يبيحهم ذلك إذا عاد النبى صلى الله عليه و آله و المؤمنون إنهم كانوا يجيئون اليهم و يعتذرون اليهم عن تأخرهم بالأباطيل و الكذب، فقال اللّه تعالى لنبيه: قل يا محمّد لهم «لا تَعْتَذِرُوا» فلسنا نصدقكم على ما تقولون، فان اللّه تعالى قد أخبرنا من اخباركم و أعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم «وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ» أى سيعلم اللّه فيما بعد عملكم هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه؟ و يحتمل أن يكون المراد أنه يحل فى الظهور محل ما يرى «ثُمَّ تُرَدُّونَ» اى ترجعون الى من يعلم الغيب و الشهادة يعنى السر و العلانية الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم «فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى فيخبركم بأعمالكم كلها حسنها و قبيحها فيجازيكم عليها أجمع.

و الاعتذار اظهار ما يقتضى العذر و يمكن ان يكون صحيحاً و يمكن ان يكون فاسداً كاعتذار هؤلاء المنافقين. و الفرق بين الاعتذار و التوبة ان التوبة إقلاع عن التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۸۲

سيئة قد وقعت، و الاعتذار اظهار ما يقتضى انها لم تقع، و لذلك يجوز ان يتوب الى اللّه و لا يجوز ان يعتذر اليه. و الاعتذار الذى له قبول هو ما كان صاحبه محقاً، فأما الاعتذار بالباطل فهو أسوء لحال صاحبه قال الشاعر:

إذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه و كل امرئ لا يقبل العذر مذنب «۱»

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۹۵] ..... ص : ۲۸۲

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (۹۵)

أخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الذين يعتذرون بالباطل الى النبى و المؤمنين فى تأخرهم عن الخروج معهم أنهم سيقسمون أيضا على ذلك

للمؤمنين «إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ» يعنى إذا رجعتم اليهم «لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ» اى لتصفحوا عنهم و لا- توبخوهم و لا- تعنفوهم. ثم أمر اللَّه تعالى المؤمنين و النبى صلى الله عليه و آله أن يعرضوا عنهم اعراض المقت و بين «إِنَّهُمْ رِجْسٌ» اى هم كالنتن فى قبحه و هم أنجاس و يقال: رجس نجس على الاتباع، و ان «مَأْواهُمْ» يعنى مصيرهم و مآلهم و مستقرهم «جَهَنَّمُ جَزاءً» اى مكافاة على ما كانوا يكسبونه من المعاصى. و الجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه من خير او شر. قال احمد بن يحيى ثعلب: اللام فى قوله «لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ» ليست لام غرض و انما معناه لاعراضكم، و انما علق- ها هنا- بذلك لئلا يتوهم أنه إذا رضى المؤمنون فقد رضى اللَّه عنهم أيضاً فذكر ذلك ليزول هذا الإلباس لأن المنافقين لم يحلفوا لهم لكى يعرضوا، و لكنهم حلفوا تبرئاً من النفاق و لاعراض المسلمين عنهم و أنشد:

سموت و لم تكن أهلا لتسمو و لكن المضيع قد يصاب

---

(۱) العقد الفريد ۲/ ۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۸۳

أراد ما كنت أهلا للسمو.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۹۶] ..... ص : ۲۸۳

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (۹۶)

بين اللَّه تعالى أن هؤلاء المنافقين يقسمون باللَّه طلباً لمرضاتكم عنهم «فَإِنْ تَرْضَوْا» ايها المؤمنون «عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ» الخارجين من طاعته الى معصيته، و المعنى انه لا ينفعهم رضاكم مع سخط اللَّه عليهم و ارتفاع رضاه عنهم:

رضى المؤمنون عنهم او لم يرضوا، و انما علق ها هنا بذلك لئلا يتوهم أنه إذا رضى المؤمنون فقد رضى اللَّه عنهم أيضاً، فذكر ذلك ليزول هذا الإلباس و لأن المراد بذلك انه إذا كان اللَّه لا يرضى عنهم فينبغى لكم ايضاً أن لا ترضوا عنهم

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۹۷] ..... ص : ۲۸۳

الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۹۷)

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية أن الاعراب الجفاة الذين لا يعرفون اللَّه و رسوله حق معرفتهما أشد كفراً و نفاقاً و جحوداً لنعم اللَّه، و أعظم نفاقاً من غيرهم. و قيل:

انها نزلت فى اعراب كانوا حول المدينة من اسد و غطفان، فكفرهم أشد، لأنهم أقصى و أجفى من أهل المدن، و لأنهم أبعد عن سماع التنزيل و مخالطة أهل العلم و الفضل، و يقال: رجل عربى إذا كان من العرب و إن سكن البلاد، و إعرابى إذا كان ساكناً فى البادية. و روى أن زيد بن صوحان كانت يده اليسرى قد قطعت يوم اليمامة و كان قاعداً يوماً يروى الحديث و الى جانبه إعرابى، فقال له: ان حديثك التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۸۴

يعجبنى و ان يدك تريبنى فقال زيد: إنها الشمال، فقال: و اللَّه ما أدرى اليمين يقطعون أو الشمال، فقال زيد: صدق اللَّه، و قرأ «الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً» الآية.

و قوله «وَ أَجْدَرُ» معناه أخلق و أولى و أقرب الى «أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ» من الشرائع و الأحكام. و موضع (أن) نصب لأن تقديره أجدر بأن، فحذف الباء فانتصب، و تقديره أجدر بترك العلم غير أن الباء لا تحذف مع المصدر الصريح، و إنما تحذف مع (أن) للزوم العلم بها و حملها على التأويل.

و (أجدر) مأخوذ من جدر الحائط. و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عالم بأحوالهم و بواطنهم حكيم فيما يحكم به عليهم من الكفر و

غير ذلك من أفعاله.

قوله تعالى:[سورة التوبة (٩): آية ٩٨] ..... ص : ٢٨٤

وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨)

قرأ ابن كثير و ابو عمرو «دائرة السوء» بضم السين. الباقون بفتح السين.

من فتح أراد المصدر، و إنما أضاف الدائرة الى السوء تأكيداً كما يقال: عيني رأسه و شمس النهار، تقول: سؤته أسوءه سوءاً و مساءة و مسائية، و قوله «ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ» «١» لا يجوز فيه غير فتح السين، و كذلك في قوله «وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ» «٢» لأن الضم بمعنى الاسم، و تقديره عليهم دائرة العذاب و البلاء.

أخبر اللَّه تعالى ان من جملة هؤلاء المنافقين من الأعراب من يتخذ ما ينفقه في الجهاد و غيره من طرق الخير «مَغْرَماً» اى غرماً من قولهم: غرمته غرماً و غرامة.

و الغرم لزوم نائبة في المال من غير جناية، و منه قوله «مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ» «٣»

---

(١) سورة ١٩ مريم آية ٢٨.

(٢) سورة ۴٨ الفتح آية ١٢

(٣) سورة ۵٢ الطور آية ۴٠ و سورة ۶٨ القلم آية ۴۶

و أصل المغرم لزوم الأمر، و منه قوله «إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً» «١» أي لازما، و حبّ غرام أي لازم، و الغريم كل واحد من المتداينين، و غرمته كذا ألزمته إياه في ماله. و قوله «وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ» فالتربص التمسك بالشيء لعاقبة و منه التربص بالطعام لزيادة السعر، فهؤلاء يتربصون بالمؤمنين لعاقبة من الدوائر.

و الدائرة جمعها دوائر و هي العواقب المذمومة. و قال الفراء و الزجاج: كانوا يتربصون بهم الموت و القتل، و إنما خص رفع النعمة بالدوائر دون رفع النقمة، لأن النعمة أغلب و أعم لأن كل واحد لا يخلو من نعم اللَّه و ليس كذلك النقمة، لأنها خاصة. و النعمة عامة. و قد قيل: دارت لهم الدنيا بخلاف دارت عليهم. ثم قال تعالى «عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ» يعني على هؤلاء المنافقين دائرة العذاب و البلاء- في قراءة من قرأ بالضم- و قوله «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه- ها هنا- انه يسمع ما يقوله هؤلاء المنافقون و يعلم بواطن أمورهم، و لا يخفى عليه شيء من حالهم و حال غيرهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (٩): آية ٩٩] ..... ص : ٢٨۵

وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَ صَلَواتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩)

قرأ ورش و إسماعيل «قربة» بضم الراء، اتبع الضمة التي قبلها. و قال ابو علي: لا يجوز ان يكون اتباعاً لما قبله لأن ذلك إنما يجوز في الوقف آخر الكلم و إنما الضمة فيها الأصل، و إنما خففت في قولهم: رسل و طنب، فقالوا: رسل و طنب فإذا جمع فلا يجوز فيه غير ضم الراء، لأن الحركة الأصلية لا بد من ردها في الجمع.

---

(١) سورة ٢۵ الفرقان آية ۶۵.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۸۶

لما ذكر اللَّه تعالى ان من جملة الأعراب من يتخذ إنفاقه فى سبيل اللَّه مغرماً ذكر ان من جملتهم ايضاً «مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» اى يصدق به و باليوم الآخر يعنى يوم القيامة، و انه يتخذ ما ينفقه فى سبيل اللَّه قربات عند اللَّه. قال الزجاج: يجوز فى (قربات) ثلاثة أوجه- ضم الراء و إسكانها و فتحها- و ما قرئ إلا بالضم، و القربة هى طلب الثواب و الكرامة من اللَّه تعالى بحسن الطاعة، و هى تدنى من رحمة اللَّه و التقدير انه يتخذ نفقته و صلوات الرسول اى دعاءه له قربة الى اللَّه. و قال ابن عباس و الحسن: معنى و صلوات الرسول استغفاره لهم، و قال قتادة: معناه دعاؤه بالخير و البركة قال الأعشى:

تقول بنتى و قد قرّبت مرتحلا يا ربّ جنّب أبى الأوصاب و الوجعا

عليك مثل الذى صليت فاغتمضى نوماً فان لجنب المرء مضطجعاً «۱»

ثم قال «أَلا إِنَّها» يعنى صلوات الرسول «قُرْبَةٌ لَهُمْ» اى تقربهم الى ثواب اللَّه. و يحتمل ان يكون المراد ان نفقتهم قربة الى اللَّه. و قوله «سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ» و عد منه لهم بان يرحمهم و يدخلهم فيها، و فيه مبالغة، فان الرحمة و سعتهم و غمرتهم، و لو قال فيهم رحمة اللَّه لأفاداتهم اتسعوا للرحمة من اللَّه تعالى و قوله «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» معناه إنه يستر كثيراً على العصاة ذنوبهم و لا يفضحهم بها لرحمته بخلقه و «غَفُورٌ رَحِيمٌ» جميعا من ألفاظ المبالغة فيما وصف به نفسه من المغفرة و الرحمة.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۰۰] ..... ص : ۲۸۶

وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۱۰۰)

---

(۱) ديوانه ۷۲۰ القصيدة ۱۳ و قد مر البيت الثانى فى ۱/ ۱۹۳

. التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۲۸۷

قرأ ابن كثير وحده «جنات تجرى من تحتها» بإثبات (من) و كذلك هو فى مصاحف اهل مكة. الباقون بحذف (من) و نصبوا تحتها على الظرف.

و قرأ يعقوب «و الأنصار و الذين» بضم الراء. الباقون بجرها. من رفع عطف على قوله «وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ» و رفع على الابتداء و الخبر قوله «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

و من جرّ عطفه على «المهاجرين» كأنه قال: من المهاجرين و من الأنصار و من اثبت (من) فلأن فى القرآن مواضع لا تحصى «جنات تجرى من تحتها» و من أسقطها تبع مصحف غير أهل مكة. و المعنى واحد.

اخبر اللَّه تعالى أن الذين سبقوا أولا الى الايمان باللَّه و رسوله و الإقرار بهما من الذين هاجروا من مكة الى المدينة و الى الحبشة، و من الأنصار الذين سبقوا أولا غيرهم الى الإسلام من نظرائهم من أهل المدينة، و الذين تبعوا هؤلاء بأفعال الخير و الدخول فى الإسلام بعدهم و سلوكهم منهاجهم. و قال الفراء: يدخل فى ذلك من يجيء بعدهم الى يوم القيامة. و قال الزجاج: مثله.

ثم اخبر أن اللَّه رضى عنهم و رضى أفعالهم و رضوا هم ايضاً عن اللَّه لما أجزل لهم من الثواب على طاعاتهم و إيمانهم به و بنبيه. و السبق كون الشيء قبل غيره.

و منه قيل فى الخيل السابق، و المصلى هو الذى يجيء فى اثر السابق يتبع صلاة.

و إنما كان السابق الى الخير أفضل لأنه داع اليه بسبقه- و الثانى تابع- فهو امام فيه و كذلك من سبق الى الشر كان أسوء حالا لهذه العلة. و الاتباع طلب الثانى لحال الاول أن يكون على مثلها على ما يصح و يجوز، و مثله الاقتداء. و الإحسان هو النفع الواصل الى الغير

مع تعريه من وجوه القبح فأما قولهم أحسن فمن فعله فقد يكون بفعل النفع و بفعل الضرر، لأنه تعالى إذا فعل فى الآخرة العقاب يقال

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۸۸

إنه أحسن لكن لا- يقال: أحسن اليه. و قوله «وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ» اخبار منه تعالى انه مع رضاه عنهم و رضاهم عنه أعد لهم الجنات يعنى البساتين التى تجرى تحت أشجارها الأنهار، و قيل: ان أنهارها أخاديد فى الأرض فلذلك قال:

تحتها «خالِدِينَ فِيها أَبَداً» اى يبقون فيها ببقاء اللَّه لا يفنون، منعمين. و قوله «ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» معناه إن ذلك النعيم الـذى ذكره هو الفلاح العظيم الذى تصغر فى جنبه كل نعمة.

و اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية، فقال ابو موسى و سعيد بن المسيب و ابن سيرين و قتادة: نزلت فيمن صلى القبلتين، و قال الشعبى: نزلت فيمن بـايع بيعـة الرضوان و هى بيعـة الحديبيـة، و قـال: من اسـلم بعـد ذلك و هاجر فليس من المهاجرين الأولين. و قال ابو على الجبائى: نزلت فى الذين أسلموا قبل الهجرة.

و روى أن عمر قرأ «و الأنصار» بالرفع «الذين اتبعوهم» بإسقاط الواو، فقال أبى:

و الذين اتبعوهم بأمير المؤمنين فرجعوا الى قوله.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۰۱] ..... ص : ۲۸۸

وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ (۱۰۱)

معنى قوله «وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ» من جملـة من حولكم يعنى حول مـدينتكم و حول الشـيء المحيط به، و هو مأخوذ من حال يحول إذا دار بالانقلاب و منه المحالـة لأنهـا تـدور فى المحول و قوله «مِنَ الْأَعْرابِ» و الأعراب هم الـذين يسـكنون الباديـة إذا كانوا مطبوعين على العربية و ليس واحدهم عرباً، لأن العرب قد يكونوا حاضـرة و الاعراب بادية. و قوله «مُنافِقُونَ» معناه من يظهر الايمان و يبطن الكفر «وَ مِنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۸۹

أَهْلِ الْمَدِينَةِ»

أيضاً منافقون، و انما حذف لدلالة الأول عليه «مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ» يقال: مرد على الشـيء يمرد مروداً فهو مارد و مريد إذا عتا و طغى و أعيا خبثاً، و منه (شـيطان مارد، و مريد). و قال ابن زيد: معناه أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب غيرهم. و قال ابن إسحاق: معناه لجوا فيه و أبوا غيره. و قال الفراء: معناه مرنوا عليه و تجرّءوا عليه. و قال الزجاج: فيه تقـديم و تأخير و التقدير و ممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق و من اهل المدينة ايضاً مثل ذلك. و أصل المرود الملاسة. و منه قولهَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ»

«۱» اى مملس و منه الأمرد الـذى لا شـعر على وجهه، و المرودة و المرداء الرملة التى لا تنبت شـيئاً، و التمراد بيت صـغير يتخذ للحمام مملس بالطين، و المرداء الصخرة الملساء. «لا تَعْلَمُهُمْ» معناه لا تعرفهم يا محمّد «نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ» اى نعرفهم.

و قوله: «سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ» قيل فى معناه أقوال:

أحدها- قال الحسن و قتادة و الجبائى: يعنى فى الدنيا و فى القبر. و قال ابن عباس: نعذبهم فى الدنيا بالفضيحة لأن النبى صلى الله عليه و آله ذكر رجالا منهم و أخرجهم من المسجد يوم الجمعة فى خطبته قال: اخرجوا فإنكم منافقون، و الاخرى فى القبر.

و قال مجاهـد: يعنى فى الـدنيا بالقتل و السبى و الجوع. و فى روايـة اخرى عن ابن عباس: أن إحداهما اقامة الحدود عليهم، و الاخرى عذاب القبر. و قال الحسن:

إحداهما أخذ الزكاة منهم:و الاخرى عذاب القبر، و قال ابن إسـحاق: إحداهما غيظهم من اهل الإسـلام، و الاخرى عذاب القبر. و كل ذلـك محتمـل غير أنـا نعلم ان المرتين معـاً قبـل ان يردوا الى عـذاب النـار يوم القيامـة. و قوله «ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ» معناه ثم

یرجعون یوم القیامة الی عذاب عظیم مؤبد فی النار. و

روی أن الآیة نزلت فی عیینة بن حصین و أصحابه.

---

(۱) سورة ۲۷ النمل آیة ۴۴ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۹۰

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آیة ۱۰۲] ..... ص : ۲۹۰

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۰۲)

روی عن ابن عباس أنه قال: نزلت هذه الآیة فی عشرة أنفس تخلفوا عن غزوة تبوک فیهم أبو لبابة، فربط سبعة منهم أنفسهم الی سواری المسجد الی أن قبلت توبتهم. و قیل: کانوا سبعة منهم ابو لبابة. و

قال ابو جعفر علیه السلام: نزلت فی أبی لبابة، و لم یذکر غیره

، و کان سبب نزولها فیه ما جری منه فی غزوة بنی قریظة و به قال مجاهد. و قال الزهری: نزلت فی أبی لبابة خاصة حین تأخر عن تبوک.

و اکثر المفسرین ذکروا أن أبا لبابة کان من جملة المتأخرین عن تبوک. و روی عن ابن عباس أنها نزلت فی قوم من الأعراب. و قیل: نزلت فی خمسة عشر نفساً ممن تأخر عن تبوک.

هذه الآیة عطف على قوله «وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِینَةِ» أی و منهم «آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ» أی أقروا بها مع معرفتهم بها فان الاعتراف هو الإقرار بالشیء عن معرفة، و الإقرار مشتق من قرّ الشیء إذا ثبت. و الاعتراف من المعرفة. و قوله «خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً» معناه انهم یفعلون افعالا جمیلة، و یفعلون افعالا سیئة قبیحة، فیجتمعان، و ذلک یدل على بطلان القول بالإحباط، لأنه لو کان صحیحاً لکان أحدهما إذا طرأ على الآخر أحبطه، فلا یجتمعان، فکیف یکون خلطاً.

و قوله «عَسَى اللَّهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ» قال الحسن و کثیر من المفسرین: إن (عسى) من اللَّه واجبة. و قال قوم: انما قال (عسى) حتى یکونوا على طمع و اشفاق فیکون ذلک أبعد من الاتکال على العفو و إهمال التوبة، و التقدیر فی قوله «خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً» ای بآخر سیء و مثله قولک: خلطت الماء و اللبن التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۹۱

ای باللبن. و قد یستعمل ذلک فی الجمع من غیر امتزاج کقولهم: خلطت الدراهم و الدنانیر. و قال قوم: هو یجری مجری قولهم: استوى الماء و الخشبة ای مع الخشبة. و قال اهل اللغة: خلط فی الخیر مخففاً و خلط فی الشر مشدداً. و قوله «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ» تعلیل لقبول التوبة من العصاة لأنه غفور رحیم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آیة ۱۰۳] ..... ص : ۲۹۱

خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَکِّیهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَیْهِمْ إِنَّ صَلاتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۱۰۳)

قرأ اهل الکوفة الا أبا بکر «إن صلاتک» على التوحید و نصب التاء. الباقون على الجمع و کسر التاء، لأنه جمع السلامة. فمن قرأ على التوحید فلأنه مصدر یقع على القلیل و الکثیر، فلا یحتاج الى جمعه. و مثله «لَصَوْتُ الْحَمِیرِ» «۱» و مما ورد فی القرآن بلفظ التوحید و المراد به الجمع قوله «وَ ما کانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَیْتِ إِلَّا مُکاءً» «۲» و قوله «أَقِیمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّکاةَ» «۳» و من جمع فلاختلاف الصلاة، کما ان قوله «إِنَّ أَنْکَرَ الْأَصْواتِ» «۴» جمع لاختلاف ضروبه و الصلاة فی اللغة الدعاء قال الأعشى فی الخمر:

و قابلها الریح فی دنها و صلى على دنها و ارتسم «۵»

و معنى «صَلِّ عَلَيْهِمْ» ادع لهم، فان دعاءك سكن لهم بمعنى تسكن اليه

---

(۱) سورة ۳۱ لقمان آية ۱۹

(۲) سورة ۸ الانفال آية ۳۵

(۳) سورة ۴ النساء آية ۷۶ و سورة ۲۲ الحج آية ۷۸ و سورة ۲۴ النور آية ۵۶ و سورة ۵۸ المجادلة آية ۱۳ و سورة ۷۳ المزمل آية ۲۰

(۴) سورة ۳۱ لقمان آية ۱۹

(۵) ديوانه: ۲۹ القصيدة ۴ و قد سلف فى ۱/ ۵۶، ۱۹۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۹۲

نفوسهم و تطيب به، و لفظ التوحيد- ها هنا- أحسن لأن المراد دعاء النبى صلى الله عليه و آله لهم لا أداء الصلوات، و الجمع على ضروب دعائه. و قولهم: صلى اللَّه على رسول اللَّه و على ملائكته، و لا- يقال: إنه دعاء لهم من اللَّه كما لا- يقال فى نحو (ويل للمكذبين) أنه دعاء عليهم، لكن المعنى أن هؤلاء ممن يستحق عندكم أن يقال فيهم هذا اللغو من الكلام. و مثله قوله «بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ» «۱» فيمن ضم التاء هذا مذهب سيبويه، و

ذكر الفراء و غيره أن هؤلاء الذين تابوا و أقلعوا قالوا للرسول: خذ من أموالنا ما تريد، فقال رسول اللَّه: لا أفعل حتى يؤذن لى فيه، فأنزل اللَّه «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً» فأخذ منهم بعضاً و ترك الباقي و روى ذلك عن ابن عباس و زيد بن اسلم و سعيد بن جبير و قتادة و الضحاك

، و هى فى أبى لبابة وجد بن قيس و أوس و حذام. و قوله «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً» امر من اللَّه تعالى أن يأخذ من المالكين لنصاب الزكاة: الورق إذا بلغ مائتين، و الذهب إذا بلغ عشرين مثقالا- و الإبل إذا بلغت خمساً، و البقر إذا بلغت ثلاثين، و الغنم إذا بلغت أربعين. و الغلات إذا بلغت خمسة أوسق.

و قوله «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ» يدل على أن الأخذ من اختلاف الأموال، لأنه جمعه. و لو قال: خذ من مالهم أفاد وجوب الأخذ من جنس واحد متفق. و (من) دخلت للتبعيض، فكأنه قال: خذ بعض مختلف الأموال. و ظاهر الآية لا يدل على انه يجب أن يأخذ من كل صنف لأنه لو أخذ من صنف واحد لكان قد أخذ بعض الأموال و إنما يعلم ذلك بدليل آخر. و الصدقة عطية ماله قيمة للفقر و الحاجة. و البر عطية لاجتلاب المودة. و مثله الصلة.

و قوله «تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها» انما ارتفع (تطهرهم) لاحد أمرين:

أحدهما- ان تكون صفة للصدقة و تكون التاء للتأنيث، و قوله «بها» تبيين له و التقدير صدقة مطهرة.

---

(۱) سورة ۳۷ الصافات آية ۱۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۲۹۳

و الثاني- أن تكون التاء خطاباً للنبى صلى الله عليه و آله و التقدير فإنك تطهرهم بها، و هو صفة للصدقة ايضاً الا انه اجتزأ بذكر (بها) فى الثانى عن الاول. و قيل: انه يجوز ان يكون على الاستئناف، و حمله على الاتصال أولى، و لا يجوز ان يكون جواباً للأمر لأنه لو كان كذلك لكان مجزوماً. و قوله «و تزكيهم» تقديره و أنت تزكيهم على الاستئناف. و قيل فى هذه الصدقة قولان: قال الحسن: انها هى كفارة الذنوب التى أصابوها، و قال أبو علي: هى الزكاة الواجبة. و أصل التطهير إزالة النجس، و المراد- ها هنا- إزالة النجس: الذنوب بما يكفرها من الطاعة. و قوله «وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ» أمر من اللَّه تعالى للنبى أن يدعو لمن يأخذ منه الصدقة. و قال الجبائى: يجب ذلك على كل ساع يجمع الزكوات ان يدعوا لصاحبها بالخير و البركة، كما فعل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. و قوله «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ» معناه انه تعالى يسمع دعاءك لهم بنياتهم فى الصدقة التى يخرجونها.

قوله تعالى:[سورة التوبة (٩): آية ١٠۴] ..... ص : ٢٩٣

أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠۴)

الالف فى قوله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا» الف استفهام و المراد بها التنبيه على ما يجب ان يعلم المخاطب إذا رجع الى نفسه و فكر فيما نبه عليه علم وجوباً. و إنما وجب ان يعلم ان اللَّه يقبل التوبة، لأنه إذا علم ذلك كان ذلك داعياً له الى فعل التوبة و التمسك بها و المسارعة اليها، و ما هذه صورته وجب عليه ان يعلمه ليتخلص به من العقاب و يحصل له الثواب. و سبب ذلك

انهم لما سألوا النبى صلى الله عليه و آله ان يأخذ من ما لهم ما يكون كفارة لذنوبهم فامتنع النبى من ذلك و قال: حتى يؤذن لى فيه

فبين اللَّه تعالى انه ليس الى النبى قبول توبتكم و ان ذلك الى اللَّه تعالى دونه، فانه التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ٢٩۴

الذى يقبل التوبة و يقبل الصدقات. و فعل التوبة يستحق به الثواب لأنها طاعة. فأما إسقاط عقاب المعاصى المتقدمة عندها فالعقل لا يوجب ذلك. و انما علم ذلك سمعاً لان السمع قطع العذر بأن اللَّه يسقط العقاب عند التوبة الصحيحة. و قد بينا فى غير موضع فيما تقدم ان التوبة التى يسقط العقاب عندها قطعاً هى الندم على القبيح و العزم على ان لا يعود الى مثله فى القبح، لان الامة مجمعة على سقوط العقاب عند هذه التوبة و فيما خالف هذه التوبة خلاف.

و قوله «وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ» معناه انه يأخذها بتضمن الجزاء عليها كما تؤخذ الهدية كذلك. و قال ابو على الجبائى: جعل اللَّه أخذ النبى صلى الله عليه و آله و المؤمنين للصدقة أخذاً من اللَّه على وجه التشبيه و المجاز، من حيث كان بأمره. و

قد روى عن النبى صلى الله عليه و آله ان الصدقة قد تقع فى يد اللَّه قبل ان تصل الى يد السائل

، و المراد بذلك انها تنزل هذا التنزيل ترغيباً للعباد فى فعلها، و ذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها.

و قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» عطف على قوله «الم يعلموا» و لذلك فتح (أن) لأنها مفعول به. و التوّاب فى صفة اللَّه معناه انه يقبل التوبة كثيراً و فى صفة العبد يفيد انه يفعل التوبة كثيراً و قيل فى معنى «وَ تابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» «١» صفح عنكم و لم يكونوا أذنبوا فيتوبوا ليتوب اللَّه عليهم و كذلك قوله «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ» «٢» بمعنى صفح لأنهم لم يتوبوا

قوله تعالى:[سورة التوبة (٩): آية ١٠۵] ..... ص : ٢٩۴

وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠۵)

---

(١) سورة ۵٨ المجادلة آية ١٣

(٢) سورة ٢ البقرة آية ١٨٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ٢٩۵

هذا امر من اللَّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله أن يقول للمكلفين «اعْمَلُوا» ما أمركم اللَّه به من الطاعة و اجتنبوا معاصيه فان اللَّه «سيرى عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ» و فى ذلك ضرب من التهديد، كما قال مجاهد، و المراد بالرؤية ها هنا العلم الذى هو المعرفة و لذلك عداه الى مفعول واحد، و لو كان بمعنى العلم الذى ليس بمعرفة لتعدّى الى مفعولين، و ليس لأحد أن يقول: ان اعمال العباد من الحركات يصح رؤيتها لمكان هذه الآية، لأنه لو كان المراد بها العلم لعداه الى الجملة و ذلك أن العلم الذى يتعدى الى مفعولين ما كان بمعنى الظن، و ذلك لا يجوز على اللَّه و انما يجوز عليه ما كان بمعنى المعرفة. و

روى فى الخبر أن أعمال العباد تعرض على النبى صلى الله عليه و آله فى كل اثنين و خميس فيعلمها. و كذلك تعرض على الأئمة

عليهم السلام فيعرفونها

، وهم المعنيون بقوله «وَ الْمُؤْمِنُونَ»، و إنما قال «فَسَيَرَى اللَّهُ» على وجه الاستقبال، و هو عالم بالأشياء قبل وجودها. لأن المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة و كونه عالماً بأنها ستوجد من كونه عالماً بوجودها إذا وجدت لا يجدد حال له بذلك. و قوله «وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» معناه سترجعون الى اللَّه الذى يعلم السر و العلانية «فَيُنَبِّئُكُمْ» اى يخبركم «بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» و يجازيكم عليه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۰۶] ..... ص : ۲۹۵

وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۱۰۶)

قرأ أهل المدينة عن أبى بكر «مرجون» بغير همزة. الباقون بالهمزة.

و الوجه فيهما أنهما لغتان ... و يقال: أرجأت و أرجيت بمعنى واحد.

و هذه الآية عطف على قوله «وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ ...

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ... وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ» و الارجاء تأخير الامر التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۹۶

الى وقت، يقال: أرجأت الأمر إرجاء و أرجيته بالهمزة و ترك الهمزة لغتان.

و قوله «إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» فلفظة (إمّا) لوقوع أحد الشيئين و اللَّه اعلم بما يصير اليه أمرهم إلا ان هذا للعباد، خوطبوا بما يعلمون. و المعنى و ليكن أمرهم عندكم على هذا اى على الخوف و الرجاء. و الآية تدل على صحة قولنا فى جواز العفو عن العصاة، لأنه تعالى بين ان قوماً من هؤلاء العصاة أمرهم مرجأ الى اللَّه: ان شاء عذبهم و ان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم. فلو كان سقوط العقاب عند التوبة واجباً، لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة على وجه التخيير، لأنهم ان تابوا وجب قبول توبتهم عند الخصم و إسقاط العقاب عنهم، و ان أصرّوا و لم يتوبوا فلا يعفى عنهم، فلا معنى للتخيير- على قولهم- و انما يصح ذلك على ما نقوله: من أن مع حصول التوبة تحسن المؤاخذة فان عفا فبفضله و ان عاقب فبعدله. و قوله «وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» معناه و إما يقبل توبتهم. و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عالم بما يؤل اليه حالهم «حكيم» فيما يفعله بهم. و الفرق بين الآخِر و الآخر أن الآخِر يفيد أنه بعد الأول، و الآخر مقابل لأحد فى تفصيل ذكر اثنين أحدهما كذا و الآخر كذا.

و

قال مجاهد و قتادة: الاية نزلت فى هلال بن امية الرافعى و فزارة بن ربعى و كعب بن مالك من الأوس و الخزرج، و كان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه، و انما تخلف توانياً عن الاستعداد حتى فاته المسير و انصرف رسول اللَّه و لم يعتذر اليه بالكذب. و قال: و اللَّه مالى من عذر، فقال صلى الله عليه و آله: صدقت فقم حتى يقضى اللَّه فيك. و جاء الرجلان الآخران فقالا مثل ذلك و صدقاً، فنهى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن كلامهم بعد ما عذر المنافقين و جميع المتخلفين، و كانوا نيفاً و ثمانين رجلا فأقام هؤلاء الثلاثة على ذلك خمسين ليلة حتى هجرهم ولدانهم و نساؤهم طاعة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله بأمره. و بنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده. و قال فى ذلك: التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۲۹۷

أبعد دور بنى القين الكرام و ما شادوا على بنيت البيت من سعف

ثم نزلت التوبة عليهم فى الليل فأصبح المسلمون يبتدرونهم يبشرونهم

، قال كعب: فجئت الى رسول اللَّه فى المسجد و كان إذا سر يستبشر كأن وجهه فلقة قمر فقال لى و وجهه يبرق من السرور: ابشر بخير يوم طلع عليك شرفه منذ ولدتك أمك قال كعب، فقلت له: أمن عند اللَّه او من عندك يا رسول اللَّه؟ قال فقال: من عند اللَّه. و تصدق كعب بثلث ماله شكراً للَّه على توبته.

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۱۰۷] ..... ص : ۲۹۷

وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ کُفْراً وَ تَفْرِیقاً بَیْنَ الْمُؤْمِنِینَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَیَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنی وَ اللَّهُ یَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ (۱۰۷)

قرأ ابن عامر و أهل المدینة «الذین اتخذوا» بإسقاط الواو. الباقون بإثبات الواو. فمن أثبت الواو، عطفه علی ما تقدم من الآیات و تقدیره: و منهم الذین اتخذوا مسجداً ضراراً و من حذفها ابتدأ الکلام و حذف الخبر لطول الکلام قال الزهری، و یزید بن رومان، و عبد اللَّه بن أبی بکر، و عاصم بن عمر بن قتادة:

نزلت هذه الآیة فی اثنی عشر رجلا من المنافقین، قال الفراء: کانوا من بنی عمرو ابن عوف من الأنصار. و قال غیره: کانوا من بنی غنم ابن عوف من الأنصار الذین بنوا مسجد الضرار. و قیل انهم کانوا خمسة عشر رجلا منهم عبد اللَّه بن نفیل- فی قول الواقدی- و قال ابن إسحاق: هو نفیل بن الحارث و لم یذکر عبد اللَّه و هذا المختلف فی اسمه هو الذی کان ینقل حدیث النبی الی المنافقین فأعلم اللَّه نبیه ذلک. و أخبر اللَّه عنهم انهم بنوا المسجد الذی بنوه ضراراً ای مضارة. و نصب علی أنه مفعول له أی بنوه للمضارة. و الضرار هو طلب الضرّ و محاولته کما أن الشقاق التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۹۸

محاولة ما یشق، تقول: ضاره مضارة و ضراراً. و الآیة تدل علی ان الفعل یقع بالارادة علی وجه القبح دون الحسن، أو الحسن دون القبح، لأنهم لو بنوا المسجد للصلاة فیه لکان حسناً، لکن لما قصدوا المضارة کان ذلک قبیحاً و معصیة.

و قوله «وَ تَفْرِیقاً بَیْنَ الْمُؤْمِنِینَ» أی بنوه للمضارة و الکفر و التفریق بین المؤمنین. و انما یکون تفریقاً بین المؤمنین بأن یتحزبوا، فحزب یصلی فیه و حزب یصلی فی غیره لتختلف الکلمة و تبطل الالفة. و اتخذوه ایضاً لیکفروا فیه بالطعن علی النبی صلی الله علیه و آله و الإسلام و المسلمین. و قوله «وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» معناه اتخذوه له لیکون متی أراد الاجتماع معهم حضره و أنس به، و هو رجل یقال له ابو عامر الراهب لحق بقیصر فتنصر و بعث الیهم سآتیکم بجند فأخرج به محمّداً و أصحابه. فبنوه یترقبونه، و هو الذی حزب الأحزاب و حارب مع المشرکین، فلما فتحت مکة هرب الی الطائف، فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام و خرج الی الروم و تنصر، و ابنه عبد اللَّه قتل یوم احد- و هو غسیل الملائکة- ذهب الیه اکثر المفسرین کابن عباس و مجاهد و قتادة. و أصل الارصاد الارتقاب تقول: رصده یرصده رصداً و أرصد له و راصده مراصدة و تراصد تراصداً و ارتصده ارتصاداً.

و قوله «وَ لَیَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنی» معناه إن هؤلاء یحلفون علی أنهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد إلا الحسنی یعنی إلا الفعلة الحسنی، فقال اللَّه تعالی تکذیباً لهم «وَ اللَّهُ یَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ» و کفی بمن یشهد اللَّه بکذبه خزیاً.

و

وجّه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قبل قدومه من تبوک عاصم بن عون العجلانی و مالک بن الدخشم و کان مالک من بنی عوف، فقال لهما (انطلقا الی هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه ثم حرّقاه) فخرجا یشتدّان سریعین علی أقدامهما ففعلا ما أمرهما به فثبت قوم من جملتهم زید بن حارثة بن عامر حتی احترقت البتة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۲۹۹

قوله تعالی:[سورة التوبة (۹): آیة ۱۰۸] ..... ص : ۲۹۹

لا تَقُمْ فِیهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَی التَّقْوی مِنْ أَوَّلِ یَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِیهِ فِیهِ رِجالٌ یُحِبُّونَ أَنْ یَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ یُحِبُّ الْمُطَّهِّرِینَ (۱۰۸)

نهی اللَّه نبیه- و عنی معه جمیع المؤمنین- أن یقوموا فی المسجد الذی بنی ضراراً «ابدا» أو یصلوا فیه، و أقسم ان المسجد الذی «أُسِّسَ عَلَی التَّقْوی مِنْ أَوَّلِ یَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِیهِ» و قیل فی المسجد الذی أسس علی التقوی قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و عطية: إنه مسجد قباء.

و قال ابن عمر و ابن المسيب: هو مسجد المدينة. و قال عمر بن شبه:

المسجد الذى أسس على التقوى مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و الذى أسس على التقوى و رضوان مسجد قباء كذلك فصل بينهما. و رواه عن أشياخه. و التقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة، و المتقى صفة مدح لا تطلق الا على مستحق الثواب.

و واو (تقوى) أبدلت من الياء. لأنه من تقيت و انما أبدلت للفرق بين الاسم و الصفة فى الابنية، و مثله شروى من شريت، فأما الصفة فنحو خزياً. و لو قيل: كيف يبنى (فعلى) من قصيت؟ قلت: قصوى فى الاسم و قصيا فى الصفة. و قوله «مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ» معناه أول الأيام إذا ميزت يوماً يوماً. لان افعل بعض ما أضيف اليه. و مثله أعطيت كل رجل فى الدار اى كل الرجال إذا ميزوا رجلا رجلا. و الفرق بين من أول يوم، و منذ أول يوم، ان (منذ) إذا كانت حرفاً، فهى الوقت الخاص كقولك: منذ اليوم و منذ الشهر و منذ السنة، و ليس كذلك (من) و إذا كانت اسما وقع على ما بعدها على تقدير كلامين و (من) على النهاية لأنها نقيض (الى) قال زهير: التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۰۰

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج و من شهر «۱»

و قوله «أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ» مع أن القيام فى الآخر قبيح منهى عنه، و انما قال ذلك على وجه المظاهرة بالحجة بأنه لو كان من الحق الذى يجوز لكان هذا أحق و يجوز على هذا أن تقول: عمل الواجب أصلح من تركه. و قيل: المراد به القيام فيه حق ظاهراً و باطناً إذ كانت الصلاة فى المساجد على ظاهرها حق.

و قوله «فيه رجال» الأول ظرف للقيام. و الثانى ظرف لكون الرجال و قوله «يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا» قال الحسن: معناه يريدون أن يتطهروا من الذنوب و قيل:

يتطهرون بالماء من الغائط و البول، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام

ثم قال «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ» اى يريد منافع المتطهرين من الذنوب و كذلك المتطهرين من النجاسة بالماء. و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال لأهل قباء (ما ذا تفعلون فى طهركم فان اللّه أحسن عليكم الثناء) قالوا: نغسل أثر الغائط فقال (أنزل اللّه فيكم و اللّه يحب المطهرين).

و قيل: إن سبب نزول هذه الاية أن أهل مسجد ضرار جاءوا اليه، فقالوا يا رسول اللّه بنينا مسجداً للضعيف فى وقت المطر نسألك أن تصلى فيه و كان متوجهاً الى تبوك فوعدهم أن يفعل إذا عاد فنهاه اللّه عن ذلك. و قوله «وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً» مبتدأ و خبره فى قوله «لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً» كما تقول: و الذى يدعوك الى الغى فلا تسمع دعاءه. و التقدير فى الآية لا تقم فى مسجدهم أبداً، و اسقط ذلك اختصاراً.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۰۹] ..... ص : ۳۰۰

أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۱۰۹)

---

(۱) اللسان (حجر) و تفسير القرطبى ۸/ ۲۶۰

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۰۱

قرأ نافع و ابن عباس «أَسَّسَ بُنْيانَهُ» بضم الهمزة و كسر السين و رفع النون من بنيانه فى الموضعين جميعاً. الباقون بفتح الهمزة و نصب النون من بنيانه. و قرأ ابن عامر الا الداحونى عن هشام و حمزة و خلف و أبو بكر الا الأعشى و البرجمى «جرف» بسكون الراء. الباقون

بضمها. و قرأ ابو عمرو و الكسائى و الداجونى عن أبى ذكوان و هبة اللّه عن حفص من طريق النهروانى و الدورى عن سليم من طريق ابن فرج و ابو بكر الا الأعشى و البرجمى «هار» بالامالة. وافقهم على الوقف على بن مسلم و ابن غالب و محمّد فى الوقف من طريق السوسى من طريق ابن جيش.

قال ابو على الفارسى: البنيان مصدر، و هو جمع كشعير و شعيرة لأنهم قالوا فى الواحد بنيانة قال أوس:

كبنيانة القرىٌ موضع رحلها و آثار نسعيها من الدف أبلق

و جاء بناء المصادر على هذا المثال فى غير هذا الحرف نحو الغفران و ليس بنيان جمع بناء، لأن فعلاناً إذا كان جمعاً نحو كثبان و قضبان لم تلحقه تاء التأنيث، و قد يكون ذلك فى المصادر، نحو: أكل و أكلة و ضرب و ضربة من ذلك.

و قال ابو زيد يقال: بنيت أبنى بنياً و بناء و بنية و جمعها البنى و أنشد:

بنى السماء فسواها ببنيتها و لم تمد باطناب و لا عمد

فالبناء و البنية مصدران و من ثم قوبل به الفراش فى قوله «الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً» «۱» فالبناء لما كان رفعاً للمبنى قوبل به الفراش الذى هو خلاف البناء. و من ثم وقع على ما كان فيه ارتفاع فى نصبته و ان لم يكن مبنياً فأما من فتح الهمزة و بنى الفعل للفاعل، فلأنه البانى و المؤسس فأسند الفعل اليه و بناه له كما أضاف البنيان اليه فى قوله «بنيانه» فكما ان المصدر مضاف الى الفاعل

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۲

. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۰۲

كذلك يكون الفعل مبنياً له. و من بنى الفعل للمفعول لم يبعد ان يكون فى المعنى كالأول، لأنه إذا أسس بنيانه فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له. و الأول أقوى لما قلناه. و قال ابو على (الجرف)- بضم العين- هو الأصل، و الإسكان تخفيف و مثله الشغل و الشغل. و مثله الطنب و الطنب. و العنق و العنق، يجوز فى جميعه التثقيل و التخفيف. و كلاهما حسن و قال ابو عبيدة «عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ» مثل، قال: لأن ما يبنى على التقوى فهو أثبت أساساً من بناء يبنى على شفا جرف و يجوز ان تكون المعادلة وقعت بين البنائين، و يجوز أن تكون بين البناءين، فإذا عادلت بين البنائين كان المعنى المؤسس بنيانه متقناً خير ام المؤسس بنيانه غير متقن لأن قوله «عَلى شَفا جُرُفٍ» يدل على أن بانيه غير متق للّه. و يجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف كأنه قال: أبناء من أسس بنيانه على تقوى خير أم بناء من أسس بنيانه على شفا جرف. و البنيان مصدر يراد به المبنى، كما أن الخلق يراد به المخلوق إذا أردت ذلك، و ضرب الأمير إذا أردت به المضروب. و كذلك نسج اليمن يراد به المنسوج، فإنما قلنا ذلك لأنه لا يجوز أن يراد به الحدث، لأنه إنما يؤسس المبنى الذى هو عين. يبين ذلك قوله «عَلى شَفا جُرُفٍ» و الحدث لا يكون على شفا جرف، و الجار فى قوله «على تقوى» و فى قوله «على شفا جرف» فى موضع نصب، و التقدير أ فمن أسس بنيانه متقياً خير ام من أسس بنيانه معاقباً على بنيانه، و فاعل (انهار) البنيان، و تقديره انهار البنيان بالبانى فى نار جهنم، لأنه معصية و فعل لما كرهه اللّه من الضّرار و الكفر و التفريق بين المؤمنين. و من أمال «هار» فقد أحسن لما فى الراء من التكرير فكأنك لفظت براءين مكسورتين و بحسب كثرة الكسرات تحسن الامالة. و من لم يمل فلأن كثيراً من العرب لا يميلون هذه الألفات. و ترك الامالة هو الأصل. و أما ألف «هار» فمنقلبة عن الواو، لأنهم قالوا: تهوّر البناء إذا تساقط و تداعى، و الانهيار و الانهيال متقاربان فى المعنى. و الالف فى قوله «أ فمن» الف استفهام يراد بها- ها هنا- الإنكار التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۰۳

و معنى «خير» فى الآية أفضل، و ليس فيه اشتراك، يقولون: هذا خير، و هذا شر، و لا يراد به (أفعل من) قال الشاعر:

و الخير و الشر مقرونان فى قرن فالخير متبع و الشر محذور

و أما قوله: و افعل الخير معناه افعلوا الأفضل. و (الشفا جرف) الشيء و شفيره و جرفه نهايته فى المساحة و يثنى شفوان، و الجرف جرف الوادى و هو جانبه الذى ينحفر بالماء أصله فيبقى واهياً، و هو من الجرف و الاجتراف، و هو اقتلاع الشيء من أصله. و معنى (انهار) انصدع بالتهدم هار الجرف يهور هوراً فهو هائر و تهور تهوراً و انهار انهياراً، و يقال ايضاً: هار يهار، و أصل هار هائر إلا انه قلب كما قال الشاعر:

لاث به الأشاء و العبرىّ «۱»

اى لائث بمعنى دائر، و مثله شاك فى السلاح و شائك. و الاشاء النخل، و العبرى السدر الذى على ساقى الأنهار، و معنى لاث أى مطيف به.

شبه اللَّه تعالى بنيان هؤلاء المنافقين مسجد الضرار ببناء يبنى على شفير جهنم فانهار ذلك البناء بأهله فى نار جهنم، و وقع فيه. و روى عن جابر بن عبد اللَّه انه قال: رأيت المسجد الذى بنى ضراراً يخرج منه الدخان، و هو قول ابن جريج.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۰] ..... ص : ۳۰۳

لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۱۱۰)

قرأ ابن عامر و حمزة و حفص و ابو جعفر و يعقوب «تقطع» بفتح التاء الباقون بضمها. و قرأ يعقوب وحده «الى ان» على أنه حرف جر.

---

(۱) اللسان (عبر) (لوث) (لثى) و التاج (عبر) و مجاز القرآن ۱/ ۲۶۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۰۴

و قوله «لا يزال» من أخوات (كان) ترفع الاسم و تنصب الخبر و انما عمل فى الاسم و الخبر، لأنه إنما يتعلق فى معنى الجملة، فيدل على انه يدوم إذ المعنى فيه أن يكون الشيء على الصفة أبداً. قال ابو على: البنيان مصدر واقع على المبنى و تقديره لا يزال بناء المبنى الذى بنوه ريبة أى شكاً فى قلوبهم فيما كان من إظهار إسلامهم و ثباتاً على النفاق الى أن تقطع قلوبهم بالموت و البلى لا يخلص لهم إيمان و لا ينزعون عن النفاق الى ان تقطع قلوبهم بالموت و البلى. و من قرأ «الى ان تقطع» فانه يريد حتى تبلى و تقطع بالبلى أى لا تثلج قلوبهم بالايمان ابداً و لا ينزعون عن الخطيئة فى بناء المسجد و لا يتوبون. و من ضم الياء أضاف الفعل الى المقطع المبلى المقلوب بالموت، و من فتحها أسند الفعل الى القلوب لما كانت هى البالية، كما قالوا: مات زيد و مرض عمرو، و وقع الحائط. و فى قراءة أبى (حتى الممات).

و معنى قوله «الَّذِى بَنَوْا» مع قوله «بُنْيانُهُمُ» انما هو ليعلم ان البناء ماض دون المستقبل إذ قد تجوز الاضافة على جهة الاستقبال كقولك للغير: أقبل على عملك. و قيل فى معنى الريبة فى الاية ثلاثة اقوال: أحدها- ان هذا البنيان الذى بنوه لا يزال شكاً فى قلوبهم. و قيل معناه حزازة فى قلوبهم، و قيل حسرة فى قلوبهم يتردّدون فيها. و قوله «إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ» موضع «ان تقطع» نصب و التقدير الأعلى تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع (ان) و لا يحذف مع المصدر. و معنى (إلا) ها هنا (حتى) لأنه استثناء من الزمان المستقبل، و الاستثناء منه منته اليه فاجتمعت مع (حتى) فى هذا الموضع على هذا المعنى. قال الزجاج: يحتمل ان يكون المراد الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً و اسفاً على تفريطهم. و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» اى عالم بنيتهم فى بناء مسجد الضرار «حكيم» فى أمره بنقضه و المنع من الصلاة فيه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۰۵

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۱] ..... ص : ۳۰۵

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۱۱۱)

قرأ حمزة و الكسائى «فيقتلون و يقتلون» على مفعول و فاعل. الباقون على فاعل و مفعول. من قدم الفعل المسند الى الفاعل، فلأنهم يقتلون أولا فى سبيل اللّه و يقتلون، و لا يقتلون إذا قتلوا. و من قدّم الفعل المسند الى المفعول جاز أن يكون أراد ذلك المعنى ايضاً لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم و ان لم يقدّر ذلك كأن المعنى يقتل بعضهم و يقتل من بقى منهم بعد قتل من قتل منهم، كما أن قوله «فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» «۱» و معناه ما وهن من بقى منهم لقتل من قتل من المؤمنين. و حقيقة الاشتراء لا- يجوز على اللّه تعالى، لأن المشترى انما يشترى ما لا يملك، و اللّه تعالى مالك الأشياء كلها. و انما هو كقوله «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» «۲» فى أنه اجرى بحسن المعاملة و التلفظ فى الدعاء الى الطاعة مجرى ما لا يملكه المعامل فيه، و لما كان اللّه تعالى رغب فى الجهاد و قتال الأعداء و ضمن على ذلك الثواب عبر عن ذلك بالاشتراء، فجعل الثواب ثمناً و الطاعات مثمناً على ضرب من المجاز، و كما أن فى مقابلة الطاعة الثواب فكذلك فى مقابلة الألم العوض غير أن الثواب مقترن بالإجلال و الإكرام، و العوض خال منهما، و المثاب محسن مستحق على إحسانه المدح و ليس كذلك المعوض.

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۴۶

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۰۶

أخبر اللّه تعالى أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بما ضمن لهم على بذلها من الثواب فى قوله «بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» اعداء اللّه و اعداء نبيه فيقتلون اعداء اللّه و يقتلهم اعداء اللّه فيصبرون على ذلك. و من قدم المفعول أراد يقتل بعضهم، فيقتل الباقون أعداء اللّه.

و قوله «وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا» نصب (وعداً) على المصدر بما دل عليه اشترى إذ يدل على أنه وعد، و مثله «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» «۱» و «فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها» «۲» و الوعد خبر بما يفعله المخبر من الخير بغيره. و الوعيد خبر بما يفعله المخبر من الشر بغيره. و قوله «حقاً» معناه يتبين الوعد بالحق الواجب من الوعد بما لم يكن واجباً. فالوعد بالثواب دل على وجوبه من وجهين: أحدهما- من حيث انه جزاء على الطاعة. و الثانى- أنه إنجاز الوعد. و قوله «فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ» معناه إن هذا الوعد للمجاهدين مذكور فى هذه الكتب.

قال الزجاج: و ذلك يدل على أن الجهاد كان واجباً على أهل كل ملة. و قوله «وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟!» معناه لا أحد أحق بالوفاء بالعهد من اللّه «فَاسْتَبْشِرُوا» ايها المؤمنون «بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» يعنى ذلك الشراء و البيع هو الفلاح العظيم الذى لا يقارنه شىء.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۲] ..... ص : ۳۰۶

التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (۱۱۲)

قيل فى ارتفاع قوله «التائبون» ثلاثة اقوال: أحدها- انه ارتفع بالمدح

---

(۱) سورة ۲۷ النمل آية ۸۸ [.....]

(۲) سورة ۳۰ الروم آية ۳۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۰۷

و التقدير هم التائبون. الثانى- بالابتداء و خبره محذوف بعد قوله: «وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ» لهم الجنة. الثالث- على أن يكون بدلا من الضمير فى «يقاتلون» أى إنما يقاتل فى سبيل اللَّه من هذه صفته. و قيل هو كقوله «لكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ... «۱» التَّائِبُونَ» و قرأ أبى كل ذلك بالنصب على أنه صفة للمؤمنين.

وصف اللَّه تعالى المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم و أموالهم بأنهم التائبون و معناه الراجعون الى طاعة اللَّه المنقطعون اليه و النادمون على ما فعلوه من قبيح «الْعابِدُونَ» اى يعبدون اللَّه وحده لا شريك له «الْحامِدُونَ» يعنى الشاكرون لنعم اللَّه عليهم على وجه الإخلاص له. و قال الحسن: هم الذين يحمدون اللَّه على كل حال فى سرّاء كانوا او ضرّاء، و به قال قتادة. «السَّائِحُونَ» قيل معناه الصائمون و قال المؤرج: السائحون الصائمون بلغة هذيل. و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال (سياحة امتى الصوم)

و هو قول ابن مسعود و ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و مجاهد. و قال الحسن: هم الذين يصومون ما افترض اللَّه عليهم. و قال غيره: هم الذين يصومون دائماً و كذلك قال فى قوله «الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ» انهم الذين يؤدون ما افترض اللَّه عليهم من الصلاة و الركوع و السجود. و أصل السيح الاستمرار بالذهاب فى الأرض كما يسيح الماء فالصائم مستمر على الطاعة فى ترك المشتهى من المآكل و المشارب و المنكح.

و قوله «الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ» معناه الذين يقيمون الصلاة التى فيها الركوع و السجود «الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ» معناه الذين يأمرون بما امر اللَّه به من الواجبات و المندوبات و ينهون عمّا نهى اللَّه عنه و زهد فيه من القبائح.

و انما عطف الناهون بالواو دون غيره من الصفات لأنه لا يكاد يذكر على الافراد بل يقال: الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فجاءت الصفة مصاحبة للأولى، فأما

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۸۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۰۸

قوله «وَ الْحافِظُونَ» فلأنه جاء و هو أقرب الى المعطوف، و معنى «الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ» انهم يحفظون ما أمر اللَّه به و نهى عنه فلا يتجاوزونه الى غيره. و قوله:

«وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» امر للنبى صلى الله عليه و آله ان يبشر المؤمنين المصدقين باللَّه المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل و المنزلة الرفيعة و خاصة إذا جمعوا هذه الأوصاف على كمالها و تمامها دون غيرهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۳] ..... ص : ۳۰۸

ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (۱۱۳)

أخبر اللَّه تعالى أنه لم يكن «لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا» و معناه أن يطلبوا المغفرة «لِلْمُشْرِكِينَ» الذين يعبدون مع اللَّه إلهاً آخر و الذين لا يوحدونه و لا يقرّون بإلهيّته «و ان كان» الذى يطلب لهم المغفرة أقرب الناس اليهم بعد أن يعلموا أنهم كفار مستحقون للخلود فى النار. و القربى معناه القرب فى النسب بالرجوع الى أب أو أم باضافة قريبة. و معنى قوله «وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى أى القرابة و إن دعت الى الحنو و الرقة، فانه لا يلتفت الى دعائها فى الخصلة التى نهى اللَّه عنها.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۴] ..... ص : ۳۰۸

وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (۱۱۴)

لما ذكر اللَّه تعالى أنه ليس للنبى و الذين آمنوا أن يطلبوا المغفرة للمشركين التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۰۹

بين الوجه فى استغفار ابراهيم لأبيه مع أنه كان كافراً سواء كان أباه الذى ولده او جده لأمه أو عمه على ما يقوله أصحابنا. و هو أن قال: وجه حسن ذلك أنه كان تقدم ذلك موعدة، فلأجلها وجب عليه الوفاء به.

و قيل فى معنى الموعدة التى كانت عليه فى حسن الاستغفار قولان:

أحدهما- ان الموعدة كانت من أبى إبراهيم لإبراهيم أنه يؤمن إن استغفر له فاستغفر له لذلك و طلب له الغفران بشرط أن يؤمن «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ» بعد ذلك «أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ».

و الثانى- أن الوعد كان من ابراهيم بالاستغفار ما دام يطمع فى الايمان كما قال «إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ ما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» «۱» فاستغفر له على ما يصح و يجوز من شرائط الحكمة «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ» و آيس من إيمانه «تَبَرَّأَ مِنْهُ». و الذى عندى و هو الأقوى أن أباه أظهر له الايمان و صار اليه، و كان وعده أن يستغفر له إن آمن فلما أظهر الايمان استغفر له، فأعلمه اللَّه ان ما ظهر منه بخلاف ما يبطنه «فتبرأ منه» و يقوى ذلك قوله «وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كانَ مِنَ الضَّالِّينَ» «۲» اى فيما مضى، و يجوز أن يكون أظهر الكفر بعد ذلك فلما تبين ذلك تبرأ منه. فأما من قال: إن الوعد كان من ابراهيم فالسؤال باق لأن لقائل أن يقول و لم وعد كافراً أن يستغفر له؟ فان قلنا: وعده بأن يستغفر له إن آمن كان الرجوع الى الجواب الآخر.

و العداوة هى الابعاد من النصرة الى أعداد العقوبة. و الولاية التقريب من النصرة من غير فاصلة بالحياة و الكرامة.

و قوله «إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» قيل فى معنى «أواه» ثمانية اقوال:

فقال ابن عباس فى معنى (اواه) تواب. و قال ابن مسعود: معناه دعاء. و قال الحسن و قتادة: معناه رحيم. و قال مجاهد: معناه موقن. و قال كعب: معناه إذا

---

(۱) سورة ۶۰ الممتحنة آية ۴

(۲) سورة ۲۶ الشعراء آية ۸۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۱۰

ذكر النار قال أوه. و قال الضحاك: معناه المؤمن الموقن بالخشية الرحيم. و قال آخرون: معناه فقيه. و قال ابو عبيدة: معناه المتوجع المتضرع الى اللَّه خوفاً و إشفاقاً. و أصل الأواه من التأوه و هو التوجع و التحزن تقول، تأوه تأوهاً و أوه تأويهاً، قال المثقب العبدى:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين «۱»

و العرب تقول: أوه من كذا بكسر الواو و تسكين الهاء قال الشاعر:

فأوه لذكراها إذا ما ذكرتها و من بعد أرض دونها و سماء «۲»

و العامة تقول: أوه يقال ايضاً أوه بسكون الواو و كسر الهاء و ينشد البيت المتقدم ذكره كذلك، و قال الجعدى:

صروح مروح يتبع الورق بعد ما يعرس شكوى آهة و تنمرا «۳»

و قال الراجز:

فأوه الداعى و ضوضاء أكلبه «۴» و لو جاء منه (فعل يفعل) لكان آه يؤوه أوهاً على وزن (قال يقول قولا) و الحليم هو الممهل على وجه حسن. و الحلم الامهال على ما تقتضيه الحكمة. و هى صفة مدح. و اللَّه حليم عن العصاة بإمهاله لهم مع قدرته على تعجيل عقوبتهم و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: إنما تبين عداوته لما مات على كفره. و قال ابو على الجبائى: لما آيس من فلاحه عند

تصميمه على بعد الوعد فى الايمان باللَّه الذى

---

(۱) ديوانه: ۲۹ و مجاز القرآن ۱/ ۲۷۰ و اللسان (أوه) و تفسير الطبرى ۱۴/ ۵۳۵ يصف ناقته بأنها تحن الى الديار.

(۲) اللسان (أوه) و الطبرى ۱۴/ ۵۳۵

(۳) ديوانه: ۳۳، ۵۲ و جمرة أشعار العرب: ۱۴۶ و الطبرى ۱۴/ ۵۳۴ و يروى (خنوف) و (ظروح) و (طروح) بدل (صروح).

(۴) تفسير الطبرى ۱۴/ ۵۳۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۱۱

كان وعد بإظهاره فى وقت بعينه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۵] ..... ص : ۳۱۱

وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱۱۵)

قال مجاهد: وجه اتصال هذه الاية بما قبلها هو أنه لما حرم اللَّه تعالى على المؤمنين الاستغفار للمشركين بين أنه لم يكن اللَّه ليؤاخذكم به إلا بعد ان يدلكم على تحريمه و أنه يجب عليكم أن تتقوه.

و قوله «لِيُضِلَّ قَوْماً» معناه- ها هنا- لم يكن اللَّه ليحكم بضلال من عدل عن طريق الحق على وجه الذم له إلا بعد أن ينصب له على ذلك الدليل، و الهدى هو الحكم بالاهتداء الى الحق على وجه الحمد له. و البيان و البرهان و الحجة و الدلالة بمعنى واحد، و فرق الرّمانى بين البيان و البرهان، فقال: البيان إظهار المعنى فى نفسه بمثل اظهار نقيضه. و البرهان اظهار صحته بما يستحيل فى نقيضه كالبيان عن معنى قدم الأجسام و معنى حدوثها، فالبرهان يشهد بصحة حدوثها و فساد قدمها. و قال مجاهد: معناه حتى يبين لهم ما يتقون من ترك الاستغفار للمشركين لأنهم كانوا يستغفرون لهم، فلما نهوا عنه انتهوا. و قوله «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» معناه انه يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالماً لنفسه. و قال الحسن: مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل فرض الصلاة و الزكاة و غيرهما من فرائض الدين، فقال المسلمون: يا رسول اللَّه إخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم؟ فقال اللَّه تعالى «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً» و هم مؤمنون و لم يبين لهم الفرائض.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۱۲

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۶] ..... ص : ۳۱۲

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (۱۱۶)

وجه اتصال هذه الاية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم و غير ملوكهم، لأنهم عبيد من له ملك السماوات و الأرض يأمر فيهم ما يشاء و يدبرهم على ما يشاء. فأخبر اللَّه ان «لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و معناه انه قادر على التصرف فيهما و ليس لأحد منعه منهما. و الملك اتساع المقدور لمن له السياسة و التدبير. و خزائن اللَّه لا تفنى و ملكه لا يبيد و لا يبلى، و كل ذلك يرجع الى مقدوراته فى جميع أجناس المعانى. و قوله «يُحْيِي وَ يُمِيتُ» معناه انه يحيى الجماد و يميت الحيوان. و الحياة معنى يوجب كون الحيوان حياً. و الحى المختص بصفة لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً. و الموت عند من أثبته معنى هو ما يضاد الحياة.

و من لا يثبته معنى، يقول: هو عبارة عن فساد بنية الحياة. و قوله «وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ» فالولى هو المقرب بالنصرة من غير فاصلة. و الإنسان ولى اللَّه، لأنه يقربه بالنصرة من غير فاصلة. و اللَّه وليه بهذا المعنى، و النصير و الاستنصار طلب النصرة و

الانتصار و الانتصاف بالنصرة

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۷] ..... ص : ۳۱۲

لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِی ساعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (۱۱۷)

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۱۳

قرأ حمزة و حفص «يزيغ» بالياء. الباقون بالتاء. قال أبو علی النحوی:

يجوز أن يكون فاعل (كاد) احد ثلاثة أشياء:

أحدها- ان يضمر فيه القصة أو الحديث و يكون (تزيغ) الخبر و جاز ذلک للزوم الخبر لها، فأشبه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر لها، و لا يجوز ذلک فی (عسى) لأن (عسى) يكون فاعله المفرد فی الأكثر و لا يلزمه الخبر، نحو قوله «وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ» «۱» فإذا كان فاعله المفرد فی كثير من الأمر لم يحتمل الضمير الذی احتمله (كاد) كما لم تحتمله سائر الأفعال التی تسند الى فاعلها مما لا يدخل على المبتدأ.

و ما يجیء فی الشعر من كاد أن يفعل، و عسى يفعل، فلا يعتد به، لأنه من ضرورة الشعر.

الثانی- من فاعل (كاد) أن يضمنه ذكراً مما تقدم، و لما كان النبی صلى الله عليه و آله و المهاجرون و الأنصار قبيلا واحداً و فريقاً جاز أن يضمر فی (كاد) ما يدل عليه ما تقدم ذكره من القبيل و الحزب و الفريق. و قال: منهم من حمله على المعنى كما قال «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» ثم قال «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» «۲» فكذلک فاعل (كاد).

و الثالث- من فاعل (كاد) أن يكون فاعلها (القلوب) كأنه من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ و إنما قدم (تزيغ) كما قدم خبر كان فی قولَهَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»

«۳» و جاز تقديمه و إن كان فيه ضمير من القلوب و لم يكن ذلک من الإضمار قبل الذكر، لأن النية به التأخير. و من قرأ بالياء يجوز ان يكون جعل فی (كاد) ضمير الحديث فإذا اشتغل (كاد) بهذا الضمير ارتفع القلوب

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۱۶

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۶۲، و سورة ۵ المائدة آية ۷۲

(۳) سورة ۳۰ الروم آية ۴۷.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۱۴

ب (تزيغ) فذكر و ان كان فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل. و من قرأ بالتاء جاز أن يكون ذهب الى أن القلوب مرتفعة ب (كاد) فلا يكون يرفع فعلا مقدماً فإذا لم يكن مقدماً قبح التذكير لتقدم ذكر الفاعل كما قبح فی قول الشاعر:

و لا أرض أبقل إبقالها «۱»

و لم يصح أبقل أرض، و يجوز أن يكون الفعل المسند على القصة و الحديث يؤنث إذا كان فی الجملة التی تفسيرها مؤنث كقوله «فَإِذا هِیَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» «۲» و يجوز إلحاق التاء فی «كاد» من وجه آخر، و هو أن يرفع «تزيغ قلوب» ب «كاد» فتلحقه علامة التأنيث من حيث كان مسنداً الى مؤنث كقوله «قالَتِ الْأَعْرابُ» «۳» فعلى هذا يكون فی «تزيغ» ضمير القلوب، لأن النية فی «تزيغ» التأخير.

اقسم اللَّه تعالى فی هذه الاية- لأن لام «لقد» لام القسم- بأنه تعالى تاب على النبی و المهاجرين و الأنصار بمعنى أنه رجع اليهم، و قبل

توبتهم «الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ» يعنى فى الخروج معه الى تبوك. و «العسرة» صعوبة الأمر و كان ذلك فى غزوة تبوك لأنه لحقهم فيها مشقة شديدة من قلة الماء حتى نحروا الإبل و عصروا كروشها و مصوا النوى، و قل زادهم و ظهرهم- فى قول مجاهد و جابر و قتادة- و روى عن عمر أنه قال: أصابنا عطش شديد فأمطر اللَّه السماء بدعاء النبى صلى الله عليه و آله فعشنا بذلك «مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ» و الزيغ ميل القلب عن الحق، و منه قوله «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «۴» و منه قوله «لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا» «۵» و

كان أبو خيثمة عبد اللَّه بن خيثمة تخلف الى ان مضى من مسير رسول اللَّه عشرة أيام ثم دخل يوماً على امرأتين له- فى يوم حار- عريشين

(۱) مر تخريجه فى ۱/ ۱۲۶

(۲) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۹۷

(۳) سورة ۴۹ الحجرات آية ۱۴ [.....]

(۴) سورة ۶۱ الصف آية ۵

(۵) سورة ۳ آل عمران آية ۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۱۵

لهما قدر شتاهما و بردتا الماء و هيأتا له الطعام، فقام على العريشين فقال: سبحان اللَّه رسول اللَّه قد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فى الضح و الريح و الحر و القر يحمل سلاحه على عاتقه و أبو خيثمة فى ظلال باردة و طعام مهيأ و امرأتين حسناوين ما هذا بالنصف، ثم قال. و اللَّه لا أكلم واحدة منكما كلمة و لا ادخل عريشاً حتى الحق بالنبى صلى الله عليه و آله فأناخ ناضحه و اشتد عليه و تزود و ارتحل و امرأتاه تكلمانه و لا يكلمهما ثم سار حتى إذا دنا من تبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق فقال النبى صلى الله عليه و آله كن أبا خيثمة، فلما دنا قال الناس: هذا أبو خيثمة يا رسول اللَّه فأناخ راحلته و سلم على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال له النبى صلى الله عليه و آله أولى لك. فحدثه الحديث، فقال له خيراً، و دعا له، فهو الذى زاغ قلبه للمقام. ثم ثبته اللَّه.

و قيل: إن من شدة ما لحقهم همّ كثير منهم بالرجوع فتاب اللَّه عليهم، و قيل من بعد ما كان شك جماعة منهم فى دينه ثم تابوا فتاب اللَّه عليهم. و قوله «ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ» أى رجع عليهم بقبول توبتهم «إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» إخبار منه تعالى أنه بهم رؤوف، فالرأفة أعظم الرحمة، قال كعب بن مالك الانصارى:

نطيع نبينا و نطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤوفا «۱»

و قال آخر:

ترى للمسلمين عليك حقاً كمثل الوالد الرؤوف الرحيم «۲»

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۸] ..... ص : ۳۱۵

وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَ ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (۱۱۸)

(۱) مر تخريجه فى ۲/ ۱۲ و هو مجاز القرآن ۱/ ۲۷۰

(۲) اللسان «رأف» نسبه الى جرير و روايته «يرى للمسلمين عليه» و «كفعل» بدل «كمثل» و مجاز القرآن ۱/ ۲۷۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۱۶

تقدير الكلام و تاب اللَّه على الثلاثة الذين خلفوا. و قيل نزلت هذه الاية بسبب الثلاثة الذين تخلفوا عن غزاة تبوك و لم يخرجوا مع النبى صلى الله عليه و آله لا عن نفاق، لكن عن توان، ثم ندموا، فلما ورد النبى صلى الله عليه و آله جاءوا اعتذروا، فلم يكلمهم النبى صلى الله عليه و آله و تقدم الى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان و أهاليهم و جاءت نساؤهم الى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تعتزلهم، فقال: لا و لكن لا يقربونكن فضاقت عليهم المدينة، فخرجوا الى رؤس الجبال، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام و يتركونه لهم و لا يكلمونهم، فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس و لا يكلمنا أحد، فهلا نتهاجر نحن ايضاً، فتفرقوا و لم يجتمع منهم اثنان، و ثبتوا على ذلك نيفاً و أربعين يوماً. و قيل سنة يضرعون الى اللَّه تعالى و يتوبون اليه، فقبل اللَّه تعالى حينئذ توبتهم، و انزل فيهم هذه الاية و الثلاثة هم كعب بن مالك و هلال بن امية و فزارة بن ربيعة، و كلهم من الأنصار- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و جابر- و التخليف تأخير الشي‌ء عمن مضى، فأما تأخير الشي‌ء عنك فى المكان، فليس بتخليف، و هو من الخلف الذى هو مقابل لجهة الوجه. و قال مجاهد: خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبته من المنافقين، كما قال تعالى فيما مضى «وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» «۱» و قال قتادة «خلفوا» عن غزوة تبوك كما تخلفوا هم. و به قال الحسن. و فى قراءة اهل البيت عليهم السلام «خالفوا» قالوا لأنهم لو خلفوا لما توجه عليهم العتب.

و قوله «حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ» فالضيق ضد السعة و منه ضيق الصدر، خلاف اتساعه بالهم الذى يحدث فيه فيشغله عن غيره، و ليس كذلك

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۱۰۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۱۷

السرور لأنه لا يشغل عن ادراك الأمور. و معنى «بما رحبت» اى بما اتسعت تقول:

رحبت رحباً، و منه مرحباً و أهلا اى رحبت بلادك و اهلت، و ضيق أنفسهم هاهنا بمعنى ضيق صدورهم، بالهم الذى حصل فيها. و قوله «وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ» معناه و علموا انه لا يعصمهم منه موضع إذا اعتصموا به و التجئوا اليه كأنه قال: لا معتصم من اللَّه إلا به، لجأ يلجأ لجاء و ألجأه الى كذا إلجاء إذا صيره اليه بالمنع من خلافه. و التجأ اليه التجاء و تلاجئوا تلاجؤاً. و قوله «ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا» قيل فى معناه ثلاثة اقوال: أحدها- لطف لهم فى التوبة، كما يقال فى الدعاء: تاب اللَّه عليه. الثاني- قبل توبتهم ليتمسكوا بها فى المستقبل.

الثالث- قبل توبتهم ليرجعوا الى حال الرضا عنهم. و قال الحسن: جعل لهم التوبة ليتوبوا بها، و المخرج ليخرجوا به. و قوله «إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» اخبار منه تعالى بأنه يقبل توبة عباده كثيراً و يغفر ذنوبهم إذا رجعوا اليه لرحمته عليهم و رأفته بهم. و كان أبو عمرو يحكى عن عكرمة بن خالد «وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا» بفتح الخاء و التخفيف و كان لا يأخذ بها. فان قيل: ما معنى التوبة عليهم و اللائمة لهم و هم قد خلفوا فهلا عذروا؟

قيل: ليس المعنى انهم أمروا بالتخلف او رضى منهم به بل كقولك لصاحبك:

أين خلفت فلاناً؟ فيقول: بموضع كذا ليس يريد انه أمره بالتخلف هناك بل لعله ان يكون نهاه و انما يريد انه تخلف هناك.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۹] ..... ص : ۳۱۷

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (۱۱۹)

هذا امر من اللَّه تعالى للمؤمنين المصدقين باللَّه و المقرين بنبوة نبيه بأن يتقوا معاصى اللَّه و يجتنبوها و أن يكونوا مع الصادقين الذين

يصدقون فى اخبارهم و لا يكذبون، قال ابن مسعود: لا يصلح من الكذب جد و لا هزل، و لا ان يعد التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۱۸

أحدكم ولده شيئاً ثم لا ينجزه ثم قرأ «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ...» الآية و قال: هل ترون فى هذه رخصة؟ و قال نافع و الضحاك: أمروا بأن يكونوا مع النبيين و الصديقين فى الجنة بالعمل الصالح. و قيل: إن المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم اللَّه فى قوله «رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ» و هم حمزة و جعفر «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» «۱» يعنى علياً عليه السلام فأمر اللَّه تعالى بالاقتداء بهم و الاهتداء بهديهم، و هم الذين وصفوا فى قوله «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ...» الآية الى قوله «أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا» «۲» فأمر بالاقتداء بهؤلاء.

و قال بعضهم: ان (مع) بمعنى (من) و كأنه أمر بأن يكونوا فى جملة الصادقين و فى قراءة ابن مسعود «و كونوا من الصادقين». و قيل: أراد كونوا مع كعب بن مالك و أصحابه الذين صدقوا فى أقوالهم و لم يكذبوا فى الاعتذار.

و الصادق هو القائل بالحق العامل به، لأنها صفة مدح لا تطلق الا على من يستحق المدح على صدقه. فأما من فسق بارتكاب الكبائر فلا يطلق عليه اسم صادق و لذلك مدح اللَّه الصديقين و جعلهم تالين للنبيين فى قوله «فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ» «۳».

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۰] ..... ص : ۳۱۸

ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ وَ لا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (۱۲۰)

---

(۱) سورة ۳۳ الأحزاب آية ۲۳

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۱۷۷

(۳) سورة ۴ النساء آية ۶۸

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۱۹

لما قص اللَّه تعالى قصة الذين تأخروا عن النبى صلى الله عليه و آله و الخروج معه الى تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك و توبتهم منه و أنه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرأفته بهم و رحمته عليهم، ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم و الإزراء على ما كانوا فعلوه فقال: لم يكن لأهل المدينة و لا من يسكن حول المدينة من الاعراب و البوادى «أَنْ يَتَخَلَّفُوا» بمعنى ان يتأخروا عن رسول اللَّه «وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ» و معناه و لا أن يطلبوا نفع نفوسهم، لأن الرغبة طلب المنفعة و نقيضها الرهبة. و يقال رغب فيه إذا طلب المنفعة به و رغب عنه طلب المنفعة بتركه، و الترغيب ضد الترهيب و معنى «يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ» اى يطلبون المنفعة بترفيه أنفسهم دون نفسه و هذه فريضة الزمهم اللَّه إياها، لحقه فيما دعاهم من الهدى الذى اهتدوا به و خرجوا من ظلمة الكفر الى نور الايمان.

و قوله «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ» اشارة الى ما الزمهم اللَّه إياه من تحمل هذه المشقة لأنهم لا يصيبهم ظمأ و هو شدة العطش تقول: ظمئ يظمأ ظمأ و هو ظمىء و ظمآن و أظمأه اللَّه إظماء. و منه قيل: أنا ظمآن الى رؤية فلان و معنى «وَ لا نَصَبٌ» اى تعب تقول: نصب ينصب نصباً فهو نصب. و مثله الوصب قال النابغة:

كلينى لهم يا أميمة ناصب و ليل اقاسيه بطىء الكواكب «۱»

و قوله «و لا مخمصـة» يعنى مجاعـة و أصـله ضـمور البطن للمجاعـة و منه رجل خميص البطن و امرأة خمصانة. و قوله «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى من قتال أعدائه المشركين. و قوله «وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ» اى لا يخطون خطوة إلا كتب لهم أجرها، و الموطئ الأرض، و الغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يشق. و الغضب

---

(۱) اللسان (نصب) و الأغانى ۱۱/ ۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۲۰

هو ما يـدعو الى الانتقام على ما سـلف من المعصـية مما هى متعلقة به، و هو مسـتحق بها و لذلك جاز ان يطلق الغضب على اللَّه و لم يجز اطلاق الغيض عليه.

و قوله «وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ» و النيل لحوق الشـيء تقول: نلته اناله نيلا إذا نلته بيـدك و هو منيل، و ليس من التناول لأن هذا من الواو تقول: نلته بخير انوله نولا و نوالا و انالنى خيراً انالة.

و المعنى ان هؤلاء المؤمنين لا يصـيبون من المشـركين امراً، من قتل او جراح أو مال، او امر يغمهم و يغيظهم الا و يكتب اللَّه للمؤمنين «به عملا صالح إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» اخبار منه تعالى انه لا يضيع اجر من فعل الأفعال الحسنة التى يستحق بها المدح و قد يكون فاعل الحسن لا يستحق المدح مثل فاعل المباح.

و قـال قتـادة: حكم هـذه الآيـة مختص بـالنبى فـانه إذا غزا النبى صـلى الله عليه و آله لم يكن لأحـد ان يتخلف عنه، فاما من بعـده من الخلفاء فان ذلك جائز، و قال الاوزاعى و عبـد اللَّه بن المبارك و الفرازى و السبيعى و أبو جابر و سـعيد بن عبـد العزيز: ان هـذه الاية لأول الأمـة و آخرها من المجاهـدين فى سبيل اللَّه. و قال ابن زيـد: هـذا حين كان المسـلمون قليلين، فلما كثروا نسـخ بقوله «وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ» و هذا هو الأقوى لأنه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل احد النفر لصار من فروض الأعيان.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۱] ..... ص : ۳۲۰

وَ لا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً وَ لا يَقْطَعُونَ وادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۲۱)

هـذه الايـة عطف على ما تقـدم ذكره فى الايـة الاولى من قوله «وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا ... وَ لا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً» التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۲۱

اى لا ينفق هؤلاء المؤمنون فى سبيل اللَّه و جهاد أعـدائه نفقـة صـغيرة و لا كبيرة يريدون بها إعزاز دين اللَّه و نفع المسـلمين و التقرب الى اللَّه بهـا، لأـن الإنفـاق متى كـان للشـهوة أو ليـذكر بالجود كان ذلك مباحاً. و ان كان للرياء و السـمعة و للمعاونـة على فساد كان معصية. و الصغير ما نقص ثوابه عن ثواب ما هو اكبر منه، و الكبير ما زاد ثوابه على ثواب ما هو دونه. و قوله «وَ لا يَقْطَعُونَ وادِياً» معناه و لا يتجاوزون و ادياً.

و قوله «إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ» ثواب ذلك لهم «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» معناه انه يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها أحسن مما فعلوه.

و قال الرمانى: ذلك يـدل على انه يكون حسن أحسن من حسن، قال: لان لفظـة أفعل تقتضـى التفاضل فيما شاركه فى الحسن. و هذا ليس بشـيء لأن المعنى ان اللَّه تعالى يجزيهم أحسن ما كانوا يعملون يعنى ما له مـدخل فى اسـتحقاق المدح و الثواب من الواجبات و المندوبات دون المباحات التى لا مدخل لها فى ذلك و ان كانت حسنة.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۲] ..... ص : ۳۲۱

وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (۱۲۲)

قوله «فَلَوْ لاـ نَفَرَ» معناه هلا نفر، و هى للتحضيض إذا دخلت على الفعل، فإذا دخلت على الاسم فهى بمعنى امتناع الشيء لأجل وجود غيره. و قيل فى معناه ثلاثة اقوال: أحدها- قال الحسن: حث اللَّه تعالى الطائفة النافرة على التفقه لترجع الى المتخلفة فتحذرها. و قال قتادة: ان المعنى انه لم يكن لهم ان ينفروا بأجمعهم فى السرايا و يتركوا النبى صلى الله عليه و آله بالمدينة وحده، و لكن تبقى بقية لتتفقه البقية ثم تنذر التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۲۲

النافرة، و به قال الضحاك و ابن عباس، و قال ابو على الجبائى: تنفر الطائفة من كل ناحية الى النبى صلى الله عليه و آله لتسمع كلامه و تنفقه عنه، ثم يبينوا ذلك لقومهم إذا رجعوا اليهم. و قال مجاهد: نزلت الآية فى قوم خرجوا الى البادية ليفقهوهم و لينالوا منهم خيراً، فلما عاتب اللَّه من تأخر عن النبى عند خروجه الى تبوك و ذم آخرين خافوا ان يكونوا منهم فنفروا بأجمعهم، فقال اللَّه: هلا نفر بعضهم ليفقه عن النبى صلى الله عليه و آله ما يجب عليهم و ما لا يجب و يرجعون فيخبرون أصحابهم بذلك ليحذروا.

و النفور عن الشيء هو الذهاب عنه لتكره النفس له، و النفور اليه الذهاب اليه لتكره النفس لغيره. و التفقه تعلم الفقه. و الفقه فهم موجبات المعنى المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها، و صار بالعرف مختصاً بمعرفة الحلال و الحرام، و ما طريقه الشرع. و قوله «لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» معناه لكى يحذروا، لأن الشك لا يجوز على اللَّه. و الحذر تجنب الشيء لما فيه من المضرة يقال: حذر حذراً و حذّرته تحذيراً و حاذره محاذرة و تحذر تحذراً.

و استدل جماعة بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد بأن قالوا:

حث اللَّه تعالى الطائفة على النفور و التفقه حتى إذا رجعوا الى غيرهم لينذروهم ليحذروا، فلو لا انه يجب عليهم القبول منهم لما وجب عليهم الانذار و التخويف.

و الطائفة تقع على جماعة لا يقع بخبرهم العلم بل تقع على واحد. لأن المفسرين قالوا فى قوله «وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أنه يكفى أن يحضر واحد.

و هذا الذى ذكروه ليس بصحيح، لأن الذى يقتضيه ظاهر الاية وجوب النفور على الطائفة من كل فرقة، و وجوب التفقه و الانذار إذا رجعوا، و يحتمل ان يكون المراد بالطائفة الجماعة التى يوجب خبرهم العلم، و لو سلمنا انه يتناول الواحد او جماعة قليلة، فلم إذا وجب عليهم الانذار وجب على من يسمع القبول؟ و اللَّه تعالى إنما أوجب على المنذرين الحذر، و الحذر ليس من القبول فى شيء بل الحذر يقتضى وجوب البحث عن ذلك حتى يعرف صحته من فساده بالرجوع الى الأدلة، ألا ترى التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۲۳

ان المنذر إذا ورد على المكلف و خوفه من ترك النظر فانه يجب عليه النظر و لا يجب عليه القبول منه قبل ان يعلم صحته من فساده، و كذلك إذا ادعى مدع النبوة و ان معه شرعاً وجب عليه ان ينظر فى معجزه و لا يجب عليه القبول منه و تصديقه قبل ان يعلم صحة نبوته. فكذلك لا يمتنع ان يجب على الطائفة الانذار و يجب على المنذرين البحث و التفتيش حتى يعلموا صحة ما قالوه فيعلموا به، و قد استوفينا الكلام فى ذلك فى كتاب اصول الفقه لا نطول بذكره ها هنا.

و قيل: ان اعراب اسد قدموا على النبى صلى الله عليه و آله المدينة فغلت الأسعار و ملئوا الطرق بالعذرة فانزل اللَّه تعالى الآية يقول: فهلاـ جاء منهم طوائف ثم رجعوا الى قومهم فأخبروهم بما تعلموا. و روى الواقدى ان قوماً من خيار المسلمين خرجوا الى البدو يفقهون قومهم فاحتج المنافقون فى تأخرهم عن تبوك بأولئك فنزلت «وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً» قال: و فيهم نزلت «وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ» «۱» يعنى ان احتجوا بتأخر هؤلاء فى البادية فإنهم مستجيبون مؤمنون، فكيف يكون لهم بهم اسوة او حجة فى تأخرهم و هم منافقون مدهنون. و

قال ابو جعفر عليه السلام كان هذا حين كثر الناس فأمرهم اللّه ان ينفر منهم طائفة و تقيم طائفة للتفقه و ان يكون الغزو نوباً.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۳] ..... ص : ۳۲۳

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (۱۲۳)

روى المفضل عن عاصم (غلظة) بفتح الغين. الباقون بكسرها، قال ابو الحسن قراءة الناس بالكسر، و هى العربية، قال و به أقرأ و لا أعلم الفتح لغة. و قال غيره:

---

(۱) سورة ۴۲ الشورى آية ۱۶

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۲۴

هى لغة. و ذكر الزجاج أن فيه ثلاث لغات الفتح و الضم و الكسر، و الكسر أفصحها و الكسر لغة أهل الحجاز و الضم لغة تميم.

امر اللّه تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار الذين يلونهم يعنى الأقرب فالأقرب و ذلك يدل على أنه يجب على اهل كل ثغر أن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام إذا لم يكن هناك إمام عادل، و انما جاز من اللّه تعالى ان يأمر بالقتال ليدعوهم الى الحق، و لم يجز ان يمنعهم من الكفر، لأن المنع ينافى التكليف.

و من قاتل الأبعد من الكفار و ترك الأقرب فالأقرب فان كان بإذن الامام كان مصيباً و ان كان بغير أمره كان مخطئاً، و لو قال: قاتلوا الأقرب فالأقرب لصح لأنه يمكن ذلك. و لو قال: قاتلوا الأبعد فالأبعد لم يصح لأنه لا حدّ للأبعد يبتدأ منه كما للأقرب. و قوله «وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً» معناه و ليخشوا منكم بالغلظة، و الغلظة ضد اللين و خلاف الرقة، و هى الشدة فى إحلال النقمة، و مخرج الكلام على الأمر بالوجود، و إنما معناه يجدون ذلك، و يجوز ان يكون المراد و ليعلموا منكم الغلظة.

و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» امر من اللّه للمؤمنين ان يتيقنوا أن اللّه مع الذين يتقون معصيته، بالنصرة لهم، و من كان اللّه ناصره فى الحرب لم يغلبه احد. فأما إذا نصره بالحجة فى غير الحرب فانه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة و شدة التكليف.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۴] ..... ص : ۳۲۴

وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (۱۲۴)

(ما) فى قوله: «و إذا ما» يحتمل أمرين: أحدهما- ان تكون دخلت لتسليط (إذا) التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۲۵

على الجزاء. و الثانى- أن تكون صلة مؤكدة، و قوله «فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ» الضمير عائد على المنافقين فى قول الحسن و الزجاج، و التقدير فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض على وجه الإنكار «أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً» و قال الجبائى: يقول المنافقون لضعفة المؤمنين على وجه الاستهزاء. فأخبر اللّه تعالى انه متى نزلت سورة من القرآن قال المنافقون على وجه الاستهزاء و الإنكار «أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً» ثم قال تعالى «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً» المعنى ازدادوا عندها ايماناً. و انما أضافه الى السورة لأن عندها ازدادوا، فوجه زيادة الايمان انهم يصدقون بأنها من عند اللّه و يعترفون بذلك و يعتقدونه و ذلك زيادة اعتقاد على ما كانوا معتقدين له. و قوله «وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» جملة فى موضع الحال، و تقديره انهم يزدادون الايمان عندها مستبشرين بذلك فرحين بما لهم فى ذلك من السرور و الثواب. و الزيادة ضم الشىء الى جنسه لأنك لو ضممت حجراً الى ذهب لم تكن زدت، و لو ضممت ذهباً الى ذهب أو حجراً الى حجر لكنت زدته.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۵] ..... ص : ۳۲۵

وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ (۱۲۵)

لما بين اللَّه تعالى ان المؤمنين يزدادون الايمان عند نزول السورة بين ان الذين فى قلوبهم مرض يعنى شك و نفاق من الإسلام يزدادون عند ذلك رجساً الى رجسهم اى نفاقاً و كفراً الى كفرهم، لأنهم يشكون فى هذه السورة كما يشكون فى الذى تقدم، فكان ذلك هو الزيادة. و سمى الشك فى الدين مرضاً، لأنه فساد يحتاج الى علاج كالفساد فى البدن الذى يحتاج الى مداواة. و مرض القلب أعضل و علاجه أعسر و دواؤه أعز و اطباؤه أقل. و الرجس و النجس واحد، و سمى الكفر رجساً على وجه الذم، و أنه يجب تجنبه كما يجب تجنب الانجاس. و انما أضاف الزيادة الى التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۲۶

السورة لأنهم يزدادون عندها، و مثله كفى بالسلامة داء، كما قال الشاعر:

ارى بصرى قد رابنى بعد صحة و حسبك داء أن تصح و تسلما «۱»

و قوله «وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ» فيه بيان أن المرض فى القلب أدّاهم الى ان ماتوا على شر حال، لأنها تسوق الى النار نعوذ باللَّه منها، و انما قال «و ماتوا» على لفظ الماضى لأنه عطف على قوله «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ» و المعنى انهم يموتون و هم كافرون.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۶] ..... ص : ۳۲۶

أَ وَ لا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَ لا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (۱۲۶)

قرأ حمزة و يعقوب «أو لا ترون» بالتاء. الباقون بالياء.

قوله «أَ وَ لا يَرَوْنَ» تنبيه و تقريع لمن عنى بالخطاب.

فمن قرأ بالتاء فوجهه أن المؤمنين نبهوا على إعراض المنافقين عن النظر و التدبر لما ينبغى أن ينظروا فيه و يتدبروا، لأنهم يمتحنون بالأمراض و الأسباب التى لا يؤمن معها الموت، فلا يرتدعون عن كفرهم و لا ينزجرون عما هم عليه من النفاق، فلا يقدمون عليه إذا ماتوا فنبه فنبه المسلمين على قلة اعتبارهم و اتعاظهم.

و من قرأ بالياء وجّه التقريع- بالاعراض عما يجب أن لا يعرضوا عنه من التوبة و الاقلاع عما هم عليه من النفاق- الى المنافقين دون المسلمين، لان المسلمين قد عرفوا ذلك من أمرهم. و كان الاولى أن يلحق التنبيه من يراد تنبيهه و تقريعه بتركه ما ينبغى ان يأخذ به. و تحتمل الرؤية فى الآية على القراءتين أن تكون متعدية الى مفعولين. و أن تكون من رؤية العين أولى فإذا جعلت متعدية الى مفعولين

(۱) قائله حميد بن ثور الهلالى العقد الفريد ۲/ ۳۳۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۲۷

سدّ (أن) مسدّهما. و إن جعلت من رؤية العين كان أولى، لأنهم مبتلون فى الاعراض عنه على ترك الاعتبار به، و هذا أبلغ من المتعدية الى مفعولين ألا ترى أن تارك الاستدلال أعذر ممن يكابر المشاهدات. و لو قرئ بضم الياء و بنى الفعل للمفعول به كان (ان) فى موضع نصب بأنه مفعول الفعل الذى يتعدى الى مفعول، و فتحت الواو فى قوله «أولا» لأنها واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام، فهو متصل بذكر المنافقين و متصل بذكر آخرين ذكرهم بدليل العلامتين الواو و الألف.

و الفتنة المحنة بالقتل و السبى و نصر اللَّه لنبيه حتى يستعلى على كل من ناواه- فى قول الحسن و قتادة- و قال مجاهد: هى بالقحط و الجوع. و قال الجبائى: هى بالمرض الذى ينزل بهم. و قيل: تهتك استارهم بما يظهره اللَّه من سوء نياتهم و خبث سرائرهم، و قال الزجاج: معناه انهم يختبرون بالدعاء الى الجهاد، و هو قول الحسن و قتادة. و أجاز الرمانى أن تفعل التوبة خوفاً من العقاب، كما يجوز أن تفعل لقبح المعصية. قال: لأن كل واحد من الأمرين يدعو اليه الفعل، و من جحد أحد الأمرين كمن جحد الآخر. و الذى عليه

أكثر أهل العدل أنه لا يجوز أن تفعل التوبة الا لوجه قبح المعصية. و متى فعلت لخوف العقاب لم تكن مقبولة.

و قوله «ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَ لا هُمْ يَذَّكَّرُونَ» اخبار منه تعالى انه مع ما يمتحنهم فى كل سنة دفعة او دفعتين فإنهم لا يقلعون عن المعاصى و لا يتوبون منها و لا يتفكرون فيها. و التذكر طلب الذكر بالفكر فيه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۷] ..... ص : ۳۲۷

وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (۱۲۷)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۲۸

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه متى أنزل سورة من القرآن «نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ» نظراً يومئون به «هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ» و انما يفعلون ذلك، لأنهم منافقون يتحذرون أن يعلم بهم، فكأنهم يقول بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون. و يحتمل أن يكون انصرافهم عن العمل بشىء مما يستمعون.

فقال اللَّه تعالى «صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» يعنى عن رحمته عقوبة لهم «بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ» مواعظ اللَّه و لا أمره و نهيه. و إنما صرف قلوبهم عن السرور بالفائدة التى تحصل للمؤمنين بسماع الوحى، فيحرمون ما للمؤمنين من الاستبشار بتلك الحال. و الفقه فهم موجب المعنى المضمن به، و قد صار علماً على علم الفتيا فى الشريعة لان المعتمد على المعنى. و كان القوم عقلاء يفقهون الأشياء، و إنما نفى اللَّه عنهم ذلك لأنهم لم ينظروا فيه، و لم يعملوا بموجبه، فكأنهم لم يفقهوه، كما قال «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ» «۱» لما لم ينتفعوا بما سمعوه و رأوه.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۸] ..... ص : ۳۲۸

لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (۱۲۸)

أقسم اللَّه تعالى فى هذه الآية بأنه قد «جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» لان لام (لقد) هى اللام التى يتلقى بها القسم. و الخطاب متوجه الى جميع الخلق.

و معنى «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أى انكم ترجعون الى نفس واحدة كما قال «قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» «۲» و يحتمل ان يكون المراد به من العرب كما انكم كذلك.

و يكون- على هذا- الخطاب متوجها الى العرب خاصة، فأنتم تخبرونه قبل مبعثه. و قيل: إنه لم يبق بطن من العرب إلا و ولد النبى صلى الله عليه و آله و إنما ذكر ذلك لأنه أقرب الى الالفة، و أبعد من المحك و اللجاج، و اسرع الى فهم الحجة، فهو

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۸

(۲) سورة ۱۸ الكهف آية ۱۱۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۲۹

من أنفسكم فى اشرف نسبه منكم، و من أنفسكم فى القرب منكم، و من أنفسكم بالاختصاص بكم.

و قوله «عَزِيزٌ عَلَيْهِ» أى شديد عليه لأنه لا يقدر على إزالته، و العزيز فى صفات اللَّه معناه المنيع القادر الذى لا يتعذر عليه فعل ما يريده.

و العزة امتناع الشىء بما يتعذر معه ما يحاول منه، و هو على ثلاثة أوجه: امتناع الشىء بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة. و قوله «ما عَنِتُّمْ» يعنى ما يلحقكم من الأذى الذى يضيق الصدر به و لا يهتدى للخروج منه، و منه قيل: فلان يعنت فى السؤال، و منه قوله تعالى «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ» «۱» أى ضيق عليكم حتى لا تهتدوا للخروج منه، و العنت إلقاء الشدة و (ما) فى قوله «ما عنتم» بمعنى الذى، و هو فى

موضع رفع بالابتداء و خبره (عزيز) قدّم عليه. و قال الفراء: هو رفع ب (عزيز). و قوله «حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ» فالحرص شدة الطلب للشىء على الاجتهاد فيه. و المعنى: حريص عليكم ان تؤمنوا- فى قول الحسن- ثم استأنف فقال «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» أى رفيق بهم رحيم عليهم.

قوله تعالى:[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۹] ..... ص : ۳۲۹

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (۱۲۹)

معنى «فَإِنْ تَوَلَّوْا» إن ذهبوا عن الحق و اتباع الرسول و ما يأمرهم به و اعرضوا عن قوله. و نقيض التولى عنه التوجه اليه. و مثل التولى الاعراض. و قال الحسن:

المعنى فان تولوا عن طاعة اللَّه. و قيل «فَإِنْ تَوَلَّوْا» عنك، و معناه فان ذهبوا عنك هؤلاء الكفار، و لم يقروا بنبوتك «فقل» يا محمّد «حَسْبِيَ اللَّهُ» و معناه كفانى اللَّه و هو

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۲۰ [.....]

من الحساب لأنه تعالى يعطى بحسب الكفاية التى تغنى عن غيره، و يزيد من نعمه ما لا يبلغ الى حدّ و نهاية، إذ نعمه دائمة و مننه متظاهرة. و قوله «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» جملة فى موضع الحال، و تقديره حسبى اللَّه مستحقاً لاخلاص العبادة و الإقرار بأن لا إله إلا هو. و قوله «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» فالتوكل تفويض الامر الى اللَّه على الثقة بحسن تدبيره و كفايته، بإخلاص النية فى كل شىء يحذر منه، و منه قوله «حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» «۱» أى المتولى للقيام بمصالح عباده و فى هذه الصفة بلطف. و قوله «وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» قيل فى تخصيصه الذكر بأنه «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» ثلاثة أقوال: أحدها- انه لما ذكر الأعظم دخل فيه الأصغر. الثانى- أنه خص بالذكر تشريفاً له و تفخيماً لشأنه. الثالث- ليدل به على أنه ملك الملوك لأنه رب السرير الأعظم. و جرّ القراء كلهم «العظيم» على أنه صفة للعرش. و قال الزجاج: يجوز رفعه بجعله صفة لرب العرش.

قال أبى بن كعب و سعيد بن جبير و الحسن و قتادة: هذه آخر آية نزلت من القرآن و لم ينزل بعدها شىء.

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۷۳

۱۰- سورة يونس ..... ص : ۳۳۱

اشارة

[مكية و هى مائة و تسع آيات

[سورة يونس (۱۰): آية ۱] ..... ص : ۳۳۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (۱)

إنما لم تعدّ (الر) آية كما عدّ (الم) آية فى عدد الكوفيين لأن آخره لا يشاكل رؤس الآى التى بعده، إذ هى بمنزلة المردف بالياء. و (طه) عدّ، لأنه يشاكل رؤس الآى التى بعده. و قرأ (الر) بالتفخيم ابن كثير و نافع و أبو جعفر. و قرأ بالامالة أبو عمرو، و ابن عامر، و حمزة، و الكسائى. و اختلفوا عن عاصم: فروى هبيرة عن حفص بكسر الراء. الباقون عنه بالتفخيم. قال ابو على الفارسى: من ترك الامالة، فلأن كثيراً من العرب لا يميل ما يجوز فيه الامالة كما يمنعها المستعلى. و من أمال، فلأنها اسم لما يلفظ به من الأصوات، فجازت الامالة من حيث كانت اسماً و لم تكن كالحروف التى تمنع فيها الامالة. و قال الرمانى: انما جاز إمالة حروف الهجاء، لأن ألفه فى تقدير الانقلاب عن ياء.

و قد بينا فى أول سورة البقرة معنى هذه الحروف التى فى أول السور، و اختلاف المفسرين، و قلنا: إن أقوى الوجوه أنها اسماء السور، فلا وجه لإعادته.

و قوله «تلك» قال ابو عبيدة معناه هذه. و قال الزجاج: المعنى الآيات التى تقدم ذكرها، و هو قول الجبائى. و قال قوم: انما قال «تلك» لتقدم الذكر (الرفى) كقولك هند هى كريمة. و انما أضيفت الآيات الى الكتاب لأنها أبعاض التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۳۲ الكتاب، كما أن السورة أبعاضه، و كذلك محكمه و متشابهه و أسماؤه و صفاته و وعده و وعيده و أمره و نهيه و حلاله و حرامه و الآية العلامة التى تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة. و القرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم النافية للشبهات و انما وصف الكتاب بأنه حكيم، لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمة، و لأنه يؤدى الى المعرفة التى يميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة. و قال ابو عبيدة: حكيم هاهنا بمعنى محكم و أنشد لأبى ذؤيب:

يواعدنى عكاظ لننزلنه و لم يشعر إذن أنى خليف «۱»

أى مخلف من أخلفته الوعد. و يؤكد ذلك قوله «الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ» و الآيات العلامات. و الكتاب اسم من اسماء القرآن و قد بيناه فيما مضى. و حكى عن مجاهد أنه قال (تلك) اشارة الى التوراة الإنجيل و هذا بعيد لأنه لم يجر لهما ذكر.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۲] ..... ص : ۳۳۲

أَ كانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِينٌ (۲)

قرأ ابن كثير و عاصم و حمزة و الكسائى «لَساحِرٌ مُبِينٌ» بألف. الباقون بغير ألف. قال أبو على الفارسى: يدل على ساحر قوله «وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ» «۲» و يدل على «سحر» قوله «وَ لَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ قالُوا هذا سِحْرٌ وَ إِنَّا بِهِ كافِرُونَ» «۳» و القول فى الوجهين أنه قد تقدم قوله «أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ» فمن قال «ساحر» أراد به الرجل و من قال «سحر» أراد الذى أوحى «سحر»

---

(۱) ديوان الهذليين ۱/ ۹۹ و اللسان (خلف) و مجاز القرآن ۱/ ۲۷۳

(۲) سورة ۳۸ ص آية ۴

(۳) سورة ۴۳ الزخرف آية: ۳۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۳۳

أى الذى يقول أنه وحى «سحر» و ليس بوحى.

و معنى قوله «أ كانَ لِلنَّاسِ عَجَباً» أ كان ايحاؤنا القرآن الى رجل منهم عجباً؟

و إنذارهم عقاب اللَّه على معاصيه كأنهم لم يعلموا أن اللَّه قد أوحى من قبله الى مثله من البشر، فعجبوا من وحينا اليه الآن؟ فالألف ألف استفهام و المراد به الإنكار.

و قال ابن عباس و مجاهد و ابن جريح: عجبت العرب و قريش أن يبعث اللَّه منهم نبياً فأنزل اللَّه الآية. و قال الحسن: معناه ليس بعجب ما فعلنا في ذلك. و المعنى أ لم يبعث اللَّه رسولا- من أهل البادية و لا من الجن و لا من الانس. و العجب تغير النفس بما لا يعرف سببه مما خرج عن العادة الى ما يجوز كونه. و الانذار هو الاخبار على وجه التخويف، فمن حذّر من معاصي اللَّه فهو منذر. و هذه صفة النبي صلى الله عليه و آله.

و قوله «أَنْ أَوْحَيْنا» في موضع رفع و تقديره أ كان للناس عجباً و حينا و «أَنْ أَنْذِرِ» في موضع نصب، و تقديره و حينا بأن أنذر، فحذف الجار فصار موضعه نصباً، و «أن لهم» نصب بقوله «وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا» و لو قرئ بالكسر كان جائزاً لأن البشارة هي القول إلا أنه لم يقرأ به. و قوله «وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا» أمر للنبي صلى الله عليه و آله أن يبشر المؤمنين، و هو أن يعرّفهم ما فيه السرور بالخلود في نعيم الجنة على وجه الإكرام و الإجلال بالأعمال الصالحة. و قوله «أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ» معناه ان لهم سابقة إخلاص الطاعة كاخلاص الصدق من شائب الكذب. و قالوا:

له قدم في الإسلام، و الجاهلية. و هو كالقدم في سبيل اللَّه، قال حسان:

لنا القدم العليا اليك و خلفنا لأولنا في طاعة اللَّه تابع «۱»

و قال ذو الرمة:

لكم قدم لا ينكر الناس أنها مع الحسب العادي طمّت على البحر «۲»

و

قال أبو سعيد الخدري و أبو عبد اللَّه عليه السلام: معناه إن محمّداً صلى الله عليه و آله لهم شفيع يوم القيامة، و هو المروي عن أبي عبد اللَّه عليه السلام.

و قال مجاهد: معناه لهم

---

(۱) ديوانه ۲۵۴ و قد مرّ في ۵/ ۲۱

(۲) ديوانه ۱۹ و الطبري ۱۱/ ۵۳

قدم خير بأعمالهم الصالحة. و قال قتادة: معناه لهم سلف صدق. و قال الضحاك: لهم ثواب صدق. و قال ابن عباس: لهم ما قدموه من الطاعات.

و قوله «قالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِينٌ» حكاية عن الكفار أنهم يقولون إن النبي ساحر مظهر، أو ما أتى به سحر مبين على اختلاف القراءات. و السحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم أنه معجز. و العمل بالسحر كفر لادعاء المعجزة به، و لا- يمكن مع ذلك معرفة النبوة. و قال الزجاج: المراد ب (الناس) في الآية أهل مكة. و قيل إنهم قالوا: لم يجد اللَّه من يبعثه رسولا إلا يتيم أبي طالب؟!

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۳] ..... ص : ۳۳۴

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۳)

خاطب اللَّه تعالى بهذه الاية جميع الخلق و أخبرهم بأن اللَّه الذي يملك تدبيركم و تصريفكم بين أمره و نهيه و يجب عليكم عبادته «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» فاخترعهما و أنشأهما على ما فيهما من عجائب الصنعة و متقن الفعل. و إطلاق الربّ لا يقال إلا فيه تعالى، فاما غيره فانه يقيد له، فيقال: رب الدار، و رب الضيعة بمعنى أنه مالكها. و كذلك معنى قوله «رَبُّ الْعَرْشِ» و الربوبية ملك

التدبير الذى يستحق به العبادة. و قيل فى الوجه «الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ» بلا زيادة و لا نقصان مع قدرته على إنشائهما دفعة واحدة قولان:

أحدهما- أن فى إظهارهما كذلك مصلحة للملائكة و عبرة لهم.

و الثانى- لما فيه من الاعتبار إذا أخبر عنه بتصرف الحال كما صرّف اللّه التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۳۵

الإنسان من حال الى حال، لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه.

و قوله «ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ» معناه استولى عليه بإنشاء التدبير من جهته كما يستوى الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره، قال الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق «۱»

يعنى بشر بن مروان. و دخلت (ثم) لأن التدبير من جهة العرش بعد استوائه.

و قوله «یُدَبِّرُ الْأَمْرَ» فالتدبير تنزيل الأمور فى مراتبها على إحكام عواقبها، و هو مأخوذ من الدبور، فتجرى على أحكام الدابر فى البارى.

و قوله «ما مِنْ شَفِیعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» فالشفيع هو السائل فى غيره لإسقاط الضرر عنه. و عند قوم أنه متى سأله فى زيادة منفعة توصل اليه كان شفيعاً. و الذى اقتضى ذكره- هاهنا- صفات التعظيم مع اليأس من الاتكال فى دفع الحق على الشفيع. و المعنى- هاهنا- ان تدبيره للأشياء و صنعته لها ليس يكون منه بشفاعة شفيع و لا بتدبير مدبر لها سواه، و أنه لا يجسر أحد أن يشفع اليه إلا بعد ان يأذن له فيه، من حيث كان تعالى أعلم بموضع الحكمة و الصواب من خلقه بمصالحهم. و قوله «ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ أَ فَلا تَذَکَّرُونَ» معناه إنّ الموصوف بهذه الصفات هو ربكم و إلهكم فاعبدوه وحده، لأنه لا إله لكم سواه، و لا يستحق هذه الصفات غيره. و حثهم على التذكر و التفكر فى ذلك و على تعرّف صحة ما أخبرهم به و قيل: ان العرش المذكور- هاهنا- هو السموات و الأرض، لأنهن من بنائه. و العرش البناء. و منه قوله «يعرشون» «۲» أى يبنون. و أما العرش المعظم الذى تعبد اللّه الملائكة بالحفوف به و الإعظام له و عناه بقوله «الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ» «۳» فهو غير هذا. و انما ذكر الشفيع فى الآية و لم يجر له ذكر، لأن

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱/ ۱۲۵ و ۲/ ۳۹۶

(۲) سورة ۱۶ النحل آية ۶۸ و سورة ۷ الأعراف آية ۱۳۶

(۳) سورة ۴۰ المؤمن آية ۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۳۶

المخاطبين بذلك كانوا يقولون الأصنام شفعاؤهم عند اللّه. و ذكر بعدها «وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَضُرُّهُمْ وَ لا یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ» «۱» و إذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة؟! مع أنه لا يشفع عنده الا من ارتضاه اللّه.

و اختار البلخى أن يكون خلق السموات و الأرض فى ستة أيام إنما كان لان خلقه لهما دفعة واحدة لم يكن ممكناً كما لا يمكن الجمع بين الضدين، و لا يمكن الحركة إلا فى المتحرك. و هذا الذى ذكره غير صحيح، لأن خلق السموات و الأرض خلق الجواهر و اختراعها، و الجواهر لا تختص بوقت دون وقت، فلا حال إلا و يصح اختراعها فيه ما لم يكن فيما لم يزل. و انما يصح ما ذكره فى الاعراض التى لا يصح عليها البقاء او ما يستحيل جمعه للتضاد، فأما غيره فلا يصح ذلك فيه.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۴] ..... ص : ۳۳۶

إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ لِیَجْزِیَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ بِالْقِسْطِ وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِیمٍ وَ عَذابٌ أَلِیمٌ بِما کانُوا یَکْفُرُونَ (۴)

قرأ أبو جعفر «حقاً أنه» بفتح الهمزة. الباقون بكسرها. من فتح، فمعناه اليه مرجعكم، لأنه يبدأ. و من كسر استأنف. قال الفراء: من فتح جعله مفعول حقّاً كأنه قال حقاً أنه. قال الشاعر:

أ حقاً عباد اللّه ان لست زائراً بثينة او يلقى الثريا رقيبها «۲»

---

(۱) آية ۱۸ من هذه السورة

(۲) تفسير الطبرى ۱۱/ ۵۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۳۷

اخبر اللّه تعالى أن الذى خلق السموات و الأرض هو اللّه تعالى، و هو الذى يستحق العبادة لا غيره و ان اليه مرجع الخلق كلهم. و المرجع يحتمل معنيين:

أحدهما- أن يكون فى معنى الرجوع فيكون مصدراً.

و الاخر- موضع الرجوع فيكون ظرفاً، كأنه قال: اليه موضع رجوعكم يكوّنه إذا شاء. و معنى الرجوع اليه يحتمل أمرين: أحدهما- ان يعود الأمر الى ان لا يملك أحد التصرف فى ذلك الوقت غيره تعالى بخلاف الدنيا، لأنه تعالى قد ملك كثيراً من خلقه التصرف فى دار الدنيا و مكنهم من ذلك. و الثانى- ان يكون معناه انكم ترجعون اليه احياء بعد الموت أى الى موضع جزائه.

و قوله «وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا» نصب على المصدر و تقديره احقه حقاً او وعد اللّه وعداً حقاً، لأن فى قوله «مرجعكم» انه وعد بذلك الا انه لما لم يذكر الفعل أضيف المصدر الى الفاعل، كما قال كعب بن زهير:

يسعى الوشاة جنابيها و قيلهم انك يا ابن أبى سلمى لمقتول «۱»

اى و يقولون قيلهم. و قوله «إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» اخبار منه تعالى انه الذى أنشأ الخلق ابتداء، و هو الذى يعيدهم بعد موتهم النشأة الاخرى ليدل بذلك خلقه على أنه إذا كان قادراً على الابتداء فهو قادر على الاعادة.

و قوله «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» فيه بيان أنه انما يعيد الخلق ليعطيهم جزاء أعمالهم من طاعة و معصية، و العطاء إذا كان ابتداء لا يسمى جزاء.

و قوله «بِالْقِسْطِ» معناه بالعدل، لأنه لو زاد الجزاء او نقص لخرج عن العدل، و لكن يجزيهم وفق أعمالهم حتى لا يكون الجزاء على النبوة كالجزاء على الايمان بل كل طاعة يستحق الجزاء على قدرها.

و قوله «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ» معناه ان الذين يجحدون نعم اللّه و يكفرون بوحدانيته و يجحدون رسله «لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ» و هو الذى اسخن

---

(۱) ديوانه ۱۹ و مجاز القرآن ۱/ ۱۱۲، ۲۷۳ و قد مر فى ۱/ ۳۰۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۳۸

بالنار اشدّ اسخان. قال المرقش الأصغر:

و كل يوم لها مقطرة فيها كباء معدّ و حميم «۱»

الكباء العود الذى يتبخر به. و قوله «وَ عَذابٌ أَلِيمٌ» معناه مؤلم «بِما كانُوا يَكْفُرُونَ» اى جزاء على كفرهم.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۵] ..... ص : ۳۳۸

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ (۵)

روى ابن مجاهد عن قنبل، و المولى عن الربيبى (ضئاء) بهمزة بعد الضاد مكان الياء حيث وقع. الباقون بياء بعد الضاد و مدة بعدها. قال ابو على الفارسى:

لا يخلو «ضياء» من أن يكون جمع ضوء كسوط و سياط، و حوض و حياض، او مصدر (ضاء) يضوء ضياء مثل عاذ يعوذ عياذاً أو قام يقوم قياماً، و على أي الوجهين حملته فالمضاف محذوف، و المعنى جعل الشمس ذات ضياء، و القمر ذا نور، أو يكون جعل النور و الضياء لكثرة ذلك فيهما، فأما الهمزة فى موضع العين من «ضياء» فيكون على القلب كأنه قدم اللام التى هى همزة الى موضع العين و اخّر العين التى هى واو الى موضع اللام، فلما وقعت طرفاً بعد الف زائدة قلبت همزة، كما فعلوا ذلك فى (سقاء و علاء) و هذا إذا قدّر جمعاً كان أسوغ، كما قالوا قوس و قسى، فصححوا الواحد و قلبوا فى الجمع، و إذا قدّرته مصداً كان أبعد، لأن المصدر يجرى على فعله فى الصحة و الاعتلال، و القلب ضرب من الاعتلال فإذا لم يكن فى الفعل يمتنع أن يكون أيضاً فى المصدر ألا ترى انهم قالوا: لاذ لواذاً

(۱) لسان العرب «قطر»، «حمم» و مجاز القرآن ۱/ ۲۷۴

و باع بياعاً، فصححوها فى المصدر كصحتها فى الفعل، و قالوا: قام قياماً فأعلوه و نحوه، لاعتلاله فى الفعل. و قرأ ابن كثير و اهل البصرة و حفص (يفصل) بالياء.

الباقون بالنون. من قرأ بالياء فلأنه قد تقدم ذكر اللَّه تعالى فأضمر الاسم فى الفعل. و من قرأ بالنون فهذا المعنى يريد. و يقويه بقوله «تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها» و قد تقدم «أوحينا» فيكون نفصل محمولا على «أوحينا» و الياء أقوى، لأن الاسم الذى يعود اليه أقرب اليه من (أوحينا).

اخبر اللَّه تعالى ان الذى يرجع اليه الخلق هو اللَّه «الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً» و الجعل وجود ما به يكون الشىء على صفة لم يكن عليها، فتارة يكون باحداثه و أخرى باحداث غيره. و الشمس و القمر آيتان من آيات اللَّه تعالى لما فيهما من عظم النور، و مسيرهما بغير علاقة و لا دعامة، و فيهما أعظم الدلالة على وحدانية اللَّه تعالى. و النور شعاع فيه ما ينافى الظلام. و نور الشمس لما كان أعظم الأنوار سماه اللَّه ضياء، كما قيل للنار ناراً، لما فيها من الضياء، و لما كان نور القمر دون ذلك سماه نوراً، لأن نور الشمس و ضياءها يغلب عليه، و لذلك يقال أضاء النهار، و لا يقال أضاء الليل بل يقال أنار الليل، و ليلة منيرة. و يقولون: فى قلبه نور، و لا يقال فيه ضياء، لأن الضوء يقال لما يحس بكثرته. و قوله «وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ» انما وحد فى قوله «و قدره» و لم يقل و قدرهما، لأحد أمرين: أحدهما- أنه أراد به القمر، لأن بالقمر تحصى شهور الأهلة التى يعمل الناس عليها فى معاملتهم. و الاخر- ان معناه التثنية غير أنه وحده للإيجاز اكتفاء بالمعلوم، كقوله «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» «۱» و قال الشاعر:

رمانى بأمر كنت منه و والدى بريئاً و من جول الطوى رمانى «۲»

و قوله «ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ» معناه لم يخلق ما ذكره من السموات و الأرض و الشمس و القمر و قدرهما منازل إلا حقاً. و قوله «يُفَصِّلُ الْآياتِ» اى

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۶۳ [.....]

(۲) مر تخريجه فى ۱/ ۱۷۲، ۲۰۳

یمیز بعضـها من بعض «لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ» ذلک و یتبینونه. و قال قوم: معناه لقوم لهم عقول یتناولهم التکلیف و یصح منهم الاستدلال دون البهائم و من لا عقل له.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۶] ..... ص : ۳۴۰

إِنَّ فِی اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَّقُونَ (۶)

الاختلاف ذهاب کل واحـد من الشـیئین فی غیر جهـة الاخر، فاختلاف اللیل و النهار ذهاب أحدهما فی جهة الضـیاء و الآخر فی جهة الظلام. و اللیل عبارة عن وقت غروب الشمس الی طلوع الفجر الثانی، و هو جمع لیلة کتمرة و تمر. و النهار عبارة عن اتساع الضیاء من طلوع الفجر الثـانی الی غروب الشـمس. و النهـار و الیوم معناهما واحـد إلا أن فی النهار فائـدة اتساع الضـیاء. و قوله «وَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه ما قدر فیهما و فعله علی مقدار تقتضـیه الحکمة: من الحیوان و النبات و غیرهما من غیر نقصان و لا زیادة. و إن فی رفعه السـماء بلاـ عمـد، و تسـکینه الأـرض بلاـ سـند، مع عظمهـا الأعظم آیات لمن تفکر فی ذلک و تعقله، و یتقی مخالفته. و الخلق مأخوذ من خلقت الأدیم إذا قـدرته. و إنما خص ما خلق فی السـموات و الأرض بالـذکر للاشـعار بوجوه الدلالات إذ قد تکون الدلالـة فی الشـیء من جهـة الخلق، و قـد تکون من جهـة اختلاف الصورة و من جهـة حسن المنظر، و من جهـة کثرة النفع و من جهة عظم الأـمر، کالجبـل و البحر. و قوله «لَآیـاتٍ لِقَوْمٍ یَتَّقُونَ» معناه ان فی هـذه الأشـیاء التی ذکرها دلالات علی وحدانیـة اللَّه لقوم یتقون معاصیه و یخافون عقابه، و خص المتقین بالذکر لما کانوا هم المنتفعین بها دون غیرهم.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۳۴۱

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۷] ..... ص : ۳۴۱

إِنَّ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَیاةِ الدُّنْیا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِینَ هُمْ عَنْ آیاتِنا غافِلُونَ (۷)

معنی «إِنَّ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا» یحتمل أمرین:

أحدهما- لا یخافون عقابنا، کما قال الهذلی:

إذا لسعته النحل لم یرج لسعها و خالفها فی بیت نوب عواسل «۱»

و الثـانی- أن یکون معنـاه لاـ یطمعون فی ثوابنـا، کمـا یقـال تاب رجاء لثواب اللَّه و خوفاً من عقابه. و الملاقاة و إن کانت لا تجوز الا علی الأجسـام. فإنمـا أضافهـا الی نفسه، لاـن ملاقـاة مـا لاـ یقـدر علیه إلاـ اللَّه یحسن ان یجعـل لقـاء اللَّه تفخیماً لشأنه کما جعل إتیان ملاـئکته اتیانـاً للَّه فی قوله «هَـلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ یَأْتِیَهُمُ اللَّهُ فِی ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ» «۲» و کمـا قال «وَ جاءَ رَبُّکَ» «۳» و انما یریـد و جاء امر ربک.

و معنی قوله «وَ رَضُوا بِالْحَیـاةِ الـدُّنْیا» قنعوا بهـا دون غیرهـا من خیر الاـخرة و من کان علی هـذه الصـفة، فهو مـذموم لانقطاعه بها عن الواجب من أمر اللَّه. و قوله «وَ اطْمَـأَنُّوا بِهـا» معناه رکنوا الیها علی وجه التمکین فیه، فهؤلاء مکنوا الأحوال الـدنیا، فصاحبها یفرح لها و یغتم لها و یرضی لها و یسخط لها. و قوله «وَ الَّذِینَ هُمْ عَنْ آیاتِنا غافِلُونَ» معناه الذین یذهبون عن تأمل هذه الآیات و لا یعتبرون بها. و الغفلـة و السو نظـائر، و هو ذهـاب المعنی عن القلب بمـا یضاده و قـد تسـتعمل الغفلـة فی التعرض لها، و لـذلک یقولون: تغافل و لا یقولون مثله فی السهو.

---

(۱) اللسان (خلف) و مجاز القرآن ۱/ ۲۷۵ و قد مر فی ۲/ ۲۱۰ و ۳/ ۳۱۵

(۲) سورة ۲ البقرة آیة ۲۱۰

(۳) سورة ۸۹ الفجر آیة ۲۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۴۲

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۸] ..... ص : ۳۴۲

أُولئِکَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ (۸)

«أولئک» اشارة الی الذین تقدم ذکرهم فی الایة الأولی، و الکاف فی «أولئک» حرف الخطاب، مثل الکاف فی قولهم أنا ذاک، و لهذا لم یجز تأکیده و لا البدل منه، و لو کان اسماً لجاز: أولئک نفسک، و أولاء مبنی علی الکسر، و إنما بنی لتضمنه معنی الاشارة الی المعرفة لأن أصله أن یتعرف بعلامة، إذ لم یوضع للشیء بعینه، کما وضع زید و عمرو، و بنی علی الحرکة لالتقاء الساکنین، و بنی علی الکسر لأنها فی الأصل فی حرکة التقاء الساکنین إذا کثر ذلک فی الفعل لما یدرکه من الجزم فاستحق الکسر لأنه لما یدخله فی حال الاعراب و (هؤلاء) لما قرب و (أولئک) لما بعد، کما تقول فی (هذا) و (ذاک) لأن ما بعد یقتضی التعریف بالخطاب و ما قرب یکفی فیه التنبیه. اخبر اللَّه تعالی أن الذین تقدم وصفهم فی الایة الاولی مستقرهم النار جزاء بما کانوا یکسبون من المعاصی.

قوله تعالی: [سورة یونس (۱۰): آیة ۹] ..... ص : ۳۴۲

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ یَهْدِیهِمْ رَبُّهُمْ بِإِیمانِهِمْ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ (۹)

لما ذکر اللَّه تعالی الکفار و ما یستحقونه من المصیر الی النار فی الآیات الأول ذکر فی هذه «إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا» یعنی صدقوا باللَّه و رسوله، و اعترفوا بهما و أضافوا الی ذلک الاعمال الصالحات «یهدیهم» اللَّه تعالی جزاء بایمانهم الی الجنة «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ» یعنی البساتین التی تجری تحت أشجارها الأنهار التی فیها النعیم یعنی أنواع اللذات و المنافع یتنعمون فیها. و معنی «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۴۳
الْأَنْهارُ»

تجری بین أیدیهم، و هم یرونها من عل، کما قال تعالی «قَدْ جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ سَرِیًّا» «۱» و معلوم انه لم یجعل السری تحتها و هی قاعدة علیه، لان السری هو الجدول، و إنما أراد أنه جعل بین یدیها. و قال حاکیاً عن فرعون «أَ لَیْسَ لِی مُلْکُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِی مِنْ تَحْتِی» «۲» و قیل من تحت بساتینهم و أسرتهم و قصورهم- فی قول أبی علی. و معنی الهدی- هنا- الإرشاد الی طریق الجنة ثواباً علی أعمالهم الصالحة، ألا تری انه قال «یَهْدِیهِمْ رَبُّهُمْ بِإِیمانِهِمْ» یعنی جزاء علی إیمانهم، و ذلک لا یلیق إلا بما قلناه. و یحتمل أن یکون وصفهم بالهدایة علی وجه المدح جزاء علی إیمانهم باللَّه تعالی.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۱۰] ..... ص : ۳۴۳

دَعْواهُمْ فِیها سُبْحانَکَ اللَّهُمَّ وَ تَحِیَّتُهُمْ فِیها سَلامٌ وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ (۱۰)

معنی «دَعْواهُمْ فِیها» ان دعاء المؤمنین للَّه فی الجنة، و ذکرهم له فیها هو ان یقولوا «سُبْحانَکَ اللَّهُمَّ» و یقولون ذلک و لهم فیها لذة لا علی وجه العبادة، لأنه لیس هناک تکلیف. و قیل: إنه إذا مرّ بهم الطیر یشتهونه قالوا «سُبْحانَکَ اللَّهُمَّ» فیؤتون به، فإذا نالوا منه شهوتهم قالوا «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ» هذا قول ابن جریح. و قال الحسن: آخر کلام یجری لهم فی کل وقت «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ» لا أنه ینقطع. و الدعوی قول یدعی به الی أمر، و معنی «سُبْحانَکَ اللَّهُمَّ» ننزهک یا اللَّه من کل ما لا یلیق بک و لا یجوز من صفاتک من تشبیه أو فعل قبیح. و قیل

معناه براءة اللَّه من السوء فیما یروی عن النبی صلی الله علیه و آله

و قال الشاعر:

(۱) سورة ۱۹ مريم آية ۲۳

(۲) سورة ۴۳ الزخرف آية ۵۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۴۴

أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر «۱»

أى براءة منه. و التحية التكرمة بالحال الجليلة، و لذلك يسمون الملك التحية، قال عمرو بن معد يكرب:

ازور بها أبو قابوس حتى أنيخ على تحيته بجند «۲»

و قال زهير بن خباب الكلبى:

من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية «۳»

و هو مأخوذ من قولهم أحياك اللّه حياة طيبة. و المعنى تحية بعضهم لبعض سلام اى سلمت و امنت مما ابتلى به اهل النار. و (أن) فى الآية هى المخففة من الثقيلة و جاز ان لا تعمل لخروجها بالتخفيف عن شبه الفعل، كما قال الشاعر:

فى فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى و ينتعل «۴»

و الميم فى اللهم بمعنى (يا) كأنه قال يا اللّه، و لم يجعل فى موضع (يا) لئلا يكون كحروف النداء التى تجرى فى كل اسم.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۱] ..... ص : ۳۴۴

وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (۱۱)

قرا ابن عامر و يعقوب «لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» بفتح القاف. الباقون بضمها على ما لم يسم فاعله. قال ابو على الفارسى: اللام فى قوله «لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» جواب (لو) فى قوله «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ» و المعنى «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ» دعاء

(۱) مر هذا البيت فى ۱/ ۱۳۴ و ۳/ ۸۱ و ۵/ ۲۴۱

(۲، ۳) تفسير الطبرى ۱۱/ ۵۸

(۴) حاشية الصبان ۱/ ۲۹۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۴۵

«الشَّرَّ» اى ما يدعون به من الشر على أنفسهم فى حال ضجر و بطر «اسْتِعْجالَهُمْ» إياه بدعاء «الخير» فأضاف المصدر الى المفعول به و حذف الفاعل كقوله دعاء الخير، و حذف ضمير الفاعل، و التقدير «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ» استعجالا مثل «اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» قال ابو عبيدة: معناه الفراغ من أجلهم و مدتهم المضروبة للحياة، فهلكوا، و هو قريب من قوله «وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا» «۱». و قيل للميت مقضى كأنه قضى إذا مات و قضى فعل، التقدير استوفى أجله، قال ذو الرمة:

إذا الشخص فيها هزه الآل أغمضت عليه كاغماض المقضى هجولها «۲»

و المعنى أغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذى فيها، فلم ير لقربه كاغماض المقضى، و هو الميت. فأما قوله «لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ» و بما يتعلق هذا الجار، فانه لما كان معنى قضى معنى (فرغ) و كان قولك (فرغ) قد يتعدى بهذا الحرف و فى التنزيل «سَنَفْرُغُ لَكُمْ» «۳» فانه يمكن أن يكون الفعل يتعدى باللام كما يتعدى ب (الى) كما ان اوحى فى قوله «وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ» قد تعدى ب (الى) و فى قوله «بِأَنَّ

رَبَّکَ أَوْحی لَها» «۴» تعدّی باللام، فلما کان معنی قضی فرغ، و فرغ تعلق بها (الی) کذلک تعلق بقضی. و وجه قراءة ابن عامر و اسناده الفعل الی الفاعل، لأن الذکر قد تقدم فی قوله «وَ لَوْ یُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ» فقال (لقضی) اللَّه- علی هذا- و قوی ذلک بقوله «ثُمَّ قَضی أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ» «۵» فقوله «قَضی أَجَلًا» اضافه الی الفاعل فکذلک فی هذه الآیة. و قوله «وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ» یعنی أجل البعث بدلالة قوله «ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ» «۶» أی تشکون فی البعث.

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آیة ۱۱

(۲) اللسان «غمض» الآل ما أشرف من البعیر و معنی البیت أن الإبل مسرعة.

(۳) سورة ۵۵ الرحمن آیة ۳۱

(۴) سورة ۹۹ الزلزال آیة ۵

(۵، ۶) سورة ۶ الانعام آیة ۲ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۳۴۶

و من ضم القاف و بنی الفعل للمفعول، فلأنه فی المعنی مثل قول من بنی الفعل للفاعل.

أخبر اللَّه تعالی فی هذه الایة انه لو عجل للخلق الشر، و التعجیل تقدیم الشیء قبل حینه. و قد یکون تقدیم الشیء فی المکان، فلا یکون تعجیلا. و الفرق بین التعجیل و الاسراع ان التعجیل بالشیء عمله قبل وقته الذی هو أولی به. و الاسراع عمله فی وقته الذی هو أحق به، و ضده الإبطاء. و الشر ظهور ما فیه الضرر. و أصله الاظهار من قولهم: شررت الثوب إذا أظهرته الشمس، و منه شرر النار لظهوره و انتشاره. و قوله «لَقُضِیَ إِلَیْهِمْ أَجَلُهُمْ» قیل: إن معناه لأمیتوا کأنه قیل لقطع أجلهم و فرغ منه قال ابو ذؤیب:

و علیهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع «۱»

و قال الحسین بن علی المغربی: معناه ردّ قطع أجلهم الیهم لکون السبب فیه دعاؤهم. و قوله «اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَیْرِ» نصب استعجالهم علی المصدر و تقدیره و لو یعجل اللَّه للناس تعجیله استعجالهم بالخیر إذا دعوا. و قیل فی معناه قولان أحدهما- قال مجاهد و قتادة: و هو کقول الرجل لولده و ماله فی حال غضبه: اللهم لا تبارک فیه و العنه. و قال الحسن: هو کقوله «وَ یَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَیْرِ» «۲» و قال الجبائی: معناه إنهم یطلبون الخیر قبل حینه، و سبیله فی أنه لا ینبغی أن یکون کسبیل الشر من الإهلاک بالعقاب قبل حینه لما فیه من الاقتطاع عن التوبة و اللطف.

و قوله «فَنَذَرُ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا» معناه نترک الذین لا یخافون لقاءنا أو لا یطمعون فیه بمعنی أنهم لا یخافون عقاب معاصینا، و لا یطمعون فی ثواب طاعتنا «فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ» فالطغیان الغلو فی ظلم العباد و الطاغی و الباغی نظائر. و (العمه) شدة الحیرة، و تقدیره نترکهم و هم یترددون فی ضلالتهم، لا أنه یرید منهم العمه

---

(۱) مجاز القرآن ۱/ ۲۷۵ و قد مر فی ۱/ ۴۲۹ و ۴/ ۸۸، ۱۶۵

(۲) سورة ۱۷ الاسراء آیة ۱۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۳۴۷

فی الطغیان، لأنه إنما یترکهم لیتوبوا من ذلک و یؤمنوا لکنه بین أنه لا یعاجلهم بالعقاب فی الدنیا، و هم مع ذلک لا یرعوون بل یترددون فی الطغیان. و قیل المعنی نترکهم فی الاخرة یتحیرون فی جزاء طغیانهم.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۱۲] ..... ص : ۳۴۷

وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۲)

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية عن قلة صبر الإنسان، إذا ناله الضر دعا ربه على سائر حالاته التى يصيبه ذلك عليها، سواء كان قائما أو قاعداً إذا أطاقه، أو على جنبه من شدة المرض فيجتهد فى الدعاء لأن يهب اللَّه له العافية. و ليس غرضه بذلك نيل الثواب للآخرة. و انما غرضه زوال ما هو فيه من الآلام، فإذا كشف اللَّه عنه ذلك الضرر، و وهب له العافية، مرّ معرضاً عن شكر ما وهبه له من نعمة و عافية فلا يتذكر ما كان فيه من الآلام، و صار فى الاعراض عن ذلك بمنزلة من لم يدع اللَّه كشف ألمه و لا سأله ازالة الضرر عنه الذى كان به. و قوله «كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» قال ابو على الجبائى: الشياطين الذين دعوا المسرفين الى المعاصى و أغووهم بها و بترك شكر نعم اللَّه زينوا لهؤلاء المسرفين ما كانوا يعملونه من المعاصى و الاعراض عن ذكر نعمه و أداء شكره. و الغرض بذلك انه ينبغى لمن وهب اللَّه له العافية بعد المرض ان يتذكر حسن صنع اللَّه اليه و جزيل نعمه عليه، فيشكره على ذلك و يسأله ادامة ذلك عليه. و نبه بذلك على انه يجب عليه الصبر عند المرض و ترك الجزع عند احتساب الأجر و طلب الثواب فى الصبر على ذلك، و أن يعلم أن اللَّه محسن اليه بذلك، و ليس بظالم له. و قال الحسن التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۴۸

التزيين هو التحسين من الشيطان و الغواة. و قال غيره هو التحبيب بالشهوة لتحبيب المشتهى. و قوله «أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً» نصب على الحال. و قوله «كأنه» هى المخففة عن الثقيلة، و تقديره كأنه لم يدعنا، و مثله قول الخنساء:

كأن لم يكونوا حمى متقى إذ الناس إذ ذاك من عزّ بزّ «۱»

اى كأنهم. و قوله «مَرَّ كَأَنْ لَمْ» اى استمر على طريقته الأولى كأنه لم يدعنا و لم يسألنا ذلك. و موضع الكاف نصب على أنه مفعول ما لم يسم فاعله و المعنى زين للمسرفين عملهم «كذلك» أى مثل ذلك.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۳] ..... ص : ۳۴۸

وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (۱۳)

أقسم اللَّه تعالى فى هذه الاية أنه أهلك من كان قبل هذه الأمة من القرون، و هو جمع قرن. و سمى أهل كل عصر قرناً لمقارنة بعضهم لبعض. و القرن هو المقاوم لقرينه فى الشدة، و يعنى بذلك الذين كذبوا رسل اللَّه الذين بعثهم اللَّه اليهم فكفروا بذلك بربهم و ظلموا أنفسهم، فأهلكهم اللَّه بأنواع العذاب و فنون الاستئصال كما أهلك قوم لوط و قوم موسى و غيرهم، و بين بقوله «وَ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا» ان هذه الأمم التى أهلكهم لم يكونوا مؤمنين و لو أبقاهم اللَّه لم يؤمنوا بالرسل الذين أتوهم و الكتب التى جاءوهم بها، و لما كان ذلك المعلوم من حالهم استحقوا من اللَّه تعالى العذاب فأهلكهم.

و قوله «كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ» اى نعاقب مثل عقوبة هؤلاء المجرمين إذا استحقوا أو كانوا ممن لا يؤمن و لا يصلح. و جعل ابو على الجبائى ذلك دليلا

---

(۱) ديوانها أنيس الجلساء ۱۴۴

بيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۴۹

على ان تبقية الكافر إذا علم من حاله أنه يؤمن فيما بعد واجبة.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۴] ..... ص : ۳۴۹

ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (۱۴)

بین اللَّه تعالی بهـذه الایهٔ أنه إنما جعل المخاطبین بهذا الخطاب بعد إهلاک من أهلک و تکلیفه إیاهم بطاعته و تصدیق رسـله مثل ما کـان کلفهم «لِنَنْظُرَ کَیْفَ تَعْمَلُونَ» معنـاه إنکم إن عملتم بالمعاصـی مثـل مـا عمـل بها أولئک و کـذبتم الرسل و لم ترجعوا عن الکفر أهلککم ببعض العقـاب کمـا أهلـک من تقـدم. و إن آمنتم أثـابکم اللَّه فی الـدنیا و الآخرهٔ و رضـی عنکم، فجعـل قوله «لِنَنْظُرَ کَیْفَ تَعْمَلُونَ» دلالهٔ لهم علی انی أفعل بکم احد هذین: الثواب إن آمنتم و أطعتم، و العذاب إن کفرتم و عصیتم. و استعمل ذلک علی هذا المعنی مجازاً کما یستعمله اهل اللغـهٔ علی هـذا المعنی، لأنهم لا یعلمون ما یکون من المکلفین و ما یفعل بهم من الثواب و العقاب و هو عالم بذلک. و مثل ذلک یستعمله العرب فیما یعلمه الإنسان یقول القائل لغلامه الذی یأمره: إنی سأعاقبک و أضربک لأنظر کیف صبرک، و أعطیک ما لا لأنظر کیف تعمل، و إن کان عالماً بما یؤل الیه الأمر فی ذلک.

و موضع (کیف) نصب بقوله «تعملون» و إنما قدم لأنه للاستفهام و لا یجوز أن یکون معمولا «لننظر» لأن ما قبل الاستفهام لا یعمل فی الاستفهام و لو قلت لننظر أخیراً یعملون أو شراً؟ کان العامل فی (خیر، و شر) یعملون

قوله تعالی:[سورهٔ یونس (۱۰): آیهٔ ۱۵] ..... ص : ۳۴۹

وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هـذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِـی إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما یُوحی إِلَیَّ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ (۱۵)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۳۵۰

اخبر اللَّه تعالی فی هـذه الآیـهٔ أنه إذا قرأ النبی صـلی الله علیه و آله علی الکفار آیات اللَّه و کلامه. و (بینات) نصب علی الحال. و هی الآیـات التی امر فیهـا عبـاده بأشـیاء و نهـاهم عن أشـیاء «قـالَ الَّذِینَ لاـ یَرْجُونَ لِقاءَنَا» ای لقاء عـذاب اللَّه او ما وعـدهم به من ثوابه ان أطاعوه «قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنَا» ای لقاء عـذاب اللَّه او ما وعـدهم به من ثوابه ان أطاعوه «ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هذا» الذی تتلوه علینا «أو بـدله» فاجعله علی خلاف ما تقرأه علینا، و إنما فرق بین قوله «ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هـذا أَوْ بَدِّلْهُ» لان الإتیان بغیره قد یکون معه، و تبدیله لا یکون إلا برفعه، و الإتیان بغیره. و انما لم یرجوا ثواب اللَّه و عـذابه لأنهم کانوا غیر مقرین باللَّه و لا معترفین بنبوهٔ نبیه صـلی الله علیه و آله و لا یصـدقونه فیما یخبرهم به عن اللَّه و یذکرهم به من البعث و النشور و الحساب و الجزاء. و کان قولهم هذا له علی وجه التعنت و التسـبب الی الکفر به و تکـذیبه، و احتجاجاً علیه بما لیس بحجـهٔ لأنه صـلی الله علیه و آله کان قـد بین لهم ان هـذا القرآن لیس من کلامـه و انه لیس له تغییره و تبـدیله، فـأرادوا أن یوهموا ان الأـمر موقوف علی رضاهم به، و لیس یرضون بهـذا فیریـدون غیره. و قال الزجاج: إنه کان غرضهم إسقاط ما فیه من عیب آلهتهم و تسفیه أحلامهم و من ذکر البعث و النشور، فأمر اللَّه تعالی نبیه أن یقول لهم فی جواب ذلک: لیس لی «أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِـی» أی من جههٔ نفسی و من ناحیهٔ نفسی کأنه قیل له: قل لیس لی أن أتلقاه بالتبدیل کما لیس لی أن أتلقاه بالرد. و التلقاء جههٔ مقابلهٔ الشیء إلا أنه قد یستعمل ظرفاً فیقال: هو تلقاءه کما یقال: هو حذاه و قبالته و تجاهه.

قوله «إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ» أی لیس لی أن أتبع إلا الذی یوحی إلی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۳۵۱

«إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی» فی اتباع غیره «عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ» یعنی یوم القیامهٔ.

و من اسـتدل بهـذه الایهٔ علی أن نسخ القرآن بالسـنهٔ لا یجوز فقد أبعد، لأنه إذا نسخ ما یتضـمنه القرآن بالسـنهٔ، فالسـنهٔ لا یقولها النبی صلی الله علیه و آله إلا بوحی من اللَّه.

و لیس بنسخه من قبل نفسه. بل یکون ذلک النسـخ مضافاً الی اللَّه. و انما لا یکون قرآناً لأنه تعالی قد یوحی الی نبیه ما هو قرآن و ما لیس بقرآن، لأـن جمیع ما بینه النبی صـلی الله علیه و آله من الشـریعهٔ لم یبینها إلا بوحی من اللَّه لقوله «وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی «۱» و ان کان تفصیل ذلک لیس بموجود فی القرآن فالاستدلال بذلک علی ما قالوه بعید.

قوله تعالی:[سورهٔ یونس (۱۰): آیهٔ ۱۶] ..... ص : ۳۵۱

قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (١۶)

حکی عن الحسن انه قرأ «وَ لاـ أَدْراكُمْ بِهِ» و قرأ ابو ربیعهٔ و قنبل الاـ المالکی و العطار «و لأدراکم به» یجعلانها (لاماً) ادخلت علی (أدراکم) و أمال و أمال (أدراکم) و (ادراک) فی جمیع القرآن ابو عمرو و حمزهٔ و الکسائی و خلف و الداحونی عن ابن ذکوان، و الکسائی عن أبی بکر، وافقهم یحیی و العلیمی فی هذه السورهٔ.

حکی سیبویه: دریته و دریت به، قال و اکثر الاستعمال التعدی بالباء، یبین ذلک قوله «وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ» و لو کان علی اللغهٔ الاخری لقال و لا ادراکموه، و قالوا: الدریهٔ علی وزن (فعلهٔ) کما قالوا الشعرهٔ و الفطنهٔ، و هی مصادر یراد بها ضروب من العلم. فأما الدرایهٔ فکالهدایهٔ و الدلالهٔ، و کأن الدرایهٔ التأنی و التعمل لعلم الشیء و علی هذا المعنی ما تصرف من هذه الکلمهٔ، و قالوا: داریت الرجل إذا لا ینته و ختلته

---

(١) سورهٔ ۵۳ النجم آیهٔ ٣- ۴

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ٣۵٢

فعلی هذا لا یوصف اللَّه تعالی بالداری، و اما قول الراجز.

اللهم لا أدری و انت الداری فلا یکون حجهٔ فی جواز ذلک لأمرین: أحدهما- انه لما تقدم قوله:

لا أدری استجاز أن یذکر الداری بعده، لیزدوج الکلام، کما قال تعالی «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» «١» و نظائره کثیرهٔ. و الثانی- إن الأعراب ربما ذکروا أشیاء امتنع جوازها کما قال:

لو خافک اللَّه علیه حرمه «٢»

و قال آخر:

اللهم إن کنت الذی بعهدی و لم تغیرک الأمور بعدی

فاما الهمزهٔ علی ما حکی عن الحسن، فلا وجه له لأن الدرء الدفع، کما قال «فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ» «٣» و قال «فَادَّارَأْتُمْ فِيها» «۴» و

قوله علیه السلام (ادرأوا الحدود بالشبهات)

قال الفراء: ان کان ما حکی عن الحسن لغهٔ، و إلاـ یجوز أن یکون الحسن ذهب الی طبعه و فصاحته فذهب الی درأت الحد، و قد یغلط بعض العرب فی الحرف إذا ضارعه آخر فی الهمزهٔ فیهمز ما لیس مهموزاً، سمعت امرأهٔ من غنی تقول: رثأت زوجی بأبیات، و یقولون: لبأت بالحج و حلأت السویق. و کل ذلک غلط، لأن (حلأت) انما هو من دفع الإبل العطاش عن الماء و «لبأت» من اللباء الذی یؤکل، و «رثأت» من الرثیهٔ إذا حلبت الحلیب علی الرایب، و من أمال فتحهٔ الراء و أمال الالف بعدها، فلان هذه الألف تنقلب یاء فی أدریته، و هما مدریان. و من لم یمل فلأن الأصل عدم الامالهٔ، و لأن کثیراً من الفصحاء لا یمیل ذلک.

و معنی قوله «وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ» قال ابن عباس و لا أعلمکم به من (دریت به)

---

(١) سورهٔ ٢ البقرهٔ آیهٔ ١٩۴

(٢) قد مر فی ٢/ ١٨۵

(٣) سورهٔ ٣ آل عمران آیهٔ ١۶٨

(۴) سورهٔ ٢ البقرهٔ آیهٔ ٧٢

التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۵۳

و أدرانی اللَّه به. و معنی الایـة الأمر للنبی صـلی الله علیه و آله بأن یقول لهؤلاء الکفار لو أراد اللَّه ان یمنعهم فائدته ما أعلمهم به، و لا أمر النبی صلی الله علیه و آله بتلاوته علیهم.

و قوله «فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ» معناه لبثت علی هذه الصـفة لا أتلوه علیکم و لا یعلمکم اللَّه به حتی أمرنی به و شاء اعلامکم. و قال قتادة: لبث فی قومه أربعین سنة قبل أن یوحی الیه.

و قوله «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» معناه هلا تتفکرون فیه بعقولکم فتتبینوا بذلک ان هذا القرآن من عند اللَّه أنزله تصدیقاً لنبیه صلی الله علیه و آله. قال الرمانی: و العقل هو العلم الـذی یمکن به الاسـتدلال بالشاهـد علی الغائب. و الناس یتفاضـلون فیه بالأمر المتفاوت فبعضـهم أعقل من بعض إذ کان أقـدر علی الاسـتدلال من بعض. و معنی ذلک ان یقول لهم قد لبثت فیکم حیناً طویلا و نشأت بین أظهرکم و عرفتم منصـرفی و منقلبی فلو کان ما أتیت به مخترعاً او کان ما فیه من الاخبار من عنـد غیر اللَّه لکنتم عرفتم ذلک إذ فیکم ولدت و نشأت و معکم تصرفت «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» فی التدبیر و النظر و الانصاف فتفعلون فعل من یعقل. علی انه صلی الله علیه و آله لو کان أخذ ذلک من غیره و خالط أهلها، او لو کان شاعراً، او لو کان یعلم السـحر- کما ادعوا- ثم خفی ذلک اجمع علیهم حتی لم یعرفوا الوجه الـذی منه أخـذ لکـان فی ذلـک أعظم الحجـة. و علی مـا روی عن قنبـل یکون المعنی «لَوْ شـاءَ اللَّهُ مـا تَلَوْتُهُ» یکون نفیـاً للتلاوة «و لأدراکم» و لأعلمکم ثبوته، و یکون اثباتاً للعلم، و علی قراءة الباقین یکون نفیاً للأمرین معاً.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۱۷] ..... ص : ۳۵۳

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِآیاتِهِ إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (۱۷)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۵۴

قوله «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ» ظاهره الاستفهام و المراد به الاستعظام و الاخبار به انه لا احد اظلم ممن اخترع کلاماً او خبراً ثم اضافه الی اللَّه و یرید به النبی نفسه لو کان فعل «أَوْ کَذَّبَ بِآیاتِهِ» یعنیهم «إِنَّهُ لا یُفْلِحُ» ای لا یفوز «المجرمون» و انما قال: لا احد اظلم ممن هذه صـفته، لأنه ظلم کفر، و هو أعظم من ظلم لیس بکفر. و التقـدیر لا أحدا ظلم ممن یظلم ظلم کفر، فعلی هذا من یدعی الربوبیة داخل فی هذه الجملـة لان ظلمـة ظلم کفر، کأنه قیل لا احـد اظلم من الکافر، و لیس لاحـد ان یقول: المـدعی للربوبیـة اظلم من المدعی للنبوة و هو کـاذب. و الکـذاب بآیـات اللَّه ظـالم لنفسه بما یـدخل علیها من اسـتحقاق العقاب و ظالم لغیره ممن یجوز ان تلحقه المنافع و المضار بتکـذیبه إیـاه ورده علیه، لـان من شأنه ان یعمه مثل هـذا التکـذیب. و (من) فی الآیـة للاسـتفهام و هی لا توصل لأنها تضـمنت حرف الاستفهام فعوملت معاملته، کما انها إذا کانت بمعنی الجزاء لم توصل لتضمنها معنی (إن) التی هی ام الباب فی الجزاء.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۱۸] ..... ص : ۳۵۴

وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مـا لا یَضُـرُّهُمْ وَ لا یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هؤُلاءِ شُـفَعاؤُنا عِنْـدَ اللَّهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا یَعْلَمُ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمَّا یُشْرِکُونَ (۱۸)

قرأ اهل الکوفة الا عاصماً «عما تشرکون» بالتاء هاهنا و فی النحل فی موضعین و فی الروم. الباقون بالیاء. من قرأ بالتاء بناه علی ما تقدم من قوله «أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمـا لاـ یَعْلَمُ» فلمـا خـاطبهم بـذلک وجه الیهم الخطاب بتنزیهه عما یشـرکون. و من قرأ بالیاء بناه علی الخبر عن الغائب لأن أول الآیة مبنی علی ذلک، و هو قوله «وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و کلاهما حسن. التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۵۵

اخبر اللَّه تعالی علی وجه الذم للکفار بأنهم یوجهون عبادتهم الی من هو دون اللَّه من الأصنام و الأوثان التی لا تضر و لا تنفع.

فان قیل: کیف ذمهم علی عبادة الوثن الذی لا ینفع و لا یضر مع انه لو نفع و ضر لم تجز عبادته؟! قلنا: لأنه إذا کان من یضر و ینفع قد

لا يستحق العبادة إذا لم يقدر على اصول النعم، فمن لا يقدر على النفع و الضر أصلا ابعد من ان يستحق العبادة.

و قوله «وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ» اخبار منه تعالى عن هؤلاء الكفار انهم يقولون انا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند اللَّه، فتوهموا ان عبادتها أشد فى تعظيم اللَّه من قصده تعالى بالعبادة، فحلت من هذه الجهة محل الشافع عند اللَّه.

و قال الحسن: شفعاء فى صلاح معاشهم فى الدنيا، لأنهم لا يقرون بالبعث بدلالة قوله «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ» و العبادة خضوع بالقلب فى على مراتب الخضوع، فكل طاعة فعلت على هذا الوجه فهى عبادة. و انما قال «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» مع انهم كانوا يشركون فى عبادة اللَّه لامرين:

أحدهما- ان عابد الوثن خاصة قد أشرك فى استحقاق العبادة.

الثانى- ان من عبد اللَّه و عبد الوثن فقد عبده من دون اخلاص العبادة للَّه.

و قوله «أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ» امر منه تعالى لنبيه ان يقول لهم على وجه الإلزام ا تخبرون اللَّه بما لا يعلم من حسن عبادة الأوثان و كونها شافعة لان ذلك لو كان صحيحاً لكان اللَّه به عالماً و لما نفى العلم بذلك نفى المعلوم.

و قوله «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ» تنزيه منه تعالى لنفسه، و تنزيه من ان يعبد معه إله او يتخذ من دونه معبود.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ١٩] ..... ص : ٣٥٥

وَ ما كانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۵۶

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية انه لم يكن الناس فيما مضى الا أمة واحدة و الامة الجماعة التى على معنى واحد فى خلق او ما يستمر على عبادته بالظاهر، فعلى هذا الناس أمة و الطير أمة. و المراد- هاهنا- أنها كانت على دين واحد.

و اختلفوا فى الدين الذى كانوا مجتمعين عليه قبل حدوث الاختلاف بينهم على قولين: فقال الحسن كانوا على الشرك كما قال تعالى «كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ» «١» و قال الزجاج: أراد بذلك العرب الذين كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه و آله فإنهم كانوا مشركين، فلما بعث النبى آمن به قوم و كفر به آخرون. و قال الجبائى: انهم كانوا على الإسلام، فى عهد آدم و ولده و أنكر الأول. قال لأن اللَّه تعالى قال «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» «٢» فلو كانوا كلهم على الكفر لما كان فيهم شهيداً أصلا قال الرمانى: لا يمتنع ان يكون الأمر على ما قال الحسن و يكون المراد التغليب كأن المسلمين كانوا قليلين، فلا يعتد بهم، فيجوز أن يقال فيهم أنهم أمة مشركة كما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال (ان اللَّه نظر الى اهل الأرض فمقتهم الا بقايا من أهل الكتاب).

و قال مجاهد: فاختلفوا حين قتل ابن آدم أخاه. و الاختلاف هو الذهاب فى الجهتين فصاعداً من الجهات، و حدّ المختلفين ان لا يسد أحدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته كما لا يسد السواد مسد البياض.

و قوله «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» معناه لو لا كلمة سبقت من ربك من انه لا يعاجل العصاة بالعقوبة انعاماً عليهم فى التأنى بهم «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» فى اختلافهم بما يضطرهم الى علم المحق من المبطل. و قيل معنى ذلك «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» اى فصل بينهم بأن أهلك العصاة و أنجى المؤمنين، لكنه أخرهم الى يوم القيامة

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢١٣

(٢) سورة ۴ النساء آية ۴٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۵۷

تفضلا منه و زیادة فی الانعام علیهم.

قوله تعالى:[سورة یونس (۱۰): آیة ۲۰] ..... ص : ۳۵۷

وَ یَقُولُونَ لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَیْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ (۲۰)

حکى اللَّه تعالى عن هؤلاء الکفار أنهم قالوا: هلا أنزل على محمّد آیة و أرادوا بذلک أنه یضطرهم الى المعرفة و لا یحتاجون معها الى النظر و الاستدلال، و لم یطلبوا معجزة یستدل بها على صدقه، لأنه قد کان أتاهم بالمعجزات التی تدل على صدقه فلم یجبهم اللَّه الى ما التمسوه، لأن التکلیف یمنع من الاضطرار الى المعرفة، لأن الغرض بالتکلیف التعریض للثواب. و لو عرفوا اللَّه تعالى ضرورة لما استحقوا ثواباً فکان ذلک ینقض غرضهم. و قال ابو علی: طلبوا آیة سوى القرآن.

و الأصل فی (لو لا) امتناع الثانی لکون الأول کقولک: لو لا زید لجئتک فخرجت الى معنى التحضیض بأنه لیس ینبغی ان یمتنع ذا لکون غیره.

قوله «فَقُلْ إِنَّمَا الْغَیْبُ لِلَّهِ» معناه إن ما لا تعرفونه و لا نصب لکم علیه دلیل یجب أن تسلموا علمه الى اللَّه، لأنه العالم بالخفیات و ما یکون فی المستقبل، فلأجل ذلک لا یفعل الآیة التی اقترحتموها فی هذا الوقت لما فی ذلک من حسن التدبیر و وجه المصلحة. و الغیب خفاء الشیء عن علم العباد، و اللَّه تعالى عالم الغیب و الشهادة لأنه عالم لنفسه یعلم الأشیاء قبل کونها و بعد کونها لا یخفى علیه خافیة.

و قوله «فَانْتَظِرُوا» معناه انتظروا ما وعدکم اللَّه من نصر المؤمنین و قهر الکافرین و انزال الذل و العقاب بهم إن أقاموا على کفرهم ف «إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ» لذلک.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۵۸

قوله تعالى:[سورة یونس (۱۰): آیة ۲۱] ..... ص : ۳۵۸

وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذا لَهُمْ مَکْرٌ فِی آیاتِنا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَکْراً إِنَّ رُسُلَنا یَکْتُبُونَ ما تَمْکُرُونَ (۲۱)

روى روح «یمکرون» بالیاء. الباقون بالتاء.

أخبر اللَّه تعالى بأنه إذا أذاق الناس یعنی الکافرین «رحمة» بأن أنعم علیهم و أوسع أرزاقهم و أخصب أسعارهم «مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ» یعنی بعد شدة کانوا فیها من جدب و ضیق نالتهم «مکروا فی آیاتنا» فجواب (إذا) الأولى فی (إذا) الثانیة و إنما جعلوا (إذا) جواباً إذا کانت بمعنى الجملة على ما فیها من المفاجأة، کما قال تعالى «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَیِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ إِذا هُمْ یَقْنَطُونَ» «۱». و حقیقة الذوق تناول ما له طعم بالفم لیوجد طعمه. و انما قال: اذقناهم الرحمة على طریق البلاغة لشدة إدراک الحاسة. و المکر فتل الشیء الى غیر وجهه على طریق الحیلة فیه، فهؤلاء محتالون لدفع آیات اللَّه بکل ما یجدون السبیل الیه من شبهة او تخلیط فی مناظرة أو غیر ذلک من الأمور الفاسدة. و قال مجاهد: مکرهم استهزاؤهم و تکذیبهم.

فقال اللَّه لنبیه صلى الله علیه و آله «قُلِ» لهم «اللَّهُ أَسْرَعُ مَکْراً» یعنی اقدر جزاء على المکر، و ذلک أنهم: جعلوا جزاء النعمة المکر مکان الشکر، فقوبلوا بما هو أشد. و السرعة عمل الشیء فی وقته الذی هو أحق به، و المعنى: إن ما یأتیهم من العقاب اسرع مما أتوه من المکر ای وقع فی حقه. و قوله «إِنَّ رُسُلَنا یَکْتُبُونَ ما تَمْکُرُونَ» إخبار منه تعالى أن ملائکة اللَّه الموکلین بهم یکتبون ما یمکرون من کفرهم و تکذیبهم، ففی ذلک غایة الزجر و التهدید على ما یفعلونه من المکر و الحیل فی امر النبی صلى الله علیه و آله

(۱) سورة ۳۰ الروم آیة ۳۶

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۵۹

و قیل انما سمی جزاء المکر مکراً، لأنهم إذا نالهم العذاب علی مکرهم بحیث لا یحتسبونه و لا یتوقعونه فکأنه مکربهم.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۲۲] ..... ص : ۳۵۹

هُوَ الَّذِی یُسَیِّرُکُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها رِیحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ کُلِّ مَکانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ لَئِنْ أَنْجَیْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ (۲۲)

قرأ ابن عامر و ابو جعفر «ینشرکم» بالنون و الشین من النشر. الباقون بالیاء و السین و تشدید الیاء من التسییر. قال ابو علی: حجة ابن عامر أن (ینشرکم) مثل قوله «وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا کَثِیراً وَ نِساءً» «۱» فالبث تفریق و نشر. و حجة الباقین قوله «قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ» «۲» «فَامْشُوا فِی مَناکِبِها» «۳» فالمعنیان متقاربان.

امتن اللَّه علی خلقه فی هذه الآیة و عدد نعمه التی یفعلها بهم فی کل حال، فقال «هُوَ الَّذِی یُسَیِّرُکُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و تسییره إیاهم اما فی البحر، فلأنه بالریح و اللَّه المحرک لها دون غیره، فلذلک نسبه الی نفسه، و اما فی البر فلأنه کائن باقداره و تمکینه و تسبیبه، فلذلک نسبه الی نفسه. و التسییر التحریک فی جهة تمتد کالسیر الممدود، و البر الأرض الواسعة التی تقطع من بلد الی بلد، و منه البرّ لاتساع الخیر به

---

(۱) سورة ۴ النساء آیة ۱

(۲) سورة ۶ الانعام آیة ۱۱ و سورة ۲۷ النمل آیة ۶۹ و سورة ۲۹ العنکبوت آیة ۲۰ و سورة ۳۰ الروم آیة ۴۲

(۳) سورة ۶۷ الملک آیة ۱۵ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۶۰

و البحر مستقر الماء الواسع حتی لا یری من وسطه حافتاه و جمعه أبحر و بحور، و یشبه به الجواد، فیقال انما هو بحر لاتساع عطائه. و قوله «حَتَّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ» خص الخطاب براکبی البحر. و الفلک السفن، و سمیت فلکا لدورانها فی الماء، و أصله الدور، و منه فلکة المغزل، و الفلک الذی تدور فیه النجوم. و تفلک ثدی الجاریة إذا استدار. و الفلک- هاهنا- جمع، و قد یکون واحداً. کقوله «فِی الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ» «۱» و قوله «وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ» عدل عن الخطاب الی الاخبار عن الغائب تصرفاً فی الکلام مع انه خطاب لمن کان فی تلک الحال و إخبار لغیره من الناس، قال لبید:

باتت تشکی الی النفس مجهشة و قد حملتک سبعاً بعد سبعینا «۲»

و قوله «وَ فَرِحُوا بِها» یعنی بالریح الطیبة «جاءَتْها رِیحٌ عاصِفٌ» یعنی ریحاً شدیدة یقولون: عصفت الریح فهی عاصف و عاصفة، و منهم من یقول: أعصفت فهی معصف و معصفة. و الریح مؤنثة، و انما قال عاصف، لأنه لا یوصف بذلک غیر الریح فجری مجری قولهم امرأة حائض، قال الشاعر:

حتی إذا عصفت ریح مزعزعة فیها قطار و رعد صوته زجل «۳»

و قوله «وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ کُلِّ مَکانٍ» معناه جاء راکبی الفلک الأمواج العظیمة الهائلة من جمیع الوجوه. «وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ» أی ظنوا انهم هالکون لما أحاط بهم من الأمواج «دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ» ای عند هذه الشدائد و الأهوال و التجئوا الی اللَّه و دعوه علی وجه الإخلاص، و لم یذکروا الأوثان و الأصنام لعلمهم بأنها لا تنفع هاهنا شیئاً و قالوا «لَئِنْ أَنْجَیْتَنا» یا رب من هذه الشدة «لنکونن» من جملة من یشکرک لنعمک، و یقوم بآدابها. و یقال لمن اشرف علی الهلاک أحیط

---

(۱) سورة ۳۶ يس آية ۴۱ و سورة ۲۶ الشعراء آية ۱۱۹

(۲) مر تخريجه فى ۱/ ۳۵، ۴۷۲.

(۳) تفسير الطبرى «الطبعة الاولى» ۱۱/ ۶۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۶۱

به، و منه قوله «وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ» «۱» أى أهلكت.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۲۳] ..... ص : ۳۶۱

فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۲۳)

قرأ حفص «مَتاعَ الْحَياةِ» بنصب العين. الباقون بالرفع من رفع يحتمل أمرين: أحدهما- ان يكون رفعاً بأنه خبر المبتدأ و المبتدأ قوله «بغيكم» الثانى- ان يكون بغيكم مبتدأ، و قوله «عَلى أَنْفُسِكُمْ» خبره. و رفع متاع على تقدير ذلك متاع الحياة الدنيا. و من نصب فعلى المصدر. قال أبو على الفارسى «على أنفسكم» يحتمل أن يكون متعلقاً بالمصدر، لأن فعله متعد بهذا الحرف كما قال «بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ» «۲» و قال «ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ» «۳» فإذا جعلت الجار من صلة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا، و المعنى بغى بعضكم على بعض متاعاً فى الحياة الدنيا. و يجوز ان تجعله متعلقاً بمحذوف، و لا تجعله من صلة المصدر، و فيه ذكر يعود الى المصدر. و التقدير انما بغى بعضكم على بعض عائد على أنفسكم، فعلى هذا يتعلق بالمحذوف دون المصدر المبتدأ و هو فى المعنى كقوله «وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «۴» و قوله «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ» «۵» فإذا رفعت متاع الحياة على هذا كان خبر مبتدأ محذوف كأنك قلت: ذاك متاع الحياة الدنيا أو هو متاع. و من نصب احتمل وجهين:

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۴۳

(۲) سورة ۳۸ ص آية ۲۲

(۳) سورة ۲۲ الحج آية ۶۰

(۴) سورة ۳۵ فاطر آية ۴۳

(۵) سورة ۴۸ الفتح آية ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۶۲

أحدهما- ان يجعل من صلة المصدر، فيكون الناصب للمتاع هو المصدر الذى هو البغى، و يكون خبر المبتدأ محذوفاً، و حسن ذلك لطول الكلام، لأن بغيكم يدل على تبغون. و الآخر- ان يجعل على أنفسكم خبر المبتدأ، و يكون نصب متاع على أحد وجهين: أحدهما- يمتعون متاع الحياة فيدل انتصاب المصدر عليه. و الآخر- ان يضمر تبغون كأنه قال تبغون متاعاً، فيكون مفعولا له.

و لا يجوز أن يتعلق بالمصدر إذا جعلت (على) خبراً، لقوله إنما بغيكم على أنفسكم، لفصلك بين الصلة و الموصول.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية عن هؤلاء الكفار الذين إذا رأوا الأهوال و الشدائد فى الفلك فى البحر فزعوا الى اللَّه و دعوه مخلصين له الدين، و قالوا متى أنجيتنا من هذه «لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» أنه إذا أنجاهم و خلصهم من تلك الشدائد عادوا الى البغى و هو الاستعلاء بالظلم. و اصل البغى الطلب. تقول بغاه يبغيه إذا طلبه. و البغية الطلبة، و النجاة التخلص من الهلاك. و التخليص من الاختلاط لا يسمى نجاة. و معنى «لما» إيجاب وقوع الثانى بالأول كقولك: لما قام قمت، و لما جاء زيد قام عمرو. و الحق وضع الشيء فى موضعه على ما يدعو العقل اليه، و الحق و الحسن معناهما واحد. و قوله «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ» خطاب من اللَّه تعالى للخلق بأن

بغيكم على أنفسكم من حيث ان عقابه يلحقكم دون غيركم «مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا» معناه إنكم تطلبون بالبغى بغير الحق التمتع فى الحياة الدنيا. ثم بعد ذلك ترجعون الى اللَّه بعد موتكم فيجازيكم بأعمالكم بعد أن يعلمكم ما عملتموه و ما استحققتم به من انواع العقاب. و قال مقاتل: معنى «يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» يعبدون غير اللَّه. و قال غيره: معناه كلما أنعمنا عليهم بغوا للدين و أهله الغوائل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۶۳

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۲۴] ..... ص : ۳۶۳

إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعامُ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۲۴)

المثل قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول. و قيل «مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا» صفة الحياة الدنيا. و قيل فى المشبه و المشبه به فى الآية ثلاثة اقوال:

أحدها- قال الجبائى: إنه تعالى شبه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه اللَّه تعالى فى الاغترار به و المصير الى الزوال كالنبات الذى يصير الى مثل ذلك.

الثانى- انه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع.

الثالث- انه شبه الحياة الدنيا بحياة مقدرة على هذه الأوصاف، لما يقتضيه «وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها» أى علموا الانتفاع بها.

و قوله «فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ» فالاختلاط تداخل الأشياء بعضها فى بعض فربما كان على صفة مدح، و ربما كان على صفة ذم. و قوله «حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها» فالزخرف حسن الألوان كالزهر الذى يروق البصر، و منه قيل زخرفت الجنة لأهلها و قوله «وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها» معناه ظنوا أنهم قادرون على استصحاب تلك الحال منها- جعلها على غير شيء منها، لأن القادر عليهم و عليها أهلكها. و قوله «و ازينت» أصله تزينت فأدغمت التاء فى الزاى و أجلبت الهمزة لإمكان النطق بها. و قرأ الأعرج و غيره «و ازينت» على وزن التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۶۴

(افعلت) و الأول أجود لأن عليه القراء. و قوله «كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ» معناه كأن لم تقم على تلك الصفة فيما قبل، يقال: غنى بالمكان إذا أقام به و المغانى المنازل، قال النابغة:

غنيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة و تودد

و قوله «كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» معناه مثل ذلك نميز الآيات و نبينها لقوم يفكرون فيها و يعتبرون بها، لأن من لا يفكر فيها و لا يعتبر بها كأنها لم تفصل له، فلذلك خصصهم بالذكر.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۲۵] ..... ص : ۳۶۴

وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۲۵)

أخبر اللَّه تعالى بأنه الذى يدعو عباده الى دار السلام. و الدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله، و الداعى الى الفعل خلاف الصارف عنه. و قد يدعو اليه باستحقاق المدح عليه. و الفرق بين الدعاء و الأمر أن فى الأمر ترغيباً فى الفعل، و زجراً عن تركه، و له صيغة تنبئ عنه، و ليس كذلك الدعاء، و كلاهما طلب. و ايضاً الأمر يقتضى أن يكون المأمور دون الآمر فى الرتبة. و الدعاء يقتضى أن يكون فوقه.

و فى معنى دار السلام قولان: أحدهما- قال الحسن: السلام هو اللَّه. و داره الجنة. و به قال قتادة. الثانى- قال الجبائى و الزجاج: معناه دار السلامة.

و قوله «وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» قيل فى الهداية هاهنا ثلاثة اقوال:

أحدها- يفعل الألطاف التى تدعوهم الى طريق الحق لمن كان المعلوم أن له لطفاً.

الثانى- الأخذ بهم فى الآخرة الى طريق الجنة. الثالث- قال ابو على: يريد به نصب الأدلة لجميع المكلفين دون الأطفال و المجانين. و الاستقامة المرور فى جهة التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۶۵

تؤدى الى البغية، فالادلة طرق الى العلم على الاستقامة لأنها تؤدى اليه.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۲۶] ..... ص : ۳۶۵

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ وَ لا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۶)

أخبر اللَّه تعالى بأن للذين يفعلون الحسن من الطاعات التى أمرهم اللَّه بها جزاء على ذلك «الحسنى» و هى الجنة و لذاتها. و قيل: جامعة المحاسن من السرور و اللذات على أفضل ما يكون و هى تأنيث الأحسن. و قوله «و زيادة» معناه إن لهم زيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب، و هى المضاعفة المذكورة فى قوله «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «۱» ذهب اليه ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و علقمة ابن قيس. و

قال ابو جعفر عليه السلام «وَ زِيادَةٌ» معناه ما أعطاهم اللَّه فى الدنيا لا يحاسبهم به فى الآخرة.

و قوله «وَ لا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لا ذِلَّةٌ» فالرهق لحاق الأمر، و منه راهق الغلام إذا لحق حال الرجال، و رهقه فى الحرب إذا أدركه. و (الرهاق) الاعجال. و (القتر) الغبار. و القترة الغبرة. و منه الإقتار فى النفقة لقلته، قال الشاعر:

متوّج برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات و القترا «۲»

و الذلة صغر النفس بالاهانه. و الذلة نقيض العزة. و قد يكون صغر النفس بضيق المقدرة. و قوله «أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» اخبار منه تعالى بأن الذين وصفهم الملازمون للجنة على وجه الخلود و النعيم فيها و لا زوال لذلك عنهم.

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۱۶۰

(۲) قائله الفرزدق ديوانه ۲۹۰ و تفسير الطبرى ۱۱/ ۶۹ و تفسير القرطبى ۸/ ۳۱۱ و اللسان «قتر». و رواية الديوان «متعصب» بدل «متوج»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۶۶

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۲۷] ..... ص : ۳۶۶

وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۷)

لما وصف اللَّه تعالى المطيعين، و ما لهم من الثواب الجزيل فى الجنة و الخلود فيها، ذكر حكم العصاة الذين يرتكبون السيئات و يكسبونها و أن لهم جزاء كل سيئة مثلها يعنى قدر ما يستحق عليها من غير زيادة، لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم، و ليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب، لأن ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء. فالمثل- فى الآية- المراد به مقدار المستحق من غير زيادة و لا نقصان. و الكسب فعل يجتلب به نفع او يدفع به ضرر، و قد يكتسب الإنسان الحسنة و السيئة، و لهذا لا يوصف اللَّه تعالى بالكسب. و قوله «وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» اى يلحقهم هو ان فى أنفسهم. و «ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ» أى ما لهم مانع من عقاب اللَّه. و فى رفع (جزاء) فى الآية وجهان: أحدهما- ان تقديره فلهم جزاء سيئة بمثلها ليشاكل «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا». و الآخر- ان يكون الخبر بمثلها و الباء زيادة كزيادتها فى قولك ليس زيد بقائم. و قوله «كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً» شبه سواد وجوههم بقطع من

الليل المظلم و انما ذكرّ و وحّد مظلم لاحد أمرين: أحدهما- ان يكون حالا من الليل. و الثانى- على قول الشاعر:

لو أن مدحة حىّ تنشرن أحداً أحيا أبا كنّ يا ليلى الأماديح

و (القطع) قرأه بتسكين الطاء ابن كثير و الكسائى. الباقون بالتحريك، التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۶۷

و هما لغتان. و قوله «أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» اخبار منه تعالى بأن من وصفهم ملازمون للنار خالدون فيها غير زائل عنهم عذابها. قال ابو عبيدة «قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ» و هو بعض الليل تقول أتيته لقطع من الليل اى ساعة من الليل، و قطع و أقطاع. و قال ابو على: القطع الجزء من الليل الذى فيه ظلمة. فأما قوله «مُظْلِماً» إذا أجريته على (قطع) فيحتمل نصبه وجهين: أحدهما- ان يكون صفة من القطع و هو احسن، لأنه على قياس قوله «وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ» «۱» وصف الكتاب بالمفرد بعد ما وصفه بالجملة و أجراه على النكرة. و الثانى- يجوز أن يكون حالا من الذكر الذى فى الظرف. و من قرأ «قطعاً» لم يكن مظلماً صفة ل (قطع) و لا حالا من الذكر الذى فى قوله «من الليل» و لكن يكون حالا من الليل المظلم فلما حذف الألف و اللام نصب على الحال.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۲۸] ..... ص : ۳۶۷

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ وَ قالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ (۲۸)

اخبر تعالى فى هذه الآية أنه يوم يحشر الخلائق أجمعين. و الحشر هو الجمع من كل أوب الى الموقف، و إنما يقومون من قبورهم الى ارض الموقف «ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا» يعنى من أشرك مع اللَّه فى عبادته غيره، و المشرك بالإطلاق لا يقال إلا فيمن أشرك فى العبادة، لأنها صفة ذم مثل كافر و ظالم. و قوله «مكانكم» معناه انتظروا مكانكم. «جميعاً» نصب على الحال و (مكانكم) نصب على الامر كأنه قال انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم. و يقول المتوعد لغيره: مكانك

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۹۲، ۱۵۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۶۸

فانتظر، يستعمل ذلك فى الوعيد. و قوله «أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ» يعنى انتظروا أنتم مع شركائكم الذين عبدتموهم من دون اللَّه. و قوله «فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ» مأخوذ من قولهم زلت الشىء عن مكانه أزيله- و زيلنا للكثرة من هذا- إذا نحيته عن مكانه و زايلت فلاناً إذا فارقته. و قال القتيبى: و هو مأخوذ من زال يزول، و هو غلط و خلاف لقول جميع المفسرين و أهل اللغة. و التزييل التفريق. و المعنى فرقنا بين المشركين باللَّه و ما أشركوا به.

و قوله «وَ قالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد: انه ينطق الأوثان يوم القيامة فيقولوا: ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون. و الثانى- ان ذلك قول من كانوا يعبدونهم من الشياطين.

و فى كيفية جحدهم لذلك قولان: أحدهما- انهم يقولون ذلك على وجه الاهانة بالرد عليهم. و المعنى ما اعتذرنا بذلك لكم. و الآخر- انه فى حال دهش ككذب الصبى. و قال الجبائى: يريد انكم لم تعبدونا بأمرنا و دعائنا و لم يرد انهم لم يعبدوها أصلا، لأن ذلك كذب و هو لا يقع فى الآخرة لكونهم ملجئين الى ترك القبيح. و هذه الاية نظيرة قوله «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» «۱» و كان مجاهد يقول: الحشر هاهنا هو الموت. و الأول اولى.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۲۹] ..... ص : ۳۶۸

فَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ (۲۹)

هـذا اخبار من اللَّه تعالى عن شـركاء المشـركين من الآلهـة و الأوثان يوم القيامـة حين قال المشـركون إنا إنما إياكم كنا نعبـد، و أنهم يجحدون ذلك و يقولون:

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۶۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۶۹

حسبنا اللَّه شاهداً بيننا و بينكم أيها المشـركون بأنه تعالى عالم أنا ما علمنا ما تقولون، و أنا كنا عن عبادتكم إيانا غافلين، لا نشعر به و لا نعلمه. و إنما قال «شَهِيداً بَيْنَنا» و لم يقل علينا، لأنه إذا قال بيننا فمعناه لنا و علينا، فهو أعم و أحسن. و نصب (شـهيدا) على التمييز، و تقـديره و كفى بـاللَّه من الشـهداء. و قال الزجاج: نصب على الحال و تقـديره كفى باللَّه فى حال الشـهادة. و قوله «إن كنا» فهـذه (إن) المخففـة عن الثقيلة بدلالة دخول اللام فى الخبر للفرق بين (إن) الجحد و (إن) المؤكدة. و قال الزجاج: هى بمعنى (ما) و معناه ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۳۰] ..... ص : ۳۶۹

هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۳۰)

قرأ اهـل الكوفـة الا عاصـما (تتلوا) بالتاء من التلاوة. الباقون بالباء. من قرأ بالباء فمعناه تختبر من قوله «وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَـناتِ وَ السَّيِّئاتِ» «۱» اى اختبرنـاهم، و منه قولهم البلاء ثم الثنـاء أى الاختبـار للثنـاء عليه ينبغى أن يكون قبـل الثنـاء ليكون عن علم بمـا يوجبه. و معنى اختبار النفس ما أسـلفت إن قدّم خيراً أو شراً جزى عليه، كما قال «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» «۲» و غير ذلـك. و من قرأ بالتـاء فمن التلاوة. و يقوى ذلـك قوله «فَأُولئِـكَ يَقْرَؤُنَ كِتـابَهُمْ» «۳» و قوله «اقْرَأْ كِتابَـكَ» «۴» و قوله «وَ رُسُـلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ» «۵» و يكون (تتلو) بمعنى تتبع و يكون المعنى هنالك تتبع كل نفس ما أسلفت من

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۶۷

(۲) سورة ۹۹ الزلزال آية ۷- ۸ [.....]

(۳) سورة ۱۷ الإسراء آية ۷۱

(۴) سورة ۱۷ الإسراء آية ۱۴

(۵) سورة ۴۳ الزخرف آية ۸۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۷۰

حسنة و سيئة، فمن أحسن جوزى بالحسـنات و من أسـاء جوزى به، فعلى هـذا يكون المعنى مثـل قراءة من قرأ بالباء. و قال ابن زيـد: معنى «تتلو» تعاين. و قال الفراء: معناه تقرأ، و قال غيره تتبع. و قال ابن عباس معنى (تتلو) تخبر قال الشاعر:

قد جعلت دلوى تستتلينى و لا أحب تبع القرين

اى تتبعنى من ثقلهـا، و معنى «هنالـك» فى ذلـك المكـان، و هو ظرف ف (هنـا) للقريب و (هنالك) للبعيـد و (هناك) لما بينهما قال زهير:

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا و إن يسألوا يعطوا و إن ييسروا يغلوا «۱»

و الاسـلاف تقـديم امر لما بعده، فمن أسـلف الطاعة للَّه جزى بالثواب. و من أسـلف المعصـية جزى بالعقاب. و قوله «وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ» فـالرد هو الـذهاب الى الشـىء بعـد الـذهاب عنه، فهؤلاـء ذهبوا عن أمر اللَّه فأعيـدوا اليه. و الرد و الرجع نظـائر، و يجوز أن يكون الرد

بمعنى النشأة الثانيـة، و هو الأليق هاهنا. و قوله «مَوْلاهُمُ الْحَقِّ» فالمولى المالك للعبيـد، و معناه مالكهم لأنه يملك أمرهم، و هو أملك بهم من أنفسـهم. و قوله «وَ ضَـلَّ عَنْهُمْ مـا كـانُوا يَفْتَرُونَ» يعنى مـا كـانوا يـدعونهم- بافترائهم من الشـركاء- مع اللَّه يضـلون عنهم يوم القيامة و يبطلون.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ٣١] ..... ص : ٣٧٠

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ (٣١)

أمر اللَّه تعـالى نبيه صـلى الله عليه و آله أن يقول لهؤلاء الكفار و غيرهم من خلقه «مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ» بانزال المطر و الغيث، و من الأرض بإخراج النبات و انواع الثمار.

---

(١) ديوانه ١١٢ و اللسان (خبل) و فيه اختلاف فى الرواية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ٣٧١

و الرزق العطاء الجارى يقال: رزق السـلطان الجند، الا ان كل رزق، فاللَّه رازق به، لأنه لو لم يطلقه على يد الإنسان لم يجئ منه شيء. و الواحـد منـا يرزق غيره إلاـ أنه لاـ يطلق اسم رازق إلا على اللَّه، كما لا يقال: (ربّ) بالإطلاق إلا فى اللَّه و فى غيره يقيـد، فيقال رب الدار و رب الفرس. و يطلق فيه، لأنه يملك الجميع غير مملك. و كذلك هو تعالى رازق الجميع غير مرزوق، و لا يجوز أن يخلق اللَّه حيواناً يريـد تبقيته إلا و يرزقه، لأنه إذا أراد بقاءه فلا بـدّ له من الغـذاء. فان لم يرد تبقيته كالـذى يولـد ميتاً فانه لا رزق له فى الدنيا. و قوله «أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصـارَ» يعنى من الـذى له التصـرف فيهـا بلاـ مانع يمنعه منها و ان شاء أصـحها و ان شاء أمرضـها. و «مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» معنـاه من الـذى يخلق الحيوان و يخرجه من امه حيـاً سوّيـاً إذا مـاتت أمه «وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» يعنى من يخرجه غير تـام و لاـ بـالغ حـدّ الكمـال. و قيـل: معناه انه يخرج الحى من النطفـة، و هى ميتـة و يخرج النطفـة من الحى. و قيل: يخرج المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن.

و «مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» اى و من الذى يدبر جميع الأمور فى السما و الأرض؟

و ليس جواب ذلك لمن أنصف و لم يكابر الا ان يقول: اللَّه الفاعل لجميع ذلك.

و إذا قالوا ذلك و اعترفوا به قيل لهم «أَ فَلا تَتَّقُونَ» و معناه فهلا تتقون خلافه و تحـذرون معاصـيه؟ و فى الاية دلالة على التوحيد، لأن مـا ذكره فى الايـة يوجب أن المـدبر واحـد و لا يجوز أن يقع ذلك اتفاقاً، لا حالـة العقل ذلك، و لا يجوز أن يقع بالطبيعـة، لأنها فى حكم الموات لو كانت معقولـة، فلم يبق بعـد ذلك إلا ان الفاعل لـذلك قادر عالم يدبره على ما يشاء، و هو اللَّه تعالى، مع ان الطبيعة مـدبَّرة- مفعولـة- فكيف تكون هى المـدِّبرة و إنما دخلت (أم) على (من) لأن (من) ليست أصل الاسـتفهام بل أصـله الألف، فلـذلك جاز الجمع بينهما.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ٣٧٢

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ٣٢] ..... ص : ٣٧٢

فَذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)

«ذلك» إشارة الى اسم اللَّه الـذى ذكره فى الآيـة الاولى، و وصـفه بأنه الذى يخرج الحى من الميت، و الميت من الحى و يرزق الخلق من السـماء و الأـرض و (الكـاف و الميم) للمخـاطبين، و إنمـا جمع لأـنه أراد جميع الخلق، فـأخبر اللَّه تعالى ان الـذى وصـفه فى الاية

الأولى هو «اللَّهُ رَبُّكَمُ» الذى خلقكم و يملك تصرفكم. و إنما وصفه بأنه «الحق» لأن له معنى الالهية دون غيره من الأوثان و الأصنام، و هو الرب تعالى وحده.

و قوله «فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ» صورته صورة الاستفهام و المراد به التقرير على موضع الحجة، لأنه لا يجد المجيب محيداً عن الإقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت اليه، و كلما تدعو اليه الحكمة على اختلافه فهو حق، و المراد انه ليس بعد الإقرار بالحق و الانقياد له إلا الضلال و العدول عنه. و قوله «فَأَنَّى تُصْرَفُونَ» أى كيف تصرفون و تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على أنه لا معبود سواه و الصرف هو الذهاب عن الشيء، فالصرف عن الحق ذهاب الى الباطل، و قد أنكر اللَّه ذلك. و فيه دلالة على أنه من فعل غيره من الغواة لأنه لو كان من فعله لما أنكره كما لم ينكر شيئاً من أفعال نفسه.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ٣٣] ..... ص : ٣٧٢

كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ٣٧٣

قرأ أهل المدينة و ابن عامر (كلمات) هاهنا و فى آخرها، و فى المؤمن على الجمع. الباقون على التوحيد. قال ابو على: من قرأ على التوحيد احتمل فى ذلك وجهين:

أحدهما- ان يكون جعل ما أوعد به الفاسقين كلمة و إن كانت فى الحقيقة كلمات، لأنهم قد يسمون القصيدة و الخطبة كلمة، فكذلك ما ذكرناه.

و الثانى- ان يريد بذلك الجنس و قد أوقع على بعض الجنس كما أوقع اسم الجنس على بعضه فى قوله «وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ»

«١» و من جمع فانه جعل الكلمات التى يوعدون بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع، فقال: كلمات.

و أما قوله «كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا» «٢» فيجوز ان يكون عنى بها قوله «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي» «٣» كما فسر قوله «وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى» «۴» انه لا إلهه الا اللَّه، ذكره مجاهد. و الكاف فى قوله كذلك فى موضع نصب و التقدير مثل أفعالهم جازاهم ربك. و قيل فى المشبه به «كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» قولان:

أحدهما- المعنى فى انه ليس بعد الحق الا الضلال فشبه به كلمة الحق بأنهم لا يؤمنون فى الصحة.

الثانى- ما تقدم من العصيان شبه به الجزاء بكلمة العذاب فى الوقوع على المقدار. و انما اطلق فى الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون، لأنه أريد به الذين تمردوا فى كفرهم. و (انهم) فى موضع نصب على قول الفراء و التقدير بأنهم أو لأنهم لا يؤمنون فقوله «أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» بدل من كلمة ربك. فأعلم اللَّه أنهم بأعمالهم قد منعوا من الايمان، و جائز ان تكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب. و الفسق فى الشرع هو الخروج فى المعصية الى الكبيرة فان كانت كفراً فالخروج الى أكبره و كذلك ان كانت منع حق. و فائدة الآية الابانة عن الحال التى لا يفلح صاحبها ليحذر من

---

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ١٣٧

(٢) سورة ٩ التوبة آية ۴١

(٣) سورة ۵٨ المجادلة آية ٢١

(۴) سورة ۴٨ الفتح آية ٢۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ٣٧۴

مثلها، لأنه قد يكون فى المعلوم أنه من بلغ ذلك الحد لم يفلح، قال: و أصل المعنى حقت كلمة ربك ان الفساق و الكفار ما داموا كفاراً فساقاً فلا يكونون مؤمنين.

و قال الجبائى: معناه وجدانكم إياهم على الكفر و الإصرار عليه دليل على ان ما أخبر اللَّه تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون حق و صدق.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۳۴] ..... ص : ۳۷۴

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (۳۴)

أمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع اللَّه آلهة يعبدونها «هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ» بأن ينشئهم و يخترعهم. ثم إذا أماتهم يعيدهم و يحييهم، لينبئهم بذلك على انه لا يقدر على ذلك الا اللَّه القادر لنفسه الذى لا يعجزه شىء. و قيل فى معنى (شركائكم) قولان: أحدهما- انهم الذين جعلوهم شركاء فى العبادة. الثانى- الذين جعلوهم شركاء فى أموالهم من أوثانهم، كما قال «فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هذا لِشُرَكائِنا» «۱» و الإعادة إيجاد الشىء ثانياً، و قال لنبيه قل لهم: اللَّه تعالى القادر لنفسه هو الذى يبدؤ الخلق فينشئهم ثم يميتهم ثم يعيدهم لا يعجزه شىء عن ذلك. و قوله «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» معناه انى تصرفون عن الحق و تقلبون عنه، و منه الافك، و الكذب، لأنه قلب المعنى عن جهته.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۳۵] ..... ص : ۳۷۴

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۳۵)

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۱۳۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۷۵

قرأ أهل الكوفة الا عاصماً «يهدى» بفتح الياء و سكون الهاء و تخفيف الدال.

و قرأه أهل المدينة إلا ورشاً بفتح الياء، و سكون الهاء، و تشديد الدال. و قرأه ابن كثير و ابن عامر و ابو عمرو و ورش بفتح الياء و الهاء و تشديد الدال، الا أن السوسى من طريق ابن جيش لا يشبع فتحة الهاء، و كذلك روى الحمانى عن شجاع و قرأه يعقوب و حفص و الأعشى و البرجمى بفتح الياء و كسر الهاء و تشديد الدال و قرأه يعقوب و حفص و الأعشى و البرجمى بفتح الياء و كسر الهاء و تشديد الدال و رواه ابو بكر الا الأعشى و البرجمى بكسر الياء و الهاء و تشديد الدال. قال ابو على: من قرأ «يهدى» بفتح الياء و الهاء و تشديد الدال فقد نسبهم الى غاية الذهاب عن الحق فى معادلتهم الآلهة باللَّه تعالى، ألا ترى ان المعنى أ فمن يهدى غيره الى طريق التوحيد و الحق أحق ان يتبع أم من لا يهتدى هو إلا أن يهدى، و التقدير أ فمن يهدى غيره فحذف المفعول الثانى. فان قيل: هذه التى اتخذوها آلهة لا تهتدى و إن هديت لأنها موات من حجارة و أوثان و نحو ذلك!؟ قيل: تقدير الكلام على أنها إن هديت اهتدت و إن لم تكن فى الحقيقة كذلك لأنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن الذى يجب له العبادة، كما قال «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَ لا يَسْتَطِيعُونَ» «۱» و قال «إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ» «۲» فأجرى عليه اللفظ كما يجرى على من يعلم، كأنه قال أم من لا يهدى الا ان يهدى أى أم من لا يعلم حتى يُعلم، و من لا يستدل على شىء حتى يدل، و إن كان لو دل أو أعلم لم يعلم و لم يستدل. و أراد اللَّه بذلك تعجيبهم من أنفسهم و تبيين جهلهم و قلة تمييزهم فى تسويتهم من لا يعلم و لا يقدر باللَّه القادر العالم. و قرأ حمزة و الكسائى «أم من لا يهدى» معناه أم من لا يهدى غيره، و لكن يهدى أى لا يعلم شيئاً و لا يعرّفه، و لكن

(۱) سورة ۱۶ النحل آية ۷۳

(۲) سورة ۳۵ فاطر آية ۱۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۷۶

يهـدى أى لا هدايـة له، و لو هـدى أيضاً لم يهتـد، غير أن اللفظ جرى عليه كما قلناه فيما تقدم. و من شدد، فلأن أصـله يهتدى فأدغم التاء فى الـدال. و من حرك الهاء القى حركة الحرف المدغم على الهاء لأنها من كلمة واحدة. و من كسـر الهاء لم يلق الحركة تشبيهاً بالمنفصـل، و كسـر الهـاء لالتقـاء الساكنين. و من سـكن الهاء جمع بين الساكنين. و من أشم فلان الإشـمام فى حكم التحريك. و من كسر الياء اتبع الياء ما بعدها من الكسر لأن أصله يفتعل. و قال قوم: معنى «أَمَّنْ لا يَهِدِّی إِلَّا أَنْ يُهْدى لا يتحرك حتى يحرك.

أمر اللَّه تعالى نبيه أن يقول أيضاً لهؤلاء الكفار الـذين اتخـذوا مع اللَّه شـركاء فى العبادة «هَلْ مِنْ شُـرَكائِكُمْ» الذين تعبدونهم من دون اللَّه أو تشـركون بينهما فى العبادة من يهـدى غيره الى الحق و الى طريق الرشاد، ثم قال: قل يا محمّد «اللَّهُ يَهْدِی لِلْحَقِّ» و أفعال الخير، ثم قال «أَ فَمَنْ يَهْدِی غيره إِلَى الْحَقِّ» و الى الصـراط المسـتقيم أولى «أن يتبع» و يقبل قوله، «أَمَّنْ لا يَهِدِّی إِلَّا أَنْ يُهْدى أى إلا بعد أن يهدى و حكى عن البلخى أنه قال: هدى و اهتدى بمعنى واحد.

و قوله «فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» أى بما تـدعونه من عبادة- من دون اللَّه- فالهدايـة المعرفـة بطريق الرشاد من الغى، فكل هداية قائدة الى سـلوك طريق النجـاة بـدلا من طريق الهلاـك. و قال الزجاج «ما لكم» كلام تام، كأنه قال أى شـىء لكم فى عبادة الأوثان ثم قال لهم «كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟!» على أى حال، فموضع (كيف) نصب ب (تحكمون) و يقال هديته للحق و الى الحق بمعنى واحد.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۳۶] ..... ص : ۳۷۶

وَ ما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ (۳۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۷۷

أخبر اللَّه تعالى أنه ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار إلا الظن الـذى لا يجزى شـيئاً، من تقليـد آبائهم و رؤسائهم. ثم قال تعالى «إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَـيْئاً» لأـن الحق إنمـا ينتفع به من عرفه و علمه حقـاً، لأن الظن حقيقـة ما قوى كون المظنون عنـد الظان على ما ظنه مع تجويز أن يكون على غيره، فإذا كان معه تجويز كون المظنون على خلاف ما ظنه. فلا يكون مثل العلم. و قد يكون للظن حكم إذا قام على ذلك دليل إما عقلى أو شـرعى، و يكون صادراً عن أمارات معروفـة بالعادة و الخبر أورده الى نظيره عنـد من قال بالقياس، و كل ذلـك إذا اقترن به دليـل يوجب العمل به، و كل موضع يمكن أن يقوم عليه دليل و يعلم صـحته من فساده فلا يجوز أن يعمل فيه على الظن، لأن بمنزلة من ترك العلم و عمل على ظن غيره. و قوله «إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَـيْئاً» معناه انه لا يقوم مقام العلم مع وجوده أو إمكان وجوده، و انما يعبد اللَّه فى الشـرع فى مواضع بالرجوع الى الظن مع أنه كان يمكنه أن ينصب عليه دليلا يوجب العلم لما فى ذلـك من المصـلحة. و قوله «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ» فيه ضـرب من التهديـد، لأنه أخبر أنه تعالى يعلم ما يفعلونه و لا يخفى عليه منه شىء فيجازيهم على جميعه: على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۳۷] ..... ص : ۳۷۷

وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِی بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۳۷)

نفى اللَّه تعالى فى هذه الآية أن يكون هذا القرآن الذى أنزله على نبيه محمّد صلى الله عليه و آله مفترى من دون اللَّه و الافتراء الاخبار على القطع بالكـذب، و هو مـأخوذ من فرى الأديم، و هو قطعه بعـد تقـديره. و القرآن عبارة عن هـذا الكلام التبيان فى تفسير القرآن،

ج۵، ص: ۳۷۸

الذى هو فى أعلى طبقات البلاغة مع حسن النظم و الجزالة، و كل شىء منه فيه فائدة و كل فصل منه فيه فائدة أخرى. و قوله «وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» شهادة من اللَّه له بأنه صدق و بأنه شاهد لما تقدم من التوراة و الإنجيل و الزبور بأنها حق، و شاهد ايضا من حيث انه مصدق لها إذ جاء على ما تقدمت البشارة به فيها. و قيل مصدق لما بين يديه من البعث و النشور و الجزاء و الحساب. و قوله «وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ» أى تبيين الفصل من المعانى الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقيقته. و التفصيل و التمييز و التقسيم نظائر، و ضده التلبيس و التخليط. و قوله «لا رَيْبَ فِيهِ» أى لا شك فيه «مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» اى نازل من عند مالك العالمين.

و قيل: إن معنى «تَفْصِيلَ الْكِتابِ» أى تفصيل الفروض الشرعية. و الكتاب- هاهنا- المفروض. و قال الفراء: معنى «وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى اى لا ينبغى ان يكون افتراء، كما قال تعالى «وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ» «۱» أى لا ينبغى له. و قال غيره: تقديره و ما كان هذا القرآن مفترى.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۳۸] ..... ص : ۳۷۸

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۳۸)

معنى «أم» هاهنا تقرير على موضع الحجة بعد مضى حجة أخرى، و تقديره بل أ تقولون افتراه، فالزموا على هذا الأصل الفاسد إمكان أن يأتوا بمثله.

و قوله «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» صورته صورة الأمر، و المراد به التحدى بإتيان سورة، و هو الزام لهم على أصلهم إذ أصلهم فاسد يوجب عليهم أن يأتوا بسورة مثله، فالتحدى يطلب ما يوجبه أصلهم عليهم. و قوله «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» معناه

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۶۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۷۹

سورة منه. و قيل فى معناه قولان: أحدهما- أن فيه حذفاً و تقديره فاتوا بسورة مثل سورته ذكره بعض البصريين. و الاخر- ائتوا بسورة مثله فى البلاغة، و هو أحسن الوجهين. و السورة منزلة محيطة بآيات اللَّه كاحاطة سور البناء من أجل الفاتحة و الخاتمة، و كل منزلة من سورة البناء محيطة بما فيها. و قوله «وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» معناه ادعوهم الى الموازنة على المعارضة بسورة مثله أى استعينوا بكل من قدرتم عليه. و الاستطاعة حالة للحى تنطاع بها الجوارح للفعل و هى مأخوذة من الطوع. و القدرة مأخوذة من القدر، فهى معنى يمكن أن يوجد به الفعل و ان لا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى. و قوله «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» معناه ان كنتم صادقين فى أن هذا القرآن مفترى من دون اللَّه فأنتم تقدرون على معارضته، فحيث لا تقدرون على ذلك علم أن الامر بخلاف ما تذكرونه من أنه من عند غير اللَّه، و صح أنه من عند اللَّه، لأنه لو قدر محمّد صلى الله عليه و آله على افترائه لقدرتم على معارضته لمشاركتكم إياه فى النشوء و الفصاحة.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۳۹] ..... ص : ۳۷۹

بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (۳۹)

أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين حكى عنهم أنهم قالوا إن محمّداً صلى الله عليه و آله افترى هذا القرآن و لم ينزله اللَّه عليه بأنهم «كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» و معناه بما لم يعلموه من كل وجوهه، لان فى القرآن ما يعلم المراد منه بدليل، و يحتاج الى الفكر فيه و الرجوع الى الرسول فى معرفة مراده و ذلك مثل المتشابه، فالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به، و قالوا انه افترى على

اللَّه کذبا، و معنی التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۸۰
کذبوا انهم شهدوا بان الدعاة الی اللَّه و الدعاة الی الحق من المؤمنین کاذبون جهلا منهم و توهماً لا حقیقة لهم و لا حجة معهم به و قوله «وَ لَمَّا یَأْتِهِمْ تَأْوِیلُهُ» معناه ما یؤول أمره الیه و هو عاقبته، و معناه متأوله من الثواب و العقاب. ثم حکی اللَّه أنه مثل ذلک کذب الذین من قبلهم أنبیاء اللَّه و رسله فأهلکهم اللَّه و دمرهم ثم قال لنبیه «فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِینَ» یعنی ما أدی الی إهلاکهم بعذاب الاستئصال علی ما تقدم من ظلمهم لأنفسهم و غیرهم فی کذبهم. و قیل فی موضع «کیف کان» نصب بأنه خبر کان، و لا یکون معمول (انظر) لأن ما قبل الاستفهام لا یعمل فی الاستفهام

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۴۰] ..... ص : ۳۸۰

وَ مِنْهُمْ مَنْ یُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لا یُؤْمِنُ بِهِ وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِینَ (۴۰)
أخبر اللَّه تعالی ان من جملة هؤلاء الکفار الذین کذبوا بالقرآن و نسبوه الی الافتراء من سیؤمن به أی بالقرآن فی المستقبل، و منهم من لا یؤمن بل یموت علی کفره. و قوله «وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِینَ» معناه من یدوم علی الفساد ممن یتوب، و إنما بقاهم اللَّه لما فی معلومه انه یتوب منهم. و إنما جاز ان یقول «أعلم» و ان لم یکن هناک کثرة علوم لاحد أمرین: أحدهما- ان الذات تغنی عن کل علم. و الثانی- انه یراد کثرة المعلوم

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۴۱] ..... ص : ۳۸۰

وَ إِنْ کَذَّبُوکَ فَقُلْ لِی عَمَلِی وَ لَکُمْ عَمَلُکُمْ أَنْتُمْ بَرِیئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِیءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (۴۱)
خاطب اللَّه تعالی نبیه صلی الله علیه و آله فقال «وَ إِنْ کَذَّبُوکَ» هؤلاء الکفار و لم یصدقوک التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۳۸۱
و ردّوا علیک بذلک و نسبوک الی الکذب «فَقُلْ لِی عَمَلِی» أی إن کنت کاذباً فوباله علی «وَ لَکُمْ عَمَلُکُمْ» أی ان کنتم غیر محقین فیما تردونه علی و تکذبونی، فلکم جزاء عملکم، فأنتم تبرؤن مما أعمل و أنا ابرأ من أعمالکم. و فائدة ذلک الاخبار بأنه لا یجازی احد الا علی عمله، و لا یؤخذ أحد بجرم غیره کما قال تعالی «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری» «۱» و البراءة قطع العلقة التی توجب رفع المطالبة و ذلک کالبراءة من الدین، و البراءة من العیب فی البیع، و لم یقل النبی صلی الله علیه و آله هذا القول شکاً منه فیما یجازی اللَّه الکفار و المؤمنین به من الثواب و العقاب. و انما قال علی وجه التلطف لخصمه و حسن العشرة، و أن لا یستقبلهم بما یکرهونه من الخطاب فربما کان داعیاً لهم ذلک الی الانقیاد و النظر فی قوله. و قال ابن زید: هذه الایة منسوخة بآیة الجهاد، و علی ما قلناه لا یحتاج الی ذلک.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۴۲] ..... ص : ۳۸۱

وَ مِنْهُمْ مَنْ یَسْتَمِعُونَ إِلَیْکَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ کانُوا لا یَعْقِلُونَ (۴۲)
اخبر اللَّه تعالی ان من جملة هؤلاء الکفار «من یستمع الیک» یا محمّد.
و الاستماع طلب السمع، فهم کانوا یطلبون السمع للرد لا للفهم، فلذلک لزمهم الذم، فهم إذا سمعوه علی هذا الوجه کأنهم صم لم یسمعوه حیث لم ینتفعوا به.
و قوله «أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ» خطاب للنبی صلی الله علیه و آله بأنه لا یقدر علی إسماع الصم الذین لا یسمعون، و بهم صمم، و هم الذین ولدوا صماً، و الأصم المفسد السمع بما یمنع من ادراک الصوت، و قد صم یصم صمماً. و السمع إدراک الشیء بما به یکون مسموعاً.

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۱۶۴ و سورة ۱۷ الإسراء آية ۱۵ و سورة ۳۵ فاطر آية ۱۸ و سورة ۳۹ الزمر آية ۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۸۲

و تسمى الأذن السليمة سمعاً، لأنه يسمع بها. و قوله «وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ» تشبيه من اللَّه تعالى لهؤلاء الكفار فى ترك إصغائهم الى النبى صلى الله عليه و آله و استماع كلامه طلباً للفائدة بالذين لا يسمعون أصلا، و ان النبى صلى الله عليه و آله و لا يقدر على أسماعهم على وجه ينتفعون به إذا لم يستمعوا بنفوسهم، للفكر فيه، كما لا يقدر على إسماع الصم.

و قوله «من» يقع على الجمع كما يقع على الواحد، فلذلك أخبر عنه بلفظ الجمع بقوله «يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ» و (لو) فى اكثر الأمر يكون ما بعدها أقل مما قبلها تقول: أعطنى دابة و لو حماراً، و قد يجى‌ء ما بعدها اكثر مما قبلها، كما يقول الرجل: انا أقاتل الأسد فيستعظم ذلك منه، فيقال: أنت تقاتل الأسد و لو كان ضارباً، و على هذا مخرج الاية. قال الزجاج: و المعنى و لو كانوا جهالا كما قال الشاعر:

أصم عما ساءه سميع «۱»

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۴۳] ..... ص : ۳۸۲

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ (۴۳)

اخبر اللَّه تعالى بأن من جملة الكفار «مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ» يا محمد صلى الله عليه و آله، فلم يخبر بلفظ الجمع لأنه حمله على اللفظ، و اللفظ لفظ الواحد. و النظر المذكور فى الاية معناه تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئى طلباً لرؤيته. و قيل: معناه من ينظر الى أدلتك. و النظر يكون بمعنى الاعتبار و الفكر، و هو الموازنة بين الأمور حتى يظهر الرجحان او المساواة، و ذلك الجمع بين الشيئين فى التقدير بما يظهر به شهادة أحدهما بالآخر، ثم قال «أَ فَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ»

(۱) مرّ فى ۲/ ۸۰ و ۴/ ۱۲۵ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۸۳

اى نظرهم اليك لا على وجه الاستفادة بمنزلة نظر الأعمى الذى لا يبصر، فكما لا يقدر ان يهدى الأعمى. فكذلك هؤلاء لا ينتفعون بنظرهم اليك، فكأنهم لا يبصرون.

و العمى آفة تمنع من الرؤية، و هو على وجهين: عمى العين، و عمى القلب، و كلاهما يصلح له هذا الحد. و الأبصار إدراك المبصر بما يكون به مبصراً، كما أن السمع إدراك المسموع بما به يكون مسموعاً.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۴۴] ..... ص : ۳۸۳

إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۴۴)

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية على وجه التمدح به بأنه لا يظلم أحداً شيئاً و انما الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بارتكاب ما نهى اللَّه عنه من القبائح فيستحقون بها عقاباً، فكأنهم الذين أدخلوا عليها ضرراً فلذلك كانوا ظالمين لنفوسهم. و المعنى- هاهنا- ان اللَّه لا يمنع احداً الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن و أدلته، و لكنهم يظلمون أنفسهم بترك النظر فيه و الاستدلال به، و تفويتهم أنفسهم الثواب و إدخالهم عليها العقاب. ففى الآية دلالة على انه لا يفعل الظلم، لان فاعل الظلم ظالم، كما أن فاعل الكسب كاسب، و ليس لهم أن يقولوا يفعل الظلم و لا يكون ظالماً به، كما يفعل العلم و لا يكون به عالما. و ذلك أن معنى قولنا: ظالم أنه فعل الظلم، كقولنا: ضارب، أنه يفيد انه فعل الضرب. و كذلك يكون ظالماً بما يفعله من الظلم فى غيره، و ليس كذلك العالم، لأنه يفيد انه على

صفة مخصوصة و لذلک قد يکون عالماً بما يفعل فيه من العلم، و لا يکون ظالماً بما يفعل فيه من الظلم و لا يکون عالماً بما يفعل فى غيره من العلم و ليس کذلک الظلم، فبان الفرق بينهما. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۸۴

و ليس لأحد ان يقول: ان الانتفاء من الظلم کالانتفاء من السنة و النوم، فى انه ليس بنفى الفعل، و ذلک أن الظلم مقدور قبل العدل، و ليس کذلک النوم و اليقظة لأنهما يستحيلان عليه. و (لکن) إذا کانت مشددة عملت عمل (إن) و إذا خففت لم تعمل لأن المخففة تدخل على المفرد کما يدخل حرف العطف، و الثقيلة تدخل على الجملة فتزيل الابتداء.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۴۵] ..... ص : ۳۸۴

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنَ النَّهارِ يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (۴۵)

قرأ حفص «يحشرهم» بالياء. الباقون بالنون. قال أبو على الفارسى: قوله «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها- أن يکون صفة اليوم.

و الآخر- أن يکون صفة للمقدر المحذوف. و الثالث- أن يکون حالا من الضمير فى «يحشرهم» فإذا جعلته صفة لليوم احتمل أن يکون التقدير «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» قبله «إلا ساعة» کما قال «فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» «۱» أى امسکوهن قبله، و کذلک قوله «فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ» «۲» معناه فان فاءوا قبل انقضاء الاربعة أشهر. و يحتمل أن يکون المعنى «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» قبله، فحذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه، ثم حذفت الهاء من الصفة. و مثله «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ واقِعٌ بِهِمْ» «۳» و التقدير و جزاؤه واقع بهم. و إن جعلته صفة للمصدر کان على هذا التقدير الذى وصفيناه، و مثله «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» قبله

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۳۱ و سورة ۶۵ الطلاق آية ۲

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۲۶

(۳) سورة ۴۲ الشورى آية ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۸۵

فحذف و أقام المضاف اليه مقام المضاف، ثم حذف العائد من الصفة، کما يحذف من الصلة فى نحو قوله «أَ هذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «۱» و إن جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شيء فى اللفظ، لأن الذکر من الحال قد عاد الى ذى الحال. و المعنى يحشرهم مشابهة أحوالهم أحوال من لم يلبث الا ساعة.

و يحتمل أن يکون معمولا بما دل عليه قوله «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» فإذا جعلته معمولا ل (يتعارفون) انتصب (يوم) على وجهين: أحدهما- أن يکون ظرفاً و الآخر- ان يکون مفعولا على السعة، على يا سارق الليلة أهل الدار.

و معنى «يتعارفون» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يکون المعنى يتعارفون مدة إماتتهم التى وقع حشرهم بعدها و حذف المفعول للدلالة عليه، أو يکون أعمل الفعل الذى دل عليه (يتعارفون) ألا ترى انه قد دل على سيعلمون إذ يتعارفون، فعلى هذا يکون قوله «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» معمول «يتعارفون».

و الآخر- أن يکون «يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» معمول ما دل عليه قوله «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» لأن المعنى تشابه أحوالهم أحوال من لم يلبث، فعمل فى الظرف هذا المعنى و لا يمنع المعنى من أن يعمل فى الظرف و ان تقدم الظرف عليه کقولهم: أکل يوم لک ثوب؟ و إذا جعلت «يتعارفون» العامل فى «يحشرهم» لم يجز أن يکون صفة اليوم، على أنک کأنک وصفت اليوم بقوله کأن لم يلبثوا و يتعارفون، فوصفت يوم يحشرهم بجملتين لم يجز أن يکون معمولا لقوله «يتعارفون» لأن الصفة لا تعمل فى الموصوف، و جاز وصف اليوم بالجمل و ان أضيف، لأن الاضافة ليست محضة، فلم تعرفه. و من قرأ بالنون فلقوله «وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ» «۲» و قوله «فَجَمَعْناهُمْ

جَمْعاً» «۳» و قوله «وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى «۴». و من قرأ بالياء فلقوله

---

(۱) سورة ۲۵ الفرقان آية ۴۱

(۲) سورة ۱۸ الكهف آية ۴۸

(۳) سورة ۱۸ الكهف آية ۱۰۰

(۴) سورة ۲۰ طه آية ۱۲۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۸۶

«لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ» «۱» و النون و الياء متعارفان فى مثل هـذا بدلالـة قوله «وَ كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ» «۲» فعلم من هذا ان كل واحد منهما يجرى مجرى الآخر.

يقول اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه يوم يحشر الخلق الى المحشر و الموقف «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنَ النَّهارِ» عند أنفسهم، لقلة بقائهم فيها و سرعة تصرمها عنهم مع طول وقوفهم يوم القيامة و مع علمهم بدوام بقائهم فى الآخرة، شبه قرب الوقت الى ذلك الحين بساعة من النهار لأن كل ما هو آت قريب، كما قال «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» «۳» و دل بذلك على أنه لا ينبغى لأحد أن يغتر بطول ما يأمله من البقاء فى الـدنيا إذ كـان عاقبـة ذلـك الى الزوال. و قوله «يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ» اخبـار منه تعـالى أن الخلق يعرّف بعضـهم بعضـاً فى ذلك الوقت خسـرانهم و يتـذاكرونه. و قوله «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ» اخبار منه تعالى بأن الذين كذبوا بالبعث و النشور و لقاء ثواب اللَّه و لقاء عقابه يخسـرون نفوسهم. و الخسران ذهاب رأس المال، فالنفس أكبر من رأس المال. و قوله «وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ» معناه لا يكونون مهتـدين الى طريق الجنة لكونهم مسـتحقين للعقاب. و قال الزجاج: معنى الآية قرب ما بين موتهم و بعثهم كما قالوا «لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» «۴» و «يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ» أى يعرف بعضهم بعضاً، و فى ذلك توبيخ لهم و إثبات الحجة عليهم.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۴۶] ..... ص : ۳۸۶

وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ (۴۶)

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۸۶ و سورة ۶ الانعام آية ۱۲

(۲) سورة ۲۰ طه آية ۱۲۷

(۳) سورة ۵۴ القمر آية ۱

(۴) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۱۱۴، و سورة ۱۸ الكهف آية ۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۸۷

نون التأكيـد فى الجزاء لا تجوز الا مع (مـا) كمـا لا يجوز الجزاء ب (إذ، و حيث) الا مع (مـا) يخرجونها عن أخواتها، فـدخلت (ما) لتقريبها منها، فالنون تدخل فى الأمر و النهى و الاستفهام و العرض، و كله طلب، و كله غير واجب.

و ليس فى الجزاء طلب إلا أنه يشبه غير الواجب.

و قوله «نرينك» من رؤية العين لأنها لو كانت من رؤية الاعلام لتعدى الى مفعولين و البعض شـىء يفصل من الكل، و البعض و القسم و الجزء نظائر. و التوفى القبض على الاستيفاء بالأمانـة، لأن الروح تخرج من البـدن على تمام و كمال من غير نقصان. و معنى الايـة إن أريناك يـا محمّـد بعض مـا نعـد هؤلاء الكفار من العـذاب عاجلا بأن ننزل عليهم ذلك فى حياتك، و إن أخرنا ذلك عنهم الى بعد وفاتـك و وفـاتهم، فـان ذلـك لا يفوتهم، لأنـه إلينـا مرجعهم، و اللَّه شاهـد بأعمـالهم، و عـالم بهـا، و حافظ لهـا، فهو يوفيهم عقـاب

معاصيهم. و قال مقاتل: المعنى إما نرينك بعض الذى نعد المؤمنين من النصر و الاعلاء، و هو يوم بدر. و قوله «ثم اللَّه» عطف فى قول الفراء، و قال غيره: (ثم) بمعنى الواو.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۴۷] ..... ص : ۳۸۷

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۴۷)

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية أن لكل جماعة على دين واحد و طريقة واحدة كأمة محمّد و أمة موسى و عيسى عليهم السلام رسولا بعثه اللَّه اليهم و حمله الرسالة التى يؤديها اليهم ليقوم بأدائها. و قوله «فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ» يعنى يوم القيامة- فى قول مجاهد- و قال الحسن: فى الدنيا، بما أذن اللَّه تعالى من الدعاء عليهم. و قوله «قُضِيَ التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۸۸

بَيْنَهُمْ»

معناه فصل بينهم الأمر على الحتم. و اللَّه تعالى يقضى بين الخصوم أى يفصل بينهم فصلا لا يرد «بالقسط» يعنى بالعدل. و المقسط العادل. و القاسط الجائر، و منه قولهَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»

«۱» و الأصل واحد، و المقسط العادل الى الحق و القاسط العادل عن الحق. و قوله «وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ» إنما نفى عنهم الظلم بعد أن وصف أنه يقضى بينهم بالعدل ليكون العدل فى جميع الأحوال من الابتداء الى الانتهاء لأنه كان يمكن ان يكون العدل فى أوله و الظلم فى آخره، فنفى بذلك نفياً عاماً ليخلص العدل فى كل أحوالهم.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۴۸] ..... ص : ۳۸۸

وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۸)

حكى اللَّه تعالى عن الكفار و الذين تقدم وصفهم أنهم «يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ» الذى تعدوننا به من البعث و النشور و الثواب و العقاب «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى كون ذلك. و القول كلام مضمن فى ذكره بالحكاية، و قد يكون كلام لا يعبر عنه، فلا يكون له ذكر متضمن بالحكاية، فلا يكون قولا، لأنه إنما يكون قولا من أجل تضمين ذكره بالحكاية. و «متى» سؤال عن الزمان. و (أين) سؤال عن المكان، و هما ظرفان يتصلان بالفعل من غير حرف إضافة تقول: متى يكون هذا، و لا يجوز أن تقول: ما يكون هذا على معنى الظرف. و لكن فى ما يكون هذا. و الوعد خبر ما يعطى من الخير. و الوعيد خبر ما يعطى من الشرّ، هذا إذا فصل فان أجمل وقع الوعد على الجميع. و الصدق الاخبار عن الشيء على ما هو به.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۴۹] ..... ص : ۳۸۸

قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لا نَفْعاً إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (۴۹)

---

(۱) سورة ۷۲ الجن آية ۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۸۹

لما حكى اللَّه تعالى عن الكفار استبطاءهم ما وعد اللَّه و قولهم «مَتى هذَا الْوَعْدُ» امر اللَّه نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول لهم على وجه الإنكار عليهم إنى «لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لا نَفْعاً» من الثواب و العقاب بل ذلك الى اللَّه، و لا أملك إلا ما ملكنى اللَّه، فكيف أملك لكم. و الملك هو القدرة على التصرف فى الشيء على وجه ليس لأحد منعه منه، فالإنسان لا يملك إلا ما ملكه اللَّه، لأن له تعالى منعه منه. و قد يملك الطفل و من لا عقل له من المجانين بالحكم. و النفع هو اللذة أو السرور أو ما أدى إليهما او الى واحد

منهما. و الضـرر الألم نفسه أو الغم او ما أدى اليهما او الى واحد منهما. و قوله «إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» أن يملكنى إياه من نفع او ضـر، فيمكنه مما جعل له أخذه او أوجب عليه تركه. و الأجل هو الوقت المضروب لوقوع امر، كأجل الدين و أجل البيع و اجل الإنسان و اجل المسافر فأخبر تعالى انه إذا اتى اجل الموت الذى وقته اللَّه لكل حى بحياة، لا يتأخر ذلک ساعة و لا يتقدم على ما قدره اللَّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ۵٠] ..... ص : ٣٨٩

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً ما ذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (۵٠)

امر اللَّه تعالى نبيه بهـذه الايـة ان يقول لهؤلاء الكفار الذين استبطأوا وعد اللَّه «أ رأيتم» اى أعلمتم؟ لأنها من رؤية القلب، لأنها دخلت على الجملة من الاستفهام «إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ» يعنى عذاب اللَّه. و العذاب الألم المستمر و أصله التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ٣٩٠ الاستمرار، و منه العذوبة لاستمرارها فى الحلق «بياتاً» و هو إتيان الشـىء ليلا يقال بيته تبييتاً و بياتاً و بات بيتوتة، و فلان لا يستبيت إذا لم يكن له ما يبيت به.

و جواب «إن» محـذوف، و تقدير الكلام ا رأيتم ما ذا يستعجل المجرمون من العذاب إن أتاكم عذابه بياتاً او نهاراً، و وقع «إن أتاكم» فى وسط الكلام موقع الاعتراض. و معنى (ما) فى قوله «ما ذا» للإنكار لأن يكون فى العـذاب شـىء يستعجل به، و جاء على صيغة الاستفهام، لأنه لا جواب لصاحبه يصح له. و

قال ابو جعفر عليه السلام هو عذاب ينزل فى آخر الزمان على فسقة أهل القبلة.

نعوذ باللَّه منه. و قال هو عذاب ينزل فى آخر الزمان على فسقة أهل القبلة. نعوذ باللّه منه. و قال الزجاج: موضع (ما ذا) رفع من وجهين: أحدهما- ان يكون (ذا) بمعنى (الذى) و التقدير ما الذى يستعجل منه المجرمون. و يجوز أن يكون (ما ذا) اسماً واحداً، و المعنى اى شىء يستعجل منه. و الهاء فى قوله «منه» عائدة على العذاب و يجوز ان تكون عائدة على الاستعجال.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ۵١] ..... ص : ٣٩٠

أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (۵١)

«أ ثم» دخلت الف الاستفهام على (ثم) ليـدل على ان الجملة الثانية بعد الاولى مع أن للألف صدر الكلام. و قال الطبرى معنى (ثم)- هاهنا- (هنالک) و هـذا غلط، لان (ثم) بالفتح تكون بمعنى هنالک، و هذه مضـمومة فلا تكون الا للعطف. و العامل فى (إذا) يحتمل أمرين: أحدهما- ان يكون «آمنتم به» على أن تكون (ما) صلة. الثانى- ان يكون العامل (وقع) و تكون (ما) مسلطة على الجزاء. و إنما جاز ان يعمل الفعل الأول فى الجزاء دون الثانى، و لم يجز فى (إذا) لئلا يختلط الشرط بجزائه و ليس كـذلک (إذا) لأنها مضافة الى التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ٣٩١

الفعل الـذى بعـدها. و الوقوع الحدوث. و قوله «آلآن» مبنى على الفتح، لأن تعريفه كتعريف الحرف فى الانتقال من معنى الى معنى. و معناه عنـد سيبويه أ نحن من هـذا الوقت نفعل كذا، و فتحت لالتقاء الساكنين. و قال الفراء: أصـلها (آن) دخلت عليها الالف و اللام و بنيت كالذين، و دخول الالف و اللام على اللزوم لا يمكنه، كما لا يمكن الذى. و معنى الآية أ تأمنون حلول هذا العذاب بكم؟

ثم يقال لكم إذا وقع بكم العذاب و شاهدتموه: آلآن آمنتم به، و كنتم به تستعجلون. و فائدتها الابانة عما يوجبه استعجال العذاب من التوبيخ عند وقوعه حين لا يمكن استدراک الامر فيه بعد أن كان ممكناً لصاحبه.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ۵٢] ..... ص : ٣٩١

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (۵٢)

قوله (ثم) عطف على الايمان الذى وقع فى حال الإلجاء اليه. و «قيل» لهم بعد ذلک هذا القول على وجه التوبيخ و التقريع، لأنها ليست حال استدراک لما فات. و المعنى انه يقال لهؤلاء الـذين آمنوا حين نزول العذاب بهم- و قيل لهم آلآن و قد استعجلتم «ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ» يعنى الدائم. و يقال لهم «هل تجزون» بهذا العقاب الا بما كنتم تكسبون من المعاصـى. و الذوق طلب الطعم بالفم فى الابتداء، شبهوا بالذائق لأنه أشد إحساساً. و قيل لأنهم يتجرعون العذاب بدخوله أجوافهم.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ٥٣] ..... ص : ٣٩١

وَ يَسْتَنْبِئُونَکَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِی وَ رَبِّی إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ (۵۳)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۹۲

معنى «وَ يَسْتَنْبِئُونَکَ» يستخبرونک أى يطلبون النبأ الـذى هو الخبر «أحق هو» يعنى هـذا الوعيـد الذى ذكره اللَّه فى هذه الآية الأولى، فقـال اللَّه لنبيه «قُلْ إِی وَ رَبِّی» أى نعم و حق اللَّه انه لحق. و الحق فى الـدين ما شـهدت به الادلـة الموجبـة للعلم او اقتضاه غالب الظن فيما طريقه الظن. و قوله «وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ» أى لستم تقدرون على اعجاز اللَّه عما يريده من انزال العذاب بكم.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ٥٤] ..... ص : ٣٩٢

وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِی الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ (۵۴)

أخبر اللَّه تعالى على وجه التعظيم لهـذا العـذاب و شـدته بأنه لو كان لمن ظلم بارتكاب المعاصـى «ما فِی الْأَرْضِ» من الأموال «لَافْتَدَتْ بِهِ» من هول ما يلحقه من العذاب.

المعاصى «ما فى الأرض» من الأموال «لافتدت به» من هول ما يلحقه من العذاب.

و فتحت (أن) بعد (لو) لأنها مبنية على ما هو بمنزلة العامل لاختصاصها بالفعل.

و التقدير لو كان أن لكل نفس، إلا أنه لا يظهر المعنى عن إظهاره بطلب (أن) له. و جاز أن تقع (أن) بعد (لو) و لم يجز المصدر، لأن فتحها يدل على إضمار العامل اللفظى و ليس كذلک المصدر، لأنه مما يعمل فيه الابتداء.

و الافتـداء إيقاع الشـىء بـدل غيره لـدفع المكروه يقال: فـداه يفـديه فدية و فداء، و افتداه افتداء، و فاداه مفاداة و تفادى تفادياً، و فدّاه تفدية.

و قوله «وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ» أى أخفوا الندامة. و قيل «وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ» رؤساء الضـلالة من الاتباع و السفلة. و قيل «أَسَرُّوا النَّدامَةَ» أى خلصوها. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۹۳

و الندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن، و هى حالة معقولة يتأسف صاحبها على ما وقع منه و يود أنه لم يكن أوقعه. و قال ابو عبيدة «أسروا» معناه أظهروا.

قال الازهرى: هذا غلط إنما يكون بمعنى الاظهار ما كان بالشين المنقطة من فوق و قوله «وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» اى فصل بينهم بالعدل «وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ» فى القضاء و الحكم بينهم و ما يفعل بهم من العقاب، لأنهم جرّوه على أنفسهم بارتكاب المعاصى.

و

روى أنه قيل لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله ما يغنيهم اسرار الندامة و هم فى النار؟ قال:

(يكرهون شماتة الاعداء) و روى مثله عن أبى عبد اللَّه عليه السلام.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ٥٥] ..... ص : ٣٩٣

أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۵۵)

«ألا» کلمۀ تستعمل فی التنبیه، و أصلها (لا) دخلت علیها حرف الاستفهام تقریراً و تأکیداً، فصارت تنبیهاً و کسرت (إن) بعد (ألا) لأن (ألا) یستأنف ما بعدها لینبه بها علی معنی الابتداء: و لذلک وقع بعدها الامر و الدعاء کقول امرئ القیس:

ألا أنعم صباحاً أیها الطلل البالی و هل ینعمن من کان فی العصر الخالی «۱»

و وجه اتصال هذه الایۀ بما قبلها أحد أمرین: أحدهما- للاثبات بعد النفی لأن ما قبلها تقدیره لیس للظالم ما یفتدی به بل جمیع الملک للَّه تعالی. و الثانی- ان یکون معناه من یملک السموات و الأرض یقدر علی إیقاع ما توعد به. و السموات جمع سماء و هو مأخوذ من السمو الذی هو العلو، و هی المزینۀ بالکواکب و هی سقف الأرض، و هی طبقات، کما قال سبع سموات طباقاً. و جمعت السموات، و وحدت

(۱) دیوانه ۱۵۸ و هو مطلع قصیدۀ له مشهورۀ.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۳۹۴

الأرض فی جمیع القرآن، لان طبقاتها السبع خفیۀ عن الحس و لیس کذلک السموات. و قوله «أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» صحۀ ذلک لجهلهم به تعالی و بما یجوز علیه و ما لا یجوز، و جهلهم بصحۀ ما أتی به النبی صلی الله علیه و آله.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیۀ ۵۶] ..... ص : ۳۹۴

هُوَ يُحيِي وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۵۶)

فی هذه الایۀ اخبار منه تعالی أن الذی یملک التصرف فی السموات و الأرض هو الذی یحیی الخلق بعد کونهم أمواتاً و هو الذی یمیتهم إذا کانوا أحیاء. ثم یرجعون الیه یوم القیامۀ فیجازیهم بمثل أعمالهم إن کانوا مطیعین بالثواب الدائم، و ان کانوا کفاراً بالعقاب الدائم. قال أبو علی: فی هذه الآیۀ دلالۀ علی أنه لا یقدر علی الحیاۀ إلا اللَّه لأنه تعالی تمدّح بکونه قادراً علی الأحیاء و الاماتۀ، فلو کان غیره قادراً علی الحیاۀ لما کان فی ذلک مدح. و فیها دلالۀ علی کونه قادراً علی الاعادۀ لان من قدر علی النشأۀ الأولی یقدر علی النشأۀ الثانیۀ.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیۀ ۵۷] ..... ص : ۳۹۴

يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (۵۷)

هذا خطاب من اللَّه تعالی للمکلفین من الناس یخبرهم اللَّه تعالی بأنه أتاهم موعظۀ من اللَّه. و الموعظۀ ما یدعو الی الصلاح و یزجر عن القبیح بما یتضمنه من الرغبۀ و الرهبۀ و یدعو الی الخشوع و النسک، و یصرف عن الفسوق و الإثم، و یرید بذلک القرآن و ما أتی به النبی صلی الله علیه و آله من الشریعۀ. و قوله «وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ» فالشفاء معنی کالدواء لازالۀ الداء. فداء الجهل أضر من داء البدن و علاجه أعسر التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۳۹۵

و أطباؤه اقل و الشفاء منه أجل. و الصدور جمع صدر و هو موضع القلب، و هو اجل موضع فی الحی لشرف القلب. و قوله «وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» وصف القرآن بأنه یقال عما یؤدی الی الحق و دلالۀ تؤدی الی المعرفۀ و نعمۀ علی المحتاج لأنه لا یقال للملک إذا اهدی الی ملک آخر جوهرۀ أنه قد رحمه بذلک، و إن کانت نعمۀ یجب بها شکره و مکافأته. و إنما أضافه الی المؤمنین، لأنهم الذین انتفعوا به دون الکفار الذین لم ینتفعوا به، کما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» و إن کان هدی لغیرهم.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۵۸] ..... ص : ۳۹۵

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (۵۸)

قرأ الحسن «فلتفرحوا» بالتاء. و به قرأ ابو جعفر المدنى و رويس و روى ذلك عن أبى بن كعب. الباقون بالياء. و كان الكسائى يعيب القراءة بالتاء و أجازها الفراء و احتج بقولهم: لتأخذوا مصافكم. و اللام فى قوله «فليفرحوا» لام الامر و إنما احتيج اليها ليؤمر الغائب بها. و قد يجوز أن يقع فى الخطاب للتصرف فى الكلام. و قرأ أبو جعفر و ابن عامر و رويس «تجمعون» بالتاء.

الباقون بالياء. قال ابو على: الجار فى قوله «فبذلك» يتعلق بقوله «فليفرحوا» لان هذا الفعل يصل به قال الشاعر:

فرحت بما قد كان من سيديكما «۱»

و الفاء فى قوله «فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا» زائدة لأن المعنى فافرحوا بذلك و مثله قول الشاعر:

---

(۱) قائله زهير ابن أبى سلمى ديوانه: ۱۰۹ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۹۶

فإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى «۱»

فالفاء فى قوله فاجزعى زيادة مثل التى فى «فليفرحوا» و قال الفراء «فبذلك» بدل من قوله «بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ». و من قرأ بالياء جعله أمراً للغائب، و اللام انما تدخل على فعل الغائب لان المواجهة استغنى فيها عن اللام بقولهم (افعل) فصار مشبهاً للماضى فى قولك (يدع) الذى استغنى عنه ب (ترك)، و لو قلت بالتاء لكنت مستعملا لما هو كالمرفوض، و ان كان الأصل. و لا يرجح القراءة بالتاء لكونها هى الأصل لأنه اصل مرفوض. و من قرأ بالتاء اعتبر الخطاب الذى قبله من قوله «قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ ... فلتفرحوا» و زعموا أنها فى قراءة أبى فافرحوا قال أبوا الحسن: و زعموا انها لغة و هى قليلة بمعنى لتضرب، و انت تخاطب. فان قيل: كيف جاء الامر للمؤمنين بالفرح، و قد ذم اللَّه ذلك فى مواضع من القرآن كقوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» «۲» و قال «إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ» «۳» و غير ذلك؟. قيل: اكثر ما جاء مقترناً بالذم من ذلك ما كان مطلقاً، فإذا قيد لم يكن ذماً كقوله «يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ» «۴» و فى الاية مقيد بذلك. فأما قوله «فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ» «۵» فانه مقيد و مع ذلك فهو مذموم، لكنه مقيد بما يقتضى الذم، كما جاء مقيداً بما لا يقتضى الذم، فمطلقه يقتضى الذم، و مقيده بحسب ما يقيد به، فان قيد بما يقتضى الذم أفاد الذم و إن قيد بما يقتضى المدح أفاد المدح. فأما قوله «فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» «۶» و قوله «وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ» «۷» و الفرح بنصر اللَّه المؤمنين محمود، كما ان القعود عن رسول اللَّه بالتقييد فى الموضعين مذموم.

---

(۱) قد مرّ فى ۵/ ۱۷۴

(۲) سورة ۲۸ القصص آية ۷۶

(۳) سورة ۱۱ هود آية ۱۰

(۴) سورة ۳ آل عمران آية ۱۷۰

(۵) سورة ۹ التوبة آية ۸۲

(۶) سورة ۴۰ المؤمن آية ۸۳

(۷) سورة ۳۰ الروم آية ۴- ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۹۷

امر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول للمكلفين افرحوا بفضل اللَّه، و هو زيادة نعمه و انما جاز أن يقول: فضل اللَّه، و انما هو

من إفضـال اللَّه، لأنه فى موضع إفضال، كما ان النبات فى موضع إنبات فى قوله «أَنْبَتَكَمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» «۱» و ايضاً فان اضافة الفضل الى اللَّه بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بمعنى انه مالك له. و الفرح لذة فى القلب بإدراك ما يحب، و ان شـئت قلت: هو لذة فى القلب بنيل المشتهى، و قد حسنه اللَّه فى هذه الاية، فدل على انه لا يحب الفرحين بمعنى البطرين.

و قوله «هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» قيل فضل اللَّه هو القرآن، و رحمته هو الإسـلام «خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» من الذهب و الفضة. ذكره ابن عباس و ابو سـعيد الخـدرى و الحسن و قتادة و مجاهـد. و من قرأ بالياء عنى به المخاطبين و الغيب، غير أنه غلب الغيّب على المخاطبين، كما غلب التذكير على التأنيث، فكأنه أراد به المؤمنين و غيرهم. و من قرأ بالتاء كان المعنى فافرحوا بذلك ايها المؤمنون اى افرحوا بفضل اللَّه، فان ما آتاكموه من الموعظة شفاء ما فى الصدور خير مما يجمع غيركم من اعراض الدنيا. و

قال ابو جعفر عليه السـلام «بِفَضْلِ اللَّهِ» يعنى الإقرار برسول اللَّه و «بِرَحْمَتِهِ» الائتمام بعلى عليه السلام «خَيْرٌ مِمَّا» يجمع هؤلاء من الذهب و الفضة.

و إذا حملت الاية على عمومها كان هذا ايضاً داخلا فيها.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۵۹] ..... ص : ۳۹۷

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (۵۹)

قال الحسن: المعنى بهـذه الايـة مشـركوا العرب قال اللَّه لهم «أَ رَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ» أى أرزاق العباد من المطر الـذى ينزله اللَّه «فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالًا»

---

(۱) سورة ۷۱ نوح آية ۱۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۳۹۸

يعنى ما حرموا من السائبة و الوصيلة و الحام، و ما حرموا من زروعهم.

قل يا محمّد لهم «آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ؟» معناه انه لم يأذن لكم فى شيء من ذلك بل أنتم تكذبون فى ذلك على اللَّه. و اسـتدل قوم بـذلك على أن القيـاس فى الأحكام لا يجوز. قال الزجاج (ما) فى قوله «ما أَنْزَلَ اللَّهُ» فى موضع نصب ب (انزل) و المعنى انكم جعلتم البحائر و السوائب حراماً، و اللَّه تعالى لم يحرم ذلك و تكون (ما) بمعنى الاسـتفهام. و يحتمل أن تكون (ما) بمعنى الذى و تكون نصـباً ب (أ رأيتم). و الرزق منسوب كله الى اللَّه لأـنه لا سبيل للعبـد اليه الا باطلاقه بفعله له او اذنه فيه اما عقلا او سـمعاً. و لا يكون الشيء رزقاً بمجرد التمكين لأنه لو كان كذلك لكان الحرام رزقاً، لأن اللَّه مكّن منه. قال الرمانى:

التحريم عقد بمعنى النهى عن الفعل و التحليل حل معنى النهى بالاذن.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۶۰] ..... ص : ۳۹۸

وَ ما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (۶۰)

المعنى أى شـيء يظن الـذين يكـذبون على اللَّه انه يصـيبهم يوم القامـة على افـترائهم على اللَّه، اى لاـ ينبغى ان يظنوا ان يصـيبهم على ذلـك الا العـذاب و العقاب، و جعل ذلك زجراً عن الكـذب على اللَّه. ثم اخبر تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَـذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» بما فعل بهم من ضروب النعم «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ» نعمه و لا يعترفون به و يجحدونه، و هذا خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب، و إن كان بصورة الاسـتفهام و تقـديره ا يؤديهم الى خير ام شـر؟. و افتراء الكـذب أفحش من فعل الكـذب بتزويره و تنميقه فالزاجر عنه أشـد. و قيل: معنى قوله «لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» أى لم يضـيق عليهم بالتحريم لما لا مصـلحة لهم فى تحريمه كما ادعيتم عليه. و قيل: التبيان فى

تفسير القرآن، ج۵، ص: ۳۹۹

معناه انه لذو فضل على خلقه بتركه معاجلة الكذاب بالعقوبة فى الدنيا، و إمهاله إياه الى يوم القيامة.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۶۱] ..... ص : ۳۹۹

وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (۶۱)

قرأ الكسائى «يعزب» بكسر الزاى هنا و فى سبأ. الباقون بضمها، و هما لغتان. و ان كان الضم أفصح و اكثر. و قرأ حمزة و خلف و يعقوب «و لا أصغر ...

و لا اكبر» بالرفع فيهما. الباقون بفتحهما. فمن فتح الراء فلأن (افعل) فى الموضعين فى موضع جر، لأنه صفة المجرور الذى هو قوله «مِثْقالِ ذَرَّةٍ» و انما فتح، لأن (افعل) إذا اتصل به منكر كان صفة لا تنصرف فى النكرة. و من رفعه حمله على موضع الموصوف، لأن الموصوف الذى هو «مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ» الجار و المجرور فى موضع رفع، كما كانا فى موضعه فى قوله «كَفى بِاللَّهِ» «۱» و مثل قوله «مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» «۲» فمن رفع يجوز ان يكون صفة بمنزلة (مثل) و يجوز أن يكون استثناء كما تقول: ما لكم من إله الا اللَّه. و مثله

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۵، ۴۴، ۶۹، ۷۸، ۸۰، ۱۳۱، ۱۶۵، ۱۷۰، و يونس آية ۲۹ و الرعد ۴۵ و الإسراء ۹۶، و العنكبوت ۵۲، و الأحزاب ۳، ۴۸ و الفتح ۲۸.

(۲) سورة ۱۱ هود آية ۵۰، ۶۱، ۸۳ و سورة ۲۳ المؤمنون آية ۲۳، ۳۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۰۰

«فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ» «۱» و غير ذلك. و يجوز أن يعطف قوله «و لا أصغر» على «ذرة» فيكون التقدير و ما يعزب عن ربك مثقال ذرة و لا مثقال أصغر، فعلى هذا لا يجوز الا الجر لأنه لا موضع للذرة غير لفظها، كما كان لقولك من مثقال ذرة موضع غير لفظه.

و لا يجوز على قراءة حمزة ان يكون معطوفاً على (ذرة) كما جاز فى قول الباقين لأنه إذا عطف على (ذرة) وجب ان يكون أصغر مجروراً، و انما فتح، لأنه لا ينصرف و كذلك يكون على قول من عطفه على الجار الذى هو (من).

معنى قوله «وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ» ليس تكون فى حال من الأحوال، لأن الشأن و البال و الحال نظائر و جمعه شئون. و الشأن معنى مفخم على طريق الجملة يقال: ما شأنك و ما حالك و ما بالك. و قوله «وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ» اى و ليس تتلو من القرآن، فتكون الهاء كناية عن القرآن قبل الذكر لتفخيم ذكر القرآن، كما قال «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «۲» و يحتمل أن تكون الهاء عائدة على الشأن و تقديره و ما يكون من الشأن. و قوله «وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً» اى ليس يخفى على اللَّه شىء من أعمالكم بل يعلمها كلها و يشهدها.

و المشاهدة الإدراك بالحاسة. و المشاهد المدرك بحاسة اى ذات يعنى عن حاسة يقال:

شاهد و شهود و شهداء. و قوله «إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ» فالاضافة الدخول فى العمل على جهة الانصباب اليه، و هو الانبساط اليه فى العمل مأخوذ من فيض الإناء إذا انصب من جوانبه. و منه قوله «أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ» «۳» اى تفرقتم كتفرق الماء الذى ينصب من الإناء. و مثله أفاض الماء عليه و أفاض فى الحديث و قوله «وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ» فالعزوب الذهاب عن المعلوم و ضده حضور المعنى للنفس. و تعزّب إذا انفرد عن اهله. و قال ابن عباس معنى لا يعزب لا يغيب. و قوله «مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ» فالذر صغار النمل واحده ذرّة، و هو خفيف الوزن جداً. و معنى مثقال ذرة وزن

---

(۱) سورة ۶۳ المنافقون آية ۱۰

(۲) سورة ۲۷ النمل آية ۹

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۱۹۸

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۰۱

ذرة يقال: خذ هذا فانه أخف مثقالا اى أخف وزناً. و قوله «وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ» معناه لا يخفى عليه ما وزنه مثقال ذرة و لا ما هو أصغر منها و لا ما هو اكبر الا و قد بينه فى الكتاب المحفوظ و كتبته ملائكته و حفظوه.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۶۲] ..... ص : ۴۰۱

أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۲)

بين اللَّه تعالى فى هذه الاية أن أولياءه لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب «وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» اى و لا يخافون. و قال ابن عباس و سعيد بن جبير: هم قوم ذكرهم اللَّه بما هم عليه من سيماء الخير و الإخبات. و قال ابن زيد: هم الذين آمنوا و كانوا يتقون. و قد بينهم فى الاية بعدها. و قال قوم: هم المتحابون فى اللَّه ذكر ذلك فى خبر مرفوع. و الأولياء جمع ولى و هو الذى يستحق من اللَّه ان يوليه ثوابه و كرامته، و هو المطيع للَّه الذى يتولى إجلاله و إعظامه. و قيل: الولى النصير و لا يسمى المتولى الانعام على غيره انه وليه، لأنه قد يتولى الانعام عليه للمظاهرة بالجميل فى أمره و استصلاحه الذى يصرف عن القبيح، و ان كان عدوه. و لا يجتمع الولاية و العداوة. و الخوف انزعاج القلب لما يتوقع من المكروه. و الخوف و الفزع و الجزع نظائر، و ضده الأمن. و الحزن غلظ الهّم مأخوذ من الحزن، و هى الأرض الغليظة، و ضده السرور. قال الجبائى: هذه الآية تدل على ان المؤمنين المستحقين للثواب لا يخافون يوم القيامة أصلا بخلاف ما يقول قوم انهم يخافون الى ان يجوزوا الصراط. و قال البلخى: ليس يمتنع ان يخافوا من اهوال يوم القيامة و ان علموا ان مصيرهم الى الجنة و الثواب. و على ما نذهب اليه من انه يجوز ان يعاقب اللَّه بعض الفساق ثم يردهم الى الثواب ينبغى ان تكون الآية مخصوصة بمن لا يستحق العقاب أصلا. او نقول المراد بذلك لا خوف عليهم و لا هم يحزنون لذلك. و

روى عن الحسين عليه السلام انهم الذين ادّوا فرائض اللَّه و أخذوا بسنن رسول اللَّه و تورعوا التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۰۲ عن محارم اللَّه و زهدوا فى عاجل زهرة الدنيا، و رغبوا فيما عند اللَّه و اكتسبوا الطيب من رزق اللَّه لمعايشهم لا يريدون به التفاخر و التكاثر. ثم أنفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأولئك الذين يبارك اللَّه لهم فيما اكتسبوا و يثابون على ما قدموا منه لآخرتهم.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۶۳] ..... ص : ۴۰۲

الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۶۳)

يحتمل موضع (الذين) ثلاثة أوجه من الاعراب: أحدها- ان يكون نصباً بأن يكون صفة للأولياء. و الثانى- ان يكون رفعاً على المدح. و الثالث- ان يكون رفعاً بالابتداء، و خبرهَهُمُ الْبُشْرى

.اخبر اللَّه تعالى ان الذين آمنوا هم الذين يصدقون باللَّه و يعترفون بوحدانيته و هم مع ذلك يتقون معاصيه. و الفرق بين الايمان و التقوى ان التقوى مضمن باتقاء المعاصى مع منازعة النفس اليها. و الايمان من الأمن بالعمل من عائد الضرر.

و الفرق بين الايمان باللَّه و الطاعة له ان الطاعة من الانطياع بجاذب الأمر و الارادة المرغبة فى الفعل. و الايمان هو الامن المنافى لانزعاج القلب. و قوله «يتقون» فالاتقاء أصله من (وقيت) فقلبت الواو، و أدغمت فى تاء الافتعال كما قلبت فى اتجاه و تراث.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۶۴] ..... ص : ۴۰۲

لَهُمُ الْبُشْرى فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ فِی الْآخِرَةِ لا تَبْدِیلَ لِکَلِماتِ اللَّهِ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (۶۴)

ذکر اللّه تعالی ان الذین وصفهم فی الایة الاولی من انهم مؤمنون باللّه و یتقون معاصیهَهُمُ الْبُشْری

و هی الخبر بما یظهر سروره فی بشرة الوجه. و البشری التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۰۳

و البشارة واحد. و قولهِی الْحَیاةِ الدُّنْیا»

قیل فیه ثلاثة اقوال:

أحدها- قال قتادة و الزهری و الضحاک و الجبائی: هو بشارة الملائکة علیهم السلام انها الرؤیا الصادقة الصالحة یراها الرجل او یری له. و

قال ابو جعفر علیه السلام البشری فی الدنیا الرؤیا الصالحة یراها المؤمن او یری له و فی الآخرة الجنة.

و الثالث- بشری القرآن بشرف الایمان- ذکره الفراء و الزجاج و غیرهما. و قوله تَبْدِیلَ لِکَلِماتِ اللَّهِ»

معناه لا خلف لما وعد اللّه تعالی به من الثواب بوضع کلمة اخری مکانها بدلا منها، لأنها حق و الحق لا خلف له بوجه. و قولهلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ»

اشارة الی هذه البشری المتقدمة بأنه الفوز الذی یصغر کل شیء فی جنبه.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۶۵] ..... ص : ۴۰۳

وَ لا یَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِیعاً هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ (۶۵)

ظاهر قوله «وَ لا یَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ» ظاهره النهی و المراد به التسلیة للنبی صلی الله علیه و آله عن قولهم الذی یؤذونه به. و النهی فی اللفظ القول. و انما هو عن السبیل المؤدی الی التأذی بالقول. و مثله لا أراک هاهنا و المعنی لا تکن هاهنا فمن کان هاهنا رأیته، فکذلک المراد بالآیة لا- تعبأ بالأذی فیمن عنی به أذاه. و قوله «إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِیعاً» کسرت (إن) بالاستئناف بالتذکیر لما ینفی الحزن لا انها مفعول القول لأنها لیست حکایة عنهم، لأنهم لم یقولوا ان العزة للّه. و لا یجوز نصبها علی ان تکون معمول القول لأنهم لو قالوه لما احزن ذلک النبی صلی الله علیه و آله و لو فتحت (ان) علی معنی (لان) جاز. و العزة القدرة علی کل جبار بالقهر بأن لا یرام و لا یضام عز یعز عزاً فهو عزیز و المعنی انه الذی یعزک و ینصرک حتی تصیر أعز ممن ناواک و قوله «هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ» معناه انه یسمع قولهم و یعلم ضمیرهم فیجازیهم بما تقتضیه حالهم و یدفع عنک شرهم.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۰۴

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۶۶] ..... ص : ۴۰۴

أَلا- إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ وَ ما یَتَّبِعُ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَکاءَ إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا یَخْرُصُونَ (۶۶)

قد بینا فیما مضی أن أصل (ألا) (لا) و انما دخلت علیها حرف الاستفهام تنبیهاً. و الفرق بین (ألا) و (أما) أن (ألا) للاستقبال و لا تقع بعدها (إن) الا مکسورة. و (اما) تکون بمعنی حقاً کقولهم اما انه منطلق، لأنها للحال و یجوز بعد (اما) کسر (ان) و فتحها.

لما سلی اللّه النبی صلی الله علیه و آله فقال «لا یحزنک» قول هؤلاء الکفار ف «إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ» یعنی القدرة و القهر فإنهم لا یفوتونه، بین بعد ذلک ما یدل علیه و ینبه علی صحته و هو أن له تعالی «مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ» یعنی العقلاء. و إذا کان له ملک العقلاء فما عداهم تابع لهم، و وجب ان یکون ملکاً له و انما خص العقلاء تعظیماً للأمر. و قوله «وَ ما یَتَّبِعُ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَکاءَ» تحتمل (ما) فی قوله «وَ ما یَتَّبِعُ» وجهین: أحدهما- ان تکون بمعنی (ای) کأنه قال و ای شیء یتبع الذین یدعون من دون اللّه

شركاء، تقبيحاً لفعلهم. الثانی- ان تكون نافية، و تقديره و ما يتبعون شركاء فی الحقيقة و المعرفة.
و قوله «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» معناه ليس يتبعون فی اتخاذهم مع اللَّه شركاء الا الظن لتقليدهم أسلافهم فی ذلك او لشبهة دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك الی اللَّه تعالی و بين بعد ذلك انهم ليسوا الا كاذبين بهذا القول و الاعتقاد- فی قوله «إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ». و فائدة الآية الابانة عن انه يجب اخلاص العبادة لمن يملك السموات و الأرض و ان لا يشرك معه فی العبادة غيره.
التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۰۵

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۶۷] ..... ص : ۴۰۵

هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِی ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (۶۷)
بين اللَّه تعالی فی هذه الآية ان الذی يملك من فی السموات و من فی الأرض «هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ» ای خلقه «لِتَسْكُنُوا فِيهِ» ای خلقه و عرّضه لتسكنوا فيه و انه لأجل ذلك خلقه ليزول التعب و الكلال بالسكون فيه و جعل «النَّهارَ مُبْصِراً» و انما يبصر فيه تشبيهاً و مجازاً و استعارة فی صفة الشیء بسببه علی وجه المبالغة و مثله قول جرير:
لقد لمتنا يا أم عيلان فی السری و نمت و ما ليل المطی بنائم «۱»
و قال رؤبة:
و نام ليلی و تجلی همی «۲»
و الفرق بين الجعل و الفعل ان جعل الشیء قد يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفاً و لا يكون فعله إلا باحداثه. و الفرق بين الجعل و التغيير أن تغيير الشیء لا يكون الا بتصييره علی خلاف ما كان، و جعله يكون بتصييره علی مثل ما كان كجعل الإنسان نفسه ساكتاً علی استدامة الحال.
و قوله «إِنَّ فِی ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» اخبار منه تعالی و تنبيه علی ان هذا الجعل لا يقدر عليه الا اللَّه تعالی، و انه لا يصح الا من عالم قاصد، و انه نعمة علی الخلق بما لهم فی ذلك من النفع و الصلاح، و انه من الأمور اللازمة الدائرة، و انه منصوب للفكر لا يغيب عنه طرفة عين.

---

(۱) ديوانه ۵۴۴ و تفسير الطبری ۱۱/ ۸۹ و مجاز القرآن ۱/ ۲۷۹ [.....]
(۲) ديوانه ۱۴۳ و مجاز القرآن ۱/ ۲۷۹
التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۰۶

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۶۸] ..... ص : ۴۰۶

قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا أَ تَقُولُونَ عَلَی اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۶۸)
الذين أضافوا اتخاذ الولد اليه طائفتان: إحداهما- كفار قريش و العرب، فإنهم قالوا: الملائكة بنات اللَّه. و الاخری- النصاری الذين قالوا: المسيح ابن اللَّه، فكذب اللَّه الفريقين. و لا يجوز اتخاذ الولد علی اللَّه علی وجه التبنی، كما لا يجوز عليه اتخاذ إله علی التعظيم، لأنه لما استحال حقيقته عليه استحال مجازه المبنی عليها. و حقيقة الولد من ولد علی فراشه او خلق من مائه، و لذلك لا يقال: تبنی الشاب شيخاً، و لا تبنی الإنسان بهيمة لما كان ذلك مستحيلا، و هذه الحقيقة مستحيلة فيه تعالی، فاستحال مجازها أيضاً. و اتخاذ الخليل جائز، لان الخلة اصفاء المودة التی توجب الاطلاع علی سره ثقة به. و ان كان مشتقاً من الخلة- بفتح الخاء- فهو لافتقاره اليه،

لان الخلة هى الحاجة. و يجوز ان يقال المسيح روح اللَّه، لان الأرواح كلها ملك للَّه. و انما خص المسيح بالذكر تشريفاً له بهذا الذكر كما خص الكعبة بأنها بيت اللَّه، و ان كانت الأرض كلها للَّه تعالى.

و قوله «سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ» تنزيه من اللَّه تعالى نفسه عن اتخاذ الولد لكونه غير محتاج الى ذلك، لأنه مالك ما فى السموات و الأرض.

و قوله «إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا» إخبار منه أنه ليس مع هؤلاء الذين يتخذون مع اللَّه ولداً برهان و لا حجة، لأنّ السلطان هو البرهان الظاهر، و وبخهم على قولهم ذلك فقال «أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» لأن من أقدم على الاخبار عما لا يعلم صحته و لا يأمن كونه كذباً مقبح عند العقلاء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۰۷

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): الآيات ۶۹ الى ۷۰] ..... ص : ۴۰۷

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (۶۹) مَتاعٌ فِي الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ (۷۰)

آيتان عند الجميع.

قوله «لا يفلحون» وقف تام. أمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول للمكلفين «إن الذين» يكذبون على اللَّه باتخاذ الولد و غير ذلك «لا يُفْلِحُونَ» اى لا يفوزون بشيء من الثواب. و كسرت (إنّ) بعد القول، لأنه حكاية لما يستأنف الاخبار به و لذلك دخلت لام الابتداء فى الخبر، لأنها تؤذن بأنه موضع ابتداء. و الكذب يتعاظم الإثم عليه بحسب تعاظم الضرر به و كثرة الزواجر عنه، فالكذب على اللَّه أعظم لكثرة الزواجر عنه لما فيه من تضييع حق المنعم بأجل النعم. و قوله «مَتاعٌ فِي الدُّنْيا» رفع بأنه خبر الابتداء. و تقديره ذاك متاع أو هو متاع.

و يجوز أن يكون على تقدير لهم متاع. و إنما خص بالدنيا لئلا يغتر به. و المتاع ما يقع به الانتفاع من أثاث أو غيره. و الانتفاع حصول الالتذاذ. و انما جاز أن يمتعوا فى الدنيا دون الاخرة، لأن الدنيا دار عمل و الآخرة دار جزاء، و لذلك كان التكليف فى الدنيا دون الآخرة. و قوله «ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ» فالمرجع المصير الى الشيء بعد الذهاب عنه، فهؤلاء ابتدأهم اللَّه ثم يصيرون الى الهلاك بالموت. ثم يرجعون بالانشاء ثانية. و قوله «ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ» معناه انا لا نقتصر على بعثهم بعد موتهم بل نوصل اليهم العذاب الشديد و ننزله بهم جزاء بما كانوا يكفرون فى دار الدنيا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۰۸

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۷۱] ..... ص : ۴۰۸

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي وَ تَذْكِيرِي بِآياتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لا تُنْظِرُونِ (۷۱)

قرأ نافع فى رواية الأصمعى عنه «فاجمعوا» من جمع الباقون بقطع الهمزة و قرأ يعقوب «و شركاؤكم» بالرفع. الباقون بالنصب. قال أبو على: ما رواه الأصمعى عن نافع من وصل الهمزة من جمعت، و الأكثر فى الامر يقال أجمعت، كقوله «وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ» «۱» و كما قال الشاعر:

[يا ليت شعرى و المنى لا تنفع هل أغدون يوماً و أمرى مجمع «۲»

اى معد، و يمكن أن يكون المراد، و اجمعوا ذوى الأمر منكم أى رؤساءكم و وجوهكم، كما قال «أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ» «۳» فحذف المضاف و أجرى على المضاف اليه ما كان يجرى على المضاف لو ثبت. و يجوز ان يكون جعل الامر ما كانوا يجمعونه من كيدهم

ثم الذين يكيدونه به، فيكون بمنزلة قوله «فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا» على أن أبا الحسن يزعم أن وصل الألف فى «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ» أكثر فى كلام العرب. قال: و انما يقطعون الهمزة إذا قالوا أجمعوا على كذا و كذا، قال: و القراءة بالقطع غريبة. و من وصل الهمزة حمل الشركاء على هذا الفعل الظاهر لأنك جمعت الشركاء و جمعت القوم، و على هذا

---

(۱) سورة ۱۲ يوسف آية ۱۰۲

(۲) تفسير الطبرى ۱۱/ ۹۰ و القرطبى ۸/ ۳۶۲

(۳) سورة ۴ النساء آية ۸۲

قال «ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ» «۱» و من قطع الهمزة أضمر للشركاء فعلا آخر كأنه قال فاجمعوا أمركم و اجمعوا شركاءكم أو ادعوا شركاءكم، قال الشاعر:

علفتها تبناً و ماء بارداً «۲»

و قال آخر:

شراب البان و تمر و أقط

و فى قراءة أبى «و ادعوا شركاءكم» و يجوز أن يكون انتصاب الشركاء على انه مفعول معه، و هو قول الزجاج، كما قالوا: استوى الماء و الخشبة، و جاء البرد و الطيالسة، و قالوا: لو ترك الفصيل و امه لرضع من لنبها. و من رفع «و شركاؤكم» كيعقوب و الحسن حمله على الضمير، و تقديره فاجمعوا أنتم و شركاؤكم. قال الزجاج: و حسن ذلك لدخول المنصوب بينهما. و لو لم يدخل لما حسن. و لا يجوز أن تقول اجمعوا و شركاؤكم. و انما يجوز العطف على الضمير إذا أكد. و زعم ابو الحسن أن قوماً يقيسون هذا الباب. و قوماً يقصرونه على ما سمع. قال ابو على الفارسى: و الاول عندى أقيس.

امر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يقرأ على هؤلاء الكفار أخبار نوح عليه السلام حين «قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي» بين أظهركم «و تذكيرى» إياكم «بِآياتِ اللَّهِ» و حججه و هممتم بقتلى و اذاى فافعلوا ما بدا لكم فانى على اللَّه توكلت و إنما جعل جواب الشرط «فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ» مع انه متوكل عليه فى جميع أحواله ليبين لهم أنه متوكل فى هذا على التفصيل لما فى إعلامه ذلك من زجرهم عنه لان اللَّه تعالى يكفيه أمرهم. و التوكل و التفويض جعل الامر الى من يدبره للثقة به فى تدبيره فمن فوض أمره الى اللَّه فقد توكل عليه. و قوله «ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً» معناه ليكن أمركم ظاهراً مكشوفاً و لا يكونَنَّ مغطى مستوراً من

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۱۰۴

(۲) تاويل مشكل القرآن ۱۶۵ و أمالى المرتضى ۲/ ۱۷۰ و اللسان (علف)

غممت الشيء إذا سترته، فالغمة ضيق الامر الذى يوجب الحزن، و الغمة و الضغطة و الكربة و الشدة نظائر، و نقيضه الفرجة. و قيل (غمة) معناه مغطى تغطية حيرة مأخوذة من غم الهلاك. و قوله «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ» فيه تهديد. و قوله «ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لا تُنْظِرُونِ» معناه افعلوا ما تريدون، على وجه التهديد لهم، و انه إذا كان اللَّه ناصره و عليه توكله فلا يبالى بمن عاداه و أراد به السوء فان اللَّه يكفيه أمره. و قرئ بالفاء و معناهما متقاربان، و لان معنى اقضوا توجهوا الى. و قال ابن الانبارى معنى «اقضوا» امضوا، يقال قضى فلان إذا مات و مضى. و معنى «وَ لا تُنْظِرُونِ» و لا تؤخرون.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۷۲] ..... ص : ۴۱۰

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۷۲)

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله تمام ما حكاه عن نوح انه قال لقومه إن «توليتم» اى هربتم عن الحق و اتباعه و لم تقبلوه و لم تنظروا فيه. و التولى و الاعراض و الانصراف نظائر. و قوله «فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ» اى لا اطلب منكم اجراً على ما أؤديه إليكم من اللَّه، فيثقل ذلك عليكم. و الأجر النفع المستحق بالعمل. و الاجرة مضمنة بشريطة او مجرى عادة. و قوله «إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ» اى ليس اجرى فى القيام بأداء الرسالة الا على اللَّه.

و قوله «وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» معناه قل لهم: أمرنى اللَّه بأن أكون من المسلمين لأمر اللَّه بطاعته ثقة بأنها خير ما يكسبه العباد.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۷۳] ..... ص : ۴۱۰

فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (۷۳)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۱۱

لما حكى اللَّه تعالى ما قال نوح لقومه فى الآيتين الاوّلتين، ذكر ما كان من قومه فى مقابلة ذلك، و هو انهم كذبوه اى نسبوه الى الكذب فيما ذكره من انه نبى اللَّه و ان اللَّه بعثه اليهم ليدعوهم الى طاعته، و انه تعالى عند ذلك نجا نوحاً اى خلصه، و خلص الذين معه فى السفينة و جعلهم خلائف معه، انه جعل الذين نجوا مع نوح لمن هلك بالغرق عبرة. و قيل انهم كانوا ثمانين نفساً.

و قال البلخى: يجوز أن يكون أراد به جعل منهم رؤساء فى الأرض و أهلك باقى أهل الأرض أجمع لتكذيبهم لنوح. و الغرق الإهلاك بالماء الغامر، و قد يغرق الحصاة بالماء على هذا المعنى. و اما التغريق فى رحمة اللَّه. فإنما هو تشبيه بما اكتنفه الماء الغامر. ثم قال لنبيه صلى الله عليه و آله «فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ» خوفوا باللّه و عذابه فلم يخافوه، كيف اهلكهم اللَّه ليعلمهم بذلك ان حكم هؤلاء الذين كذبوه و جحدوا نبوته حكم أولئك فى أن اللّه يهلكهم و يدمر عليهم، يسليه بذلك عن ترك انقيادهم له.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۷۴] ..... ص : ۴۱۱

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (۷۴)

أخبر اللَّه تعالى انه بعث رسلا- بعد نوح و إهلاك قومه- الى قومهم الذين كانوا فيهم بعد ان تناسلوا و كثروا فأتوهم بالحجج و المعجزات الدالة على صدقهم و انهم مع التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۱۲

ذلك «فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» و يحتمل ذلك أمرين: أحدهما- انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما كذبوا به قوم نوح من قبل: من توحيد اللَّه و تصديق أنبيائه و الثانى- قال البلخى ما كانوا ليؤمنوا بالحجج و البينات بعد إتيان الأنبياء بها بما كذبوا به من قبل يخبر عن عنادهم و عتوهم.

و قال «كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ» معناه إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الكفار سمة و علامة على كفرهم يلزمهم الذم بها، و تعرفهم بها الملائكة و إنا مثل ذلك نفعل بقلوب المعتدين. و ليس المراد بالطبع فى الآية المنع من الايمان، لان مع المنع من الايمان لا يحسن تكليف الايمان. و الطبع جعل الشيء على صفة غيره بمعنى فيه. و المعتدون هم الظالمون لنفوسهم الذين تعدوا حدود اللّه.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۷۵] ..... ص : ۴۱۲

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى وَ هارُونَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ بِآياتِنا فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۷۵)

هـذا اخبار من اللَّه تعالى انه- بعـد إرسال من أرسل من الأنبياء بعد نوح و إهلاك قومه و ما ذكره من انهم لم يؤمنوا به و انه طبع على قلوبهم عقوبـة لهم على ذلك- بعث ايضاً بعدهم موسـى و هارون عليهما السـلام نبيين مرسلين «إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ» يعنى رؤساء قومه «بآياتنا» اى بأدلتنا و حججنا و انهم اسـتكبروا عن الانقياد لها و الايمان بها «وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ» فى ذلك مستحقين للعقاب الدائم. و الملاء الجماعة الذين هم وجوه القبيلة مأخوذ من انهم تملا الصدور هيبتهم عند منظرهم.

و منه

قوله صلى الله عليه و آله فى قتلى بدر (أولئك الملاء من قريش).

و الاسـتكبار طلب الكبر من غير استحقاق فأما المتكبر فى أوصاف اللَّه فهو الظاهر، فان له على مراتب الكبر، و هو صفة ذم فى العباد و مدح فى صفة اللّه تعالى. و الاجرام اكتساب السيئة التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۱۳

و هى صـفة ذم. و اصل الاجرام القطع يقال: جرم التمر يجرمه جرماً فهو جارم و الجمع جرام إذا صرمه، و زمن الجرام زمن الصـرام. و تجرمت السنة إذا انصرمت. و فلان جريمة اهله اى كاسبهم. و قوله «لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» «۱» اى لا بد لهم النار قطعاً قال الشاعر:

و لقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا «۲»

اى حملتهم على الغضب بقطعها إياهم. و انجرم الجسـيم، و الجرم الصوت، و الجرم الـذنب. و وزن (موسـى) مفعل و هو محمول على قياس العربية فزيادة الميم أولا اكثر من زيادة الالف اخيراً و كذلك زيادة همزة الفعل فى افعل لهذه العلة.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۷۶] ..... ص : ۴۱۳

فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (۷۶)

أخبر اللَّه تعالى عن قوم فرعون الذين ذكرهم و أخبر عنهم بالاستكبار انهم قالوا مع ذلك حين جاءهم الحق من عند اللَّه: ان هذا الذى اتى به موسـى من المعجزات و البراهين سـحر ظاهر. و (لما) تدل على ما مضـى و لا بد لها من الجواب و (إذ) لما مضى و تستغنى عن الجواب كقولك: مضى اليه إذ قدم اى يوم قدم.

(و إذا) تكون للمسـتقبل كحرف الجزاء. و الحق معنى معتقده على ما هو به، و هو ما أتت به الرسل من البيان و البرهان عن اللَّه تعالى.

و السحر إيهام المعجزة على طريق الحيلة، و يشبه به البيان فى خفاء السبب قال الشاعر:

و حديثها السحر الحلال لو انّه لم يجن قتل المسلم المتحرز

و الساحر الـذى يعتقـد صـحة سـحره كافر، لأنه لا يمكنه مع ذلك معرفة النبوة فان كان يمخرق بالسـحر و يعلم انه باطل لم يكفر و لم يطلق عليه صفة ساحر.

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آية ۶۲

(۲) مرّ تخريجه فى ۳/ ۴۲۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۱۴

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۷۷] ..... ص : ۴۱۴

قالَ مُوسى أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هذا وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (۷۷)

حكى اللَّه تعالى عن موسـى انه قال لقومه الـذين نسـبوه الى السـحر «أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هذا» و يريد بذلك تبكيتهم و تهجينهم. ثم قال موسـى «وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ» اى لا يفوزون بشـىء من الخير. و يجوز أن يكون ذلك اخباراً من اللَّه تعالى لا حكاية

عن موسی و ذلک یدل علی بطلان السحر أجمع. و قیل فی تکریر الف الاستفهام فی قوله «أ سِحْرٌ هذا» بعد ان قال «أ تَقُولُونَ» ثلاثهٔ اقوال: أحدها- انه یکون لتأکید التقریع علی الحذف کأنه قال ا تقولون للحق لما جاءکم ان هذا لسحر مبین أسحر هذا. و الثانی- علی وجه التکرار کقولک ا تقول ا عندک مال. و الثالث- أن یکون حکایهٔ قولهم و ان اعتقدوا انه السحر کما یقول الرجل للجاریهٔ إذا أتته أحق هذا، فیقولونه علی التعجب.

و لو قالوا الحق لا یکون سحراً. و لکن لیس بحق لقال لهم فلو کان حقاً کیف کان الا هکذا من قلب الجماد حیواناً یرونه عیاناً و غیر ذلک من الآیات.

قوله تعالی:[سورهٔ یونس (۱۰): آیهٔ ۷۸] ..... ص : ۴۱۴

قالُوا أ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَیْهِ آباءَنا وَ تَکُونَ لَکُمَا الْکِبْرِیاءُ فِی الْأَرْضِ وَ ما نَحْنُ لَکُما بِمُؤْمِنِینَ (۷۸)

روی العلیمی «و یکون» بالیاء. الباقون بالتاء. وجه الیاء انه تأنیث غیر حقیقی، و قد فصل بینهما. و من قرأ بالتاء فلان الکبریاء لفظها لفظ التأنیث.

أخبر اللَّه تعالی عن قوم موسی انهم قالوا له لما اظهر لهم المعجزات و دعاهم الی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۱۵

التصدیق بنبوته «أ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَیْهِ آباءَنا» ای لتصرفنا عن ذلک و اللفت الصرف عن امر تقول: لفته یلفته لفتاً، و لفت عنقه إذا لواها، قال رؤبهٔ:

و لفت لفات لها حصاد

و قال ایضاً:

لفتاً و تهزیعاً سواء اللفت

التهزیع الدق و اللفت اللی. و قوله «وَ تَکُونَ لَکُمَا الْکِبْرِیاءُ فِی الْأَرْضِ» قال مجاهد: الکبریاء الملک. و قال قوم هی العظمهٔ. و قال آخرون هی السلطان.

و الکبریاء استحقاق صفهٔ الکبر فی أعلی المراتب. و الالف فی قوله «أ جئتنا» الف استفهام، و المراد به الإنکار علی طریق اللجاج و الحجاج منهم، فتعلقوا بالشبههٔ فی انهم علی رأی آبائهم، و ان من دعاهم الی خلافه فظاهر أمره انه یرید التأمر علیهم.

و قوله «وَ ما نَحْنُ لَکُما بِمُؤْمِنِینَ» حکایهٔ انهم قالوا لموسی و هارون لسنا بمصدقین لکما فیما تدعیانه من النبوهٔ.

قوله تعالی:[سورهٔ یونس (۱۰): آیهٔ ۷۹] ..... ص : ۴۱۵

وَ قالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِی بِکُلِّ ساحِرٍ عَلِیمٍ (۷۹)

قرأ أهل الکوفهٔ إلا عاصماً «بکل سحار» بتشدید الحاء و الف بعدها الباقون (ساحر) علی وزن فاعل. و قد بینا الوجه فی ذلک فی الاعراف.

حکی اللَّه تعالی عن فرعون انه حین أعجزه المعجزات التی ظهرت لموسی، و لم یکن له فی دفعها حیلهٔ قال لقومه ائتونی بکل ساحر علیم بالسحر بلیغ فی علمه.

و (فرعون) لا ینصرف لأنه أعجمی معرفهٔ، و هو منقول فی حال تعریفه و لو نقل فی حال تنکیره انصرف کیاقوت. و وزن فرعون فعلون، الواو زائدهٔ، لأنها لحقت عند سلامهٔ الثلاثهٔ. و مثله فردوس. و إنما طلب فرعون کل ساحر لیتعاونوا علی دفع ما اتی به موسی و حتی لا یفوته شیء من السحر بتأخر بعضهم. و إنما التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۱۶

توهم مقاومهٔ السحرهٔ لموسی مع قول موسی له «لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» لأنه إنما عرف ذلک فیما بعد

لما بهره الامر فکان قبل ذلک علی الجهل لتوهمه ان السحر یقاوم الحق.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۸۰] ..... ص : ۴۱۶

فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسی أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (۸۰)

حکی اللَّه تعالی ان السحرة الذین طلبهم فرعون و امر بإحضارهم لما جاءوا فرعون و موسی حاضر «قالَ لَهُمْ مُوسی أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ» و هذا ظاهره الامر و یحتمل أمرین: أحدهما- أن یکون قال ذلک علی سبیل التحدی و الإلزام بمعنی: من کان عنده انه یقاوم المعجزات لزمه ان یأتی بها معه حتی تظهر منزلته و انما جاز إلزام الباطل علی الخصم لیتبین ان أصله الفاسد یوجب علیه اعتقاد ذلک الباطل، کما ان الشیطان یوجب الفساد و یدعوه الی الضلال. الثانی- أن یکون ذلک امراً علی الحقیقة بدلیل ان کان معه قوله «أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ» انما لم یقتصر علی قوله «القوا» لأن المراد به القوا جمع ما أنتم ملقون فی المستأنف فلا یکفی منه القوا. و الإلقاء إخراج الشیء عن الید الی جهة الأرض و یشبه بذلک قولهم القی علیه مسألة و القی علیه کلمة، و الإلقاء و الطرح نظائر. و فی الکلام حذف، لان تقدیره قال فرعون ائتونی بکل ساحر علیم فأتوه بهم فقال لهم موسی.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۸۱] ..... ص : ۴۱۶

فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسی ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَیُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا یُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِینَ (۸۱)

قرأ ابو عمرو وحده «آلسحر» علی الاستفهام. الباقون علی الخبر. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۱۷

قال ابو علی الفارسی: فی قراءة أبی عمرو (ما) یرفع بالابتداء، و جئتم به فی موضع الخبر و الکلام استفهام، لأن الکلام یستقبل بقوله جئتم به. و لو کانت موصولة احتاج الی خبر آخر. و هذا الاستفهام المراد به التقریر کما، قال «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ» «۱» لان موسی کان عالماً بأن ذلک السحر. و انما ألحق الف الاستفهام بقوله «السحر» لان السحر بدلا من «ما» المبتدأ و لزم ان یلحق السحر الاستفهام لیساوی المبدل منه فی انه استفهام، الا تری انه لیس فی قولک السحر استفهام و علی هذا قالوا کم مالک أ عشرون أم ثلاثون، فجعلت العشرون بدلا من کم فألحقت ام لأنک فی قولک کم درهماً مالک، مدع ان له مالا. و من قرأ علی الخبر جعل (ما) موصولة (و جئتم به السحر) صلة، و الهاء مجرورة عائدة علی الموصول و السحر خبر المبتدأ الذی هو الموصول. و حکی الفراء: انه دخل الالف و اللام فی فی قوله «السحر» للعهد، لأنهم قالوا لما اتی به موسی إنه سحر، قال موسی ما جئتم به فهو من السحر. و فی قراءة أبی ما جئتم به سحر بلا الف و لام. و من قرأ بالاستفهام جعل (ما) فی قوله «ما جِئْتُمْ بِهِ» للاستفهام. و من قرأ علی الخبر جعل (ما) بمعنی الذی و فسرت (ما) بالواحد فی السحر، لأن المعنی علیه، و انما ذکر للتوبیخ کقولک ما صنعت الفساد.

حکی اللَّه تعالی انه لما ألقی السحرة سحرهم قال لهم موسی: الذی جئتم به السحر فمن قرأ علی الخبر، و ای شیء جئتم به السحر مقرراً لهم ثم اخبر ان اللَّه سیبطل هذا السحر الذی فعلتموه «إِنَّ اللَّهَ لا یُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِینَ» فالاصلاح تقدیم العمل علی ما ینفع بدلا مما یضر. و الصلاح استقامة العمل علی هذا الوجه.

و الإفساد تعویج العمل الی ما یضر بدلا مما ینفع. و الفساد اضطراب العمل علی هذا الوجه. و الصلاح مضمن بالنفع لأنه إذا أضیف ظهر معنی النفع فیه کقولک صلاح لزید، و هو أصلح له ای انفع له و ان کان فیه فساد علی غیره.

---

(۱) سورة ۵ المائدة آیة ۱۱۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۱۸

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۸۲] ..... ص : ۴۱۸

وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (۸۲)

هذا عطف على قوله «قالَ مُوسى ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ» و قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أولها- قال الحسن: بوعده لموسى. الثانى- قال ابو على: بكلامه الذى يبين به معانى الآيات التى أتاها نبيه صلى الله عليه و آله. الثالث- بما سبق من حكمه فى اللوح لمحفوظ بأن ذلك يكون. و احقاق الحق معناه إظهاره و تمكينه بالدلائل الواضحة و الآيات البينة حتى يرجع الطاعن عليه حسيراً و المناصب له مفلولا. و قوله «وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» معناه انه يحق الحق و ان كرهه من هو مجرم.

و فى الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كلهم لنصره إياهم بالحجة فأما بالغلبة فى كل حال فموقوف، لان المصلحة قد تكون بالتخلية تارة و بالحيلولة اخرى. و الحق على ضربين: أحدهما- ما كان يمكن ان يكون حقاً و غير حق، فهذا لا يصير حقاً إلا بأن يقصد فاعله على إيقاعه حقاً، فجاز ان يقال انه حق بالفاعل.

و الآخر لا يؤثر فيه قصد فاعله فلا يقال فى ذلك انه حق بالفاعل.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۸۳] ..... ص : ۴۱۸

فَما آمَنَ لِمُوسى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (۸۳)

أخبر اللَّه تعالى انه لم يصدق لموسى بالنبوة الا ذرية من قومه مع خوفهم من فرعون و رؤساء قومه ان يفتنوهم. (و الذرية) الجماعة من نسل القبيلة. و حكى التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۱۹

ابن عباس انه أراد الا قليل من قومه. و قيل كانت أمهاتهم من بنى إسرائيل و آباؤهم من القبط. و قيل سموا ذرية لأنهم أولاد الذين أرسل عليهم موسى فلم يستجب الاباء و قيل: الأبناء. و قيل: هم قوم من بنى إسرائيل أخذهم فرعون بتعلم السحر و جعلهم من أصحابه. و يحتمل أن يكون ذرية على وزن (فعلية) مأخوذاً من الذر كقمرية.

و الثانى- أن يكون على وزن (فعلية) من الذرو فى تذروه الرياح كقولك مزقته، و يجوز أن يكون من ذرأ اللَّه الخلق فترك همزه. و الفتنة فى الدين الامتحان الذى يصرف عنه، و قد يكون ذلك بالإكراه تارة و بالهدى أخرى، و بالشبهة الداعية الى الضلال. و قوله «إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ» فالعلو فى الامر عظم الشأن فيه، و كل معنى لا يخلو من أن يكون فى صفة عالية أو دانية أو فيما بينهما من الجلالة و الضعة.

و الضمير فى قوله «و ملائهم» قيل فيمن يعود اليه ثلاثة اقوال: أحدها- الى الذرية فقط. الثانى- الى فرعون و اتباعه. الثالث- الى فرعون، لأنه معلوم.

و قوله «وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ» اخبار منه تعالى ان فرعون لمن جملة من أبعد فى مجاوزة الحق. و الإسراف قد يكون فى القتل و فى الإكثار من المعاصى.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۸۴] ..... ص : ۴۱۹

وَ قالَ مُوسى يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (۸۴)

حكى اللَّه تعالى عن موسى انه قال لقومه: إن كنتم صدقتم بتوحيد اللَّه فتوكلوا عليه إن كنتم مسلمين و انما أعاد قوله «إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ» بعد قوله «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» ليتبين المعنى بالصفتين من الايمان و الإسلام و بالتقييد و الإطلاق على أن الثقة باللَّه توجب

الاستسلام لأمره. و التوکل التوثق بإسناد الامر الی اللَّه. و الوکالة عقد الامر لمن یقوم به مقام مالکه. و اللَّه عز و جل أملک بالعبد من نفسه فهو أحق بهذه التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۴۲۰

الصفة. و یوجب التوکل علی اللَّه النجاة من کل محذور، و الفوز بکل سرور و حبور إذا أخلص العمل فیه و سلمت النیة فیه. و حذفت یاء الاضافة من قوله «یا قوم» اجتزاء بالکسرة منها و هو فی النداء أحسن من إثباتها لقوة النداء علی التغییر. و فائدة الآیة البیان عما یعمل علیه عند نزول الشدة من ان من کان یؤمن باللَّه فلیتوکل علی اللَّه و یسلم أمره الیه ثقة بحسن تدبیره له.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): الآیات ۸۵ الی ۸۶] ..... ص : ۴۲۰

فَقالُوا عَلَی اللَّهِ تَوَکَّلْنا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (۸۵) وَ نَجِّنا بِرَحْمَتِکَ مِنَ الْقَوْمِ الْکافِرِینَ (۸۶)

الفاء فی قوله «فقالوا» فاء العطف و جواب الأمر کما یقال قال السائل کذا فقال المجیب کذا. و انما جازت الفاء فی الجواب و لم تجز الواو، لأن الفاء ترتیب من غیر مهلة، فهی موافقة لمعنی وجوب الثانی بالأول و لیس کذلک الواو.

لما حکی اللَّه تعالی قول موسی لقومه «إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَیْهِ تَوَکَّلُوا» حکی ما أجاب به قومه من قولهم: توکلنا علی اللَّه، و انهم سألوا اللَّه و قالوا «رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً» أی محنة و اعتباراً «لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ» و خلصنا «بِرَحْمَتِکَ مِنَ الْقَوْمِ» الذین کفروا بآیاتک، و کل کافر ظالم لنفسه بتعرضه للعقاب و لیس کل ظالم کافراً. و الفتنة أصلها البلیة و هی معاملة تظهر الأمور الباطنة. یقال: فتنت الذهب إذا أحرقته بالنار لیظهر الخلاص و قوله «یَوْمَ هُمْ عَلَی النَّارِ یُفْتَنُونَ» «۱» ای یحرقون بما فیه من اظهار حالهم فی الضلال و قوله «وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» «۲» معناه التعذیب للرد عن الدین، لما فیه من اظهار النصرة أشد، و معنی «لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ» لا تمکنهم من ظلمنا بما یحملنا علی اظهار الانصراف عن دیننا

---

(۱) سورة ۵۱ الذاریات آیة ۱۳

(۲) سورة ۲ البقرة آیة ۱۹۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۴۲۱

- فی قول مجاهد- و قال ابو الضحی و الجبائی معناه: لا یظهروا علینا فیروا أنهم خیر منا.

و قوله «و نجنا» معناه خلصنا مما فیه المخافة و الشماتة. و انما جاز وصف اللَّه تعالی بالرحمة مع کثرة استعمالها فی الرقة لدلالة التعظیم علی انتفاء معنی الرقة ان نعمه فی الإسباغ و الکثرة تقع موقع ما تبعث علیه الرقة. و انما سألوا النجاة من استعباد فرعون و ملائه إیاهم و أخذهم بالأعمال الشاقة و المهن الخسیسة.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۸۷] ..... ص : ۴۲۱

وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی وَ أَخِیهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِکُما بِمِصْرَ بُیُوتاً وَ اجْعَلُوا بُیُوتَکُمْ قِبْلَةً وَ أَقِیمُوا الصَّلاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ (۸۷)

أخبر اللَّه تعالی انه أوحی الی موسی و أخیه بمعنی ألقی الیهما فی خفاء و الإیحاء و الإیماء و الاشارة نظائر، و کله بیان و دلالة. و حکی الرمانی أن قوماً أجازوا أن یوحی اللَّه الی من لیس بنبی برؤیا أو إلهام، قال: و لیس یجوز عندنا علی المعنی الذی یقع الوحی الی الأنبیاء، لأنه إنما یقع علی خلاف مجری العادة بمعجزة تشهد بأنه تعالی ألقی المعنی الیه. و لا یجوز ان تطلق الصفة بالوحی الا لنبی فان قید ذلک علی خلاف هذا المعنی کان جائزاً، کقوله «وَ أَوْحی رَبُّکَ إِلَی النَّحْلِ» «۱» و معنی قوله «تَبَوَّءا» اتخذا یقال: بوّأته منزلا أی اتخذته له و أصله الرجوع من «باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» «۲» أی رجعوا، و المبوأ المنزل لأنه یرجع الیه للمقام فیه و منه قولهم (بؤ بشسع کلیب) أی ارجع به. و قوله «وَ اجْعَلُوا بُیُوتَکُمْ قِبْلَةً» معناه مصلی. و قیل قبلة: مسجداً، لأنهم کانوا خائفین فأمروا بأن یصلوا فی

بیوتهم- فی قول ابن عباس و مجاهد و ابراهیم و السدی و الضحاک و الربیع-

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آیة ۶۸

(۲) سورة ۲ البقرة آیة ۶۱ و سورة ۳ آل عمران آیة ۱۱۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۲۲

و قال الحسن یعنی قبلة نحو الکعبة. و لم یصرف (مصر) لأنه مؤنث معرفة کقولک هند، و لو صرفته لخفته کما صرفت هند کان جائزاً، و ترک الصرف أقیس. و قوله «وَ أَقِیمُوا الصَّلاةَ» أمر من اللَّه إیاهم باقامة الصلاة و الدوام علی فعلها «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ» أمر منه لموسی ان یبشر المؤمنین بالجنة و ما وعد اللَّه تعالی من الثواب و انواع النعیم.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۸۸] ..... ص : ۴۲۲

وَ قالَ مُوسی رَبَّنا إِنَّکَ آتَیْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِینَةً وَ أَمْوالاً فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا رَبَّنا لِیُضِلُّوا عَنْ سَبِیلِکَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلی أَمْوالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلی قُلُوبِهِمْ فَلا یُؤْمِنُوا حَتَّی یَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِیمَ (۸۸)

حکی اللَّه تعالی فی هذه الایة عن موسی علیه السلام أنه قال یا «رَبَّنا إِنَّکَ آتَیْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ» یعنی قومه و رؤساءهم «زِینَةً وَ أَمْوالًا فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا» و إنما أعطاهم اللَّه تعالی ذلک للانعام علیهم مع تعریه من وجوه الاستفساد. و (الزینة) ما یتزین به من الحلی و الثیاب و المتاع. و یجوز أن یراد به حسن الصورة «لِیُضِلُّوا عَنْ سَبِیلِکَ» فهذه لام العاقبة، و هی ما یؤل الیه الأمر کقوله «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِیَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۱» و یحتمل ان یکون المعنی لئلا یضلوا عن سبیلک فحذفت (لا) کقوله «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما» «۲» ای لئلا تضل إحداهما، و کقوله «أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هذا غافِلِینَ» «۳»

---

(۱) سورة ۲۸ القصص آیة ۸ [.....]

(۲) سورة ۲ البقرة آیة ۲۸۲

(۳) سورة ۷ الاعراف آیة ۱۷۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۲۳

ای لئلا یقولوا، و لا یجوز أن یکون لام الغرض، لأن اللَّه تعالی لا یفعل بهم الزینة و یعطیهم و یرید منهم ان یضلوا بل إنما یفعل لینتفعوا و یطیعوه و یشکروه. و قال قوم: لو کان أراد منهم الضلال لکانوا إذا ضلوا مطیعین، لان الطاعة هی موافقة الارادة و ذلک باطل بالاتفاق. و قوله «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلی أَمْوالِهِمْ» إخبار عن موسی انه دعا علی قومه فسأل اللَّه ان یطمس علی أموالهم. و الطمس محو الأثر تقول: طمست عینه اطمسها طمساً و طموساً و طمست الریح آثار الدیار. فدعا موسی علیه السلام علیهم بأن یقلب حالهم عن الانتفاع بها کقوله «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً» «۱» و الطمس تغیر الی الدبور و الدروس قال کعب بن زهیر:

من کل نضاخة الذفری إذا عرفت عرصتها طامس الاعلام مجهول «۲»

و قال قتادة و الضحاک و ابن زید و ابو صالح: صارت أموالهم حجارة.

و قوله «وَ اشْدُدْ عَلی قُلُوبِهِمْ» معناه ثبتهم علی المقام ببلدهم بعد إهلاک أموالهم فیکون ذلک أشد علیهم. و قوله «فلا یؤمنوا» یحتمل موضعه وجهین من الاعراب:

أحدهما- النصب علی جواب صیغة الامر بالفاء او بالعطف علی «لیضلوا» و تقریره لئلا یضلوا فلا یؤمنوا. و الثانی- الجزم بالدعاء علیهم، کما قال الأعشی:

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى و لا تلقنى إلا و انفك راغم «۳»

و قال الفراء: ذلك دعاء عليهم بأن لا يؤمنوا. و حكى الجبائى عن قوم ان المراد بذلك الاستفهام و الإنكار كأنه قال: إنك لا تفعل ذلك ليضلوا عن سبيلك.

و قال احمد بن يحيى ثعلب: هذه لام الاضافة، و المعنى لضلالتهم عن سبيلك «اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ». و حكى البلخى: انه يجوز أن يكون ذلك على التقديم و التأخير و تقديره ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا ربنا اطمس على أموالهم. و قيل إن قوله «فَلا يُؤْمِنُوا» خرج مخرج الجواب للأمر و معناه

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۴۶

(۲) انظر ۱/ ۲۲۶ تعليقة ۱ و ۳/ ۲۱۶

(۳) ديوان الأعشى و الاعشيين ۵۸ و تفسير القرطبى ۸/ ۲۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۲۴

الاخبار، كما يقولون انظر الى الشمس تغرب. و قيل: ان المعنى لا يؤمنون ايمان الجاء حتى يروا العذاب الأليم و هم مع ذلك لا يؤمنون ايمان اختيار أصلا. و قال بعضهم: اللام لام (كى) و انه أعطاهم الأموال و الزينة لكى يضلوا عقوبة و هذا خطأ، لأنه يوجب ان يكون ضلالهم عن الدين طاعة للَّه.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۸۹] ..... ص : ۴۲۴

قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (۸۹)

حكى اللَّه تعالى أنه أجاب موسى و هارون، فقال لهما «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما» و الجواب موافقة للدعوة فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة. فاللَّه تعالى يجيب الدعاء إذا وقع بشروط الحكمة. و اختلفوا فى هل يجوز أن يجيب اللَّه تعالى دعوة الكافر أم لا؟ فقال ابو على الجبائى: لا يجوز لان اجابته إكرام له كما يقولون: فلان مجاب الدعوة اى هو رجل صالح. و الكافر ليس بهذه المنزلة. و قال ابو بكر بن الأخشاد: يجوز ذلك إذا كان فيه ضرب من المصلحة. و الاجابة قد تكون من الأعلى للأدون من غير ترغيب المدعو. و الطاعة لا تكون إلا من الأدنى للأعلى.

و لا يجوز عند اكثر المحصلين ان يدعو نبى على قومه من غير إذن سمعى، لأنه لا يأمن أن يكون منهم من يتوب مع اللطف فى التبقية، فلا يجاب. و يكون ذلك فتنة.

و الدعوة طلب الفعل بصيغة الامر و قد يدعى بصيغة الماضى كقولك: غفر اللَّه لك و احسن اليك، و جزاك اللَّه خيراً. و إنما قال «أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما» و الداعى موسى لان دعاء موسى كان مع تأمين هارون- على ما قاله الربيع و ابن زيد و عكرمة و محمّد بن كعب و أبو العالية- و المؤمّن داع، لأن المعنى فى التأمين اللهم أجب هذا الدعاء. و قوله «فاستقيما» امر منه تعالى لهما بالاستقامة فى دعائهما لفرعون التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۲۵

و قومه على ما أمرتكما به و لا تتبعا سبيل الجاهلين لوعدى و وعيدى فانه لا خلف له و قال ابن جريح: مكث فرعون بعد هذه الأمور أربعين سنة.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» نهى منه تعالى لموسى و هارون أن يتبعا طريقة من لا يؤمن باللَّه و لا يعرفه. و قرأ ابن عامر وحده «وَ لا تَتَّبِعانِّ» مخففة النون الا الداحوانى عن هشام، فانه خير بين تخفيفها و تشديدها. و قرأ ابن عامر وحده «و لا تتبعان» ساكنة التاء مخففة مشددة النون. و فى قراءة الأخفش الدمشقى عن ابن عامر بتخفيف التاء و النون. الباقون بتشديد التاء و النون. قال ابو على

النحوى: من شـدد النون فلأن هـذه النون الثقيلة إذا دخلت على (تفعل) فتح لام الفعل، لدخولها و بنى الفعل معها على الفتح نحو (لتفعلن) و حذفت النون التى تثبت فى (تفعلان) فى حال الرفع مع النون الشديدة، و حذف الضم فى (لتفعلن)، و إنما كسرت الشديدة بعد ألف التثنية. لوقوعها بعد الف التثنية، فأشبهت التى تلحق الألف فى رجلان، لما كانت فى هذه مثلها، و دخلت لمعنى كدخولها، و لم يعتد بالنون قبلها، لأنها ساكنة، و لأنها خفيفة فصارت المكسورة كأنها وليت الألف. و من خفف النون يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة كما خففوا (رب) و (ان) و نحوهما، و حذفوا الاولى من المثلين كما أبدلوا الاولى من المثلين فى نحو (قيراط و دينار) و لان أصلهما (قرّاط و دّنار) فأبدلوا من إحدى النونين ياء.

و يحتمل ان يكون حالا من قوله «فاستقيما» و تقديره فاستقيما غير متبعين. و يحتمل ان يكون على لفظ الخبر و المراد به الامر.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۹۰] ..... ص : ۴۲۵

وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۹۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۲۶

قرأ أهل الكوفة الا عاصماً «آمنت انه» بكسر الألف. الباقون بفتحها.

قال ابو على: من فتح الهمزة فلأن هذا الفعل فصل بحرف الجر فى نحو «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» «۱» و «يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ» «۲» فلما حذف الحرف وصل الفعل الى (ان) فصار فى موضع نصب او خفض على الخلاف فى ذلك. و من كسر الالف حمله على القول المضمر كأنه قال «آمنت» فقلت إنه، و إضمار القول فى نحو هذا كثير. و هذا احسن لان قوله (انه لا إله إلا اللَّه) فى المعنى ايمان، و إذا قال آمنت فكأنه ذكر ذلك. و قال الرماني: من كسر (إن) جعله بدلا من (آمنت).

و من فتح جعله معمول (آمنت) و فى الكلام حذف، لأن تقديره فاتبعهم فرعون و جنوده بغياً و عدواً فيه فغرقناه حتى إذا أدركه الغرق.

حكى اللَّه تعالى أنه جاوز ببنى إسرائيل البحر بمعنى أخرجهم منه بأن جفف لهم البحر و جعله طرقاً حتى جاوزوه. و المجاوزة الخروج عن الحد من احدى الجهات الأربعة، لأنه لو خرج عن البحر بقليل و هو متعلق عليه لم يكن قد جاوزه.

و البحر مستقر الماء الواسع بحيث لا يدرك طرفه من كان فى وسطه. و يقال: ما فلان إلا بحر لسعة عطائه. و قوله «فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً» فالاتباع طلب اللحاق بالأول: اتبعه اتباعاً و تبعه بمعنى. و حكى ابو عبيدة عن الكسائى انه قال إذا أريد انه اتبعه خيراً او شرّاً قالوا بقطع الهمزة، و إذا أريد انه اقتدى بهم و اتبع أثرهم قالوا بتشديد التاء و وصل الهمزة. و البغى طلب الاستعلاء بغير حق. و الباغى مذموم لقوله تعالى «فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ» «۳». و (عدواً) معناه عدواناً و ظلما.

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۳

(۲) سورة ۴ النساء آية ۵۰

(۳) سورة ۴۹ الحجرات آية ۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۲۷

و قوله «حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ» اخبار منه تعالى أن فرعون حين لحقه الغرق و الهلاك قال ما حكاه اللَّه و كان ذلك ايمان إلجاء لا يستحق به الثواب كما لا يستحق بالايمان الضرورى.

و قوله «بَغْياً وَ عَدْواً» نصب على المصدر و المراد بغياً على موسى و قومه و اعتداء عليهم.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ٩١] ..... ص : ۴۲۷

آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)

قرأ أبو جعفر من طريق النهروانى و نافع إلا- أبا طاهر عن إسماعيل و احمد ابن صالح عن قالون و الحلوانى عن قالون من طريق الحمامى «الآن» فى الموضعين فى هذه السورة بإلقاء حركة الهمزة على اللام و حذف الهمزة منهما. قال ابو على النحوى: اعلم ان لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أولها الهمزة فخففت الهمزة فان فى تخفيفها وجهين: أحدهما- ان تحذف و تلقى حركتها على اللام و تقر همزة الوصل فيقال الحمر بالألف. و الثانى- ان يقولوا: كالحمر بلا الف فيحذفون همزة الوصل، فالذين أثبتوا الهمزة فلأن التقدير باللام السكون و ان كانت فى اللفظ متحركة. و اللغة الأخرى كما انشد الكسائى:

فقد كنت تخفى حب سمراء حقبة فبح لان منها بالذى انت بائح «١»

فاسكن الحاء لما كانت اللام متحركة، و لو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد فى الوجه الاول تحرك الحاء بالكسر كما يحركه فى بح اليوم. و معنى (الآن) فصل بين الزمان الماضى و المستقبل مع انه الى الحاضر و لهذا بنى كما بنى (إذا) و عرف (الآن) بالألف و اللام (و أمس) بتضمين حرف التعريف لأن ما مضى بمنزلة المضمن فى المعنى فى أنه ليس له صورة، و الحاضر فى معنى المصرح فى صحة الصورة.

---

(١) مرّ هذا البيت فى ١/ ٣٠٠ و هو فى اللسان (أين).

و اختلفوا فيمن القائل هذا القول، فقال الجبائى: ان القائل له ملك قال ذلك بأمر اللَّه. و قال (غيره) ان ذلك كلام من اللَّه قاله له على وجه الاهانة و التوبيخ و كان ذلك معجزة لموسى عليه السلام و معنى الآية حكاية ما قيل لفرعون حين قال «آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ» بأنك تقول هذا فى هذه الساعة «وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ» هذا «وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» فى الأرض بقتل المؤمنين و ادعاء الإلهية، و غير ذلك من انواع الكفر!.

قوله تعالى:[سورة يونس (١٠): آية ٩٢] ..... ص : ۴۲۸

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ (٩٢)

قرأ يعقوب و قتيبة «ننجيك» بالتخفيف. الباقون بالتشديد.

معنى قوله «نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ» نلقيك على نجوة من الأرض ببدنك عرياناً دون روحك قال أوس بن حجر:

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكنّ كمن يمشى بقرواح «١»

القرواح حيث لا ماء و لا مطر، و البدن مستكن روح الحيوان على صورته و كل حيوان له روح و بدن، و الحى فى الحقيقة الروح دون البدن عند قوم، و فيه خلاف.

و معنى قوله «لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً» قيل فيه قولان.

أحدهما- لمن يأتى بعدك ممن يراك على تلك الصفة و قد كنت تدعى الربوبية.

الثانى- ان بنى إسرائيل قالوا: ما مات فرعون، فألقاه اللَّه تعالى على نجوة من الأرض ليروه، ذهب اليه ابن عباس و قتادة. و قوله «وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ» اخبار منه تعالى أن كثيراً من الخلق غافلون عن الفكر فى

---

(۱) مرّ هذا البيت فى ۱/ ۲۱۸ و ۳/ ۳۲۶ منسوب الى عبيد بن الأبرص

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۲۹

حجج اللَّه و بيناته أى ذاهبون عنها و الغفلة ذهاب المعنى عن النفس و نقيضها اليقظة، و المراد بذمهم بالغفلة عن آيات اللَّه التعريض بأنهم تركوا النظر فى آيات اللَّه.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۹۳] ..... ص : ۴۲۹

وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (۹۳)

قوله «وَ لَقَدْ بَوَّأْنا» اخبار منه تعالى أنه وطّأ منزل بنى إسرائيل و التبوّء توطئة المنزل لصاحبه الذى يأوى اليه، تقول: بوأته منزلا تبويئاً و تبوأ، و باء بالأمر بواء أى رجع. و قوله «مُبَوَّأَ صِدْقٍ» أى منزل صدق أى فيه فضل كفضل الصدق، كما يقال: أخو صدق و قيل: انه يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة. و قوله «وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ» أى ملكناهم الأشياء اللذيذة. و الرزق العقد على العطاء الجارى، و دلت الآية على سعة أرزاق بنى إسرائيل. و قوله «فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ» قيل فى معناه وجهان: أحدهما- أنهم كانوا على الكفر فما اختلفوا حتى جاءهم الدليل المؤدى الى العلم من جهة الرسول و الكتاب، فآمن فريق و كفر آخرون- و هو قول الحسن و ابن جريح و ابن زيد- و قال قوم: كانوا على الإقرار بالنبى قبل مبعثه بصفته و نعته، فما اختلفوا حتى جاءهم معلوم العلم به. و المنزل الصدق الذى أنزلوه قيل فيه ثلاثة اقوال: قال الحسن: هو مصر و هو منزل صالح خصب آمن.

و قال قتادة: هو الشام و بيت المقدس. و قال الضحاك: هو الشام و مصر.

و قوله «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» اخبار منه تعالى انه الذى يتولى الفصل بين بنى إسرائيل فى الأمور التى يختلفون فيها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۳۰

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۹۴] ..... ص : ۴۳۰

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (۹۴)

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه محمّد صلى الله عليه و آله يقول له «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا» أى من الذى «أَنْزَلْنا إِلَيْكَ» و الشك هو توقف النفس فيما يخطر بالبال عن اعتقاده على ما هو به، و على ما ليس به. و قيل: إن هذا و إن كان خطاباً للنبى صلى الله عليه و آله فان المراد به الذين كانوا شاكين فى نبوته. و قال قوم: إن معناه فان كنت أيها السامع فى شك مما أنزلنا على نبينا اليك، و مثله قول القائل لعبده: إن كنت مملوكى فانتبه الى امرى. و قول الرجل لابنه: ان كنت ابنى فبرنى. و قوله: إن كنت والدى فتعطف علىّ. و حكى الزجاج وجهاً ثالثاً و هو أن يكون معنى (إن) معنى (ما) و التقدير: ما كنت فى شك مما أنزلنا اليك «فَسْئَلِ الَّذِينَ» أى لسنا نريد بأمرك لأنك شاك لكن لتزداد بصيرة، كما قال لإبراهيم «أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» «۱» و قوله «فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ» قيل: انما أمره بأن يسأل اهل الكتاب مع جحد أكثرهم لنبوته لامرين:

أحدهما- ان يكون أمره بأن يسأل من آمن من اهل الكتاب كعبد اللَّه بن سلام و كعب الأحبار و ابن صوريا، ذهب اليه ابن عباس و مجاهد و ابن زيد و الضحاك.

و الثانى- سلهم عن صفة النبى صلى الله عليه و آله المبشر به فى كتبهم ثم انظر فمن وافق فيه تلك الصفة. و قال البلخى ذلك راجع الى قوله «فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ» فأمره بأن يسألهم هل الأمر على ذلك؟ فإنهم لا يمتنعون عن الاخبار به و لم

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۶۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۳۱

يأمره بان يسألهم هل هو محق فيه أم لا؟ و لا ان ما أنزله عليه صدق ام لا؟ و وجه آخر و هو انه انما أمره أن يسألهم ان كان شاكاً و لم يكن شاكاً فلا يجب عليه مسألتهم و هذا معنى ما

روى عنه صلى الله عليه و آله انه قال (ما شككت و لا انا شاك).

و قوله «لَقَدْ جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» قسم منه تعالى بأنه قد جاءك يا محمّد الحق من عند ربك لان لام (لقد) لام القسم. و قوله «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» اى لا تكونن من الشاكين. و الامتراء طلب الشك مع ظهور الدليل، و هو من مرى الضرع اى مسحه ليدر، فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحلب. و

قال سعيد بن جبير و الحسن و قتادة و ابو عبد اللَّه صلى الله عليه و آله: لم يسأل النبى صلى الله عليه و آله و يقوى ان الخطاب متوجه الى النبى

و المراد به غيره قوله بعد هذا «قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ».

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۹۵] ..... ص : ۴۳۱

وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخاسِرِينَ (۹۵)

هذا الكلام عطف على قوله «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ» أى من جملة من يجحد بآيات اللَّه و لا يصدق بها فإنك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين. و المراد بالخطاب غير النبى صلى الله عليه و آله من جملة أمته من كان شاكاً فى نبوته. و النون فى قوله (لا تكونن) نون التأكيد، و هى تدخل فى غير الواجب لأنك لا تقول انت تكونن، و دخلت فى القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق، و بنى الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الاخرى مع ان الاولى ساكنة، و اقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنين. و انما شبه الكافر بالخاسر مع ان حاله أعظم من حال الخاسر لان حال الخاسر قد جرت بها عادة. و ذاق طعم الحسرة فيها فرد اليها لبيان أمرها، و خسران النفس الذى هو أعظم منها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۳۲

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): الآيات ۹۶ الى ۹۷] ..... ص : ۴۳۲

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (۹۶) وَ لَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۹۷)

آيتان عند الجميع قد ذكرنا اختلافهم فى (كلمة و كلمات) و إن من وحد فلأنه اسم جنس. و من جمع أراد اختلاف الألفاظ. اخبر اللَّه تعالى «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ» يا محمّد اى وجب على التحقيق بأنهم لا يؤمنون من غير شرط و لا تقييد، تقول: حق الامر يحق حقاً. و انما جاز وصف جملة من الكلام بالكلمة لأنه لما كان فى معنى واحد صار بمنزلة الكلمة الواحدة، و لذلك قالوا فى قصيدة من الشعر انها كلمة. و قوله «حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ» معناه انهم انما يؤمنون إذا شاهدوا العذاب فآمنوا ملجئين ايماناً لا ينفعهم. و الرؤية فى الآية رؤية العين، لأنها تعدت الى مفعول واحد.

و العذاب و ان كان ألماً و هو لا يصح ان يرى فلأنه ترى أسبابه و مقدماته فصار بمنزلة ما يرى، فلذلك اخبر عنه بالرؤية له.

و قوله «وَ لَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ» اعلام بأن هؤلاء الكفار لا لطف لهم يؤمنون عنده ايمان اختيار و انما جاز تكليفه الايمان باخبار اللَّه تعالى انه لا يؤمن للانعام بالمنافع فى احوال التكليف التى لا تحصى كثرة مع ما فى ذلك من اللطف لغيره.

و لا ظلم فيه لاحد. و انما يظلم الكافر نفسه بسوء اختياره. و انما أنث قوله «جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ» لأنه مضاف الى الآية و هى مؤنثة كما قالوا: ذهبت بعض أصابعه. و معنى الآية الاخبار عن ان هؤلاء لا يؤمنون ايماناً يستحقون به الثواب، و لا ينافى ذلك قدرتهم على الايمان كما انه إذا اخبر انه لا يقيم القيامة الساعة لم يمنع ذلك من قدرته على إقامتها فى الحال. و قيل ان التقدير فى الاية ان الذين لا يؤمنون حقت عليهم كلمة ربك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۳۳

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۹۸] ..... ص : ۴۳۳

فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ (۹۸)

معنى (فلو لا) هلا، و هى تستعمل على وجهين: أحدهما- على وجه التحضيض و الثانى- على وجه التأنيب كقولك: هلا يأتى زيد بحاجتك، و هلا امتنعت من الفساد الذى رغبت اليه، قال الشاعر:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بنى ضوطرى لو لا الكمى المقنعا «۱»

أى هلا تعدون الشجعان.

و قوله «إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ» نصب لأنه منقطع كما قال الشاعر:

أعيت جواباً و ما بالربع من أحد إلا الأوارى لأيا ما أبينها

و النؤى كالحوض بالمظلومة الجلد «۲» و حكى الفراء: لا إن ما أبينهما و قال: جمع الشاعر بين ثلاثة أحرف فى النفى (لا و ان و ما) و انما جاز فلو لا كانت قرية آمنت لان المراد أهل قرية فحذف اختصاراً من غير إخلال بالمعنى. و قوله «فَنَفَعَها إِيمانُها» معناه هلا كانت اهل قرية آمنت فى وقت ينفعها الايمان، و جرى هذا مجرى قول فرعون «حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي» «۳» فاعلم اللَّه أن الايمان لا ينفع عند نزول العذاب و لا عند حضور الموت، و قوم يونس لم يقع بهم العذاب كأنهم لما رأوا الآية الدالة على العذاب آمنوا فلما آمنوا كشف عنهم العذاب. و النفع هو

---

(۱) انظر ۱/ ۳۱۹، ۴۳۵

(۲) مرّ هذا الشعر فى ۱/ ۴۴، ۱۵۱ و ۳/ ۳۲۷ و ۴/ ۱۹۱

(۳) سورة ۱۰ يونس آية ۹۰ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۳۴

اللذة، و معناه هاهنا انه وجبت لهم اللذة بفعل ما يؤدى اليها كما أن الصلة بالمال نفع، لأنه يؤدى الى اللذة، و كذلك أكل الطعام الشهى و تناول الكريه عند الحاجة نفع لأنه يؤدى الى اللذة. و الخزى هو الهوان الذى يفضح صاحبه و يضع من قدره.

و قال الجبائى: المراد بأهل القرية- على قول كثير من أهل التأويل- ثمود الذين أهلكهم اللَّه بكفرهم، و التقدير هلا أهل قرية سوى قوم يونس آمنوا فنفعهم ايمانهم و زال عنهم العذاب كما آمن قوم يونس لما أحسوا بنزول العذاب، فكشف اللَّه عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا و متعهم و بقاهم أحياء سالمين فى الدنيا بعد توبتهم الى مدة من الزمان. و هذا الذى ذكره إنما كان يجوز لو كان (إلا قوم يونس) رفعاً و كان يكون «إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ» صفة أو بدلا من الاول لان المعنى إلا قوم يونس محمول على معنى هلا كان قوم قرية أو قوم نبى آمنوا الا قوم يونس، قال الزجاج: لم يقرأ أحد بالرفع، و يجوز فى الرفع أن يكون بدلا من الأول، و إن لم يكن من جنس الأول كما قال الشاعر:

و بلدة ليس لها أنيس الا اليعافير و الا العيس «۱»

و قال ابو عبيدة (الا) هاهنا بمعنى الواو، و المعنى و قوم يونس. و قال الحسن:
معنى الاية انه لم يكن فيما خلا أن يؤمن أهل قرية بأجمعها حتى لا يشذ منهم أحد الا قوم يونس، فهلا كانت القرى كلها هكذا. و قرأ طلحة بن مصرف يونس و يوسف بكسر النون و السين أراد أن يجعل الاسمين عربيين مشتقين من أسف و أنس، و هو شاذ.
فان قيل: قوله «كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ» يدل على نزول العذاب بهم فكيف ينفع مع ذلك الايمان، و هل ذلك الا ضد قوله «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا» «۲»؟ قلنا: ليس يجب ان يكون العذاب نزل بهم بل لا يمتنع أن يكون ظهرت لهم دلائله و ان لم يروا العذاب كما أن العليل المدنف قد يستدرك التوبة

---

(۱) مرّ تخريجه فى ۱/ ۱۵۱ و ۳/ ۳۲۷

(۲) سورة ۴۰ المؤمن آية ۸۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۳۵

فيقبل اللَّه توبته قبل ان يتحقق الموت، فإذا تحققه لم يقبل بعد ذلك توبته. و قد قال اللَّه تعالى «وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها» «۱» و لا يدل ذلك على انهم كانوا دخلوا النار فأنقذوا منها فكذلك لا يمتنع ان يكون كشف عنهم العذاب و ان لم يكن حل بهم و لا عاينوه إذا كان قد قرب منهم و استحقوه فى الحكم.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۹۹] ..... ص : ۴۳۵

وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (۹۹)
أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية انه لو شاء و أراد «لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً» فكلهم رفع لأنه تأكيد ل (من) و هى مرتفعة بالايمان (و جميعاً) منصوب على الحال. و المشيئة و الارادة و الإيثار و الاختيار نظائر، و انما يختلف عليهم الاسم بحسب مواقعها على ما بيناه فى الأصول. و قيل: إن الشيء مشتق من المشيئة لأنه مما يصح ان يذكر و يشاء، كما اشتقوا المعنى من عنيت.
و معنى الآية الاخبار عن قدرة اللَّه و انه يقدر على ان يكوّن الخلق على الايمان، كما قال «إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ» «۲» و انما أراد بذلك الاخبار عن قدرته بلا خلاف، و لذلك قال بعد ذلك «أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» و معناه انه لا ينبغى ان يريد إكراههم لان اللَّه عز و جل يقدر عليه و لا يريده، لأنه ينافى التكليف، و أراد بذلك تسلية النبى صلى الله عليه و آله و التخفيف عنه مما يلحقه من التحسر و الحرص على ايمانهم.
و فى الاية دلالة على بطلان قول المجبرة، فانه تعالى لم يزل شائياً و انه لا يوصف بالقدرة ايضاً، لأنه تعالى اخبر انه لو يشاء لقدر عليه لكنه لم يشأ فلذلك لم

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۰۳

(۲) سورة ۲۶ الشعراء آية ۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۳۶

يوجد و لو كان شائياً لم يزل لما جاز ان يقول و لو شاء ربك كما لا يجوز أن يقول لو شاء لقدر لما كان كونه قادراً حاصلا لم يزل.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۰۰] ..... ص : ۴۳۶

وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (۱۰۰)

قرأ ابو بكر إلا الأعشى و البرجمى (و نجعل) بالنون. الباقون بالياء.

من قرأ بالياء فلانه تقدم ذكر اللَّه فكنى عنه. و من قرأ بالنون ابتدأ بالأخبار عن اللَّه.

و معنى قوله «وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا بإطلاق اللَّه له فى الايمان و تمكينه منه و دعاءه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك. و قال الحسن و ابو على الجبائى: اذنه هاهنا أمره كما قال «يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ» «۱» و حقيقة إطلاقه فى الفعل بالأمر، و قد يكون الاذن بالإطلاق فى الفعل برفع التبعة. و قيل: معناه و ما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم اللَّه. و أصل الاذن الإطلاق فى الفعل فأما الاقدار على الفعل فلا يسمى أذناً فيه، لان النهى ينافى الإطلاق. قال الرمانى: و النفس خاصة الشيء التى لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء، و نفسه و ذاته واحد إلا انه قد يؤكد بالنفس و لا يؤكد بالذات. و النفس مأخوذة من النفاسة.

و قوله «وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الفراء: الرجس العذاب يجعله على الذين لا يعقلون امر اللَّه و لا نهيه و لا ما يدعوهم اليه. و الثانى- قال الحسن: الرجس الكفر أى يجعله بمعنى انه

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۱۶۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۳۷

يحكم انهم اهله ذمّاً لهم و اسماً «عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ» اى كأنهم لا يعقلون شيئاً ذمّاً لهم و عيباً و قال ابن عباس: الرجس الغضب و السخط. و قال ابو عبيدة الرجز العذاب و مثله الرجس، و منه قوله «لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ» «۱» و قوله «فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ» «۲» و قوله «وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ» «۳» معناه و ذا الرجز أى الذى تؤدى عبادته الى العذاب. و قال الحسن: الرجز بضم الراء العذاب، و بكسرها الرجس. و قال الفراء: يجوز أن يكون الرجز بمعنى الرجس و قلبت الزاى سيناً كما قالوا اسد و أزد.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۰۱] ..... ص : ۴۳۷

قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِي الْآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (۱۰۱)

امر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يأمر الخلق بالنظر لأنه الطريق المؤدى الى معرفة اللَّه تعالى. و النظر المراد فى الاية الفكر و الاعتبار. و قال الرمانى: هو طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب إدراكه بالعين. و معنى قوله تعالى «ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى ما فيهما من العبر من مجيء الليل و النهار و مجرى البحور و الأفلاك و نتاج الحيوان و خروج الزرع و الثمار، و وقوف السماوات و الأرض بغير عماد، لان كل ذلك تدبير يقتضى مدبراً لا يشبه الأشياء و لا تشبهه. و قوله «وَ ما تُغْنِي الْآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أن تكون (ما) نفياً بمعنى ما يغنى عنهم شيئاً بدفع الضرر، إذا لم يفكروا فيها و لم يعتبروا بها كقولك: و ما يغنى عنك المال شيئاً إذا لم تنفقه فى وجوهه.

(۱، ۲) سورة ۷ الأعراف آية ۱۳۳، ۱۳۴

(۳) سورة ۷۴ المدثر آية ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۳۸

و الاخر- أن تكون (ما) للاستفهام كقولك أى شيء يغنى عنهم من اجتلاب نفع أو دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها. و النذر جمع نذير و

هو صاحب النذارة و هی اعلام بموضع المخافة لیقع به السلامة.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۱۰۲] ..... ص : ۴۳۸

فَهَلْ یَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَیَّامِ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ (۱۰۲)

خاطب اللَّه تعالی نبیه صلی الله علیه و آله بلفظ الاستفهام و المراد به النفی لان تقدیره لیس ینتظر هؤلاء الکفار الا مثل أیام الذین خلوا من قبلهم. و انما قابل بین الأیام المنتظرة و الأیام الماضیة فی وقوع العذاب و الحسرة حین لا تنفع الندامة. و الانتظار هو الثبات لموقع ما یکون من الحال، تقول: انتظرنی حتی ألحقک و لو قلت توقعنی لم تکن أمرته بالثبات. و المثل فی الجنس ماسد أحدهما مسد صاحبه فیما یرجع الی ذاته و المثل فی غیر الجنس ما کان علی المعنی یقربه من غیره کقربه من جنسه کتشبیه اعمال الکفار بالسراب و قوله «قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ» أمر من اللَّه لنبیه أن یقول لهم: انتظروا ما وعد اللَّه به من العقاب فانی منتظر نزوله بکم مع جمیع المنتظرین کما وعد اللَّه به.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۱۰۳] ..... ص : ۴۳۸

ثُمَّ نُنَجِّی رُسُلَنا وَ الَّذِینَ آمَنُوا کَذلِکَ حَقًّا عَلَیْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِینَ (۱۰۳)

قرأ یعقوب «ثم ننجی» بالتخفیف. و قرأ الکسائی و یعقوب و حفص و الکسائی عن أبی بکر «ننجی المؤمنین» بالتخفیف. الباقون بالتشدید فیهما. قال ابو علی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۳۹

النحوی: یقال نجا زید نفسه، فإذا عدیته، فان شئت قلت أنجیته و ان شئت قلت نجیته. و من شدد فلقوله «وَ نَجَّیْنَا الَّذِینَ آمَنُوا» «۱» و من خفف فلقوله «فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ» «۲» و کلاهما حسن.

أخبر اللَّه تعالی أنه إذا أراد إهلاک قوم استحقوا الهلاک نجی رسله من بینهم و خلصهم من العقاب، و یخلص مع الرسل المؤمنین الذین أقروا له بالوحدانیة و للرسل بالتصدیق. و قوله «کَذلِکَ حَقًّا عَلَیْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِینَ» وجه التشبیه فی ذلک أن نجاة من یقر من المؤمنین کنجاة من مضی فی أنه حق علی اللَّه ثابت لهم و یحتمل أن یکون العامل فی «کذلک» ننجی الاول و تقدیره ننجی رسلنا و الذین آمنوا کذلک الانجاء و یحتمل أن یعمل فیه الثانی، و کذلک حقاً علینا.

و معنی قوله «حَقًّا عَلَیْنا» یحتمل أمرین: أحدهما- أن یکون معناه واجباً علینا ننجی المؤمنین من عقاب الکفار، ذکره الجبائی. و الثانی- أن یکون علی وجه التأکید کقولک مررت بزید حقاً إلا أن علینا یقتضی الوجه الاول.

و النجاة مأخوذة من النجوة و هی الارتفاع عن الهلاک. و السلامة مأخوذة من إعطاء الشیء من غیر نقیصة، أسلمته الیه إذا أعطیته سالماً من غیر آفة.

قوله تعالی:[سورة یونس (۱۰): آیة ۱۰۴] ..... ص : ۴۳۹

قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی شَکٍّ مِنْ دِینِی فَلا أَعْبُدُ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لکِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِی یَتَوَفَّاکُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (۱۰۴)

هذا خطاب من اللَّه تعالی لنبیه صلی الله علیه و آله ان یقول للخلق

---

(۱) سورة ۴۱ حم السجدة آیة ۱۸

(۲) سورة ۲۹ العنکبوت آیة ۲۴

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۴۰

«يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي» فان دينی أن «فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أی إن كنتم فی شك مما أذهب اليه من مخالفتكم فانی أظهره لكم و أبرء مما أنتم عليه و أعرفكم ما أمرت به و هو أن أكون مؤمناً باللّه وحده و أن أقيم وجهی للدين حنيفاً.

إن قيل: لم قال «إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي» مع اعتقادهم بطلان دينه؟

قلنا عنه ثلاثة أجوبة: أحدها- أن يكون على وجه التقدير أی من كان شاكاً فی أمری و هو مصمم على أمره فهذا حكمه. و الثانی- انهم فی حكم الشاك للاضطراب الذی يجدون نفوسهم عليه عند ورود الآيات. و الثالث- ان فيهم الشاك فغلب ذكرهم، و إنما جعل جواب (ان كنتم فی شك) (لا أعبد) و هو لا يعبد غير اللّه شكوا أولم يشكوا، لان المعنى لا تطمعوا أن تشككونی بشككم حتى أعبد غير اللّه كعبادتكم، كأنه قيل: إن كنتم فی شك من دينی فلا أعبد الذين تعبدون من دون اللّه بشككم و لكن أعبد اللّه الذی يتوفاكم أی الذی أحياكم ثم يقبضكم و هو الذی يحق له العبادة دون أوثانكم و دون كل شیء سواه.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۰۵] ..... ص : ۴۴۰

وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۱۰۵)

هذه الاية عطف على ما قبلها و التقدير و أمرت أن أكون من المؤمنين، و قيل لی: أقم وجهك و قيل فی معناه قولان: أحدهما- استقم بإقبالك على ما أمرت به من القيام بأعباء النبوة و تحمل أمر الشريعة و دعاء الخلق الى اللّه بوجهك، إذ من أقبل على الشیء بوجهه يجمع همته له فلم يضجع فيه. و الثانی- أن يكون معناه أقم وجهك فی الصلاة بالتوجه نحو الكعبة. و الاقامة نصب الشیء المنافی لاضجاعه تقول: أقام العود إذا جعله على تلك الصفة فأما أقام بالمكان فمعناه استمر به. و الوجه عبارة عن عضو مخصوص و يستعمل بمعنى الجهة كقولهم:

هذا معلوم فی وجه كذا، و يستعمل بمعنى الصواب كقولك: هذا وجه الرأی التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۴۱

و قيل فی معنى الحنيف قولان: أحدهما- الاستقامة. و قيل للمائل القدم أحنف تفاؤلا. و الثانی- الميل، و قيل الحنف فی الدين لأنه ميل الى الحق.

و قوله «وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» معناه نهی عن الاشراك مع اللّه تعالى غيره فی العبادة تصريحاً بالتحذير عن ذلك و الذم لفاعله.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۰۶] ..... ص : ۴۴۱

وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَ لا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ (۱۰۶)

قيل فی معنى قوله «وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» قولان: أحدهما- لا تدعه إلهاً كما يدعو المشركون الوثن إلهاً. الثانی- لا تدعه دعاء الآلهة فی العبادة بدعائه. و الدعاء يكون على وجهين: أحدهما- بلفظ النداء كقولك: يا زيد إذا دعوته باسمه. و الثانی- أن تدعوه الى الفعل و تطلب منه فعله كقول القائل لمن فوقه: افعل. و قوله «وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» معناه لا تدع غير اللّه إلهاً. و انما قال «ما لا يَنْفَعُكَ وَ لا يَضُرُّكَ» مع أنه لو نفع و ضر لم تحسن عبادته لامرين:

أحدهما- أن يكون معناه ما لا ينفك و لا يضرک نفع الاله و ضره.

و الثانی- انه إذا كان عبادة غير اللّه ممن يضر و ينفع قبيحة فعبادة من لا يضر و لا ينفع أقبح و أبعد من الشبهة. و قوله «فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ» معناه انك إن خالفت ما أمرت به من عبادة اللّه كنت ظالماً لنفسك بإدخال الضرر الذی هو العقاب عليها. و هذا الخطاب و إن كان متوجهاً الى النبی فالمراد به أمته، و يجوز أن يكون الإنسان يضر نفسه بما يفعل بأن يؤديها الى الضرر. و لا

يجوز أن ينعم على نفسه لان النعمة تقتضى شكر المنعم عليه و ذلك لا يمكن من الإنسان و نفسه كما لا يمكن أن يثبت له فى نفسه مال أو دين.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۴۲

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۰۷] ..... ص : ۴۴۲

وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (۱۰۷)

قوله «وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ» اى ان أحل بك الضر، لان المس الحقيقى لا يجوز عليه، لان حقيقتها تكون بين الجسمين، لكن لما ادخل الباء للتعدية جرى مجرى ان تقول يمسك من امسه. و أما إذا لم يتعد فيكون كقوله «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» «۱» و المماسة و المطابقة و المجامعة نظائر، و ضدها المباينة. و الكشف رفع الساتر المانع من الإدراك. فكأن الضر هاهنا كأنه ساتر يمنع من ادراك الإنسان.

و قوله «وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ» تقديره و ان يرد بك الخير، و جاز على التقديم و التأخير كما يقول القائل: فلان يريدك بالخير و يريد بك الخير. و المعنى انه لا رادّ لما يريد اللَّه بخلقه فان أراد بهم سوءاً لا يقدر على دفعه احد. و ان أرادهم بخير فلا يقدر احد على صرفه عنهم «يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» يعنى بالخير.

و قوله «وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» معناه انه الغفار لكل من تاب من شركه و ذنبه فلا ييأس من ذلك احد فى حال تكليفه. و عندنا يجوز أن يغفر اللَّه ذنب المؤمن من غير توبة. و (الرحيم) معناه انعامه على جميع خلقه.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۰۸] ..... ص : ۴۴۲

قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (۱۰۸)

---

(۱) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۸۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۴۳

امر اللَّه تعالى نبيه فى هذه الاية أن يقول للخلق قد جاءكم الحق من اللَّه و هو الذى من عمل به من العباد نجا، و ضده الباطل و هو الذى من عمل به هلك، فمن عمل بالحق كان حكيما، و من عمل بالباطل كان سفيهاً. و المراد بالحق هاهنا ما أتى به النبى صلى الله عليه و آله من القرآن و الشرائع و الأحكام و غير ذلك من الآيات و الدلالات «فَمَنِ اهْتَدى بها بأن نظر فيها و عرفها حقاً و صواباً «فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» و معناه فان منافع ذلك تعود عليه من الثواب دون غيره «وَ مَنْ ضَلَّ» عنها و عدل عن تأملها و الاستدلال بها و العمل بموجبها «فَإِنَّما يَضِلُّ» عن منافع نفسه و هو الجانى عليها. و قوله «وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ» معناه و ما أنا عليكم بوكيل فى منعكم من اعتقاد الباطل بل انظروا لأنفسكم نظر من يطالب بعمله و لا يطالب غيره بحفظه كأنه قال ما أنا حافظكم من الهلاك إذا لم تنظروا أنتم لأنفسكم و لم تعملوا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره.

قوله تعالى:[سورة يونس (۱۰): آية ۱۰۹] ..... ص : ۴۴۳

وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ (۱۰۹)

أمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يتبع ما يوحى اليه. و الإيحاء إلقاء المعنى فى النفس على وجه خفى و هو ما يجىء به الملك الى النبى صلى الله عليه و آله عن اللَّه تعالى فيلقيه اليه و يخصه به من غير أن يرى ذلك غيره من الخلق.

و قوله «و اصبر» امر من اللَّه تعالى له بالصبر و هو تجرع مرارة الامتناع التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۴۴

من المشتهى إلى الوقت الذى يجوز فيه تناوله، كصبر الصائم على الجوع و العطش، و كصبر النفس عن تناول المحرّمات. و انما يعين على الصبر العلم بعاقبته و كثرة الفكر فيه و فى الخير الـذى ينال به و بـذكر ما وعد اللّه على فعله من الثواب و على تركه من العقاب. و قوله «حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» امر منه تعالى للنبى صلى الله عليه و آله بالصبر على أذى المشركين و على قولهم انك ساحر كذاب و مجنون، حتى يحكم فيأمرك بالهجرة و الجهاد. قال الحسن: و قد كان اللّه اعلمه انه سيفرض عليه جهاد الكفار. و قيل نسخ ذلك فيما بعد بالأمر بالجهاد، و التقدير إلى أن يحكم اللّه بهلاكهم و عذابهم فى يوم بدر و غيره «وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» معناه خير الحكام لأنه قد يكون حاكم أفضل من حاكم مع كونهما محقين كمن يحكم على الباطن فانه أفضل ممن يحكم على الظاهر، لان الأول لا يقع إلا حقاً، و الاخر يجوز أن يكون حقاً فى الظاهر و ان كان فاسداً فى الباطن.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۴۵

۱۱–سورة هود ..... ص : ۴۴۵

اشارة

مكية فى قراءة قتادة و مجاهد و غيرهما. و هى مائة و ثلاث و عشرون آية فى الكوفى، و اثنتان فى المدنى، و واحدة فى البصرى و عند إسماعيل.

[سورة هود (۱۱): آية ۱] ..... ص : ۴۴۵

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (۱)

روى الكسائى عن أبى بكر «من لدن حكيم» هاهنا و فى النمل، بسكون الدال و اشمامها الضم و كسر النون. الباقون بضم الدال و اسكان النون. و لم يعدّ أحد من القراء (الر) آية كما عد قوم (طه) و (الم) و (حم) آية، لان ثانيه لا يشبه رؤس الاى بنفس الحرف و لا بالردف. و قد بينا فى أول سورة البقرة اختلاف المفسرين فى هذه الحروف و أمثالها و أن الأقوى أن يقال إنها أسماء للسور.

و روى عن الحسن أنه قال: ما أدرى تأويل (الر) غير ان المسلمين كانوا يقولون: هى اسماء للسور و مفاتحها. و خرجت هذه الحروف على وجه التهجى لا يعرب شىء منها، لأنها حروف و لو كانت اسماء لدخلها الاعراب. و قال الفراء «الر كِتابٌ» رفع بحروف الهجاء. و قال غيره «كتاب» رفع بأنه خبر المبتدأ و تقديره هو كتاب او هذا كتاب و المراد ب (كتاب) القرآن. التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۴۶

و قوله «أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها– قال الحسن: أحكمت بالأمر و النهى، و فصلت بالثواب و العقاب.

الثانى– قال قتادة أحكمت آياته من الباطل. ثم فصلت بالحرام و الحلال.

الثالث– قال مجاهد «أُحْكِمَتْ آياتُهُ» على وجه الجملة «ثُمَّ فُصِّلَتْ» اى بينت بذكرها آية آية. و الأحكام منع الفعل من الفساد، قال الشاعر:

أبنى حنيفة احكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن أغضبا «۱»

و قوله «مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» معناه من عند حكيم عليم. و قوم يجعلون فى (لدن) ضميراً فينصبون ما بعده فيقولون لدن غدوة. و قوم يجعلونه غاية و لا يضمرون فيه شيئاً بعينه فيرفعون ما بعده لان ما بعد الغاية مرفوع، فيقولون لدن غدوة.

و روى عن عكرمة انه قرأ «فصلت» بفتح الفاء و الصاد و تخفيفها- و هى شاذة لم يقرأ بها احد.

و الحكيم يحتمل معنيين: أحدهما- عليم، فعلى هذا يجوز وصفه بأنه حكيم فيما لم يزل. و الثانى- بمعنى أن محكم لأفعاله. و على هذا لا يوصف به فيما لم يزل.

و الحكمة المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد و النقص و بها يميز القبيح من الحسن و الفاسد من الصحيح. و قال الجبائى فى الاية دلالة على أن كلام اللّه محدث بأنه وصفه بأنه أحكمت آياته، و الأحكام من صفات الافعال، و لا يجوز أن تكون أحكامه غيره لأنه لو كان أحكامه غيره لكان قبل ان يحكمه غير محكم و لو كان كذلك لكان باطلا، لان الكلام متى لم يكن محكماً وجب أن يكون باطلا فاسداً، و هذا باطل.

قوله تعالى:[سورة هود (١١): آية ٢] ..... ص : ۴۴۶

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ (٢)

---

(١) مر تخريجه فى ٢/ ١٨٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۴۷

يحتمل (أن) فى قوله «أَلَّا تَعْبُدُوا» أمرين:

أحدهما- أن يكون بمعنى المصدر كقولك كتبت اليه أن لا تخرج بالجزم و كان يجوز فى العربية أن لا تعبدون على الوجه الأول، و هو الاخبار بأنهم لا يعبدون كما تقول: كتبت اليه أن لا تخرج أى بأنك لا تخرج. و «أَلَّا تَعْبُدُوا» فى موضع نصب و تقديره فصلت آياته بأن لا تعبدوا او لئلا تعبدوا.

و الثانى- يحتمل أن يكون المعنى أمرتم بأن لا تعبدوا، فلما حذف الباء نصب بعدها، و معنى (إلا) فى الآية إيجاب للمذكور بعدها و هو ما نفى عن كل ما سواه من العبادة و هى التى تفرغ عامل الاعراب لما بعدها من الكلام. و قوله «إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ» اخبار أن النبى صلى الله عليه و آله مخوف من مخالفة اللّه و عصيانه بأليم عقابه مبشر بثواب اللّه على طاعاته و اجتناب معاصيه، و النذارة اعلام موضع المخافة ليتقى، و نذير بمعنى منذر كأليم بمعنى مؤلم. و البشارة اعلام بما يظهر فى بشرة الوجه به المسرة و بشير بمعنى مبشر. و قوله «وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ» معناه و استبشروا.

قوله تعالى:[سورة هود (١١): آية ٣] ..... ص : ۴۴۷

وَ أَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)

هذه الاية عطف على ما قبلها و تقديره ثم فصلت من لدن حكيم خبير بان لا تعبدوا إلا اللّه و بأن استغفروا ربكم بمعنى سلوا اللّه المغفرة ثم توبوا اليه، و انما ذكرت التوبة بعد الاستغفار، لان المعنى اطلبوا المغفرة بأن تجعلوها غرضكم ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة، فالمغفرة أول فى الطلب و آخر فى السبب. و قيل ان التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۴۸

المعنى استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا اليه فى المستأنف متى وقعت منكم المعصية، ذكره الجبائى و قوله «يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» يعنى انكم متى استغفرتموه و تبتم اليه متعكم متاعاً حسناً فى الدنيا بالنعم السابغة و الملاذّ المختلفة الى الوقت الذى قدر لكم أجل الموت فيه.

و قوله «وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ» يحتمل أمرين: أحدهما- أن يعطى كل ذى عمل على قدر عمله فى الاخرة دون الدنيا، لأنها

ليست دار الجزاء.

و الثاني- الترغيب في عمل الخير لأنه على مقداره يجازى صاحبه.

و قوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ» يحتمل أمرين: أحدهما- فان تتولوا، إلا انه حذف للتضعيف و لذلك شدده ابن كثير في رواية البزى عنه.

و الاخر- ان يكون بمعنى فقل «فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ» يعنى عذاب يوم القيامة و وصف ذلك اليوم بالكبير لعظم ما يكون فيه من الأهوال و المجازاة لكل انسان على قدر عمله.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۴] ..... ص : ۴۴۸

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴)

قيل في معنى قوله «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ» قولان: أحدهما- اليه مصيركم باعادته إياكم للجزاء. و الثاني- الى اللَّه مرجعكم باعادته الى مثل الابتداء من انه لا يملك لكم ضرّاً و لا نفعاً سواه تعالى، و المرجع المصير الى مثل الحال الاولى.

و قوله «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» اخبار منه تعالى انه يقدر على كل شيء إلا ما أخرجه الدليل مما يستحيل أن يكون قادراً عليه من مقدورات غيره و ما يقضى وقته من الأجناس التى لا يصلح عليها البقاء.

التبيان في تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۴۹

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۵] ..... ص : ۴۴۹

أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۵)

روى عن ابن عباس انه قرأ «أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ» على وزن (يحلون) و أراد المبالغة و معنى (ألا) التنبيه، و ما بعده مبتدأ.

أخبر اللَّه تعالى ان الكفار يثنون صدورهم. و قيل في معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- قال الفراء و الزجاج: يثنونها على عداوة النبي صلى الله عليه و آله. و قال الحسن:

يثنونها على ما هم عليه من الكفر. و قال ابو على الجبائى. يثنى الكافر صدره على سبيل الانحناء، في خطابه لكافر مثله ممن يختصه لئلا يعرف اللَّه ما أضمره. و قال ابو عبد اللَّه بن شداد: ولى ظهره إذا رأى النبي صلى الله عليه و آله و غطى وجهه بالثوب و اصل الثنى العطف تقول: ثنيته عن كذا اى غطيته و منه الاثنان لعطف أحدهما على الاخر في المعنى، و منه الثناء لعطف المناقب في المدح، و منه الاستثناء لأنه عطف عليه بالإخراج منه.

و قوله «لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ» فالاستخفاء طلب خفاء النفس تقول استخفى استخفاء و تخفى تخفياً، و نظيره استغشى و تغشى قالت الخنساء:

أرعى النجوم و ما كلفت رعيتها و تارة ا تغشى فضل اطمارى «۱»

و الهاء في منه يحتمل أن تكون عائدة الى اسم اللَّه- في قول الحسن و مجاهد و الجبائى- جهلا منهم بأن اللَّه لا يخفى عليه خافية. و قال ابو عبد اللَّه بن شداد:

هى عائدة على النبي صلى الله عليه و آله.

و قوله «أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ» معناه انهم كانوا يتعطون بثيابهم ثم يتفاوضون

---

(۱) ديوانها ۱۰۹ و اللسان (رعى) و أساس البلاغة ۳۵۱

التبيان في تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۰

ما كانوا يـدبرونه على النبى و على المؤمنين و يكتمونه عن الناس، فبين اللَّه تعالى انهم وقت ما يتغطون بثيابهم و يجعلونها غشاء فوقهم عالم بما يسرون و ما يعلنون، لا انه يتجدد له العلم فى حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك فى الأزل. و معنى «ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ» اى ما يخفونه فى أنفسهم و ما يعلنونه أى يظهرونه «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» و معناه عالم بأسرار ذات الصدور.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۶] ..... ص : ۴۵۰

وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (۶)

أخبر اللَّه تعالى أنه ليس فى الأرض دابة إلا و اللَّه تعالى متكفل برزقها.

و الدابـة الحى الـذى من شأنه أن يـدب يقال: دب يدب دبيباً و أدبه ادباباً، غير انه صار بالعرف عبارة عن الخيل و البراذين دون غيرها من الحيوان.

و قوله «وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها» فالمستقر الموضع الذى يقر فيه الشىء و هو قراره و مكانه الذى يأوى اليه. و المستودع المعنى المجعول فى القرار كالولد فى البطن و النطفة التى فى الظهر و قيل: مستودعها مدفنها بعد موتها. و قيل: مستقرها فى أصلاب الآباء و مستودعها فى أرحام الأمهات. و قيل: مستقرها ما تستقر عليه، و مستودعها ما تصير اليه.

و قوله «كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» خبر من اللَّه تعالى أن جميع ذلك مكتوب فى كتاب ظاهر يعنى اللوح المحفوظ، و انما اثبت تعالى ذلك مع انه عالم انه لا يعزب عنه شىء لما فيه من اللطف للملائكة او يكون فيه لطف لمن يخبر بذلك.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۷] ..... ص : ۴۵۰

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (۷)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۱

اخبر اللَّه تعالى أنه خلق السماوات و الأرض و أنشأهما فى ستة ايام، و انما خلقهما فى هذا المقدار من الزمان مع قدرته ان يخلقهما فى أقل من لمـح البصـر ليبين بـذلك ان الأمور جاريـة فى التـدبير على منهاج، و لما علم فى ذلك من مصالـح الخلق من جهـة اقتضاء ان ينشأها على ترتيب يدل على انها كانت عن تدبير عالم بها قبل فعلها مثل سائر الافعال المحكمة.

و قوله «وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ» معناه انه خلق الخلق و دبر الامر ليظهر احسان المحسن، لأنه الغرض الذى يجرى بالفعل اليه. و فى وقوف العرش على الماء، و الماء على غير قرار أعظم للاعتبار لمن أمعن النظر و استعمل الفكر.

و المراد بقوله «فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» ما مقدارة مقدار ستة أيام، لأنه لم يكن هناك ايام تعد، لان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس و غروبها.

و قوله «ليبلوكم» معناه ليعاملكم معاملـة المبتلى المختبر مظاهرة فى العـدل لئلا يتوهم أنه يجازى العباد بحسب ما فى المعلوم أنه يكون منهم قبل أن يفعلوه.

و قوله «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» فيه دلالـة على أنه يكون فعـل حسن أحسن من فعـل حسن آخر لاـن لفظـة أفعل حقيقتها ذلك. و لا يجوز ترك ذلك الا لدليل، و ليس هاهنا ما يوجب الانصراف عنه.

و قوله «وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» إعلام من اللَّه تعالى لنبيه انه لو قال لهؤلاء الكفار ان اللَّه يبعثكم بعد موتكم و يجازيكم على أعمالكم لقالوا: ليس هذا القول الا سـحر ظاهر. و من التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۲

قرأ (سـاحر) أراد ليس هـذا يعنون النبى صـلى الله عليه و آله الاـ سـاحر مبين. و قـال الجبـائى فى الايـة دلالـة على انه كـان قبـل خلق

السماوات و الأرض الملائكة قال: لان خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا أن يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذاً من حيّ مكلف. و الأقوى ان يقال: انه لا يمتنع ان يتقدم خلق اللَّه لذلك إذا كان فى الاخبار بتقدمه مصلحة للمكلفين، و هو الذى اختاره الرمانى. و كان على بن الحسين الموسوى المعروف بالمرتضى (ره) ينصره.

و ظاهر الاية يقتضى ان العرش الذى تعبد اللَّه الملائكة بحمله كان مخلوقاً قبل السموات و الأرض، و هو قول جميع المفسرين: كابن عباس و مجاهد و قتادة و البلخى و الجبائى و الرمانى و الفراء و الزجاج و غيرهم. و قال ابن عباس: كان العرش على الماء، و الماء على الهواء، و قال الجبائى: ثم نقل اللَّه العرش الى فوق السماوات

قوله تعالى:[سورة هود (١١): آية ٨] ..... ص : ۴۵۲

وَ لَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (٨)

اللام فى قوله «وَ لَئِنْ أَخَّرْنا» لام القسم، و لا يجوز ان تكون لام الابتداء، لأنها دخلت على (ان) التى للجزاء، و لام الابتداء إنما هى للاسم او ما ضارع الاسم فى باب (ان) و جواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم، لأنه إذا جاء فى صدر الكلام غلب عليه كما انه إذا تأخر او توسط الغى. و معنى قوله «أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ» اخر الى حين أمة معدودة كما قال «وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ» «١» اى بعد حين. و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و الزجاج و الفراء و غيرهم.

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۳

و قال الجبائى: معناه الى أمم بعد هؤلاء يكلفهم فيعصونه فتقتضى الحكمة إهلاكهم و إقامة القيامة. و قال الرمانى: معناه الى جماعة معدودة بانه ليس فيها من يؤمن فإذا صاروا الى هذه الصفة أهلكوا بالعذاب، كما أهلك قوم نوح فى الدنيا.

و أهلكوا بعذاب الآخرة لكونهم على هذه الصفة.

و قوله «لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ» فالحبس المنع بالحصر فى خباء. و يقال: حبس الماء إذا منع من النفوذ. و حبس السلطان الرزق إذا معنه. و حبس عنهم العذاب إذا منع من إتيانهم الى الأجل المعلوم. و التقدير ما الذى يمنع من تعجيل هذا العذاب الذى نتوعد به؟ فقال اللَّه تعالى «أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ» و معناه ان هذا العذاب الذى يستبطئونه إذا نزل بهم فى الوقت المعلوم لا يقدر على صرفه أحد عنهم و لا يتمكنون من إذهابه عنهم إذا أراد اللَّه ان تأتيهم به. و قوله «وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» معناه انه نزل بهم الذى كانوا يسخرون منه من نزول العذاب و يتحققونه.

قوله تعالى:[سورة هود (١١): آية ٩] ..... ص : ۴۵۳

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ (٩)

أقسم اللَّه تعالى فى هذه الاية انه لو أحل تعالى بالإنسان رحمة من عنده يعنى ما يفعله اللَّه تعالى بهم فى الدنيا من الأرزاق، فانه يعم بها خلقه كافرهم و مؤمنهم.

ثم نزعها منه و سلبها، و سمى إحلال اللذات بهم اذاقة تشبيهاً و مجازاً، لان الذوق فى الحقيقة تناول الشيء بالفم لادراك الطعم، و الإنسان حيوان على الصورة الانسانية لأن الصورة الانسانية بانفرادها قد تكون للتمثال و لا يكون إنساناً فإذا اجتمعت الحيوانية و الصورة لشيء فهو انسان. قال الرمانى: و كلما لا حياة فيه فليس بإنسان التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۴

كالشعر و الظفر و غيرهما. و النزع رفع الشيء عن غيره مما كان مشابكا له، و النزع و القلع و الكشط نظائر. و اليأس القطع بأن الشيء لا

یکون و هو ضد الرجاء و یؤوس کثیر الیأس من رحمة اللَّه و هذه صفة ذم، لأنه لا یکون کذلک الا للجهل بسعة رحمة اللَّه التی تقتضی قوة الأمل. و فائدة الآیة الاخبار عن سوء خلق الإنسان و قنوطه من الرحمة عند نزول الشدة و أنه إذا أنعم علیه بنعمة لم یشکره علیها و إذا سلبها منه یئس من رحمة اللَّه و کفر نعمه، و هو مصروف الی الکفار الذین هذه صفتهم.

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۰] ..... ص : ۴۵۴

وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَیَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّیِّئاتُ عَنِّی إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (۱۰)

أقسم اللَّه تعالی فی هذه الآیة أنه لو أحل بالإنسان «نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ» لأن الهاء کنایة عن الإنسان الذی مضی ذکره، و النعماء إنعام یظهر أثره علی صاحبه و الضراء مضرة تظهر الحال بها، لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة کحمراء و عوراء مع ما فیها من المبالغة. و معنی «مسته» نالته. و قوله «لَیَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّیِّئاتُ عَنِّی» أی یقول عند نزول النعماء به بعد أن کان فی ضدها من الضراء: ذهبت الخصال التی تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه أو عقله، و هو- هاهنا- بمعنی المرض و الفقر، و نحو ذلک. و قوله «إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ» إخبار منه تعالی أن الإنسان فرح فخور. و الفرح انفتاح القلب بما یلتذ به و ضده الغم، و مثله السرور و المرح. و الفرح لذة فی القلب أعظم من ملاذ الحواس. و الفخور المتطاول بتعدید المناقب، و فخور کثیر الفخر، و هی صفة ذم إذا أطلقت لما فیه من التکبر علی من لا یجوز أن یتکبر علیه. و قیل: للعالم أن یفخر علی الجاهل بالعلم لتعظیم التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۵۵
العلم و تحقیر الجهل، و لذلک تفخر النبی علی الکفار.

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱] ..... ص : ۴۵۵

إِلَّا الَّذِینَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ کَبِیرٌ (۱۱)

لما أخبر اللَّه تعالی عن أحوال الخلق و أن أکثرهم إذا حل بهم نعمه تعالی بعد أن کانوا فی مضرة شدیدة و انهم إذاً یقولون ذهب السیئات عنهم و ان کثیراً منهم فرح فخور، استثنی من جملتهم المؤمنین بتوحید اللَّه الصابرین علی طاعاته و الکف عن معاصیه و أضافوا الی ذلک الأعمال الصالحات. و الصبر حبس النفس عن المشتهی من المحارم. و الصبر علی مرارة الحق یؤدی الی الفوز بالجنة فی الآخرة مع ما فیه من الجمال فی الدنیا. و استثنی الذین صبروا من الإنسان، لأنه فی معنی الجمع کما قال «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» «۱» و قال الزجاج و الأخفش: (إلا) بمنی (لکن) لأنه لیس من جنس الأول. و الأول قول الفراء. و قوله «أُولئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ کَبِیرٌ» إخبار من اللَّه تعالی عن هؤلاء المؤمنین بأن لهم عند اللَّه المغفرة و الأجر العظیم.

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۱۲] ..... ص : ۴۵۵

فَلَعَلَّکَ تارِکٌ بَعْضَ ما یُوحی إِلَیْکَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُکَ أَنْ یَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ کَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَکٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِیرٌ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٌ (۱۲)

---

(۱) سورة ۱۰۳ العصر ۱- ۲ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص: ۴۵۶

هذا خطاب من اللَّه تعالی لنبیه صلی الله علیه و آله یحثه علی أداء جمیع ما بعثه به و أوحی الیه، و ینهاه عن کتمانه، و یشجعه علی الأداء، و یقول له لا یکون لعظم ما یرد علی قلبک و یضیق به صدرک من غیظهم یوهمون علیک انهم یزیلونک عن بعض ما أنت علیه من امر ربک، و أنک تترک بعض الوحی و یضیق به صدرک مخافة أن یقولوا أو لئلا یقولوا «لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ کَنْزٌ» أی هلا انزل

عليه كنز فينفق منه «أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ» يعينه على أمره بل «إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ» أى منـذر مخوف من معاصـى اللّه و عقابه «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» أى حافظ يكتب عليهم أفعالهم و أقوالهم، و مجازيهم عليها، فلا تغمك أقوالهم و لا أفعالهم و لا يضـيق بذلك صدرك فان وبال ذلك عائد عليهم. و ضائق و ضيق واحد الا ان (ضائق) هاهنا احسن لمشاكلته لقوله:

تارك، و الضـيق قصور الشـىء عن مقدار غيره ان يكون فيه، فإذا ضاق صدر الإنسان قصـر عن معان يتحملها الواسع الصدر. و الصدر مسكن القلب و يشبه به رفيع المجالس و رئيس القوم لشرفه على غير، و الكنز المال المدفون لعاقبته، و صار فى الشرع اسم ذم فى كل مال لا يخرج منه حق اللّه من الزكاة و غيره، و إن لم يكن مدفونا.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۳] ..... ص : ۴۵۶

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۳)

هـذه الآيـة صـريحة بالتحـدى و فيها قطع لاعتلال المشـركين و بغيهم، لأنهم لما عجزوا عن معارضة القرآن قالوا: إن ما فيه من الاخبار كـذب اختلقـه و اخـترعه أو قرأ الكتـب السالفـة، فقـال اللّه تعـالى لهـم: افـتروا أنتم مثله، و ادحضـوا حجته فـذلك أيسـر و أهـون مما تكلفتموه، فعجزوا عن ذلـك و صاروا الى الحرب و بـذل النفس و المال و قتل الآباء و الأبناء. و لو قـدروا على إطفاء أمره بالمعارضـة لفعلوه التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۵۷

مع هـذا التقريع العظيم. و فيه دلالـة على جهـة إعجـاز القرآن و أنها الفصاحـة فى هـذا النظم المخصوص، لأنه لو كان غيره لما قنع فى المعارضة بالافتراء و الاختلاق.

و قوله «فأتوا» و إن كان لفظه لفظ الأمر فالمراد به التهديـد و التحـدى و المثل المـذكور فى الايـة ما كان مثله فى البلاغة و النظم أو ما يقاربه، لأن البلاغة ثلاث طبقات فأعلاها معجز، و أدناها و أوسـطها ممكن، فالتحدى وقع بما هو فى أعلى طبقة فى البلاغة، و لا يجوز أن يكون المراد بالمثـل إلاـ المثـل فى الجنسية، لأـن مثله فى العين يكون حكـايته و ذلـك لاـ يقع به تحـدى. و انمـا يرجع الى ما هو متعارف بينهم فى تحـدى بعضـهم بعضاً كمناقضات امرئ القيس و علقمـة، و عمر بن كلثوم و الحارث بن حلزة، و جرير و الفرزدق و غيرهـم. و معنى (أم) تقرير بصـورة الاسـتفهام، و تقـديره بـل «يَقُولُونَ افْتَراهُ». و قـال بعضــهم: إن الاسـتفهام محـذوف، كـأنه قـال أ يكـذبونك أم يقولون افتراه. و هذا ليس بصـحيح لأن (أم) هاهنا منقطعة ليست معادلة، و انما يجوز حذف الاستفهام فى الضـرورة. و قوله «ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى ادعوهـم الى معاونتكم على المعارضة. و هذا غاية ما يمكن من التحدى و المحاجّة.

و قوله «بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ» اى مثـل سورة منه كـل سورة منهـا. و معنى «مفتريـات» أى مختلقـات يقال: افترى و اختلق و اخترق، و خلق و خرق و خرص و اخترص إذا كذب

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۴] ..... ص : ۴۵۷

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۴)

قيل فى المعنى بقوله «فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ» قولان:

أحدهما- ان المراد به المؤمنون، و التقدير فان لم يقبلوا إجابتك يا محمّد التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۵۸

و المؤمنين، و لا يأتون بعشر سور معارضة لهذا القرآن، فليعلم المؤمنون إنما أنزل بعلم اللّه بهذا الدليل، و هو قول مجاهد و الجبائى.

و الآخر- أن يكون المراد به المشـركين، فالتقـدير فان لم يسـتجب لكم من تـدعونهم الى المعاونة و لا يهيأ لكـم المعارضة، فقد قامت عليكم الحجة.

و الاسـتجابة فى الايـة طلب الاجابـة بالقصـد الى فعلها، يقال: اسـتجاب و أجاب بمعنى واحـد. و الفرق بين الاجابة و الطاعة أن الطاعة

موافقة للارادة الجاذبة الى الفعل برغبة أو رهبة، و الاجابة موافقة الداعى الى الفعل من أجل أنه دعا به.
و قوله «أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ» يحتمل أمرين: أحـدهما- بعلم اللّه انه حق من عنـده أى عالم به. و الآخر- بعلم اللّه بمواقع تأليفه فى علو طبقته. و قوله «وَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» اى فاعلموا أن لا إله إلا هو. و قوله «فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» معناه هل أنتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام اللّه و انه أنزله على نبيه تصديقاً له فيما أدّاه إليكم عن اللّه مسلمون له موقنون به؟ لأن كل من سلم له الأمر فقد استسلم له. قال مجاهد: و هذا خطاب لأصحاب النبى من المسلمين.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۵] ..... ص : ۴۵۸

مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ (۱۵)
آيـة شـرط اللّه تعالى بهـذه الآيـة أن «مَنْ كانَ يُرِيـدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها» و حسن بهجتها، و لا يريد الآخرة، فان اللّه تعالى يوفيه جزاء عمله فيها يعنى فى الدنيا، و لا يبخسه شيئاً منه. و الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة، يقال:
زانه يزينه و زيّنه تزييناً. و التوفية تأدية الحق على تمام. و البخس نقصان الحق، يقال: بخسه بخساً إذا ظلمه بنقصان الحق. و فى المثل (يبخسها حمقاء) و هى التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۹
باخس. و قيل فى العمل الذى يوفون حقهم من غير بخس قولان: أحدهما- قال الضحاك و مجاهد: هو أن يصل الكافر رحمه أو يعطى سائلاـ سأله أو يرحم مضطراً أو غير ذلك من أفعال الخير، فان اللّه تعالى يعجل له جزاء عمله فى الدنيا بتوسيع الرزق، و إقرار العين فيما خوّل، و دفع مكاره الدنيا. الثانى- الغزو مع النبى صلى الله عليه و آله للغنيمة دون ثواب الاـخرة، أمر اللّه نبيه أن يوفيهم قسمهم و هذا من صفة المنافقين، ذكره الجبائى. و انما جاز أن يقول «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ» و لم يجز أن تقول: من جاءنى أكرمه، لأن الأجود فى الشرط و الجزاء أن يكونا مستقبلين أو يكونا ماضيين بنية الاستقبال، فان كان أحدهما ماضياً، و الآخر مستقبلا كان جائزاً على ضعف كما قال زهير:
و من هاب أسباب المنايا تنلنه و لو رام أسباب السماء بسلم «۱»
قلنا عنه جوابان: أحدهما- قال الفراء: إن المعنى من يرد الحياة الدنيا و (كان) زائدة. و الثانى: إن المعنى أن يصح أنه كان، كقوله «إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ» «۲» و لا يجوز مثل هذا فى غير (كان) لأنها أم الأفعال.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۶] ..... ص : ۴۵۹

أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۶)
قوله «أولئك» كناية عن الذين ذكرهم فى الاية الأولى، و هم الذين يريدون الحياة الدنيا و زينتها، دون ثواب الاخرة. فأخبر اللّه أنه ليس لهم فى الآخرة مستقر إلا النار، و أن أعمالهم كلها محبطة لا يستحقون عليها ثواباً، لأنهم أوقعوها

---

(۱) اللسان (سبب) و روايته (المنية يلقها) بدل (المنايا تنلنه)
(۲) سورة ۱۲ يوسف آية ۲۷
التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۶۰
على غير الوجه المأمور به، و على حدّ لا تكون طاعة، و أن جميع ما فعلوه فى الدنيا باطل لا ثواب عليه. و قد بينا فساد القول بالإحباط «۱» على ما يذهب اليه المعتزلة و أصحاب الوعيد، سواء قالوا الإحباط بين الطاعة و المعصية أو بين المستحق عليها، فلا معنى للتطويل بذكره هاهنا. و قوله «وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» بعد قوله «حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها» يحقق ما نقوله: إن نفس الاعمال تبطل بأن توقع على

خلاف الوجه الذی یستحق به الثواب.

قوله تعالى:[سورهٔ هود (١١): آیهٔ ١٧] ..... ص : ۴۶۰

أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍٔ مِنْ رَبِّهِ وَ یَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ کِتابُ مُوسی إِماماً وَ رَحْمَهًٔ أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَکُ فِی مِرْیَهٍٔ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یُؤْمِنُونَ (١٧)

الالف فی قوله «أَ فَمَنْ کانَ» ألف استفهام، و المراد بها التقریر، و التقدیر هل الذی کان على بینهٔ- یعنی برهان و حجهٔ من اللَّه- و المراد بالبینهٔ هاهنا القرآن و المعنی بقوله «أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍٔ» النبی صلى الله علیه و آله و کل من اهتدى به و اتبعه.

و قوله «وَ یَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ» قیل فی معناه أقوال: أحدها-

شاهد من اللَّه هو محمّد صلى الله علیه و آله، و روى ذلک عن الحسین بن علی علیهما السلام

و ذهب الیه ابن زید و اختاره الجبائی.

و الثانی- قال ابن عباس و مجاهد و ابراهیم و الفراء و الزجاج: جبرائیل یتلو القرآن على النبی صلى الله علیه و آله. و الثالث- شاهد منه لسانه، روى ذلک عن محمّد بن علی أعنی ابن الحنفیهٔ، و هو قول الحسن و قتادهٔ و الرابع-

روى عن أبی جعفر محمّد

---

(١) انظر ٢/ ٣٣۶، ٣۵٣، ۵٢٢، ۵٢۵

ابن علی بن الحسین علیهما السلام أنه علی بن أبی طالب علیه السلام و رواه الرمانی، و ذکره الطبری بإسناده عن جابر بن عبد اللَّه عن علی علیه السلام.

و ذکر الفراء وجهاً خامساً- قال: و یتلوه یعنی القرآن یتلوه شاهد هو الإنجیل، و من قبله کتاب موسى یعنی التوراهٔ. و المعنى و یتلوه فی الحجهٔ و البینهٔ. و قوله «وَ مِنْ قَبْلِهِ کِتابُ مُوسی الهاء فی «قبله» عائدهٔ على القرآن المدلول علیه فیما تقدم من الکلام، و المعنى أنه یشهد به بالبشارهٔ التی فیه. و قوله «إِماماً وَ رَحْمَهًٔ» العامل فیه أحد أمرین:

أحدهما- الظرف فی قوله و من قبله. و الثانی- و شاهد من قبله کتاب موسى إماماً و رحمهٔ، و خبر (من) فی قوله «أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍٔ مِنْ رَبِّهِ» محذوف و التقدیر أ فمن کان على بینهٔ من ربه و على الأوصاف التی ذکرت کمن لا بینهٔ معه، قال الشاعر:

و أقسم لو شیء أتانا رسوله سواک و لکن لم نجد عنک مدفعا

و أنشد الفراء:

و أقسم لو شیء أتانا رسوله سواک و لکن لم نجد عنک مدفعا

و أنشد الفراء:

فما أدری إذا یممت وجهاً أرید الخیر أیهما یلینی

آلخیر الذی أنا أبتغیه أم الشر الذی لا یأتلینی «١»

قال: أیهما، و إنما ذکر الخیر وحده، لأن المعنى مفهوم، لأن المبتغی للخیر متق للشر. و قال قوم خبره قوله «مَنْ کانَ یُرِیدُ الْحَیاهَٔ الدُّنْیا» و قد تقدمه، و استغنى به. و قوله «أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ» کنایهٔ عمن کان على بینهٔ من ربه أنهم یصدقون بالقرآن و یعترفون بأنه حق، و قوله «وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ» معناه إن کل من یجحده و لا یعترف به من الأحزاب الذین اجتمعوا على عداوته. و قال الفراء: یقال: کل کافر حزب النار «فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ» یعنی مستقره و موعده «فلا تک» یا محمّد صلى الله علیه و آله فی شک من ذلک،

فالخطاب متوجه الى النبى صلى الله عليه و آله و المراد به جميع المكلفين. و قوله «إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» اخبار منه تعالى بأن

(۱) مرّ هذا الشعر فى ۲/ ۱۱۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۶۲

هذا الخبر الذى ذكره حق من عند اللَّه، و لكن اكثر الناس لا يعلمون صحته و صدقه لجهلهم باللَّه و جحدهم نبوة نبيه صلى الله عليه و آله. و روى أن الحسن قرأ (فى مرية) بضم الميم، و هى لغة أسد و تميم، و أهل الحجاز يكسرون الميم و عليه القراء.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۸] ..... ص : ۴۶۲

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (۱۸)

قال الحسن معنى قوله «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» لا أحد أظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام مبالغة فى انه أظلم لنفسه من كل ظالم، و انما كان المفترى على اللَّه كذباً أظلم من كل ظالم، لأنه يجحد نعم اللَّه و لا يشكرها. و قوله «أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ» اخبار منه تعالى أن من هذه صفته يعرض على اللَّه يوم القيامة. و العرض إظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال: عرضت الكتاب على فلان، و عرض الجند على السلطان، و معنى العرض على اللَّه أنهم يقفون فى المقام الذى يرى العباد، و قد جعله اللَّه تعالى للمطالبة بالأعمال فهو بمنزلة العرض فى الحقيقة، لأنهم لا يخفون عليه فى حال من الأحوال بل هو تعالى يراهم حيث كانوا. و قوله «وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ» يعنى الملائكة و الأنبياء و العلماء، يشهدون بما كان منهم من الكذب عليه تعالى. و قيل: هو جمع شاهد مثل صاحب و أصحاب، و قيل: جمع شهيد كشريف و أشراف. و قوله «أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» تنبيه من اللَّه تعالى لخلقه بأن لعنته على الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها و على غيرهم بإدخال الآلام عليهم، و لعنة اللَّه إبعاده من رحمته.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۶۳

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۱۹] ..... ص : ۴۶۳

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (۱۹)

وصف اللَّه تعالى الظالمين الذين جعل لعنة اللَّه عليهم بأنهم يصدون عن سبيل اللَّه بمعنى أنهم يغرّون الخلق و يصرفونهم عن المصير اليه و اتباعه، بغير الحق، و يجوز أن يكون صدّه عن الفساد بدعائه الى تركه، و الصد عن الحق سبب الامتناع منه إذا صادف منه ما يهواه، فيفعله من أجل ذلك الداعى، و انما جاز تمكين الصادّ من الفساد لأنه مكلف للامتناع. و ليس فى منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد الى الصلاح، فهو كشهوة القبيح الذى به يصح التكليف. قال ابو على: و لو لم يكن إغواء الشيطان إضلالا لعمل من قبل نفسه ذلك أو شرّاً منه. و قوله «يَبْغُونَها عِوَجاً» معناه إنهم يطلبون لسبيل اللَّه عدولا عنه. و العوج العدول عن طريق الصواب، و هو فى الدين عوج بالكسر، و فى العود عوج بالفتح، فرّقوا بين ما يرى و بين ما لا يرى فجعلوا السهل للسهل و الصعب للصعب بالفتح و الكسر. و البغية طلبة أمر من الأمور تقول: بغاه يبغيه بغية مثل طلبه يطلبه طلبة. و قوله «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ» إخبار منه تعالى أن هؤلاء الذين يصدون عن سبيل اللَّه كافرون بالآخرة و بالبعث و النشور و الثواب و العقاب أى جاحدون غير مقرين. و قوله «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ» كرر (هم) مرتين كما قال «أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» «۱» كرر (أنكم) مرتين، و وجه ذلك أنه أنه لما طال الكلام و فارق فعله كرره مرة أخرى.

(۱) سورة ۲۳ المؤمنين آية ۳۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۶۴

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۲۰] ..... ص : ۴۶۴

أُولئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ (۲۰)

أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة اللَّه و أنهم الذين يصدون عن سبيل اللَّه و يبغونها عوجاً بأنهم غير «مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» أى لم يكونوا فائتين فيها هرباً من اللَّه تعالى إذا أراد إهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو، و قد جد فى طلبه. و الاعجاز الامتناع من المراد بما لا يمكن معه إيقاعه، و انهم لم يكن لهم ولى يستطيع الدفاع عنهم من دون اللَّه. و الولى الخصيص بأن يلى بالمعاونة لدفع الاذية، و منه قولهم: تولاك اللَّه بحفظه، فلا ولى لهؤلاء يعاونهم و يدفع العقوبة عنهم، لأن اللَّه تعالى قد أ يأسهم من ذلك. و قوله «يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- بحسب تضاعف الاجرام. و الآخر- كلما مر ضعف جاء ضعف، و كله على قدر الاستحقاق. و قوله «ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ» معناه انه كان يثقل عليهم سماع الحق و رؤيته، كما يقال:

فلان لا يستطيع النظر الى فلان، و حقيقة الاستطاعة القوة التى تنطاع بها الجارحة للفعل، و لذلك لا يقال فى اللَّه انه يستطيع. و ليس المراد بنفى الاستطاعة فى الاية نفى القدرة بل ما ذكرناه، لأنه لو لم يكن فيهم قدرة لما حسن تكليفهم. و قد ذكر الفراء فيه وجهاً مليحاً، فقال: المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع و لا يعقلون، و حذف الباء كما قال «أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ» «۱» اى بتكذيبهم و سقوط الباء جائز، كما قال «أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» «۲» و يقول

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۰

(۲) سورة ۹ التوبة آية ۱۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۶۵

القائل: لأجزينك ما عملت، و بما عملت. و اختار ذلك البلخي. و السمع إدراك الصوت بما به يكون مسموعاً. و الأبصار إدراك الشيء بما به يكون مبصراً.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۲۱] ..... ص : ۴۶۵

أُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۲۱)

ثم أخبر عنهم بخبر آخر، و هو أنهم «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ»

من حيث أنهم فعلوا ما يستحقون به العذاب و هلكوا بذلك فى خسران أنفسهم، و خسران النفس أعظم الخسران، لأنه ليس عنها عوض، و عن هلاك رأس المال عوض، فسلامة النفس أجل فائدة، و ما كان بعده من نفع فهو ربح. و قوله «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ»

قيل فى معناه قولان: أحدهما- ذهب عنهم الانتفاع بالافتراء كما كانوا فى الدنيا و الثانى- ذهب عنهم الأوثان التى كانوا يأملون بها الانتفاع- فى قول الحسن- و (أولئك) اشارة الى البعيد، (و هؤلاء) إشارة الى القريب و أولاء مبنى على الكسر، لأنه اسم للجمع بمنزلة الواحد و الكاف فى (أولئك) حرف يدل على أن الكلام الذى معه مخاطباً به. و وجه اتصال (ما) فى الآية أن (أولئك) إشارة الى من

تقدم ذكره و (الذين) صفة لهم و هو موصول و (خسروا) صلته و (أنفسهم) معمول الصلة و (ضل) معطوف على الصلة و (كانوا) صلة فاعل معطوف الصلة و (يفترون) خبر صلة فاعل معطوف الصلة، و هو تمام (الاسم).

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۲۲] ..... ص : ۴۶۵

لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (۲۲)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۶۶

معنى (لا-جرم) قال الزجاج: معنى (لا) نفى لما ظنوه أنه ينفعهم كأن المعنى لا ينفعهم ذلك. ثم ابتدأ «جَرَمَ أَنَّهُمْ» أى كسب ذلك الفعل لهم الخسران.

و قال غيره: معناه لا بد انهم، و لا محالة أنهم. و قيل: معناه حقاً أنهم. و اصل (الجرم) القطع فكأنه قال لا قطع من انهم فى الاخرة هم الأخسرون و (جرم) فى قوله (لا-جرم) فعل، و تقديره لا قطع قاطع عن ذا، إلا أنهم كثر فى كلامهم حتى صار كالمثل و هو من قول الشاعر:

و لقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا «۱»

اى قطعتهم الى الغضب، فرواية الفراء نصب فزارة، و المعنى كسبهم أن يغضبوا.

و خسران النفس يتعاظم، لأن خسران النفس بعذاب دائم أعظم من خسرانها بعذاب منقطع، و (هم) فى قوله «هُمُ الْأَخْسَرُونَ» يحتمل أن يكون فصلا و الأخسرون خبر (أن) و (هم) إذا كانت فصلا لم تقع فى النكرة. و قولهم: ما كانوا فى الدار هم القائمون. فلا يكون إلا اسماً، فان جعلتهما فصلا قلت: كانوا فى الدار هم القائمون.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۲۳] ..... ص : ۴۶۶

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۳)

لما ذكر اللَّه تعالى الكفار، و وصف ما أعدّ لهم من العذاب و خسران النفس أخبر- هنا- أن الذين يؤمنون باللَّه و يعتقدون وحدانيته و يصدقون رسله، و عملوا الأعمال الصالحة التى أمرهم اللَّه بها و رغبهم فيها «وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ» أى خشعوا اليه.

و الإخبات الخشوع المستمر على استواء فيه، و أصله الاستواء من الخبت، و هو

---

(۱) مرّ فى ۳/ ۴۲۳ و ۵/ ۴۱۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۶۷

الأرض المستوية الواسعة. و قيل: إن الإخبات الانابة- ذكره ابن عباس- و قال مجاهد: هو الاطمئنان الى ذكر اللَّه. و قال قتادة: هو الخشوع اليه و الخضوع له و قال الحسن: هو الخشوع للمخافة الثابتة فى القلب. و قال الجبائى: الإخبات سكون الجوارح على وجه الخضوع للَّه تعالى. و ليس كل عمل صالح يستحق عليه حمد أو مدح، لأنه مثل الحسن فى أنه ينقسم قسمين: أحدهما- يستحق عليه الحمد. و الآخر- لا يستحق عليه كالمباح، فكذلك الصالحات. و المراد بالصالحات- هاهنا- الطاعة، لأنه وعد عليها الجزاء فى قوله «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» «۱». و قوله «وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ» قال قوم: معناه أخبتوا لربهم، فوضع (الى) مكان اللام، لأن حروف الاضافة توضع بعضها مكان بعض، كما قال «أَوْحى لَها» «۲» بمعنى أوحى اليها. و الآخر- أن معناه عمدوا باخباتهم الى اللَّه. و قوله «أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» إشارة الى المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعملون الصالحات و يخبتون الى ربهم، فأخبر عنهم أنهم أصحاب الجنة اللازمون لها و أنهم فيها مخلدون دائمون.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۲۴] ..... ص : ۴۶۷

مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۲۴)

المثل قول سائر يشبه فيه حال الثانى بحال الأول، و الأمثال لا تغير عن صورتها كقولك للرجل (اطرى انك ناعلة) و كذلك يقال للكافر: هو أعمى أصم أى هو بمنزلة الذين قيل لهم هذا القول، و يجرى هذا فى كل كافر يأتى من بعد.

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۱۱۵

(۲) سورة ۹۹ الزلزال آية ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۶۸

و (الواو) فى قوله «كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ» قيل فى دخولها قولان:

أحدهما- العموم فى التشبيه أى حال الكافر كحال الأعمى و كحال الأصم و كحال من جمع العمى و الصمم.

الثانى- أن المعنى واحد، و إنما دخلت الواو لاتصال الصفة الأولى بعلامة.

و إنما قال: هل يستويان، لأنه أراد الفريقين: الموصوف أحدهما بالصمم و العمى، و الاخر بالبصر و السمع. و فائدة الآية تشبيه المؤمن و الكافر فى تباعد ما بينهما فشبههما، بالأعمى و البصير، و الأصم و السميع، فالكافر كالأعمى و الأصم فى أنه لا يبصر طريق الرشد، و لا يسمع الحق، و أنه مع ذلك على صفة النقص. و الصمم عبارة عن فساد آلة السمع، و لو كان معنى يضاد السمع لتعاقبا على الحى، و الأمر بخلافه، لأنه قد ينتفى حال الصمم و لا يكون سامعاً، و كذلك العمى عبارة عن فساد آلة الرؤية، و ليس بمعنى يضاد الأبصار، لأن الصحيح أن الإدراك أيضاً ليس بمعنى، و لو كان معنى لما وجب أن يكون العمى ضده. لأنه لو كان ضده لعاقبه على حال الحى و كان يجوز أن يحضر المرئى من الأجسام الكثيفة من غير ساتر فلا يرى مع حصول شروط الإدراك لأجل وجود الضد، و كذلك الصمم، و لا ضد له لأنه ليس هناك حال يعاقبه على حال مخصوصة كمعاقبة العجز القدرة على حال الحياة.

و قوله «هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا» و إن كان بصورة الاستفهام فهو لضرب من التوبيخ و التقريع. و قوله «أَ فَلا تَذَكَّرُونَ» معناه أ فلا تتفكرون فى ذلك فتعلموا صحة ما ذكرنا.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۲۵ الى ۲۶] ..... ص : ۴۶۸

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۲۵) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (۲۶)

قرأ نافع و ابن عامر و عاصم و حمزة (إنى) بكسر الهمزة. الباقون بفتحها التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۶۹

قال أبو على النحوى: من فتحها حملها على (أرسلنا) أى أرسلناه بأنى لكم و لم يقل إنه انتقل عن الغيبة الى الخطاب، و مثله كثير، قال اللَّه تعالى «وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً» ثم قال بعده «فَخُذْها بِقُوَّةٍ» «۱» فكذلك الآية. و من كسر يضمر القول قبلها كأنه قال: أرسلنا نوحاً الى قومه فقال: إنى لكم نذير، و مثله كثير، قال اللَّه تعالى «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ» «۲» اى يقولون: سلام عليكم، و قوله تعالى «وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى» «۳» أى قالوا: ما نعبدهم، و يكون الكلام على ظاهره لم يرجع من الغيبة الى الخطاب. و ليس لأحد أن يرجح القراءة بالفتح من حيث أن ما بعده من قوله «أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» محمول على الإرسال، فإذا فتحت كان أشكل بما بعدها لحملهما جميعاً على الإرسال. و ذلك أن من كسر حمل قوله «انى لكم» و ما بعده على الاعتراض بين المفعول و ما يتصل به مما بعده، كما أن قوله «إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ» اعتراض بينهما فى قوله «وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» «۴» فكذلك قوله «إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ»

لان التقدیر و لقد أرسلنا نوحاً لانذار أن لا تعبدوا الا اللّه إنی أنذرکم لتوحدوا اللّه و أن تترکوا عبادة غیره.

أقسم اللّه تعالی فی هذه الآیة أنه أرسل نوحاً و أمره أن یقول لهم: إنی مؤد عن اللّه و مخوفکم من عقابه و ترک طاعاته، لأن اللام فی قوله «لقد» لام القسم، و هی تدخل علی الفعل و الحرف الذی یختص بالفعل مما یصح معناه معه، و لام الابتداء للاسم خاصة. و معنی (قد) وقوع الخبر علی وجه التقریب من الحال تقول: قد رکب الأمیر- لقوم یتوقعون رکوبه-.

---

(۱) سورة ۷ الاعراف ۱۴۴

(۲) سورة ۱۳ الرعد آیة ۲۵- ۲۶

(۳) سورة ۳۹ الزمر آیة ۳

(۴) سورة ۳ آل عمران آیة ۷۳ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۴۷۰

و قوله «أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» یحتمل أن یکون موضع (تعبدوا) من الاعراب نصباً، و المعنی أن لا تعبدوا الا اللّه، و یجوز أن یکون موضعه جزماً علی تقدیر أی لا تعبدوا. و یحتمل أن یکون متعلقاً بقوله «أرسلنا» و تقدیره أرسلنا بأن لا تعبدوا الا اللّه، علی ما بینا من الاعتراض و حملها جمیعاً علی الإرسال.

و قوله «إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ أَلِیمٍ» أی مؤلم عذابه و انما قال عذاب یوم الیم بالجر و معناه مؤلم، لأن الألم یقع فی الیوم، فکأنه سبب الألم. و لو نصبته علی أن یکون صفة للعذاب کان جائزاً، و لم یقرأ به أحد. و انما بدأ بالدعاء الی العبادة دون سائر الطاعات، لأنها أهم ما یدعی الیه من خالف الحق فیه و لأنه یجب أن یفعل کل واحدة من الطاعات علی وجه الإخلاص و العبادة فیها للّه. و انما قال «إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ أَلِیمٍ» مع أن عذاب الکافر معلوم لأنه یخاف ما لم یعلم ما یؤل الیه أمرهم من ایمان أو کفر، و هذا لطف فی الاستدعاء و أقرب الی الاجابة فی غالب أمر الناس.

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۲۷] ..... ص : ۴۷۰

فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراکَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلاَّ الَّذِینَ هُمْ أَراذِلُنا بادِیَ الرَّأْیِ وَ ما نَری لَکُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّکُمْ کاذِبِینَ (۲۷)

قرأ أبو عمرو «بادیء الرأی» بالهمز فی بادی. الباقون بلا همز.

قال ابو علی: حدثنا محمد بن السدّی أن اللحیانی قال: یقال: أنت بادی الرأی ترید ظلمنا لا یهمز (بادی) و بادیء الرأی مهموز. فمن لم یهمز أراد أنت أول الرأی و مبتدؤه و هما فی القرآن. و قال أبو علی: من قال (بادی الرأی) بلا همز جعله من بدو الشیء و هو ظهوره، و ما اتبعک إلا أراذل فیما ظهر لهم من الرأی التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۴۷۱

ای لم یفعلوه بنظر فیه و لا بتبین له. و من همز أراد اتبعوک فی أول الامر من غیر فکر فیه و لا رویّة، و القراءتان متقاربتان، لأن الهمز فی اللام منها ابتداء الشیء و أوله و ابتداء الشیء یکون ظهوراً، و ان کان الشیء الظاهر قد یکون مبتدأ و غیر مبتدأ، فلذلک یستعمل کل واحد منهما مکان الآخر یقولون: انا بادی بدا و بادیء بدء، فانی أحمد اللّه.

أخبر اللّه تعالی فی هذه الآیة عن جماعة الرؤساء من قوم نوح الذین کفروا و جحدوا نبوته أنهم قالوا له «ما نَراکَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا» و البشر مأخوذ من ظهور البشرة، لأن الغالب علی الحیوان غیر الإنسان أن یلبس البشرة منه بالصوف أو الشعر أو الریش أو الصدف. و الإنسان مأخوذ مأخوذ من النسیان، لأنهم یصغرونه أنیسیان و یجوز أن یکون من الإنسان الا أنهم زادوا الیاء فی التصغیر. و المثل ما سد مسد غیره فی الجنس بمعنی أنه لو ظهر للمشاهد لسد مسده کما یسد الأسود مسد الأسود فی الجنس من غیر فضل. و قوله «ما نَراکَ

اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا» حكاية أيضاً عما قاله قوم نوح من أنه ما نرى من اتبعك الا أنه رذل خسيس حقير من جماعتنا تقول: رذل و جمعه أرذل، و جمع الجمع أراذل مثل كلب و أكلب و أكالب.

و العامل فى (الذين) قوله «اتبعك» كأنه قال ما اتبعك الا الذين هم أراذلنا و نراك ملغى، ذكره الفراء. قال ابو على النحوى: هو نصب على الحال، و العامل فيه (اتبعک) و أخر الظرف و أوقع بعد (الا) و لو كان غيره لم يجز، لأن الظرف اتسع فيه في مواضع. و معنى «بادِيَ الرَّأْيِ» أول الرأى ما نراهم. و الرأى و الرؤية من قوله «يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ» «۱» و هو نصب على المصدر كقولك ضربته أول الضرب. و قال الزجاج: نصبه ب (اتبعوك أول الرأى) من غير فكر كأنه قيل اتبعوك رأياً غير سديد، و من قرأ بادى الرأى بلا همز أراد ظاهر الرأى قال الشاعر:

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۷۲

و قد علتنى ذرأة بادى بدى و ريثة تنهض فى تشددى «۱»

و قال آخر:

اضحى لخالى شبهى بادى بدى و صار للفحل لسانى و يدى «۲»

و قوله «وَ ما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ» تمام الحكاية عن كفار قوم نوح و انهم قالوا لنوح: إنا لا نرى لك و لامثالك علينا زيادة خير، لأن الفضل هو زيادة الخير، و انما قالوا ذلك، لأنهم جهلوا فى طريقة الاستدلال. و قوله «بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ» ايضاً تمام الحكاية عن كفار قومه أنهم قالوا له و لمن آمن معه هذا القول.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۲۸] ..... ص : ۴۷۲

قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ (۲۸)

قرأ حمزة و الكسائى و حفص «فعميت» بضم العين و تشديد الميم. الباقون بتخفيف الميم و فتح العين. و قال ابو على: من قرأ «فعميت» بالتخفيف فلقوله «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ» «۳» و هذه مثلها، و يجوز فى قوله (فعميت) أمران:

أحدهما- ان يكون عموا هم، الا ترى ان الرحمة لا تعمى و انما يعمى عنها، فيكون هذا من المقلوب، كقولهم: أدخلت القلنسوة فى رأسى، و أدخلت الخاتم فى أصبعى و نحو ذلك مما يقلب إذا زال الاشكال. و الاخر- ان يكون معنى عميت خفيت كقول الشاعر:

و مهمه أطرافه فى مهمه أعمى الهدى فى الحائرين العمه «۴»

(۱، ۲) اللسان (بدا)

(۳) سورة ۲۸ القصص آية ۶۶

(۴) قائله رؤبة ديوانه: ۱۶۶ و تفسير الطبرى ۱/ ۳۱۰ و قد مرّ فى ۱/ ۸۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۷۳

أى خفى الهدى ألا ترى أن الهدى ليس بذى جارحة تلحقها هذه الآفة، و قد قيل للسحاب: العمى لخفاء ما يخفيه، كما قيل له: الغمام و من ذلك قول زهير:

و لكننى عن علم ما فى غد عمى «۱»

و من شدد اعتبر قراءة الأعمش فانه قرأها فعمّاها عليهم. و روى ذلك الفراء عن أبى، و المعنيان متقاربان. قال الفراء: يقال عمى على

الخبر و عمى بمعنى واحد.

حكى اللَّه تعالى عن نوح ما قاله لقومه جواباً عما قالوه له مما حكيناه فانه «قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ» أى برهان و حجة من المعجزة التى تشهد بصحة النبوة. و خصهم بهذا إذ هو طريق العلم بالحق لا ما التمسوا من اختلاف الخلق. و قوله «آتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ» يرّد عليهم ما ادعوه من أنه ليس له عليهم فضل، فبين ذلك بالهداية الى الحق من جهة البرهان المؤدى الى العلم. و قوله «فعميت» يحتمل أمرين: أحدهما- خفيت عليكم، لأنكم لم تسلكوا الطريق المؤدى اليها. و الاخر- ان يكون المعنى عميتم عنها، و أضاف العمى الى البينة لما عموا عنها لضرب من المجاز، لأن المعنى ظاهر فى ذلك، كما يقال: ادخلت الخاتم فى يدى و القلنسوة فى راسى، و المراد ادخلت يدى فى الخاتم و رأسى فى القلنسوة.

و من قرأ بتشديد الميم و ضم العين أضاف التعمية الى غيرهم ممن صدهم عن النظر فيها و أغواهم فى ذلك من الشياطين و المضلين عن الحق.

و قوله «أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ» أ نضطركم الى موجب البينة مع العلم مع كراهتكم لذلك فيبطل تكليفكم الاستدلال بالبينة المؤدية الى المعرفة أى اضطركم الى حال الضرورة. و وجه آخر- و هو أن يكون المراد إن الذى على أن أدل بالبينة، و ليس على أن اضطركم الى المعرفة.

و فى قوله «أ نلزمكموها» ثلاث مضمرات ضمير المتكلم و ضمير المخاطب و ضمير الغائب، و هو أحسن ترتيب: بدأ بالمتكلم، لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب

---

(۱) اللسان (عمى)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۷۴

ثم بالغائب، و لو اتى بالمنفصل لجاز لتباعده عن العامل بما فرق بينه و بينه، فأشبه ما ضربت إلا إياك، و ما ضربنى إلا انت. و أجاز الفراء «أ نلزمكموها» بتسكين الميم جعله بمنزلة عضد و عضد و كبد و كبد. و لا يجوز ذلك عند البصريين، لأن الاعراب لا يلزم فيه النقل كما يلزم فى بناء الكلمة، و إنما يجيزون مثل ذلك فى ضرورة الشعر كقول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثماً من اللَّه و لا واعل «۱»

و قال آخر:

و ناع يخبرنا بمهلك سيد تقطع من وجد عليه الأنامل

و قال آخر:

إذا اعوججن قلت صاحب قوم

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۲۹] ..... ص : ۴۷۴

وَ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مالاً إِنْ أَجرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ (۲۹)

فى هذه الآية حكاية ما قال نوح لقومه أى لا أطلب منكم ما لا أجراً على الرسالة و دعائكم الى اللَّه فتمتنعون من إجابتى بل أجرى و ثوابى فى ذلك على اللَّه.

و قوله «وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه إنى لست أطرد المؤمنين من عندى و لا أبعدهم على وجه الاهانة. و قيل: انهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا أنفة أن يكونوا معهم على سواء، ذكره ابن جريح و الزجاج- و قوله «إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ» اخبار بأن هؤلاء المؤمنين ملاقوا جزاء ربهم بعقاب من طردهم. فى قول الزجاج.

(۱) ديوانه: ۱۳۰ و تفسير القرطبى ۹/ ۲۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۷۵

و قوله «وَ لكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ» معناه أراكم تجهلون انهم خير منكم لايمانهم بربهم و كفركم به.

و قال قوم: إنهم قالوا له إن هؤلاء اتبعوك طمعاً فى المال على الظاهر دون الباطن، فقال لهم نوح انهم ملاقوا جزاء أعمالهم فيجازيهم على ما يعلم من بواطنهم و ليس لى الا الظاهر احملهم على ظاهر الايمان فأنتم تجهلون ذلك.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۳۰] ..... ص : ۴۷۵

وَ يا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۳۰)

ثم قال لهم نوح عليه السلام «يا قوم» و أراد به الجماعة الذين يقومون بالأمر و (قوم) اسم جمع لا واحد له من لفظه. «مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ» أى من يمنعنى من اللَّه، يقال: نصره من كذا يعنى منعه منه، و نصره عليه بمعنى أعانه عليه حتى يغلب، و نصره الى كذا بمعنى نصره معه، و منه قوله «مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ» «۱» و يجوز أن يقدر اللَّه الكافر على الكفر، و لا يجوز أن ينصره عليه لأن النصرة على الشيء زيادة فى القوة ليقع ذلك الشيء، و هذا لا يجوز على اللَّه.

و القدرة تصلح للضدين على منزلة سواء و لا دليل فيها على ارادة أحدهما.

و قوله «أَ فَلا تَذَكَّرُونَ» معناه أ فلا تتفكرون، فتعلمون أن الامر على ما قلته. و فرق الطبرى بين التذكر و التفكر بأن قال: التذكر طلب معنى قد كان حاضراً للنفس و (التفكر) طلب معرفة الشيء بالقلب و ان لم يكن حاضراً للنفس.

و (النصرة) المذكورة فى الآية ليست من الشفاعة فى شيء، لأن النصرة هى المنع على وجه المغالبة و القهر. و الشفاعة هى المسألة على وجه الخضوع.

و ليس لأحد ان يستدل بذلك على نفى الشفاعة للمذنبين.

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۵۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۷۶

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۳۱] ..... ص : ۴۷۶

وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَ لا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۳۱)

فى هذه الآية تمام الحكاية عما قال نوح لقومه و حاجهم به، و هو أن قال لهم مضافاً الى ما مضى حكايته «وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ» و المعنى إنى لا أرفع نفسى فوق قدرها، فأدعى أن عندى خزائن اللَّه من الأموال فأعطيكم منها و أستطيل عليكم بها، أو أقول إنى أعلم الغيب، أو أقول لكم إنى ملك روحانى غير مخلوق من ذكر و أنثى بخلاف ما خلقنى اللَّه، بل أنا بشر مثلكم و انما خصنى اللَّه بالرسالة و شرفنى بها. و قيل معنى خزائن اللَّه مقدوراته لأنه يوجد منها ما يشاء. و فى وصفها بذلك بلاغة.

و قيل «لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ» فادعوكم الى أن أعطيكم منها، ذكره ابن جريج. و (الغيب) ذهاب الشيء عن الإدراك، و منه الشاهد خلاف الغائب.

و إذا قيل: علم الغيب معناه علم من غير تعلم، و هو جميع الغيب، و على هذا لا- يعلم الغيب إلا- اللَّه تعالى. و قوله «وَ لا- أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ» أى لست أقول للذين احتقرتهم أعينكم. و (الازدراء) الافتعال من الزراية، يقال: زريت عليه إذا عبته، و أزريت عليه إذا قصرت به، و الازدراء الاحتقار. و قوله «لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً» معناه لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين احتقرتموهم انهم لا يعطيهم اللَّه فى المستقبل خيراً من أعمالهم، و لا يثيبهم عليها، من حيث لا علم لى بباطنهم بل اللَّه اعلم بما فى أنفسهم، هل هم مؤمنون فى باطنهم ام لا، و متى قلت لا يعطيهم خيراً كنت اذاً من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم و غيرهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۷۷

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۳۲] ..... ص : ۴۷۷

قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۳۲)

فى هذه الآية حكاية عما قال قوم نوح لنوح جواباً عما قاله لهم فيما تقدم «يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا» اى خاصمتنا و حاججتنا فأكثرت مجادلتنا، و روى فأكثرت جدلنا- و المعنى واحد، فلسنا نؤمن لك «فَأْتِنا بِما تَعِدُنا» من العذاب «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فيما تقوله على اللَّه تعالى. و حقيقة المجادلة المقابلة بما يقبل الخصم من مذهبه بالحجة أو شبهه، و هو من الجدل لشدة الفتل، و يقال للصقر أجدل، لأنه أشد الطير. و (الإكثار) الزيادة على مقدار الكفاية. و «الاقلال» النقصان عن مقدار الكفاية. و الفرق بين الجدال و الحجاج: ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة، و المطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب. و المراء مذموم لأنه مخاصمة فى الحق بعد ظهور الحق كمرى الضرع بعد دروره، و ليس كذلك الجدال. و فى الآية دلالة على حسن الجدال فى الدين، لأنه لو لم يكن حسناً لما استعمله نوح مع قومه، لأن الأنبياء لا يفعلون إلا ما يحسن فعله.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۳۳] ..... ص : ۴۷۷

قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۳۳)

فأجابهم نوح عليه السلام عما قالوه فقال: إنما يأتى بالعذاب اللَّه تعالى دون غيره يأتى به متى يشاء، و لستم تفوتونه هرباً. و معنى (انما) اختصاص ما ذكر لمعنى دون غيره، تقول: إنما زيد كريم أى هو كريم دون غير، و إنما دخل (إنما) بمعنى الاختصاص بالمذكور دون غيره، لأنها لتحقيق المعنى: و من تحقيقه أن التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۷۸

يكون لها دون غيره إذ المشرك لم يحقق على شىء بعينه، و إذا دخلت (إنما) هذه على (اسم) كان الاسم مرفوعاً، لأن (ما) كافة للعامل، و لو لا- ذلك لما دخلت على الفعل، و الاعجاز هو الفوت بالهرب. و فى الاية دلالة على أن المجادلة تقوم بها الحجة على مخالف الحق، لأنه لو لم تقم بها الحجة ما جادلهم نوح و لما قال اللَّه تعالى للنبى صلى الله عليه و آله «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» «۱».

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۳۴] ..... ص : ۴۷۸

وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۳۴)

هذه الآية عطف على قول نوح: إنما يأتيكم بالعذاب اللَّه إن شاء و لستم تفوتونه، «وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي». و يحتمل قوله «يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ» أمرين:

أحدهما- ان كان اللَّه يريد أن يخيبكم من رحمته بأن يحرمكم ثوابه، و يعاقبكم لكفركم به، و لا ينفعكم نصحى يقال: غوى يغوى غياً، و منه قوله تعالى «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» «۲» أى خيبة و عذاباً و قال الشاعر:

فمن یلق خیراً یحمد الناس أمره و من یغو لا یعدم علی الغی لائماً «۳»

فلما کان اللَّه قد خیب قوم نوح من رحمته و ثوابه و جنته أعلم نبیه نوحاً بذلک فی قوله «لَنْ یُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِکَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ» «۴» و أنهم سیصیرون الی خیبة و عذاب، أخبرهم اللَّه بذلک علی لسان نبیه، فقال «وَ لا یَنْفَعُکُمْ نُصْحِی» مع إتیانکم ما یوجب خیبتکم و العذاب الذی جرّه علیکم قبیح أفعالکم، و یرید اللَّه إهلاککم و عقوبتکم علی ذلک. و حکی عن طی انها تقول: أصبح فلان غاویاً أی

(۱) سورة ۱۶ النحل آیة ۱۲۵

(۲) سورة ۱۹ مریم آیة ۵۹

(۳) مرّ تخریجه فی ۲/ ۳۱۲

(۴) سورة ۱۱ هود آیة ۳۶

مریضاً. و حکی عن غیرهم سماعاً منهم: أغویت فلاناً أهلکته، و غوی الفصیل إذا فقد اللبن فمات: بکسر الواو فی الماضی، و فتحها فی المستقبل، و منه قوله تعالی «وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی» «۱» ای خاب من الثواب الذی کان یحصل له بترکه.

و الوجه الثانی- أن یکون جری علی عادة العرب فی تسمیة العقوبة باسم الشیء المعاقب علیه، فیکون المعنی ان کان اللَّه یرید عقوبتکم علی اغوائکم الخلق و اضلالکم إیاهم، فسمی عقوبته إیاهم علی اغوائهم إغواء کما قال «وَ جَزاءُ سَیِّئَةٍ سَیِّئَةٌ» «۲» «وَ مَکَرُوا وَ مَکَرَ اللَّهُ» «۳» و «اللَّهُ یَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» «۴» و نظائر ذلک کثیرة. و مثله قوله حکایة إبلیس «فَبِما أَغْوَیْتَنِی» «۵» فانه یحتمل هذین الوجهین، الأول یحتمل أن یکون فبما خیبتنی، و الثانی- فبما جازیتنی علی اغوائی الخلق عن الهدی. و لا یجوز أن یکون المراد بذلک أن یجعلهم کفاراً علی ما یذهب الیه المجبرة، لأن الإغواء بمعنی الدعاء الی الکفر او فعل الکفر لا یجوز علیه تعالی. لقبحه کقبح الامر بالکفر. و النصح اخلاص العمل من الفساد علی الاجتهاد فیه. و النصح نقیض الغش. و کان نصح نوح لقومه اعلامهم موضع الغی لیتقوه، و موضع الرشد لیتبعوه. و انما شرط النصح بالارادة- فی قوله «إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ» مع وقوع هذا النصح- استظهاراً فی الحجة، لأنهم ذهبوا الی أنه لیس بنصح، فقال: لو کان نصحاً ما نفع من لا یقبله. و قوله «هُوَ رَبُّکُمْ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ» اخباره من نوح أن اللَّه الذی عذبکم و خیبکم من رحمته هو الذی خلقکم و یمیتکم ثم یردکم بأن یحییکم لیجازیکم علی أفعالکم و یعاقبکم علی کفرکم بنعمه حیث لا ینفعکم استدراک ما فات، و لا ینفعکم الندم علی ما مضی. و قال الحسن:

معنی الایة ان کان اللَّه یرید أن یعذبکم و ینزل بکم عذابه فأنتم عند ذلک لا ینفعکم

(۱) سورة ۲۰ طه آیة ۱۲۱

(۲) سورة ۴۲ الشوری آیة ۴۰

(۳) سورة ۳ آل عمران آیة ۵۴ [.....]

(۴) سورة ۲ البقرة آیة ۱۵

(۵) سورة ۷ الاعراف آیة ۱۵ و سورة ۱۵ الحجر آیة ۳۹

نصحی، لأن اللَّه تعالی لا یقبل الایمان عند نزول العذاب.

و قال بعض العلماء: ان قوم نوح کانوا یعتقدون أن ما هم علیه بارادة اللَّه لو لا ذلک لغیّره و أجبرهم علی خلافه، فقال نوح علی وجه

الإنكار عليهم و التعجب من قولهم: ان نصحى لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون و تعتقدونه، حكى ذلك البلخى.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۳۵] ..... ص : ۴۸۰

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرامِي وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (۳۵)

معنى قوله «أَمْ يَقُولُونَ» اخبار من اللَّه تعالى بأن هؤلاء الكفار الذين ليس يقبلون ما أتاهم به من عند اللَّه يقولون: ليس هذا القرآن من عند اللَّه بل افتراه و تخرصه و كذبه على اللَّه، فمعنى (ام) فى الاية (بل)، فأمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول لهم: إن افتريته، فعلى اجرامى. و قيل فى معناه قولان: أحدهما- انه وعيد، بأنى ان كنت افتريته فيما أخبرتكم به من الخبر عن نوح فعلى عقاب جرمى، و ان كانت الاخرى فعليكم عقاب تكذيبى، و ستعلمون صدق قولى و أينا الاحق. و الثانى- انه قال ذلك على وجه الاحتجاج بصحة أمره بأن لا يتقول مثل هذا مع ما فيه من العذاب فى الاخرة و العار فى الدنيا مع انه ذو امانة و صيانة. و هو فى خطاب محمّد صلى الله عليه و آله و قوله «وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ» معناه ليس على من اجرامكم ضرر و انما ضرر ذلك عليكم فاعملوا بحسب ما يقتضيه العقل من التفكر فى هذا المعنى.

و الفرق بين افتراء الكذب و بين قول الكذب: ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد من الإنسان لغيره، و اما افتراؤه فهو افتعاله من قبل نفسه. و معنى أجرم التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۵، ص: ۴۸۱

أذنب و مثله جرم قال النميرى حار الزبرقان:

طريد عشيرة، و رهين ذنب بما جرمت يدى و جنى لسانى «۱»

و معنى أجرم اقترف السيئة بفعلها لأنه من القطع، و أذنب اى تشبه بالذنب فى السقوط، و جرم و أجرم فى المأثم أكثر، قال الشاعر:

كذا الناس مجروم عليه و جارم

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۳۶] ..... ص : ۴۸۱

وَ أُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ (۳۶)

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية انه اوحى الى نوح، و قال له انه لن يؤمن احد من قومك فى المستقبل اكثر من الذين آمنوا، فلا تبتئس أي لا تغتم و لا يلحقك حزن لاجلهم، يقال ابتأس ابتآساً فهو مبتئس، و قد يكون البؤس الفقر و الابتئاس حزن فى الاستكانة انشد ابو عبيدة.

ما يقسم اللَّه أقبل غير مبتئس منه و أقعد كريماً ناعم البال «۲»

و أصله البؤس و هو الفقر و المسكنة. و لما اعلم اللَّه نوحاً عليه السلام أن أحداً من قومه لا يؤمن فيما بعد، و لا من نسلهم قال «رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً» «۳» ذكره قتادة و غيره. و العقل لا يدل على أن قوماً لا يؤمنون فى المستقبل و إنما طريق ذلك السمع، و قد يغلب فى الظن ذلك مع قيام التجويز، ألا ترى انه يغلب فى ظنوننا

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۲/ ۱۸ و اللسان و التاج (جرم)

(۲) قائله حسان ديوانه ۳۲۶ و اللسان (بأس)

(۳) سورة ۷۱ نوح آية ۲۶- ۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۵، ص: ۴۸۲

أن الروم مع كثرتهم لا- يؤمنون جملة إلا-انه ليس يمتنع مع ذلك أن يؤمنوا، لان اللَّه كلفهم الايمان، فلو لم يكن ذلك جائزاً لما كلفهم.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۳۷] ..... ص : ۴۸۲

وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۳۷)

فى هذه الآية اخبار من اللَّه تعالى عما أمر به- عزّ و جلّ- نوحاً عليه السلام حين أيأسه من ايمان قومة فيما بعد، و أنه مهلكهم بالطوفان. بأن يتخذ الفلك و يصنعها، و الصنع جعل الشيء موجوداً بعد أن كان معدوماً، و مثله الفعل، و ينفصلان من الحدوث من حيث أن الصنعة تقتضى صانعاً، و الفعل يقتضى فاعلا من حيث اللفظ، و ليس كذلك الحدوث، لأنه يفيد تجدد الوجود لا غير. و الصناعة الحرفة التى يكتسب بها، و الفلك السفينة، و يكون ذلك واحداً و جمعاً، كما قيل فى أُسد و أَسد قالوا: فى فلك و فلك، لأن (فعلا و فعلا) جمعهما واحد، و يأتيان بمعنى واحد كثيراً يقال عجم و عجم، و عرب و عرب، و مثله فلك و فلك.

و الفلك و الفلكة يقال لكل شيء مستدير أو شيء فيه استدارة، و تفلك ثدى المرأة إذا استدار، و منه الفلك. و قوله «بأعيننا» معناه بحيث نراها و كأنها ترى بأعين على طريق المبالغة، و المعنى بحفظنا إياك حفظ من يراك و يملك دفع السوء عنك.

و قال الجبائى بأعين أوليائنا من الملائكة الذين يعلمونك كيفية عملها، و الموكلين بك. و قيل: معناه بعلمنا. و قوله «و وحينا» اى على ما أوحينا اليك من صفتها و حالها. قال ابن عباس: أمره اللَّه تعالى ان يبنيها على هيئة جؤجؤ الطائر. و يجوز أن يكون المراد بوحينا اليك أن اصنعها. و قوله «وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ» نهى لنوح عليه السلام أن يراجع اللَّه تعالى و يخاطبه و يسأله فى أمرهم التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۸۳

بأن يمهلهم، و يؤخر إهلاكهم، لأنه حكم بإهلاكهم و أخبر بأنه سيغرقهم، فلا يكون الأمر بخلاف ما أخبر به. و يجوز الامر بما علم أنه لا يكون، و لا يجوز أن يدعو بما يعلم أنه لا يكون، لأن فى ذلك إيهاماً بأنه لا يرضى باختياره، و ليس كذلك الأمر، لأنه يتناول من يجوز عليه هذا المعنى. و كسر (إنهم) على الابتداء.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): الآيات ۳۸ الى ۳۹] ..... ص : ۴۸۳

وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ (۳۸) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ (۳۹)

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية عن نوح أنه أخذ فى عمل السفينة، قال الحسن:

كان طولها ألف ذراع و مئتى ذراع و عرضها ستمائة ذراع. و قال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع، و عرضها خمسين ذراعاً، و ارتفاعها ثلاثين ذراعاً، و بابها فى عرضها و قال ابن عباس: كانت ثلاث طبقات طبقة للناس، و طبقة للطير و طبقة للدواب و الوحش.

و قوله «وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ» اخبار من اللَّه عن أشراف قومه و رؤسائهم أنهم كلما اجتازوا به و هو يعمل السفينة هزءوا من فعله. و قيل:

إنهم كانوا يقولون: يا نوح صرت نجاراً بعد النبوة على طريق الاستهزاء. و قال الرمانى: السخرية إظهار خلاف الباطن على جهة يفهم منها استضعاف العقل و منه التسخير: التذليل استضعافاً بالقهر. و الفرق بين السخرية و اللعب أن فى السخرية خديعة و استنقاصاً، و لا يكون إلا لحيوان، و قد يكون اللعب بجماد لأنه طلب الفرجة من غير مراعاة لما يعقب، كفعل الصبى. و انما كانوا يسخرون من التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۸۴

عمل السفينة، لأنه كان يعملها فى البر على صفة من الهول، و لا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون و يتعجبون من عمله. و قوله

«فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكَمْ كَما تَسْخَرُونَ» جواب من نوح لهم بأنا نسخر منكم يعنى نذمكم على سخريتكم، و سماه سخرية، كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «۱» و قوله «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «۲» و أطلق عليه اسم السخرية على وجه الازدواج. و قال قوم: معناه إن تستجهلونا فى هذا الفعل فانا نستجهلكم، كما تستجهلون، ذكره الزجاج. و قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» (سوف) ينقل الفعل عن الحال الى الاستقبال مثل السين سواء إلا أن فيه معنى التسويف و هو تعليق النفس بما يكون من الأمور. و قوله «مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ» قيل فى معنى (من) قولان:

أحدهما- أن يكون بمعنى (أى) كأنه قال فسوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه.

الثانى- أن يكون بمعنى الذى، و المعنى واحد. و (من) إذا كانت استفهاماً استغنت عن الصلة، و إذا كانت بمعنى الذى فلا بدّ لها من الصلة، كما استغنت (كم. و كيف) لأن البيان مطلوب من المسئول دون السائل. و الخزى العيب الذى تظهر فضيحته و العار به، و منه الذل و الهوان. و قوله «وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ» معناه ينزل عليه. و قال الرمانى: الحلول النزول للمقام و هو من الحل خلاف الارتحال. و حلول العرض وجوده فى الجوهر من غير شغل حيز. و قوله «عَذابٌ مُقِيمٌ» أى دائم لا يزول.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۴۰] ..... ص : ۴۸۴

حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (۴۰)

---

(۱) سورة ۴۲ الشورى آية ۴۰

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۵۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۸۵

قرأ حفص «مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ» بتنوين فى اللام هنا، و فى المؤمنون. و قال أبو الحسن: يقال للاثنين هما زوجان، قال اللَّه تعالى «وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ» «۱» يقال للمرأة زوج، و للرجل زوجها، قال اللَّه تعالى «وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها» «۲» و قال «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» «۳» و قال بعضهم زوجة، قال الأخطل:

زوجة أشمط مرهوب بوادره قد صار فى رأسه التخويص و النزع «۴»

و قال ابو الحسن: يقال للاثنين هما زوج. قال أبو على الفارسى: يدل على ان الزوج يقع للواحد، قوله «ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ» الى قوله «وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ» «۵» و قال الكسائى أكثر كلام العرب بالهاء. و قال القاسم بن معن أنه سمعها من العرب من اسد شنوءة، و ليس فى القرآن بالهاء، و هو أفصح من إثباتها عند البصريين. و من قرأ بالاضافة كان قوله «اثنين» مفعول الحمل. و المعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنين اثنين زوجين، فالزوجان من قوله «مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ» يريد بهما الشياع، و لا يراد به الناقص من الاثنين، و منه قول الشاعر:

فما لك بالأمر الذى لا تستطيع بدارا

و من نون حذف المضاف من (كل) و المعنى من كل شيء أو من كل زوج زوجين اثنين، فيكون انتصاب اثنين على انه صفة لزوجين، و ذكر تأكيداً كما قال «إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ» «۶».

---

(۱) سورة ۵۱ الذاريات آية ۴۹

(۲) سورة ۴ النساء آية ۱

(۳) سورة ۳۳ الأحزاب آية ۳۷

(۴) ديوانه ۶۹ و اللسان (خوص) الشمط:

البياض من السواد، و إذا بدا فى رأسه البياض قيل: خوصه الشيب. و النزع: الصلع

(۵) سورة ۶ الانعام آية ۱۴۳- ۱۴۴

(۶) سورة ۱۶ النحل آية ۵۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۸۶

اعلم اللَّه نوحاً فى هذه الآية ان وقت هلاك قومه الكفار فور التنور، و فى (التنور) اقوال: منها أن الماء إذا فار من التنور الذى يخبز فيه. و قيل: التنور عين ماء معروفة، و تنور الخابزة وافقت فيه لغة العرب لغة العجم. و قيل: ان التنور وجه الأرض، ذكره ابن عباس، و اختاره الزجاج. و قيل

التنور تنور الصبح، روى ذلك عن على عليه السلام.

و (حتى) متعلقة بقوله «وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا ... حتى».

أخبر اللَّه تعالى أنه لما جاء أمره باهلاك قوم نوح عليه السلام لاستحقاقهم ذلك بالكفر، و فار التنور يعنى خروج الماء من موضع لم يعهد خروجه منه علامة لنوح عليه السلام و هو تنور الخبز- فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد- و قيل: هو تنور آدم عليه السلام و يقال: فار إذا ارتفع ما فيه، كما يفور القدر بالغليان، فار يفور فوراً و فؤراً. و قال ابن عباس: فار إذا نبع. و قوله «قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» إخبار منه تعالى أنه أمر نوحاً أن يحمل معه فى سفينته من كل جنس زوجين: و الزوج واحد له شكل إلا أنه قد كثر على الرجل الذى له امرأة:

قال الحسن: فى قوله «مِنْ كُلِّ شَيْ‌ءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ» فالسماء زوج، و الأرض زوج و الشتاء زوج، و الصيف زوج، و الليل زوج، و النهار زوج، حتى يصير الأمر الى اللَّه الفرد الذى لا يشبهه شى‌ء قال الأعشى:

و كل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة محبوّا بذاك معا «۱»

و قوله «وَ أَهْلَكَ» معناه و احمل معك أهلك «إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» بالإهلاك قال الضحاك و ابن جريح: هو ابنه و امرأته. و قوله «و من آمن» تقديره و احمل من آمن. ثم أخبر تعالى فقال «وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ». قال ابن جريح: القليل الذين نجو معه كانوا ثمانية. و قال الأعمش: كانوا سبعة، و قال ابن عباس:

كانوا ثمانين، و كان فيهم ثلاثة: بنيه: يافث، و سام، و حام. و ثلاث كائن له

---

(۱) ديوانه ۸۶ و تفسير القرطبى ۹/ ۳۵ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۸۷

و يافث جد الترك و الروم و الصقالبة و أصناف البيضان. و حام جد السودان، و هم الحبش و النوبة و الزنج و غيرهم. و سام أبو فارس و أصناف العجم.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۴۱] ..... ص : ۴۸۷

وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۴۱)

قرأ حمزة و الكسائى «مجراها» بفتح الميم. الباقون بضمها، و كلهم ضم ميم مرساها. و من ضمها قابل بينها و بين مرسها لما بينهما من المشاكلة. و من فتح فلانه قال بعده «و هى تجرى» و من اختار الأول، قال التقدير اجرى فجرت.

قال أبو على الفارسى: يجوز فى «بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها» أن يكون حالا- من شيئين: أحدهما- ان يكون من الضمير الذى فى

(اركبوا) او من الضمير الذى فى (فيها)، فان جعلت «بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها» خبر مبتدأ مقدم فى قول من لا يرفع بالظرف، أو جعلته مرتفعاً بالظرف، و لم يكن قوله «بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها» الا جملة فى موضع الحال من الضمير الذى فى (فيها) و لا يجوز أن يكون الضمير فى قوله «ارْكَبُوا فِيها»، لأنه لا ذكر فيها يرجع الى الضمير، ألا ترى أن الظرف فى قول من يرفع به ارتفع به الظاهر، و فى قول من رفع مثل هذا بالابتداء قد حصل فى الظرف ضمير المبتدأ، فإذا كان كذلك خلت الجملة من ضمير يعود من الحال الى ذى الحال. و إذا كان كذلك لم يكن الا حالا من الضمير الذى فى (فيها).

و الثانى- يجوز أن يكون قوله «بِسْمِ اللَّهِ» حالاـ من الضمير الذى فى (اركبوا) على ان لاـ يكون الظرف خبراً عن الاسم الذى هو (مجراها) على ما كان فى الوجه الأول، و يكون المعنى اركبوا الآن متبركين ببسم اللَّه فى الوقتين اللذين لا ينفك الراكبون فيها منهما من الارساء و الاجراء، و ليس يريد اركبوا فى وقت الجرى التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۸۸

و الرسو، فموضع «مجراها» نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه على المعنى.

و فى الوجه الأول رفع بالابتداء و بالظرف. و من فتح الميم فلأنه قال «و هى تجرى». و من ضم، فلأن جرت بهم و أجرى بهم متقاربان فى المعنى، و يقال:

جرى الشىء و جريت به و أجريته، و إنما ضموا الميم من (مرساها) لقوله «أَيَّانَ مُرْساها» «۱» و قوله «وَ الْجِبالَ أَرْساها» «۲» و من أمال او ترك الامالة، فكلاهما حسنان.

اخبر اللَّه تعالى عما قال نوح حين دنا ركوبهم السفينة «ارْكَبُوا فِيها» يعنى فى السفينة، و الركوب العلو على ظهر الشىء، فمنه ركوب الدابة و ركوب السفينة و ركوب البر و ركوب البحر.

و العامل فى «بِسْمِ اللَّهِ» يحتمل ثلاثة أشياء: أحدها- (اركبوا). و الثانى- ابتدءوا ببسم اللَّه. و الثالث- أجراها و أرساها. و المجرى يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- أن يكون موضع الاجراء. و الثانى. وقت الاجراء. و الثالث- نفس الاجراء. و قيل: كان إذا أراد أن تجرى قال «بِسْمِ اللَّهِ» فجرت، فإذا أراد أن ترسوا قال «بِسْمِ اللَّهِ» فرست ذكره الضحاك. قال لبيد:

عمرت حين ثلاثاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود «۳»

و الارساء إمساك السفينة بما تقف عليه أرساها إرساء و رست ترسو قال عنترة.

فصرت نفساً عند ذلک حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع «۴»

و قوله «إِنَّ رَبِّی لَغَفُورٌ رَحِیمٌ» إخبار منه تعالى حكاية عما قال نوح لقومه «إِنَّ رَبِّی لَغَفُورٌ رَحِیمٌ» أى ساتر عليهم ذنوبهم رحيم بهم منعم عليهم.

و وجه اتصال الآية بما قبلها أنه لما ذكرت النجاة بالركوب فى السفينة

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۸۶ و سورة ۷۹ النازعات آية ۴۲

(۲) سورة ۷۹ النازعات آية ۳۲

(۳) ديوانه: ۲۵ و اللسان و التاج (جرى)

(۴) ديوانه: ۲۹ و الدر المنثور ۳/ ۳۳۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۸۹

ذكرت النعمة بالمغفرة و الرحمة ليجتلب الطاعة كما اجتلب النجاة.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۴۲] ..... ص : ۴۸۹

وَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ (۴۲)

أخبر اللَّه تعالى عن حال السفينة بعد الغرق أنها كانت تجرى على الماء فى أمواج كالجبال. و الجرى مرّ سريع كمرّ الماء على وجه الأرض. و السفينة تجرى بالماء و الفرس يجرى فى عدوه، و يقال: هذه العلة تجرى فى أحكامها، أى تمر فيها من غير مانع منها. و الموج جمع موجة، و هى قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير، و منه أمواج البحر و أعظم ما يكون إذا اشتدت به الريح، و شبه اللَّه تعالى الأمواج بالجبال فى عظمها، و الجبل جسم عظيم الغلظ شاخص من الأرض هو لها كالوتد فى عظمه، و جمعه أجبال و جبال. و قوله «وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كانَ فِي مَعْزِلٍ» فالمعزل موضع منقطع عن غيره. و كان ابن نوح فى ناحية منقطعة عنه حين ناداه و قرأ عاصم «يا بنى اركب» بفتح الياء. الباقون بكسرها. و فى قوله «يا بنى» ثلاث ياءات، ياء التصغير، و ياء الأصل، و ياء الاضافة. و فى قوله «يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ» «۱» يا آن، ياء الجمع، و ياء الاضافة. قال أبو على الفارسى:

الوجه كسر الياء، لأن اللام من (ابن) ياء أو واو، و حذفت من (ابن) كما حذفت من (اسم) فإذا حقرت ألحقت ياء التحقير، لزم أن ترد اللام الذى حذفت لأنك لو لم تردها لوجب أن تحرك ياء التصغير بحركات الاعراب، و هى لا تحرك أبداً بحركات الاعراب و لا غيرها، فإذا أضفته الى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات:، الأولى التى للتحقير، و الثانية لام الفعل، و الثالثة هى التى للاضافة تقول: بنى،

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۳۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۹۰

فإذا ناديت جاز فيه وجهان: إثبات الياء و حذفها، فمن قال يا عبادى فأثبت الياء فقياسه أن يقول يا بنىّ، و من قال يا عباد يقول يا بنىّ حذفت التى للاضافة، و أبقيت الكسرة دلالة عليها. و هذا هو الجيد عندهم. و من فتح الياء أراد الاضافة كما أرادها فى قوله يا بنىّ إذا كسر الياء التى هى آخر الفعل، كأنه قال يا بنى ثم أبدل من الكسرة الفتحة، و من الياء الالف، فصار (يا بنيّا) كما قال:

يا بنت عما لا تلومى و اهجعى ثم حذفت الالف كما كانت تحذف الياء: فى يا بنى إيها، و قد حذفت الياء التى للاضافة إذا أبدلت الألف منها قال أبو الحسن:

فلست بمدرك ما فات منى بلهف و لا بليت و لا لو أنى «۱»

كذلك سمع من العرب، فقوله: بلهف إنما هو بلهفا، فحذفت الالف. قال أبو عثمان: و وضع الالف مكان الياء فى الاضافة مطرد و أجاز يا زيد اقبل إذا أردت الاضافة.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۴۳] ..... ص : ۴۹۰

قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَ حالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (۴۳)

حكى اللَّه تعالى فى هذه الاية ما أجاب ابن نوح أباه عليه السلام فانه «قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ» أى سأرجع الى مأوى من جبل يعصمنى من الماء أى يمنعنى منه، يقال آوىِ يأوى أوياً إذا رجع الى منزل يقيم فيه و (العصمة) المنع من الآفة و المعصوم فى الدين الممنوع باللطف من فعل القبيح لا على وجه الحيلولة.

(۱) اللسان (لهف)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۹۱

فان قيل كيف دعا نوح ابنه الى الركوب معه فى السفينة مع أن اللَّه تعالى نهاه أن يركب فيها كافراً. قلنا: فيه جوابان: أحدهما- أنه دعاه

الی الركوب بشرط أن يؤمن. الثانی- قال الحسن و الجبائی: انه كان ينافق بإظهار الايمان.

فان قيل: هلاكان ما صار اليه ابن نوح من تلك الحال الهائلة إلجاء؟.

قلنا: لا- لان الإلجاء لا يكون إلا بأحد شيئين: أحدهما- بأن يخلق فيه العلم بأنه متی رام خلافه منع منه. الثانی- تتوفر الدواعی من ترغيب او ترهيب، و لم يحصل له واحد من الأمرين، لأنه جوز أن يكون من عجائب الزمان، و أنه وقع الی نوح علم به، فتقدم فيه. و قوله «لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ» حكاية لما قال نوح لولده حين «قالَ سَآوِی إِلی جَبَلٍ يَعْصِمُنِی مِنَ الْماءِ» بأنه لا مانع اليوم من أمر اللَّه. و استثنی من رحم، و قيل فيه ثلاثة اقوال:

أحدها- أنه استثناء منقطع، كأنه قال من رحم فانه معصوم. الثانی- لا عاصم إلا من رحمنا برحمة اللَّه سبحانه لنا كأنه قال: لا عاصم إلا من عصمه اللَّه فنجا، و هو نوح عليه السلام، و هو اختيار أبی علی النحوی. و قال: لأنه يحتمل أن يكون (عاصم) بمعنی معصوم مثل دافق بمعنی مدفوق، فيكون الاستثناء متصلا. و قال ابن كيسان: لما قال (لا عاصم) كان معناه لا معصوم، لأن فی نفی العاصم نفی المعصوم ثم قال «إِلَّا مَنْ رَحِمَ» فاستثناه علی المعنی و يكون متصلا. و قوله «وَ حالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ» إخبار منه تعالی انه حال بين نوح و ولده الموج، «فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ».

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آية ۴۴] ..... ص : ۴۹۱

وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِی ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِی وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِیَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَی الْجُودِیِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۴۴)

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۵، ص: ۴۹۲

حكی اللَّه تعالی فی هذه الآية قصة نوح و قومه بأوجز لفظ و أبلغه، و بلوغ.

الغاية التی لا تدانيها بلاغة و لا تقاربها فصاحة، لأن قوله «وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِی ماءَكِ» اخبار منه عن إذهاب الماء عن وجه الأرض فی أوجز مدة فجری ذلك مجری ان قال لها ابلعی فبلعت. و البلع فی اللغة انتزاع الشیء من الحلق الی الجوف، فكانت الأرض تبلع الماء هكذا حتی صار فی بطنها الغراء، يقال: بلعت و بلعت بفتح اللام و كسرها. و قوله «وَ يا سَماءُ أَقْلِعِی» اخبار أيضاً عن اقشاع السحاب، و قطع المطر فی أسرع وقت، فكأنه قال لها اقلعی فأقلعت. و الاقلاع إذهاب الشیء من أصله حتی لا يبقی منه شیء. و أقلع عن الأمر إذا تركه رأساً. و قوله «وَ غِيضَ الْماءُ» أی أذهب به عن وجه الأرض الی باطنها، يقال: غاض الماء يغيض غيضاً إذا ذهب فی الأرض. و قوله «وَ قُضِیَ الْأَمْرُ» معناه أوقع الهلاك بقوم نوح علی تمام.

و القضاء وقوع الأمر علی تمام و إحكام. و قوله «وَ اسْتَوَتْ عَلَی الْجُودِیِّ» جبل معروف. قال الزجاج بناحية أمد، و قال غيره: بقرب جزيرة الموصل، قال زيد بن عمر بن نفيل:

و قبلنا سبح الجودی و الجمد.

و قيل: أرست علی الجودی شهراً، و قال قتادة: اهبطوا يوم عاشوراء.

و قوله «وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» معناه أبعدهم اللَّه من الخير بعداً، علی وجه الدعاء. و يجوز أن يكون اللَّه تعالی قال لهم ذلك. و يجوز أن يكون المؤمنون دعوا عليهم بذلك، و هو منصوب علی المصدر.

و قيل فی هذه الآية وجوه كثيرة من عجيب البلاغة: منها أنه خرج مخرج الأمر علی وجه التعظيم من نحو «كُنْ فَيَكُونُ» «۱» لأنه من غير معاناة، و لا

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۱۸ و سورة ۳ آل عمران آية ۴۷، ۵۹ و سورة ۶ الانعام آية ۷۳ و سورة ۱۶ النحل آية ۴۰ و سورة ۱۹ مريم آية ۳۵ و سورة ۳۶ يس آية ۸۲ و سورة ۴۰ المؤمن آية ۶۸.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۴۹۳

لغوب. و منها حسن تقابل المعنی. و منها حسن ائتلاف الألفاظ. و من ذلک حسن البیان فی تصویر الحال. و منها الإیجاز من غیر إخلال. و منها تقبل الفهم علی أتم الکمال الی غیر ذلک مما علیه هذا الکلام فی الحسن العجیب و اللطف البدیع.

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۴۵] ..... ص : ۴۹۳

وَ نادی نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَ إِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْکَمُ الْحاکِمِینَ (۴۵)

حکی اللَّه تعالی عن نوح أنه حین رأی قومه قد أهلکهم اللَّه تعالی «فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَ إِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ» لأنه تعالی کان وعده بأنه ینجیه و أهله، و أمره بأن یحملهم معه فی الفلک فی قوله «قُلْنَا احْمِلْ فِیها مِنْ کُلٍّ زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ وَ أَهْلَکَ» فسأل نوح ربه أن ابنه إن کان ممن وعده بنجاته أن ینجیه، فسأله بهذا الشرط لأنه لا یجوز أن یسأل نبی من أنبیاء اللَّه أمراً لا یجاب الیه، و خاصة علی رؤس الملأ لأن ذلک ینفر عنهم. و انما یجوز أن یسأل بما یظهر له بشرط مقترن بالکلام و حال یدل علیه، فیعرف أنه لم یحصل الشرط. و الرب و المالک واحد.

و قیل: ان الرب المالک للشیء من کل وجه یصح أن یملک به، و هو أتم الملک، و لا تصح الصفة به علی الإطلاق الا للَّه تعالی. و الإنسان قد یکون مالکاً بالإطلاق.

و قوله «وَ أَنْتَ أَحْکَمُ الْحاکِمِینَ» یعنی فی قولک و فعلک، لأنه حق تدعو الیه الحکمة، فقال نوح ذلک علی وجه الاعتراف تعظیماً للَّه تعالی.

قوله تعالی:[سورة هود (۱۱): آیة ۴۶] ..... ص : ۴۹۳

قالَ یا نُوحُ إِنَّهُ لَیْسَ مِنْ أَهْلِکَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجاهِلِینَ (۴۶)

التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌۵، ص: ۴۹۴

قرأ الکسائی و یعقوب «إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صالِحٍ» علی الفعل، و نصب (غیر) الکسائی. الباقون «عمل» اسم مرفوع منون (غیر) رفع. و قرأ ابن کثیر (تسألنّ) بالتشدید، و فتح النون، وافقه نافع فی التشدید الا انه کسر النون.

الباقون بالتخفیف و کسر النون الا أن أبا عمرو یثبت الیاء فی الأصل. قال أبو علی النحوی (سألت) فعل یتعدی الی مفعولین و لیس مما یدخل علی المبتدأ و خبره، و یمتنع ان یتعدی الی مفعول واحد. فمن قرأ بفتح اللام، و لم یکسر النون عداه الی مفعول واحد فی اللفظ. و المعنی علی التعدی الی ثان و من کسر النون دل علی انه عداه الی مفعولین، أحدهما: اسم المتکلم. و الآخر- الاسم الموصول، و حذف النون المتصلة بیاء المتکلم، کما حذفت من قولهم (انی) کراهة اجتماع النونات. و من اثبت الیاء فهو الأصل، و من حذفها اجتزأ بالکسرة الدالة علیها.

فی هذه الآیة حکایة عما أجاب اللَّه به نوحاً حین سأله نجاة ابنه بأن قال له «یا نُوحُ إِنَّهُ لَیْسَ مِنْ أَهْلِکَ ...» و قیل فی معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس و سعید بن جبیر و الضحاک و اکثر المفسرین: انه لیس من أهلک الذین وعدتک بنجاتهم معک، و انه کان ابنه لصلبه، بدلالة قوله «وَ نادی نُوحٌ ابْنَهُ» فأضافه الیه اضافة مطلقة. و الثانی- انه أراد بذلک أنه لیس من أهل دینک، کما

قال النبی صلی الله علیه و آله (سلمان منا أهل البیت)

و إنما أراد علی دیننا.

و ثالثها- قال الحسن و مجاهد: انه کان لغیره، و ولد علی فراشه، فسأل نوح علی الظاهر فأعلمه اللَّه باطن الأمر، فنفاه منه علی ما علمه، فیکون علی هذا هو نفسه عمل غیر صالح، کما یقولون: الشعر زهیر. و هذا الوجه ضعیف، لأن فی ذلک طعناً علی نبی و إضافة ما لا

يليق به اليه. و المعتمد الأول. و قال ابن عباس: التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۹۵
ما زنت امرأة نبى قط، و كانت الخيانة من امرأة نوح انها كانت تنسبه الى الجنون و الخيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على أضيافه.
و
روى عن على عليه السلام أنه قرأ و نادى نوح ابنها فنسبه الى المرأة، و أنه كان يربيه.
و
روى عن محمّد بن على بن الحسين عليهم السلام و عروة بن الزبير أنهما قرءا «وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ» بفتح الهاء و ترك الالف كراهة ما يخالف المصحف، و أرادا أن ينسباه الى المرأة، و أنه لم يكن ابنه لصلبه.

و قال الحسن: كان منافقاً يظهر الايمان و يستر الكفر.

و قوله «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ» فمن قرأ على الفعل، فمعناه انه ليس من أهلك لأنه عمل غير صالح، و تقديره انه عمل عملا غير صالح، و حذف الموصوف و أقام الصفة مقامه، و ذلك يستعمل كثيراً، و هذه القراءة تقوى قول من قال: إن ابنه لم يكن على دينه، لأن اللَّه تعالى علل كونه ليس من أهله بأنه عمل عملا غير صالح.

و أما من قرأ على الرفع و التنوين على الاسم فتقديره إنه ذو عمل غير صالح فجاء على المبالغة فى الصفة كما قالت الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت فإنما هى إقبال و إدبار «۱»

قال الزجاج: تقديره فإنما هى ذات إقبال و ادبار، تصف الناقة فى حنينها الى ولدها. و قيل: ان المعنى ان سؤالك اياى هذا عمل غير صالح، ذكره ابن عباس و مجاهد و ابراهيم، و هذا و ضعيف، لأن فيه اضافة القبيح الى الأنبياء عليهم السلام و ذلك لا يجوز عندنا على حال. فالأول هو الجيد. و يحتمل ان يكون المراد ان كونه مع الكافرين و انحيازه اليهم و تركه الركوب مع نوح عمل غير صالح.

و قوله «فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» معناه لا تسألنى ما لا تعلم أنه جائز فى حكمى لأن هذا من سؤال الجاهلين، نهاه عن ذلك، و لا يدل على أن ما نهاه عنه قد وقع كما أن قوله «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ»«۲»
لا يدل على وقوع

---

(۱) مرّ تخريجه فى ۲/ ۹۵ و هو فى تفسير القرطبى ۹/ ۴۹

(۲) سورة ۳۹ الزمر آية ۶۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۹۶
الشرك. و قوله «إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ» فالوعظ الزجر عن القبيح بما يدعو الى الجهل على وجه الترغيب و الترهيب. و الصحيح أن الجهل قبيح على كل حال. و قال الرمانى: انما يكون قبيحاً إذا وقع عن تعمد، فاما إذا وقع غلطاً او سهواً لم يكن قبيحاً و لا حسناً. و هذا ليس بصحيح، لأن استحقاق الذم عليه يشرط بالعمد فاما قبحه فلا كما نقوله فى الظلم سواء.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۴۷] ..... ص : ۴۹۶

قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ إِلَّا تَغْفِرْ لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ (۴۷)

فى هذه الآية اخبار عما قاله نوح عليه السلام حين عرّفه اللَّه حال ولده و أنه لا يستحق الغفران و وعظه بان يكون من الجاهلين، فانه قال «إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ» فالعياذة طلب النجاة بما يمنع من الشر، يقال: عاذ يعوذ عوذاً و عياذاً فهو عائذ باللَّه. و العياذ الاعتصام بما يمنع من الشر. و المعنى انى أعتصم بك أن أسألك ما لا أعلمه، و انما اعتصم من ذلك، لأن ما يعلمه الإنسان يجوز أن يكون حسناً و يجوز كونه قبيحاً. و لا يحسن أن يسأل ما يجوز كونه قبيحاً و ان شرط حسن السؤال. و ينبغى أن يشرط ان

كـان مـا سـأله حسـناً فيحسن السؤال حينئـذ. و قال الرمانى: لا يحسن أن تسأل فتقول: اللهم احيى اقاربى فى دار الـدنيا على ما يصـح و يجوز. لأنه قـد دل الـدليل على أن ذلك لا يحسن فى الحكمـة فلا يجوز أن يسأله بحال. و انما جاز اطلاق «ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ» مع أنه قد علمه سؤالا. لأن هذا العلم لا يعتد به لأن المراد علم ماله أن يسأله إياه.

و انمـا حـذفت (يـا) من قوله «رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ» و أثبته فى قوله «يـا نوح» لأـن ذلك نـداء تعظيم. و هـذا نـداء تنبيه فوجب أن يأتى بحرف التنبيه. و قوله (به) التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۹۷

يحتمـل وجهين: أحـدهما- أن يكـون كقـوله «وَ كـانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِـدِينَ» «۱» و «إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِـحِينَ» «۲» و «أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «۳» قال ابو الحسن: انما يجوز فى حروف الجرّ ذلك، لأن التقدير فيه التعلق بمضـمر يفسره هذا الذى يظهر بعد، و ان كان لا يجوز تسليطه عليه. و مثله «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ» «۴» فانتصب «يَوْمَ يَرَوْنَ» بما دل عليه «لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ» و لا يجوز فيمـا بعـد (لاـ) هـذه أن يتسـلط على (يوم) و كـذلك «مـا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» يتعلق بما دل عليه (علم) المـذكور و إن لم يجز أن يعمـل فيه. و الثـانى- أن يكون متعلقـاً بالمسـتقر، و هو العامل فيه كتعلق الظروف بالمعانى كما تقول: ليس لك فيه رضاء، فيكون (به) فى الاية بمنزلة (فيه).

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۴۸] ..... ص : ۴۹۷

قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (۴۸)

فى هذه الآية حكاية ما أمر اللَّه تعالى به نوحاً حين اسـتوت السـفينة على الجبل، و أنه قال له «اهبط» أى انزل من الجبل، فالهبوط نزول من أعلى مكان فى الأرض الى ما دونه و من السماء. و قوله «بِسَلامٍ مِنَّا» قيل فى معناه وجهان:

أحدهما- بسلامة منا و تحية منا، قال لبيد:

الى الحول ثم اسم السلام عليكما و من يبك حولا كاملا فقد اعتذر «۵»

قيل: انه بمعنى السلام عليكما. و قيل: معناه بتسليم منا عليك و قوله

---

(۱) سورة ۱۲ يوسف آية ۲۰

(۲) سورة ۲۸ القصص آية ۲۰

(۳) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۵۶

(۴) سورة ۲۵ الفرقان آية ۲۲

(۵) ديوانه ۲/ ۱ و اللسان «عذر» [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۹۸

«وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ» معناه و نعم دائمة و خير ثابت حالا بعد حال، و أصله الثبوت، فمنه البروك، و البركة لثبوت النماء فيها قال الشاعر:

و لا ينجى من الغمرات إلا براكاء القتال أو الفرار «۱»

أي الثبوت للقتال. و معنى تبارك اللَّه ثبت تعظيم ما لم يزل و لا يزال.

و قوله «وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ» فالأمـة الجماعة الكثيرة على ملة واحدة متفقة، لأنه من (أمّه يؤمّه أمّاً) إذا قصده، أو الاتفاق فى المنطق على نحو منطق الطير و المأكل و المشـرب و المنكح، حتى قيل: إن الكلاب أمة. و قيل فى معناه- هنا- قولان: أحدهما- أنه أراد الأمم الـذين كـانوا معه فى السـفينة، فأخرج اللَّه أمماً من نسـلهم و جعل فيهم البركـة. و قال قوم: يعنى بـذلك الأمم من سائر الحيوان الـذين كانوا معه، لأن اللَّه تعالى جعل فيها البركـة، و تفضل عليها بالسـلامة حتى كان منها نسل العالم. و قوله «وَ أُمَمٌ سَـنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا

عَذابٌ أَلِيمٌ» معناه إنه يكون من نسلهم أمم سيمتعهم اللَّه فى الدنيا بضروب من النعم، فيكفرون نعمه و يجحدون ربوبيته، فيهلكهم اللَّه. ثم يمسهم بعد ذلك عذاب مؤلم موجع. و انما رفع (أمم) لأنه استأنف الاخبار عنهم.

قوله تعالى:[سورة هود (۱۱): آية ۴۹] ..... ص : ۴۹۸

تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (۴۹)

الاشارة بقوله «تلك» الى ما تقدم ذكره من اخبار نوح و قومه و ما أحل اللَّه بهم من الإهلاك، و التقدير تلك الانباء من أنباء الغيب، و لو قال ذلك كان جائزاً، لأن المصادر يكنى عنها بالتأنيث تارة و بالتذكير أخرى يقولون: قدم فلان

---

(۱) قائله بشر بن أبى خازم اللسان (برك)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۹۹

ففرحت بها و فرحت به أى بقدومه أو بقدمته. و الغيب ما غاب عن النفس معرفته بطريق الستر له بخلاف السهو لأنه ذهاب المعنى عن النفس بحال ينافى الذكر.

و قوله «نُوحِيها إِلَيْكَ» أى نوحى اليك تلك الاخبار. و قوله «ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ» معناه إن هذه الاخبار التى أعلمناك إياها لم تكن تعلمها قبل و حبنا اليك و لا قومك من العرب يعرفونها قبل إيحائنا اليك. و قوله «فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» أمر للنبى صلى الله عليه و آله بأن يصبر على أذى قومه و جهلهم بموضعه كما صبر نوح مثل ذلك على قومه، و هو أحد الوجوه التى لأجلها كرر اللَّه تعالى قصص الأنبياء: فى الاعراف، و هود، و الشعراء، ليصبر النبى صلى الله عليه و آله على أذى قومه حالا بعد حال. و قوله «إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» اخبار منه تعالى بأن العاقبة المحمودة لمن اتقى معاصى اللَّه و تحرز من عقابه.

تم المجلد الخامس- و يليه المجلد السادس و أوله قوله تعالى: و إلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا اللَّه ... آية (۵۰) من سورة هود

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخيص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائميّة " الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهید آیة الله " الشمس آباذی " – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهـم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز " القائميّة " للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و

عموم النـاس إلى التّحرّی الأدَقّ للمسائـل الدّینیّـة، تخلیف المطـالب النّافعـة – مکـانَ البَلا-تیثِ المبتذلـة أو الرّدیئـة – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعـة ثقافـة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهـذا المرکز، شـَعبیّـة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی

بالقائميّهٔ) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحهٔ بقيّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الکلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹